

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (٢)

التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢ - ١٩٧٠)

(دراسة في علم المفردات والدلالة)

الدكتورة مارلين نصر

التصور القومي العربي
في فكر جمال عبد الناصر
(١٩٥٢-١٩٧٠)



مركز دراسات الوحدة العربية

التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢ - ١٩٧٠)

(دراسة في علم المفردات والدلالة)

الدكتورة مارلين نصر

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص. ب. : ٦٠٠١ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٦٩١٦٤ ـ برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي فاكسيميلي: ٨٠٢٢٣٣

الطبعة الاولى : بيروت ، ايلول / سبتمبر ١٩٨١
الطبعة الثانية : القاهرة ، دار المستقبل العربي ١٩٨٣
الطبعة الثالثة : بيروت ، تموز / يوليو ١٩٨٤
الطبعة الرابعة: بيروت، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٠

المحتويات

قائمة الجداول والأشكال

رقم الجدول | | الصفحة

رقم الجدول		الصفحة
(٢٥)	خصائص مفهوم « الأمة العربية » في المرحلة السادسة (١٩٦٧ - ١٩٧٠)	١٩٧
(٢٦)	الاشارات الى ماضي « الأمة العربية » في الخطاب الناصري	٢٠٢
(٢٧)	تطوّر الصلات الدلالية لمفهوم «القومية العربية» حسب المراحل	٢١٤
(٢٨)	مقارنة حقلي دلالة « القومية العربية » و« الثورة العربية » في الخطاب الناصري	٢٢٤
(٢٩)	توزيع صلات مفهوم « القومية العربية » بين سميّي « الجنسية » و« الجنس »	٢٣٨
(٣٠)	أهداف « القومية العربية » في الخطاب الناصري	٢٥٤
(٣١)	نضالات « القومية العربية » في الخطاب الناصري	٢٥٦
(٣٢) - أ	أعمال « القومية العربية » في الخطاب الناصري	٢٥٧
(٣٢) - ب	الافعال المساعدة للقومية العربية	٢٦٣
(٣٣)	القوى المعاكسة « للقومية العربية » في الخطاب الناصري	٢٦٤
(٣٤)	الوسائل المضادة « للقومية العربية » في الخطاب الناصري	٢٦٧
(٣٥)	الأفعال المضادة « للقومية العربية » في الخطاب الناصري	٢٦٨
(٣٦)	تطوّر الصلات الدلالية « للوحدة العربية » في الخطاب الناصري	٢٨٠
(٣٧)	السياسات العربية الوحدوية لعبد الناصر بين عامي ١٩٥٠ و١٩٧٠	٢٩٦
(٣٨)	تعريف الوحدة العربية الدستورية في الخطاب الناصري	٣٠٠

رقم الجدول		الصفحة

رقم الشكل	المحتويات	الصفحة
(١)	تطور حقل دلالة « الأمة العربية » بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠	١٢٩
(٢)	تطور حقل دلالة مفهوم « الوطن العربي » بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠	١٣٢
(٣)	تكوّن ودلالة مفهوم « الحرية » في الخطاب الناصري	١٤٨
(٤)	تطور ودلالة مفهوم « الاشتراكية » في الخطاب الناصري	١٤٩
(٥)	تطور حقل دلالة « القومية العربية » بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠	٢١٣
(٦)	تطور حقل دلالة « العروبة » بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠	٢١٧

مُقــدّمــة

لقد دفعتنا إلى القيام بهذه الدراسة ملاحظة تبدو بديهية ، ألا وهي الموقع المركزي والمسيطر الذي يحتلّه الخطاب السياسي في الحياة الثقافية والاجتماعية للوطن العربي المعاصر .

ولم يكن الأمر كذلك فيما قبل . على العكس ، فقد تعاقبت على الوطن العربي والعالم الإسلامي ما قبل المعاصر ، ولقرون طويلة ، مجموعة من الدول الاستبدادية حيث كانت نخبة متسلطة ، ديوانية ـ عسكرية ، تبرّر حكمها وتشرّع له بواسطة خطاب ترددادي ، ينتجه ويعمّمه جهاز من رجال الدين مرتبط بشكل وثيق بجهاز الدولة المسيطر .

إن التشكّل الأولي للخطاب السياسي العربي معاصر لحركة النهضة العربية ولأزمة احتضار السلطنة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر بتأثير محاولات التحديث والتفتت المتزامن للمجتمعات الشرقية والدخول الاقتصادي والثقافي للغرب التوسّعي .

إن الخطاب السياسي العربي ظاهرة جديدة ، معاصرة ، لم تأخذ مداها الفعلي سوى منذ ثلاثينات هذا القرن .

بين ١٩٣٠ و١٩٧٥ نما وتوسّع الخطاب السياسي العربي من خلال تكوّن حقل تحاور وتجادل ، غني وتناقضي ، حيث كانت تتواجه الايديولوجيات والتيارات الفكرية التي حاولت أن تعرض على العرب المعاصرين تصورات لهويتهم القومية ، ولمشاكلهم

الاقتصادية والاجتماعية ، ولأساليب خلاصهم ، ولمحتويات وتوجهات ثقافتهم ، ولطبيعة الأعداء والعوائق التي تحول دون تحرّرهم .

لقد نشأ وتكوّن مجمل جيل القادة والمناضلين السياسيين العرب في الأربعينات والخمسينات من هذا القرن في هذا الجو بالذات ، حيث كان العمل السياسي بالإضافة إلى تعبئة القوى العاطفية والغريزية اللاواعية في معظم الأحيان ، يحتاج أيضا إلى بذل جهد للإقناع والمحاججة المنطقية باتجاه الأعداء الأيديولوجيين ، كما باتجاه الناصرين المحتملين ، أو باتجاه المواطنين المحكومين .

وبالفعل فإن مجرد تكوّن حقل الخطاب السياسي العربي قد زعزع جزئياً العلاقة التقليدية بين الحاكم والمحكوم ، وقد حتّم ، حتى بالنسبة لأكثر الحكام سلطة وشعبية ، ضرورة تنمية خطاب ذي غاية إقناعية تعبوية أو تربوية . إن بروز الخطاب الناصري بهذا الشكل هو من أكثر الظواهر دلالة على هذا التحوّل الثقافي الهام .

من خلال هذه الإشكالية يسهل تفسير إختيارنا للخطاب الناصري بالذات كموضوع للدراسة . لقد كان هذا الخطاب خلال حوالي عقدين (١٩٥٢ - ١٩٧٠) الخطاب المهيمن بشكله ، كما بموقعه ، في الحقل السياسي العربي .

أولاً بشكله ، كان الخطاب الناصري الأكثر وقعاً والأوسع انتشاراً . لقد كان أمام الخطاب السياسي العربي المعاصر خمس أقنية أو أدوات للتعبير : المنشور السياسي ، الخطبة الدينية ، التعليم الثانوي والجامعي (كتب ودروس) وأخيراً الكلمة المذاعة ثم المتلفزة . وقد استخدمت الخطابات السياسية المتنافسة هذه الأقنية بصور مغايرة ومتفاوتة . فقد عبّر الخطاب البعثي عن نفسه خاصة عبر المنشور السياسي والتعليم الثانوي ، بينما اختار خطاب الاخوان المسلمين - مثلاً - الخطبة الدينية والمنشور السياسي . أما الخطاب الناصري فقد ركّز على الكلمة المذاعة والمنشور السياسي .

إن تركيز الخطاب الناصري على الإذاعة ساهم دون شك في توسيع جمهوره ، وبسبب توجّهه إلى شعب فقير وأمّي في ثلاثة أرباعه ، أعطت الإذاعة الخطاب الناصري وسيلة الدخول إلى أكثر العائلات تواضعاً وابتعاداً عن المركز . لكن هذا الدخول السمعي دُعم ورُسخ بتوزيع واسع لأهمّ الكتابات الناصرية (فلسفة الثورة ، الميثاق الوطني ، بيان ٣٠ آذار / مارس) في صفوف المثقفين والجمهور المتنامي للتلامذة والطلاب . وقامت مئات الكتابات الناصروية ، المتفاوتة القيمة ، والمنشورة

في القاهرة وبيروت ، بعمليات اجتهاد أو مديح أو تبسيط أو تنظير عقائدي للخطاب الناصري وبدحض ونقد الخطابات السياسية المنافسة . فلقد كان الخطاب الناصري إذاً نواة إنتاج أيديولوجي واسع .

أحدث الخطاب الناصري أيضاً ـ بكونه فعالا جداً بشكله ـ وقعاً ضخماً بسبب موقعه . فهو خطاب صادر عن قائد الدولة المصرية ، مركز الثقل في النظام الدولتي والسياسي العربي بعد عام ١٩٤٥ ، خطاب نابع عن زعيم « كاريزماتي » أصبح بسرعة فائقة بطل التحرّر القومي العربي ؛ لهذا استطاع الخطاب الناصري أن يحتل مركز الصدارة في الحقل الأيديولوجي العربي ، مرغماً الخطابات الأخرى على تحديد نفسها معه أو عليه ، وعلى القبول بجزء هام من مقولاته ومن هياكله المفهومية .

إهتمامنا إذاً بالخطاب الناصري هو لأنه لعب ، حسب ما نعتقد ، دوراً غالباً في تكوين ونشر وتعميم المفاهيم الأساسية للقاموس السياسي العربي ، وفي تشكيل وتوجيه عناصر الثقافة السياسية العربية المعاصرة : هياكل تفكير ، مقولات أساسية ، صُور وخاصة التصوّر الرمزي للعالم القومي ولحركة التحرر المعاصرة للشعوب العربية .

وقد قصدنا في هذه الدراسة الأولية إلى أن نركّز على مقاربة دقيقة ومحددة : **التحليل الشامل المنتظم للبنيات الداخلية ، ولأوليات التشكّل والتحوّل ، ولشبكات العلاقات لأهم المفاهيم والتصورات القومية العربية في الخطاب الناصري** . وقد خصصنا فصلاً من هذا الكتاب لتناول فائدة وإمكانيات وحدود المقاربة المنهجية التي اتبعنا . ولا بد أن نذكر هنا أن هذا العمل لا يتناول المسألة الشائكة المتعلقة بجذور ودوافع الخطاب الناصري : « من أين » أتى هذا الخطاب ؟ ما هي علاقاته وتفاعلاته مع الأوضاع والظروف والعلاقة الإجتماعية والعمل السياسي الذي يتجذر فيها ؟ ما هي تأثيرات التغيرات السياسية أو الخطابات المضادة في تحوّلات الخطاب الناصري ؟ كل هذه الأسئلة هي في آن مشروعة وهامة وصعبة الإجابة . لكن بدا لنا أنه من الملحّ في مرحلة أولى إنتاج تحليلات داخلية بنيوية ومنتظمة للخطابات السياسية ، تحليلات وليس اختيارات غرضية ، إنتقائية ، بقصد المدح أو الذمّ .

ولدينا قناعة بأن المقاربة المنهجية التحليلية وحدها ، مع كل ما تتضمنه من جهد وصبر وحرص على الدقّة ، يمكن أن تؤسس بصورة متينة الفرضيات التفسيرية حول العلاقة بين الخطاب والعمل والواقع السياسيين . وهذه المقاربة وحدها يمكن

أن تؤمن نمو علم إجتماع تاريخي للحياة السياسية وللأيديولوجيات العربية المعاصرة .

وأملنا أن نكون من خلال هذه الدراسة ، قد أسهمنا بقسط متواضع في هذه العملية التأسيسية .

ونودّ الإشارة إلى أن هذه الدراسة قدّمت أساساً كرسالة دكتوراه في جامعة باريس - السوربون الرابعة ، في عام ١٩٧٩* . إلاّ أننا أعدنا كتابتها بالعربية لغرض نشرها ووضعها في متناول القارىء العربي ، كما أننا عدّلنا وطوّرنا بعض فصولها (الأول والثاني والثالث والسادس والسابع) .

ولا بد من شكر السادة الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور خير الدين حسيب والدكتور الطاهر لبيب والأستاذ السيد يسين ، الذين قاموا بقراءة المسوّدة الأولى للدراسة وقدّموا ملاحظات هامة حولها ، استفدت من الكثير منها في إعادة النظر في بعض أجزائها ، ولكن تبقى مسؤوليتي كاملة عمّا ورد في هذه الدراسة أو عن أي نقص فيها .

كما لا بد أن أشكر مركز دراسات الوحدة العربية ، الذي أتاح لي إمكانية ترجمة وإعادة كتابة بعض أجزائها من خلال تفرّغي للعمل فيه .

د. مارلين نصر
مركز دراسات الوحدة العربية

بيروت ، نيسان / أبريل ١٩٨١

---

* تحت العنوان التالي: Marlène Abou Chdid Nasr, «L'Idéologie nationale arabe dans les discours de Gamal Abdel Nasser: 1952-1970 ,»(Thèse pour le doctorat de 3 e cycle, université de Paris-Sorbonne IV,1979).

الفَصلُ الأول

مَدخل إلى مقاربة عِلميَّة لِلفكر القومي العَربي: مناهج تحليل فِكر عَبد النَاصِر القومي



إن معظم الكتابات التي تناولت موضوع إيديولوجية عبد الناصر القومية لم تعتمد على أدوات منهجية خاصة بتحليل النصوص، إما لعدم توفّر هذه الأدوات في الوقت الذي تمت فيه هذه الدراسات،وإما لعدم إطلاع أصحابها على هذه الأدوات. نريد في هذا الفصل من الدراسة إظهار حدود بعض هذه « القراءات » لفكر عبد الناصر القومي (أولاً) . ونقدّم بعد ذلك عرضاً موجزاً للمناهج الحديثة أي لأدوات تحليل النصوص المتوفرة حالياً والتي يمكن استخدامهالتحليل الفكر السياسي ، ثم نعرض بشكل تفصيلي المنهج التحليلي الذي اتبعناه في دراستنا لفكر عبد الناصر القومي (ثانياً) . ونعرض أخيراً كيف تم إختيار عينة الخطب التي حللت وفقاً لهذا المنهج (ثالثاً) .

ولا بد أولاً من تحديد كلمة «منهج» التي شاع استعمالها في الأبحاث العربية المعاصرة. هناك عدّة استعمالات، ومن ثم عدة معان لكلمة «منهج». نستبعد أولاً المعنى الشائع، والخاطىء برأينا، الذي كثيراً ما يستعمل في المقالات والدراسات في ميدان العلوم الإنسانية، وهو المعنى المرادف لـ«تصميم» أو «خطة» (plan)، أو ترتيب أقسام دراسة ما(*) . وتُستعمل أيضاً للتدليل على « النهج أو المسار النظري»(démarche théorique) . لقد استعملنا كلمة « منهج » في هذه الدراسة بمعنى أدوات التحليل

(*) كأنما يعتبر الكاتب ان مجرد وضع تصميم او خطة لدراسته في أقسام وفصول « هو المنهج » الكافي الذي يغنيه عن استعمال « تقنية علمية » محددة للقيام بتحليل موضوع بحثه .

المعتمدة في البحث، بغضّ النظر عن أقسام الدراسة. وإن كان للمنهج، بهذا المعنى صلة « بمسار أو نهج البحث النظري »، إنما يتميّز عنه بكونه يشير إلى كيفية السير بالتحليل العلمي وإلى الوسائل والتقنية المستخدمة في التحليل.

أولاً : بعض « القراءات » التقليدية لفكر عبد الناصر القومي

تتكوّن إيديولوجية فرد أو جماعة من ناحية فكرية، وناحية مسلكية. والجانب الفكري في إيديولوجية ما هو مجموعة التصورات والمفاهيم والرموز التي لا يمكن الحصول عليها وتحويلها إلى غرض علمي إلاّ إذا دُوِّنت كتابةً أو سُجِّلت صوتياً. يمكن إذاً بهذا المعنى «قراءة» الناحية الفكرية من إيديولوجية ما. ولكن إذا استعملنا كلمة «قراءات» في هذا الفصل محل «نصوص» فإن الأمر يعود لسبب مختلف، هو رغبتنا في التشديد على العلاقة بين الكاتب وموضوع بحثه (إيديولوجية عبد الناصر القومية)، أي كيفية أو منهجية تعامله مع هذا الغرض العلمي، في حين أن كلمة «نصوص» توحي أكثر بالنتيجة المكتوبة التي توصّل إليها بعد القراءة والتحليل. سنهتم في هذا الجزء بمنهجية بعض الكتابات التي تناولت إيديولوجية عبد الناصر القومية، أي أساليب أو طرق التحليل المتبعة فيها.

لقد اعتمدنا لاختيار بعض هذه الكتابات على إحصاء « بيبليوغرافي » وضعه فوزي عبد الرّزاق[1]، جمع فيه أهم الكتابات المنشورة بالعربية عن عبد الناصر، مستثنياً المقالات والأبحاث المترجمة إلى العربية والكتابات الأدبية الخالصة. وانطلق في مسحه هذا من « بيبليوغرافيا » نشرتها جامعة « هارفرد » تحصي الكتابات العربية حول التاريخ والسياسة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا[2] ـ لقد أحصى عبد الرزاق ١٠٧ كتب عربية عن عبد الناصر، وأشار إلى محتواها وطبيعتها (سيرة، دراسة تحليلية أو صحافية، مؤيدة أو معادية، موضوعها). واخترنا من بينها الكتب ذات الطابع التحليلي التي تناولت بصورة كلية أو جزئية إيديولوجية عبد الناصر القومية فكراً أو ممارسة. فتبيّن لنا أولاً إن

---

(١) Fawzi Abdulrazak,«Nasir,Documents and Sources in Arabic,» **Middle East Journal**,vol.30,no.4 (Autumn 1976),pp.545-550.

(٢) **Arabic Historical Writings,1973** (Cambridge, Mass. : Harvard University Library,1974),147p.

وأضاف اليها الكتابات الصادرة بعد ١٩٧٣.

الدراسات التحليلية حول هذا الموضوع نادرة جداً ، لذا لم نحتفظ إلاّ بستة مراجع ، أضفنا إليها بعض المراجع التي لم ترد في إحصاء عبد الرزاق ، لأنها لم تتطرق لموضوع عبد الناصر والناصرية إلا بشكل جزئي . وأضفنا إلى المراجع السابقة ثلاثة كتابات إستشراقية حول نفس الموضوع . فحصلنا في نهاية الأمر على المراجع التالية :

- عبد الله بلال، تأملّات في الناصرية، ثورة إنسانية خالدة (القاهرة: المكتبة الأنجلو- مصرية، ١٩٧١) .

- عبد الله بلال، على طريق الناصرية (طرابلس: مكتبة العرفان، ١٩٧٣) .

- صلاح الدين البيطار، ماذا بعد جمال عبد الناصر (بيروت: مؤسسة «الحوادث»، ١٩٧٢) .

- بشير حمدي، الكتاب الأخضر حول مؤتمر القمة الإسلامي (بيروت: [د. ن.]، ١٩٦٦) .

- أحمد حمروش، «فكرة القومية العربية في ثورة يوليو،» المستقبل العربي، السنة ٢ ، العدد ٧ (أيار/ مايو ١٩٧٩)، ص ٣٩ - ٤٧[٣] .

- أحمد صدقي الدجاني، عبد الناصر والثورة العربية (بيروت: دار الوحدة، ١٩٧٣) .

- مصطفى الدندشلي، «مصر الناصرية والتجربة الوحدوية،» الفكر العربي، عدد ٤ / ٥ (أيلول / سبتمبر - تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٨)، ص ٣٩ - ٤٧

- مصطفى الدندشلي،
«Le Parti Baas Arabe Socialiste (1940-63)»
(رسالة دكتوراه، جامعة باريس I - السوربون، شباط ١٩٧٥)[٤]،
الفصل التاسع: «Le Baas et le pouvoir nassérien»

---

(٣) لم يغب عنا كتاب أحمد حمروش ، قصة ثورة يوليو (٥ اجزاء) ، وخاصة الجزء الثالث : عبد الناصر والعرب . ولكن لم نأخذ به لانه لا يهتم بتحليل ايديولوجية عبد الناصر القومية وانما يسرد خلفيات سياسته العربية .

(٤) لم يصدر في العربية الا الجزء الأول من الأطروحة. ولا يزال الجزء الثاني ،الذي يعالج جزئيا موضوعنا، قيد الطباعة .

(p. 252-310) . والفصل الثاني عشر:
« Baasisme et nassérisme face à face » (PP·402-412) .

- رفعت السعيد، **تأملات في الناصرية**، الطبعة ٢ (بيروت: دار الطليعة،١٩٧٩)[*].

- ط.ث. شاكر (ميشيل كامل)، **قضايا التحرر الوطني والثورة الإشتراكية في مصر** (بيروت: دار الفارابي، [د.ت.]) .

- غالي شكري، «مدخل تمهيدي إلى الفكر الناصري،» **الفكر العربي** ، عدد ٤ / ٥ (أيلول / سبتمبر - تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٨)، ص ٦٧ - ٩٤.

- م.س. شعلان وي.خ. يوسف، **إيديولوجية جمال عبد الناصر ومفاهيمها في التربية والتعليم** (القاهرة: مكتبة غريِّب، ١٩٧١)

- عامر العقاد، **جمال عبد الناصر، حياته وجهاده** (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٠)

— Gad Silberman , «National Identity in Nasserist Ideology, 1952-70,» **Asian and African Studies,** vol.8, n:1 (1972), p.p. 49-85.

— Joseph Muzikar, «Arab Nationalism and Islam,» **Archiv Orientalni**, vol.43, n° .3 (1975), p.p. 193-209.

— J.P. Vatikiotis, **Nasser and his Generation** (London: Croom Helm, 1978).

ليس هدفنا هو القيام بدراسة شاملة للكتابات الدائرة حول أيديولوجية عبد الناصر القومية ، وإنما إجراء فحص أو إستقصاء جزئي هدفه تحديد طرق معالجتها لفكر عبد الناصر القومي .

حاولنا ، قدر الإمكان ، في اختيار النماذج ، مراعاة اعتبارين : إختيار نماذج تجمع أهم الأساليب التقليدية المتبعة في معالجة موضوع الفكر القومي الناصري ، وتمثيل بعض الإتجاهات الفكرية والسياسية التي اهتمت سلباً أو إيجاباً بالفكر القومي الناصري (من ناصرية وبعثية وشيوعية ودينية واستشراقية) . ونبين في الجدول التالي رقم (١) هذا التنوّع

(*) صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في سنة ١٩٧٣ عن دار الطليعة تحت الاسم المستعار: محمد فريد شهدي .

جدول رقم (١)

تصنيف أولي « للقراءات » التقليدية

« قراءات » قومية	« قراءات » شيوعية	« قراءات » دينية	« قراءات » استشراقية
ناصرية ١ ـ أحمد صدقي الدجاني عبد الناصر والثورة العربية ، ١٩٧٣ . ٢ ـ عبد الله بلال تأملات في الناصرية ، ١٩٧١ . ٢ ـ عبد الله بلال على طريق الناصرية ، ١٩٧٣ ٣ ـ م.س. شعلان ، وي.خ. يوسف ، أيديولوجية جمال عبد الناصر ومفاهيمها في التربية . (١٩٧٣) . ٤ ـ أحمد حروش ، « فكرة القومية العربية في ثورة يوليو » ، ١٩٧٩ (مقال) .	٧ ـ رفعت السعيد تأملات في الناصرية. ١٩٧٩ ٨ ـ غالي شكري ، « مدخل تمهيدي إلى الفكر الناصري » . ١٩٧٨ (مقال) . ٩ ـ ط.ث. شاكر ، (ميشيل كامل) ، قضايا التحرر الوطني والثورة الاشتراكية في مصر . (١٩٧٣) .	١٠ ـ بشير حمدي ، الكتاب الأخضر حول مؤتمر القمة الإسلامي. ١٩٦٦ . ١١ ـ عامر العقاد ، جمال عبد الناصر حياته وجهاده . ١٩٧٠ . ١٢ ـ مقابلة مع د. حسن آية ، « النهار » ١٩٧٩/١٢/٢٥ .	١٣ ـ J. P. Vatikiotis. Nasser and his Génération 1978. ١٤ ـ G. Silberman , «National Identity in Nasserist Ideology: 1952-70». 1972. ١٥ ـ J. Muzikar: «Arab Nationalism and Islam.» 1973.
بعثية ٥ ـ صلاح الدين البيطار ماذا بعد جمال عبد الناصر ١٩٧٧ ٦ ـ مصطفى الدندشلي « مصر الناصرية والتجربة الوحدوية » ١٩٧٨ (مقال) . ٦ ـ مصطفى الدندشلي Le Parti Baas Arabe Socialiste. . Thèse de Doctorat. 1975.			

في الاتجاهات السياسية الذي حاولنا مراعاته في اختيار النماذج الستة عشر.

وبالرغم من انه يمكن إفتراض علاقة ما بين الإتجاهات السياسية للكتّاب ونوعيّة الأساليب المتبعة في معالجتهم لفكر عبد الناصر القومي ، إلاّ أننا لن نبحث في هذه العلاقة في إطار هذه الدراسة وسنكتفي بوصف الأساليب المتبعة والإشارة إلى حدودها العلميّة .

هناك ملاحظتان نريد أن نبديها قبل المباشرة بالتحليل . الملاحظة الأولى هي أن النماذج المختارة متفاوتة من حيث المستوى : فهناك الأطروحات والأبحاث القيمة والعميقة (أمثال دندشلي ، ودجاني وفاتيكيوتيس وشاكر . . الخ) إلى جانب المقالات والكتب السريعة والسطحية . وهناك المراجع التي يرتكز غرضها بشكل أساسي على تحليل فكر عبد الناصر القومي ، (دجاني ، سيلبرمان ، بلال . . .) والمراجع التي لم تخصص لهذا الموضوع سوى صفحات معدودة (شاكر ، فاتيكيوتيس ، دندشلي) . فليس غرضنا إجراء تقييم لهذه الكتابات من حيث قيمتها العامة ، وإنما فقط مقارنة كيفية معالجتها للزاوية التي تهمنا في هذه الدراسة ألا وهي فكر عبد الناصر القومي .

أما الملاحظة الثانية ، فهي حول إستعمال كلمة « تقليدية » لوصف هذه « القراءات » قصدنا بذلك الدراسات أو الكتابات التي لم تعتمد أدوات خاصة بتحليل النصوص . والجدير بالإشارة أن بعض هذه الدراسات « التقليدية » قدّم للمعرفة فيما مضى نتائج هامة ، بسبب الصفات الذاتية التي تمتع بها أصحابها من إطلاع واسع وحدّة ذكاء وقدرات عملية . إلا أنها أصبحت من حيث المنهج ، تقليدية أو قديمة نظراً لوجود أدوات تحليل مقتبسة من علم الإحصاء والالسنية خاصة بمعالجة النصوص ، لم تكن متوفرة فيما مضى . كما أن هناك دراسات طبقت مناهج تحليل حديثة ، لم تقدّم الكثير للعلم والمعرفة بسبب عدم تمكن أصحابها من السيطرة على المناهج التي اتبعوها ، أو بسبب عدم تمكنهم من تحديد غرض للبحث جدير بالإهتمام .

في تحليلنا للنماذج الستة عشر من القراءات التقليدية ، حاولنا استخلاص وتحديد أساليب[٦] البحث التي طبّقها أصحاب هذه

(٦) استعملنا كلمة « أسلوب » للاشارة الى طرق التحليل التقليدية .

القراءات متسائلين: هل يتميز كل قارئ ـ باحث بأسلوب خاص في التحليل والوصف، أم أنه توجد أساليب محدّدة يشترك فيها عدد من الكتّاب؟. وبعد تصنيف ووصف تلك الأساليب المتّبعة في تحليل فكر عبد الناصر القومي، سنبيّن النتائج المترتبة على عدم اعتمادها أدوات تحليل خاصة بالنصوص.

ألف ـ تصنيف ووصف الأساليب المتبعة في «القراءات» التقليدية

إن المصادر الأساسية لدراسة فكر عبد الناصر القومي هي، ـ بطبيعة الحال ـ الآثار التي تركها القائد الراحل من خطب وكتابات وتصريحات. لهذا صنفنا الأساليب المتّبعة في النماذج الستة عشر حسب مدى علاقتها بآثار عبد الناصر وكيفية معالجتها لهذه الآثار بغية دراسة مفاهيم وتصورات عبد الناصر القومية. ولقد صنّفناها إنطلاقاً من «القراءات» ذات العلاقة الغائبة بآثار عبد الناصر الفكرية، وصولاً إلى «القراءات» ذات العلاقة الوثيقة بآثار عبد الناصر، وحسب مدى وكيفية تطرق أصحاب هذه «القراءات» لمضمون فكر عبد الناصر القومي، وصفاً أو تحليلاً، فتوصلنا إلى التصنيف التالي:

- تأويل (آراء، تفسيرات، تعليقات) مضمون فكر عبد الناصر القومي، لا علاقة له بآثاره[٧].

- تكرار أو إعادة صياغة (paraphrase) لمضمون فكر عبد الناصر القومي ولها علاقة غير مباشرة بآثاره.

- وصف غرضي[٨] (Description thématique) لفكر عبد الناصر القومي. ولها علاقة مباشرة بآثاره: إستشهادات من خطبه وكتاباته.

---

(٧) لقد استثنينا الكتابات التي تطرقت لفكر عبد الناصر القومي بشكل تغلب عليه العاطفة، سواء كان الاسلوب مدحيا او هجائيا. وكمثال على ذلك انظر: عبد الحميد بكداش، جمال عبد الناصر، رجل في امة، ط ٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤) (مدح)، ونهاد الغادري، الكتاب الاسود في حقيقة عبد الناصر وموقفه من الوحدة والاشتراكية وقضية فلسطين([د. ن.: د. ت.]) (هجاء بأسلوب الرواية البوليسية).

(٨) كلمة غرضي لا تعني مغرض. ولكنها مشتقة من غرض (ج اغراض). اي مواضيع البحث فالوصف الغرضي يعني وصف بعض الاغراض او المواضيع التي يختارها الباحث. مثلا: الوحدة العربية او الأمة العربية او القومية العربية.. الخ.

- تحليل غرضي (Analyse thématique) لفكر عبد الناصر القومي. ولها علاقة مباشرة بآثاره: إستشهادات.

ونعطي فيما يلي بعض الأمثلة على كل أسلوب متّبع، إخترناها من بين النماذج المحلّلة.

١ - الأسلوب الأكثر إبتعاداً عن مضمون فكر عبد الناصر القومي والأقل علاقة بآثاره: التأويل

- المثل الأول: قراءة شيوعية: سنقدم مثلين على ذلك من كتاب شاكر، **قضايا التحرر الوطني والثورة الاشتراكية في مصر**،المتمثل في المجموعة. فإذا أخذنا الفصول التي يتعرض فيها الكاتب لفكر عبد الناصر القومي وهي:

- «طبيعة النظام الناصري» (ص ٥ - ٨٥)
- «حركة التحرر الوطني العربية» (ص ٢٠٩ - ٢٢٥)
- «القومية العربية والوحدة العربية» (ص ٢٢٧ - ٢٤٢).

فإننا نجد أن شاكر لا يتطرق، فيها، لفكر عبد الناصر القومي إلا مرّتين في الهوامش. في المرة الأولى يتحدث عن تصور عبد الناصر للوحدة العربية بعد ١٩٦١. فيعتبر ان «عبد الناصر تبنّى موقف الشيوعيين من الوحدة وعَبّر عنه وتمسكّ به أثناء مباحثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣» (هامش ص ٢٠): فهو من ناحية ، يحدّد مفهوم الوحدة لدى عبد الناصر بعد ١٩٦١ وكيف أصبح مطابقاً للمفهوم الشيوعي، ويكتفي بإعطاء رأيه بشكل تأكيد حاسم لا مجال للبحث فيه. وهو من ناحية أخرى لا يستشهد أبداً بنص المحادثات الثلاثية التي ذكرها.

ويتطرّق شاكر إلى فكر عبد الناصر القومي مرة ثانية في فصل «حركة التحرر الوطني العربية» (ص ٢٠٩ - ٢٢٥)، حيث يتكلم عن نظرة عبد الناصر للدوائر الثلاث على النحو التالي: «حدد عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة، نشاط مصر في ثلاث دوائر هي الإسلامية والأفريقية والعربية» (هامش ص ٢١٧). وفضلاً عن إيراد هذه النقطة في الهامش، نراه يعطي تفسيراً مبتسراً لمفهوم عبد الناصر للدوائر الثلاث. فيقلل من أهمية الدائرة العربية بعدم إعطائها الأولوية وبمساواتها بالدوائر الأخرى، في حين أن عبد الناصر حدّد طبيعتها بكونها دائرة انتماء («هي منا ونحن منها»). وبالاضافة إلى هذا فهو لا يستشهد بمحتوى النص الذي يأتي على ذكره.

ـ المثل الثاني : « قراءة » دينية : أعاد الدكتور آية حسن[٩] ، في مقابلة مع « النهار » (١٩٧٩/١٢/٢٥) ، أعاد تفسير مفهوم الوحدة العربية عند عبد الناصر ، بالطريقة التي تتناسب واتجاهه السياسي ، فقال :

« لقد أراد عبد الناصر النهج القومي مدخلاً لمدرسة فكرية أشمل وهذا ما ذكره في كتاب فلسفة الثورة حيث أشار إلى أنه عندما حج ودار حول الكعبة شعر بضرورة توحيد العالم الإسلامي وأنه لا بد من الوصول إلى هذه المرحلة. عبد الناصر اعتبر المسيرة القومية مرحلة نحو الوحدة الاسلامية، ولم يقف يوماً إلى جانب الخط المعادي للاسلام ولو تمكّن حينذاك من طرح الايديولوجية والنهج الاسلاميين لحقق بالتأكيد نجاحاً أكبر (. . .) وبإيجاز نقول أنه إذا كانت القومية هدفاً في ذاته فنحن نعارضها، أما إذا كانت مرحلة نحو الاسلامية، ومن ثم الاممية، فليس بيننا وبينها تعارض » .

ما يمكن ملاحظته بداية، هو أن د. حسن آية لا يحلل مضمون فكر عبد الناصر القومي، ولا يذكر مفهوم الوحدة العربية، الوحدة القومية، كما وردت في التصور الناصري. بل ينسب تصوره الخاص «للمسيرة القومية» أنها «مرحلة نحو الوحدة الاسلامية» ينسبه إلى عبد الناصر، ولتأكيد صحة تأويله هذا يذكر آثار عبد الناصر (فلسفة الثورة) دون الاستشهاد حرفياً بالمقطع الذي ذكره لئلا يظهر خطأ «التفسير» الذي تقدّم به.

إن عملية تشويه فكر عبد الناصر القومي، في المثلين السابقين تستند إلى دعامتين: الأولى، وهي تجنُّب القارىء ـ الباحث وصف أو تحليل مضمون فكر عبد الناصر القومي، واكتفاؤه بإحلال تفسيره هو أو رأيه الخاص مكانه. أما الثانية فهي، تجنُّب القارىء ـ الباحث الاستشهاد بآثار عبد الناصر كما وردت حرفياً واكتفاؤه بالاشارة إليها للتغطية على خطأ تفسيره .

٢ ـ الأسلوب الذي يعتمد على تكرار (paraphrase) مضمون فكر عبد الناصر القومي عوضاً عن تحليله ، مما يجعل علاقته بآثار عبد الناصر غير مباشرة .

التكرار هو إعادة صياغة ما جاء في نص ما بغير ألفاظه الأصلية، مع المحافظة مبدئياً على معناه الأصلي. وسنعطي ثلاثة أمثلة لهذا الأسلوب مأخوذة من النماذج:

ـ المثل الأول : « قراءة » قومية ناصرية : شعلان ، ويوسف ، أيديولوجية

---

(٩) أحد قادة حزب الجمهورية الاسلامي في ايران .

جمال عبد الناصر . . . فلقد أراد الباحثان في الفصل الثالث من هذا الكتاب (أيديولوجية عبد الناصر في المجال القومي العربي ، ص ٢٩ ـ ٣٦) أن يثبتا أن أيديولوجية عبد الناصر ترتكز على ركيزتين أساسيتين مترابطتين ، هما الوحدة والتحرر . ولإثبات هذه المقولة ، إعتمدا تكرار ما جاء في الخطاب الناصري بقولهما :

« والزعيم الخالد حين كان يدعو ويعمل إلى تحرير الوطن العربي، يرى أن الاستعمار هو القوة الكبرى التي لا تزال تفرض على المنطقة كلها حصاراً «غير مرئي» .وإذا كان تحرير الوجود العربي من الاستعمار يعني القوة والحياة، فإن التلازم بين القوة والوحدة كان أبرز معالم تاريخ الأمة العربية» (ص ٢٩) . ويعلّق الكاتبان قائلَيْن : « وهذا أمر طبيعي ، فحينما يتوافر الاستقلال والتحرّر لأي بلد عربي فإن إتحاده وتضامنه مع باقي الشعوب العربية يصبح النتيجة اللازمة للتحرر » .

وبهذا أعاد الباحثان صياغة ما جاء في إحدى خطب عبد الناصر ، دون ذكر تلك الخطبة. من هنا يكون التكرار قد حلّ محل التحليل والتعليق.

ـ المثل الثاني : « قراءة » شيوعية : غالي شكري في ، « مدخل تمهيدي إلى الفكر الناصري » يلجأ إلى تكرار سريع لما جاء في « فلسفة الثورة » عن الدوائر الثلاث[١٠] . وبما أن هدفه هو التلخيص نراه يلجأ إلى التكرار الذي يحل عنده ، محل تحليل فكر عبد الناصر القومي فتصبح العلاقة بآثار عبد الناصر علاقة غير مباشرة .

ـ المثل الثالث : « قراءة » إستشراقية : ج . سيلبرمان في «National Identity in Nasserist Ideology 1952 - 1970» يعتبر أن عبد الناصر في الفترة الأولى من الثورة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤)، وضع في فلسفة الثورة أسساً أيديولوجية قومية مصرية خالصة . وللبرهنة على هذه الفرضية ، يلجأ سيلبرمان إلى تكرار مقطع من فلسفة الثورة يفهم منه أن « عبد الناصر وضع العرب والمسلمين على نفس مستوى الغزاة الرومان وغيرهم » ومن خلال هذه العملية (عدم الاستشهاد بنص هذا المقطع ، وتكرار ما جاء فيه بشكل محرّف ، وتجاهل ما كتبه عبد الناصر « في فلسفة الثورة عن الانتماء إلى الدائرة العربية) . من خلال هذا يكون سيلبرمان قد شوّه فكر عبد الناصر القومي .

(١٠) على النحو التالي: « ولا يبقى لي كتاب فلسفة الثورة سوى ما يدعوه عبد الناصر بالدوائر الثلاث: الدائرة العربية والدائرة الافريقية والدائرة الاسلامية ،وهي الدوائر التي يراها ـ بهذا الترتيب الذي اورده ـ المجال الطبيعي والحيوي الذي يجب ان تتحرك فيه مصر بحكم موقعها الجغرافي والتاريخي والنضالي » . أنظر : غالي شكري ، « مدخل تمهيدي الى الفكر الناصري» الفكر العربي ، العدد ٤ /٥ (أيلول / سبتمبر ـ تشرين الأول / اكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٨٧ .

يتبينّ من الأمثلة السابقة، أن وظائف هذا الأسلوب متعدّدة، وهي إما الالتصاق بموضوع البحث (وهو هنا فكر عبد الناصر القومي): وتبني تفسيره وتعليقه ليحل محل تفسير وتعليق الباحث (المثل الأول). وإما إعفاء الباحث من التحليل (المثلين الأول والثاني). وإما تشويه لمعنى المقطع أو النص المكرّر، إذ بالتكرار يستطيع الباحث ـ القارىء، باستعماله مفردات أخرى، أن يغيّر معنى النص في حين أن الاستشهاد الحرفي بالنص لا يسمح بذلك (المثل الثالث).

(٣) وصف غرضي لتصورات عبد الناصر القومية (ضعف التحليل)، و علاقة مباشرة بآثاره عن طريق الاستشهاد

إن الوصف الغرضي، وهو أسلوب شائع في «القراءات» التقليدية لفكر عبد الناصر، لا يمسّ بترتيب أو تسلسل المواضيع الواردة في النص أو النصوص التي يعمل عليها (هنا خطب عبد الناصر) فيخضع الباحث موضوع بحثه للترتيب الموجود في هذه النصوص، ولا يحدّد مسبقاً أغراضاً ينوي البحث عنها، فيكتفي بقراءة النصوص ويصف ما جاء فيها من أغراض عن طريق الاستشهاد ببعض المقاطع المختارة منها.

ـ **المثل الأول : قراءة قومية ناصرية : عبدالله بلال ، في كتابه على طريق عبد الناصر ، في الجزء المتعلق بـ « التصور الناصري للوحدة العربية » (ص ١١٥ ـ ١٢٤) من فصل « عبد الناصر والوحدة العربية » ، يسرد سلسلة من الاستشهادات المستخرجة من خطب عبد الناصر ، دون ذكر مناسبة الخطاب أو تاريخه . وقد يعطي مضمون هذه الاستشهادات فكرة عن تصوّر الوحدة لدى عبد الناصر ، لكن كونها غير مرتبة حسب الأغراض التي حدّدها موضوع البحث ، وإدراجها تحت عناوين مستوحاة مباشرة من مضمون المقاطع المستشهد بها ، يثبتان بوضوح أن الباحث لم يبذل أي مجهود تحليلي لتصور الوحدة في الفكر الناصري ، وإنما اكتفى بسرد بعض الاستشهادات المختارة من الخطاب الناصري ، والتي تقدم وصفاً جزئياً لتصور الوحدة لدى عبد الناصر ، مثلاً :**

«الوحدة إتفاق على الأهداف» (يليه استشهاد بهذا المعنى).
«قوة العرب في وحدتهم» (يليه استشهاد بهذا المعنى).
«ليست من وحي فرد» (يليه استشهاد بهذا المعنى).
«هي ثورة على التخلف» (يليه استشهاد بهذا المعنى).
«علاقة عضوية بين الوحدة والاشتراكية» (يليه استشهاد بهذا المعنى).

وبهذه العملية يختفي الباحث تماماً وراء الخطاب الناصري، فيعيده للقارىء كما هو، وبأمانة مطلقة، ولكنه لا يقدّم مساهمة جديدة لفهم تصور الوحدة لدى عبد الناصر، بسبب غياب المجهود التحليلي.

ـ المثل الثاني : « قراءة » قومية بحتية : في مقالة ، « مصر الناصرية والتجربة الوحدوية» وفي الجزء المخصص منه لـ «عبد الناصر والدائرة العربية» (ص ١٠٤)، يكتفي مصطفى دندشلي بسرد وتلخيص كل ما ورد في **فلسفة الثورة** عن «الدائرة العربية» و«الشعوب العربية»، وهو يتبع التسلسل نفسه الذي ورد في هذا المصدر: الدوائر الثلاث، تليها الدائرة العربية، ثم الكفاح الواحد المشترك، وأخيراً مصادر القوة الثلاثة للعرب. ثم نراه يستشهد بالمقاطع المناسبة من **فلسفة الثورة**، بدون تعليق ودون تحليل لما ورد في المقاطع المذكورة. فتحت عنوان «عبد الناصر والدائرة العربية» لا يحلل الكاتب ما ورد في **فلسفة الثورة** حول هذا الموضوع، بل يكتفي بإعادة نشره كما هو. وبهذا يكون قد توارى هو خلف النص المذكور، واستشهد به بأمانة دون أن يكلف نفسه عناء التحليل لتصورات عبد الناصر القومية.

ـ المثل الثالث : « قراءة » دينية : لعل النموذج الأمثل والأكثر مطابقة لأسلوب الوصف الغرضي، هو ما ورد تحت عنوان « الوحدة والانفصال وفلسطين بين الاشتراكية والقومية » (ص١٤ ـ ٣٥) وذلك في **الكتاب الأخضر حول مؤتمر القمة الاسلامي** لبشير حمدي، بمناسبة خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في الثاني والعشرين من شباط ١٩٦٦، حيث يقدّم الكاتب تعليقاً نقدياً لما جاء في خطاب عبد الناصر المذكور. فبعد الاستشهاد بمقطع من الخطاب المذكور يقدم بشير حمدي تعليقه عليه ويبقى على هذا النسق (مقطع من الخطاب يتبعه تعليق الكاتب) حتى ينتهي من كل الخطاب، دون بذل أي جهد لتحليله أو لإعادة ترتيب محتواه ـ على الأقل ـ حسب ما يتطلبه موضوع الجزء المذكور «الوحدة والانفصال وفلسطين بين الاشتراكية والقومية». بل نراه يتبع بأمانة، تسلسل نص الخطاب كما ورد ولا يخشى التكرار، خاصة، عندما يصادف ورود مقطع في الخطاب يعيد فكرة وردت في مقطع سابق.

فتحت العناوين المستخلصة من محتوى المقاطع التي يستشهد بها ينقل لنا الكاتب محتوى الخطاب بشكل وصفي على النحو التالي:

«الجماهير وصنع الوحدة العربية» (يليه مقطع من الخطاب الناصري)
«بمناسبة موضوع كسر احتكار السلاح» (يليه مقطع آخر من الخطاب الناصري)

«قنبلة إسرائيل الذرية والحرب الوقائية» يليه أيضاً مقطع من الخطاب الناصري)
«الفرقة وأثر القاهرة» (ويليه مقطع من الخطاب الناصري)
«عودة إلى الوحدة، والانفصال والاشتراكية» (يليه مقطع من الخطاب الناصري)
(مع ملاحظة انه سبق وتكلم عن الوحدة والفرقة).
«الشعب السوري وشعوره نحو الوحدة» (يليه أيضاً مقطع من الخطاب الناصري)

وعلى الرغم من أمانة الكاتب المطلقة لمحتوى الخطاب فإنه لا يقوم بأي مجهود لتحليل تصور عبد الناصر عن الوحدة والانفصال والاشتراكية كما يتضح من هذا الخطاب. ولا نراه - حتى - يقوم بترتيب مقاطع الخطاب التي تناولت هذا الموضوع (أن يجمع مثالا مقطعين تحدثا عن نقطة بعينها وإن لم يأتيا متتاليين في نص الخطاب).

٤- تحليل غرضي (Analyse thématique) لتصورات عبد الناصر القومية - علاقة مباشرة بآثاره عن طريق الاستشهاد

يتميز التحليل الغرضي عن الوصف الغرضي بكون التحليل عملية مركبة خاضعة لترتيب يحدده الباحث حسب موضوع بحثه، وليس لترتيب أو تسلسل المواضيع الواردة في النص.

إن أسلوب التحليل الغرضي هو، إلى جانب أسلوب الوصف الغرضي، من الأساليب الغالب اتباعها في النماذج التي حلّلناها، ومن أمثلته:

- المثل الأول: «قراءة» قومية ناصرية: إن كتاب أحمد صدقي الدجاني: **عبد الناصر والثورة العربية**، يشكّل أفضل مثل لأسلوب التحليل الغرضي، ففيه حدد الباحث مسبقاً الأغراض المتعلقة بتصورات عبد الناصر القومية وهي:

- عروبة مصر - إنتماؤها العربي
- ضرورة بناء القاعدة: الدور المركزي لمصر ضمن الدوائر الثلاث
- بلورة فكرة القومية العربية وتحديد أهداف النضال العربي.

والباحث في هذا الكتاب، لا يقتصر على هذا التحديد العام، بل يقوم بتفصيل كل غرض إلى نقاط متفرعة، فيحدد مثلاً أربعة أبعاد للتصور الناصري للقومية العربية: البعد الجغرافي، البعد التاريخي، البعد الروحي، والبعد الطبقي.

وبعد مجهود تحليلي، ينصرف الباحث إلى معالجة هذه النقاط المفصّلة، إستناداً إلى آثار عبد الناصر، وبصورة خاصة كتاباته وخطبه. فلا يكتفي بمصدر واحد أو مصدرين، كما يفعل معظم متبعي أسلوب الوصف الغرضي وحتى الكثيرين من مطبقي أسلوب التحليل الغرضي، بل يعتمد أكثر من مصدر للاجابة على النقاط ـ الأسئلة التي حددها مسبقاً. فيعطينا صورة مركبة، إلى حد ما، عن تصور عبد الناصر حول هذه النقطة أو تلك، ويثبت هذه الصورة عن طريق الاستشهاد الحرفي بالنصوص مصادر الفكر الناصري التي اعتمدها. وبعد الانتهاء من هذه العملية، يقدّم تعليقه (أو تفسيره) حول الموضوع[11].

وسنبيّن فيما بعد، حدود هذا الأسلوب، حتى ولو طُبِّق على الشكل الأفضل كما في المثل السابق.

ـ المثل الثاني: «قراءة» قومية ناصرية: في مقالة بعنوان «فكرة القومية العربية في ثورة يوليو» يقتصر كاتبها أحمد حروش على إثبات غرض واحد يفصّله في نقطتين : ظهور فكرة القومية العربية في كتب وخطابات عبد الناصر، والايمان بها والبقاء عليها رغم الانفصال. ويعتمد الكاتب بعض المصادر من آثار عبد الناصر لاثبات هاتين النقطتين، فيستشهد بـ فلسفة الثورة وببعض الخطب والمقابلات، مختصراً القسم المتعلق بتحليل تصور عبد الناصر القومي، ومعطياً أهمية أكبر لما يسميه «تجسيد» هذه التصورات، أي تصرفات عبد الناصر، الناتجة عن تبنيه المبكر لفكرة القومية العربية والاستمرار في إيمانه بها.

ـ المثل الثالث: «قراءة» استشراقية: لنأخذ كتاب فاتيكيوتيس، عبد الناصر وجيله Nasser and his Generation فإن الباحث لا يعالج في هذا الكتاب أيديولوجية عبد الناصر القومية، إلا في فصل واحد (الفصل ١٢) تحت عنوان «إغراء القومية العربية» (ص ٢٢٥ ـ ٢٤٨) أما فيما يتعلق بالناحية الفكرية لهذه الأيديولوجية، أو ناحية التصورات القومية لدى عبد الناصر. فهو لا يبحث إلا عن الأغراض التالية :

ـ جذور القومية العربية لدى عبد الناصر.

---

(١١) يمكن متابعة هذه العملية في : احمد صدقي الدجاني، عبد الناصر والثورة العربية (بيروت : دار الوحدة، ١٩٧٣)، الفصل الرابع : «بلورة فكرة القومية العربية وتحديد اهداف النضال العربي»، ص ١١١ ـ ١٤٧.

ـ تأكيد عبد الناصر الدائم لعروبة مصر.
ـ أسباب تجزئة الدول العربية.

وبالرغم من اعتماد الباحث عدداً قليلاً نسبياً من الاستشهادات والمصادر الناصرية، على عكس المثل الأول، فلا بد من اعتبار أسلوبه في البحث من أساليب التحليل الغرضي، وإن كان من النوع الضعيف بسبب قلة الاثباتات (وهي هنا الاستشهادات بآثار عبد الناصر)، التي ارتكز عليها الباحث لتوضيح وبرهنة الأغراض التي حدّدها مسبقاً كموضوع لبحثه، وتجدر الاشارة إلى ضعف آخر في أسلوب فاتيكيوتيس، ألا وهو كون الناحية التحليلية مندمجة مع التعليق والتفسير الخاصّين بالكاتب، إذ لا يفصل بين مرحلة تحليل أغراض بحثه وبين تعليقاته وتفسيراته الخاصة حول تلك الأغراض، الأمر الذي يضعف المظهر الموضوعي لبحثه.

باء ـ الحدود العلمية للأساليب المتبعة في « القراءات » التقليدية

لقد أبرزنا في الجدول رقم (٢) هذه العلاقة ، بترتيب « القراءات » حسب درجة ونوعية علاقة الباحث بمصادر البحث (وهي هنا آثار عبد الناصر من خطب وكتابات) ومدى اتباعه نمطاً تحليلياً في بحثه.

وبدون الخوض في العلاقة بين تأثير العوامل الذاتية (كالاتجاه السياسي لصاحب القراءة) على الأساليب المتبعة، يتبين من قراءة الجدول رقم(٢) أنه كلما زاد اهتمام الباحث ـ القارىء بالفكر القومي الناصري إيجاباً (« القراءات » الناصرية) أو سلباً (« القراءات » الاستشراقية) كلما توثّقت علاقته بالنصوص ، مصادر هذا الفكر (علاقة مباشرة في التحليل والوصف الغرضي) ، وبالعكس كلما ضعف اهتمام الباحث ـ القارىء بالفكر القومي الناصري (« القراءات » الدينية والشيوعية) كلما ضعفت علاقته بالنصوص (علاقة غير مباشرة في أسلوب التكرار ، وغياب العلاقة بالنص في أسلوب التأويل) .

لقد حدّدنا فيما سبق: إن مقياسي «الموضوعية» ـ ولا نقول العلمية ـ في «قراءات» فكر عبد الناصر القومي هما: درجة ونوعية العلاقة بآثارعبد الناصر القومية، ومدى اتباع الباحث للنمط التحليلي. لذا نستطيع القول: إن أسلوب «التحليل الغرضي» المرتكز على وفرة الاستشهادات، هو الأسلوب الأقرب إلى «الموضوعية». وهذا لا يعني أن «القراءات» الناصرية أو الاستشراقية أو البعثية، هي قراءات

جدول رقم (٢)
ترتيب الاساليب المتبعة حسب مدى علاقتها باثار عبد الناصر

القراءات مرتبة حسب درجة علاقتها بالآثار ودرجة إتباعها نمط تحليلي	أسلوب البحث أو الطريقة المتبعة في البحث (المنهج)	درجة العلاقة بآثار ع.ن. ومدى اتباع نمط تحليلي أو وصفي
قراءات قومية الناصرية	بالدرجة الأولى : تحليل غرضي بالدرجة الثانية : وصف غرضي	علاقة قصوى مباشرة بآثار عبد الناصر : استشهادات كثيرة التحليل غالب على الوصف .
قراءات إستشراقية	درجة أولى : تحليل غرضي درجة ثانية : وصف غرضي درجة ثالثة : تكرار	علاقة مباشرة بآثار عبد الناصر ولكن متقطعة : استشهادات قليلة التحليل غالب على الوصف نسبيا
قراءات قومية بعثية	● درجة أولى : وصف غرضي وتحليل غرضي ● درجة ثانية : تفسير محل التحليل	● علاقة مباشرة بآثار عبد الناصر ولكن متقطعة ـ استشهادات قليلة نسبيا ، التحليل مساو مع الوصف . ● لا علاقة بآثار عبد الناصر .
قراءات دينية	● درجة أولى : وصف غرضي ● درجة ثانية : تفسير وتأويل خاص مع تكرار	● علاقة مباشرة بآثار عبد الناصر ● علاقة غير مباشرة (التكرار) وأحياناً لا علاقة بآثاره (التفسير) (النمط الوصفي مسيطر ، لا تحليل)
قراءات شيوعية	تفسير وآراء بالدرجة الأولى ، تكرار مع ذكر المصدر بالدرجة الثانية وصف غرضي جزئي بالدرجة الثالثة . (ناحية الإهتمام بتصورات ومفاهيم عبد الناصر القومية أضعف من ناحية الاهتمام بسلوكه وسياسته القومية) .	العلاقة بآثار عبد الناصر . شبه مفقودة الاستشهادات نادرة ، الآراء والتفسيرات الخاصة حول مضمون فكر عبد الناصر القومي تحلّ محل تحليل هذا الفكر

موضوعية علمية لأنها تعتمد هذا الأسلوب، وأن «القراءات» الأخرى هي فقط ذاتية وغير علمية. ذلك أن أسلوب «التحليل الغرضي» على الرغم من اتسامه بمظهر الموضوعية، (استشهادات، تحليل)، ورغم كونه أقرب إلى الموضوعية من الأساليب الأخرى، (وصف غرضي، تكرار تفسيرات خاصة وتأويل) أصبح بمقاييس اليوم ـ بعد التطور الملموس الذي حدث في مناهج التحليل أقل «موضوعية» و«علمية» أو بتعبير آخر، أخذت تظهر أكثر فأكثر حدود «موضوعيته» و«علميته».

يبدو من السهل إثبات لا موضوعية أسلوبي التكرار والتأويل. فإعطاء التفسيرات والتعليقات الخاصة دون العودة إلى المادة المدروسة موضوع البحث لتحليلها (هنا آثار عبد الناصر القومية)، يؤدي إلى إحلال نظرة الباحث الخاصة في الموضوع محل تحليله ودراسته، وبالتالي، إلى تشويهه. أما أسلوب التكرار وهو إعادة صياغة النص مصدر البحث (وهو هنا الخطاب الناصري) فإنه يسمح بالتلاعب بالنص أو على الأقل ـ ترداد ما جاء فيه دون تحليل ـ فسيطرة ذاتية القارىء ـ الباحث تبلغ حدّها الأقصى في هذين الأسلوبين.

وقد يبدو للوهلة الأولى، أن أسلوبي الوصف الغرضي والتحليل الغرضي، يتمتعان بطابع الموضوعية ومن ثم بالعلمية. ذلك أنهما لا يطرحان فكرة إلا وأسنداها إلى فقرة أو استشهاد من الآثار المدروسة. ولكن وعلى الرغم من علاقتهما المباشرة بالمادة المدروسة فإن «موضوعية» أو «علمية» هذين الأسلوبين، التي كانت مقبولة في الستينات، أصبحت اليوم، في نهاية السبعينات في موضع نقاش (في العلوم السياسية والاجتماعية على الأقل) لأسباب أهمّها:

١ ـ إن أسلوب التحليل الغرضي[١٢] لا يسمح إلا «بقراءة» فورية للمادة المدروسة (هنا الخطاب الناصري)[١٣] عن طريق الاستشهاد ببعض فقراتها. فلا وجود للبعد العلمي بين القارىء والنص المدروس، ذلك البعد الضروري الذي لا يمكن تأمينه إلّا باعتماد أدوات تحليل ملائمة للمادة المدروسة، في حين أن التحليل الغرضي يترك النص المدروس في حالة مادة خام، ولا يجري عليها أية عملية تحويلية.

---

(١٢) في نقدنا لأسلوب التحليل الغرضي نشمل ايضا اسلوب الوصف الغرضي الذي لا يختلف عن الاول الا بكونه وصفا وليس تحليلا.

(١٣) نستعمل هنا كلمة خطاب بمعناها الواسع اي كل ما قاله عبد الناصر وكتبه وصرح به، آثاره المحكية والمكتوبة.

خلافاً لذلك تسمح أدوات التحليل الحديثة وخاصة تلك الأدوات المقتبسة من الألسنية بتحويل النص عن طريق تفكيك وإعادة ترتيب ومقارنة عناصره دون المسّ بجوهرها، بحيث يستطيع القارىء ـ الباحث بعد هذه العملية أن يصل إلى اكتشافات لا تسمح بها «القراءة» الفورية التي تُبقي الباحث على «سطح» النص أو على مساره التتابعي (linéaire)، ولا تسمح له بالدخول في تفاصيل التصورات، أو الغوص وراء المفاهيم الموجودة في النص. ومع أن أسلوب التحليل الغرضي هو الأسلوب الأكثر تقدّماً بين الأساليب، الآنفة الذكر، فإنه لا يسمح بأكثر من إثبات أو دحض فرضيات الباحث، أو توضيحها بالأمثلة (الاستشهادات) فالاكتشافات وعمق التحليل التي يسمح بها التحليل الغرضي ، أقل بدون شك ، مما تسمح به أدوات التحليل الحديثة الخاصة بالنصوص .

٢ ـ إن التحليل الغرضي يرتكز على «قراءة» إنتقائية غير شاملة لنص المادة المدروسة: وعملاً بهذا الأسلوب فإن كل باحث يختار من النص المدروس ما يشاء: يريد مثلاً إثبات مقولة أو فرضية ما عن الفكر القومي الناصري، فيختار أو يستخرج من النصّ بعض المقاطع التي تثبت فرضيته وتوضّحها. أما إذا كان أميناً وصادقاً، في بحثه، فإنه قد يستخرج من النص ما يدحض فرضيته أو ما يثبت عكسها.

وخير مثال على ذلك ما جاء في الجزء الأول من مقال المستشرق سيلبرمان ، حيث استند الكاتب إلى فلسفة الثورة ليثبت تبنّي عبد الناصر الهوية المصرية دون سواها في المرحلة الأولى (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤) ، وتجاهل ما كتبه عبد الناصر في نفس المصدر عن انتهاء مصر إلى « الدائرة العربية » (« هي منا ونحن منها») ، فلم يأتِ على ذكر هذا المقطع لأنه يثبت عكس فرضيته المسبقة . ثم عندما يصل إلى المرحلة الثانية (١٩٥٤ ـ ١٩٥٨) ، ويريد أن يثبت بداية تبني عبد الناصر للهوية العربية ، يعود إلى فلسفة الثورة ، فيستشهد بالجزء المتعلق بـ « الدائرة العربية » ، والذي أخفاه أو تجاهله في المرحلة السابقة ، في حين أن فلسفة الثورة كُتِبَ ونُشِر في المرحلة الأولى. وهكذا دواليك ، فهو كلما أراد أن يثبت فرضية من فرضياته في كل مرحلة يأتي باستشهادات مبتورة تُظهِر تناقضاً في فكر عبد الناصر ، في حين أن الخطاب الناصري يوفّر لنا مقاطع عديدة تثبت عكس فرضيات الباحث ، إذ لا تناقض في فكر عبد الناصر بين الانتماء القومي العربي والانتماء الوطني المصري بل ترابط وتكامل بين الانتماءين .

إن مخاطر «القراءة» الانتقائية تكمن في كون القارىء ـ الباحث يختار من النص

المدروس ما يكفي للاجابة على الفرضيات والأسئلة التي طرحها في مجال بحثه. وهذه الأسئلة والفرضيات تختلف باختلاف القرّاء ـ الباحثين، حتى ولو عملوا في الموضوع نفسه (مثلاً: مفهوم الوحدة العربية في الخطاب الناصري). فالباحث الأول، مثلا، يطرح أسئلة مختلفة عن أسئلة الباحث الثاني، وكذلك الباحث الثالث. وحتى إذا طرحوا الأسئلة نفسها، فإن الأجوبة ستكون مختلفة بالضرورة، لأن كل باحث منهم سيختار لاستشهاداته، في قراءته الانتقائية للنص المدروس، مقاطع مختلفة عن تلك التي يختارها الباحثان الآخران. من هنا فإنه سيأتي بنتائج مختلفة عن نتائج زميليه. فإذا كان موضوع البحث حساساً يثير الجدل في ساحة الصراع السياسي والأيديولوجي، فما من شك أن أسلوب التحليل الغرضي سيشجع الفئوية لدى المثقفين وتنتقل هذه الفئوية بواسطتهم إلى الجمهور. فكل اتجاه سياسي يطرح على المادة المدروسة أسئلة مناسبة، ويختار، أحيانا، من النص، عن طريق الاستشهاد ما يناسبه من الأجوبة، متجاهلاً للأسئلة التي لا تفي بغرضه السياسي ومهملاً أو متناسياً ما في النص من مقاطع تضعف موقفه وفرضياته. وبذلك تتصارع الاتجاهات السياسية الأيديولوجية على أرضيات مختلفة، بدل ان تتصارع على أرضية واحدة. وفي كثير من الأحيان لا يحدث صراع فكري لأن أرضياته مختلفة، فتزداد بذلك الفئوية ويتعمق الانقسام الأيديولوجي غير المثمر بين المثقفين والأحزاب ويمتد أحياناً إلى الجماهير.

ثانياً : نحو قراءة علمية لفكر عبد الناصر القومي : المنهج المتبع

لقد بيّنا فيما سبق حدود « القراءات » التقليدية لفكر عبد الناصر القومي ورأينا كيف أن الأسلوب المتبع من قبل القارىء ـ الباحث يمكن أن يؤثر بشكل هام في تحديد ما « يقرأه » في النصوص المدروسة وكيف « يقرأ » المضامين أو الأغراض التي اختارها ! فيمكن أن تتعدد « القراءات » وتختلف النتائج حتى إذا كانت المضامين والأغراض المدروسة هي نفسها . وكثيراً ما تؤثر العوامل الذاتية لدى الباحث ـ القارىء في معالجته لفكر عبد الناصر القومي . وبهدف تجنب « الذاتية » والإقتراب من قراءة أكثر موضوعية ، رأينا ضرورياً اعتماد منهج أكثر علمية[١٤] ، لتحليل فكر عبد الناصر القومي ، يسمح للباحث بعدم الالتصاق بالنصوص المدروسة وتأمين الحد الأدنى من البعد (أو المسافة) بينه وبين النص المقروء . هذا البعد ضروري ـ في نظرنا

---

(١٤) ان العلمية شيء نسبي يتطور بتقدم وسائل التحليل ، فالمنهج المعتبر علميا في هذا الوقت ربما اعتبر غير علمي أو ما قبل علمي بعد فترة من الزمن ، بسبب تطور وسائل تحليل أكثر دقة من سابقتها .

ـ لكل دراسة علمية ، خاصة في الدراسات المتعلقة بتحليل الأيديولوجيات ومن صفات المنهج العلمي المختار انه يسمح بالقيام بتحليل دقيق وشامل (exhaustif) للموضوع المختار، بمعنى أنه إذا طبّقه باحثون مختلفون فإنهم يتوصّلون إلى النتائج ذاتها ، مهما تباينت إتجاهاتهم السياسية . وقد يظهر الإختلاف السياسي فقط في تفسيرهم وتعليقهم على تلك النتائج .

ولهذا المنهج ميزة أخرى ، وهي أنه يسمح للباحث باكتشاف أمور جديدة في النصوص المحلّلة ، وهي أمور لم يكن يتوقعها من قبل ، وليس بالإمكان إكتشافها بـ « القراءة » البسيطة والمباشرة للنصوص ، « القراءة » المتّبعة في الأساليب التي عرضناها أعلاه . وسنتوقّف قليلاً عند المناهج العلمية المتوفّرة حالياً والتي يعمل بها الباحثون،في العلوم الإنسانية منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، لتحليل الجانب الفكري من أية أيديولوجية (ألف) ، قبل أن نعرض بشيء من التفصيل المنهج الذي اتبعناه في تحليلنا لفكر عبد الناصر القومي (باء) .

ألف ـ المناهج العلمية المتوفرة لتحليل الناحية الفكرية في الايديولوجية السياسية

يمكننا تصنيف هذه المناهج حسب فئتين: فئة يغلب عليها الطابع الكمي أو الإحصائي في التحليل، وفئة يغلب عليها الطابع الكيفي، وهي المناهج التي جمعت تحت إسم مناهج «تحليل الخطاب» (analyse du discours)

١ ـ مناهج التحليل الكمي أو الاحصائي للمفاهيم والتصورات الأيديولوجية

يدخل، ضمن هذه الفئة المنهج المعروف باسم «تحليل المضمون» أو «تحليل المضامين» (analyse de contenu) وكذلك المنهج المعروف باسم «إحصاء المفردات» (lexicométrie) .

أ ـ « تحليل المضمون »

أصبح هذا المنهج معروفاً في العلوم الانسانية العربية، لا سيما علمي التاريخ والاجتماع. وحتى الآن، فإن تطبيقاته لا تزال نادرة نسبياً، ذلك إن الباحثين في ميادين هذين العلمين يفضّلون أسلوب «التحليل الغرضي» (An. thématique) لأنه يستغرق وقتاً أقل وهو ـ كما رأينا ـ أكثر طواعية لذاتية الباحث.

يختلف «منهج» تحليل المضمون» عن أسلوب «التحليل الغرضي» من حيث الدقة والشمولية. فلقد وضعه علماء اجتماع أميركيون[١٥] (في الخمسينات) كان غرضهم الأساسي إجرا ء تحليل كمي لموضوع ما، وينطلق هذا المنهج من فرضيات الباحث أو الأسئلة التي يريد الاجابة عليها. فيضع شبكة من الفئات (catégories) والفئات المتفرّعة، تعبّر عن الفرضيات أو الأسئلة التي يبحث عنها، ثم يصنف ويرتب كل المادة المدروسة، (وغالباً ما تكون نصاً معيناً)، ضمن الفئات الموضوعة مسبقاً، في حين أن أسلوب «التحليل الغرضي» لا يرتّب ولا يصنّف تحت الأغراض أو المواضيع التي تهم الباحث إلّا جزءاً من المادة المدروسة وهي الاستشهادات التي يختارها الباحث. بعد ذلك يقوم الباحث بعملية عد إحصائي لمحتويات الفئات حسب نسبة الارتباط المتبادل فيما بينها (correlations) وذلك بغية استخلاص نسبة تكرار (fréquence) المضامين المدروسة. ونذكر في هذا السياق إحدى الدراسات التي حلّلت الفكر القومي العربي تبعاً لهذا المنهج وهي دراسة **تحليل مضمون الفكر القومي العربي**[١٦]. وقد تمكنت هذه الدراسة من إعطاء صورة أوّلية لخصائص التيارات الفكرية القومية العربية الأساسية في كل مرحلة من المراحل المدروسة بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى السبعينات من القرن العشرين.

أما الانتقاد الرئيسي[١٧] الموجّه إلى منهج «تحليل المضمون» فهو أنه يحصر نتائج التحليل بالفئات التي يحدّدها الباحث مسبقاً. فلا يكتشف في النص إلّا ما يجيب على الأسئلة المطروحة على النص (أي ما يلائم الفئات المحدّدة من قِبَل الباحث). فتعود، بهذه الطريقة، ذاتية الباحث لتدخل مجدداً وإن بنسبة أقل في منطلقات البحث . فتبقى في النص مضامين كثيرة تتعلق بموضوع البحث لا تستطيع فئات التحليل أن تغطيها أو أن تستخرجها من النص المدروس. كما يوجه إليه انتقاد ثان هو أنه يعتمد التحليل الكمي أو التقييس (quantification) فناحية التحليل الكيفي أو النوعي للمضامين المدروسة ضعيفة، ذلك أن الباحث يعتمد فطرته وانطباعاته الخاصة لاجراء التحليل

---

(١٥) B.Berelson, **Content Analysis in Communication Research** (Glencoe, Ill.: Free Press, 1952).

(١٦) السيد يسين، **تحليل مضمون الفكر القومي العربي** (دراسة استطلاعية) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٠).

(١٧) أنظر: P. Henry and S. Moscovici, «Problèmes de l'analyse de contenu,» **Langage**, no.11 (1968).

النوعي الذي لا يسمح به التكميم، فيعود بذلك، جزئياً، إلى تطبيق أسلوب «التحليل الغرضي» الذي سبق واشرنا إلى محاذيره.

ب ـ «إحصاء المفردات»

يختلف منهج «إحصاء المفردات» كثيراً عن منهج «تحليل المضمون» بالرغم من اعتماده أيضاً، التقييس. فهذا المنهج لا ينطلق من شبكة موضوعة مسبقاً من الأغراض المراد بحثها، وإنما يقوم بإحصاء شامل لكل مفردات النص، أو النصوص المدروسة بواسطة الآلة الألكترونية. فيحصي كل الكلمات من أسماء وصفات وأفعال وحروف ثم يرتّبها حسب جدول أبجدي وجدول تواتر ورودها في النصوص المحلّلة[١٨]؟ وهذه الطريقة تسمح بإجراء مسح أوّلي للنص باستخراج قائمة بمفرداته الأساسية. ومن سلبيات هذا المنهج أنه يفتّت النص إلى مفردات مرتّبة حسب نسبة ورودها وإنما معزولة عن السياق النصّي الذي وردت ضمنه وبالتالي يصعب تحديد معانيها ذلك انه لا معنى لمفردة ما خارج سياقها النصي. ونظراً لذلك فإن هذا المنهج لا يصلح إلا كمقاربة علمية أولية، تكون مقدمة لتحليل أعمق.

إلا أن إمكانياتنا المادية المحدودة لم تسمح لنا باستعمال الآلة الالكترونية لاجراء مسح شامل للمفردات المكوّنة لخطب عبد الناصر، قبل المباشرة بدراسة المفاهيم والتصورات القومية. ومن فوائد هذا المسح ـ لو أتيح لنا ـ مساعدتنا في تحديد فرضياتنا بشكل أدّق إلا أننا اكتفينا بإجراء مسح تقريبي للمفردات القومية الواردة في النصوص التي أجرينا عليها بحثنا.

٢ ـ مناهج التحليل الكيفي(qualitatives) للمفاهيم والتصورات الأيديولوجية

تندرج في هذه الفئة مناهج التحليل المنبثقة عن العلوم الألسنية والتي تعرف بمناهج تحليل الخطاب[١٩]وهي: «التحليل التوزيعي» أو «تحليل المنطوق» (analyse

(١٨) ساهم في تطوير هذا المنهج مختبر احصاء المفردات في سان كلو في باريس (Laboratoire de Lexicométrie de St.Cloud) انطلاقا من أبحاث شارلز مولر. انـظر:

P.Guiraud,**Problèmes et methodés de la statistique linguistique** (Paris: Larousse,1960),and C.Müller,**Initiation à la statistique linguistique** (Paris: [n.p.],1968).

(١٩) لقد حلّت عبارة «تحليل الخطاب» (Analyse de discours) محل عبارة «تحليل النصوص» (Analyse de texte) بغية الاشارة الى ان الخطاب بالمعنى الواسع للكلمة هو كل ما ينطق به الانسان مع الاخذ ـ

(analyse «تحليل القوى الفاعلة» ،distributionnelle ou analyse des énoncés) ،actantielle) «تحليل حقول الدلالة» (Analyse des champs sémantiques)، وبعض المقاربات العلمية الأخرى مثل «تحليل النطق أو القول» (Analyse de ،l'énonciation) «وتحليل مسار البرهنة» (Analyse de l'argumentation).وفيما يلي لمحة سريعة عن كلّ من هذه المناهج أو المقاربات العلمية، قبل أن نفصّل القول في منهج «تحليل حقول الدلالة» الذي اخترناه في دراستنا لفكر عبد الناصر القومي.

أ ـ « التحليل التوزيعي » أو « تحليل المنطوق »[٢٠]

وضع العالم الأميركي ز. هاريس (Z. Harris) هذا المنهج أساساً لدراسة اللغة[٢١] ثم عدّله، فيما بعد، عالم الألسنية الفرنسي ج. دوبوا (J. Dubois)[٢٢] لجعله قابلاً للاستعمال في «تحليل الخطاب». وهذا المنهج يعمل على تقطيع النص وإجراء تحويلات نحوية على جُمله بغية ردِّها إلى بنيتها الأكثر بساطة، فتسهُل بذلك مقارنتها ببعضها، وتصنيفها ضمن فئات متعادلة نحوياً (syntaxiquement). وتخضع هذه العملية المعقدة لقوانين محدّدة نحوياً، لن ندخل هنا في تفاصيلها ونحيل القارىء المهتم الى المراجع المذكورة في الهوامش. وكل ما نريد قوله هو أن هذا المنهج أكثر دقة من المناهج الكيفية الأخرى، لكنه يتطلب كثيراً من الوقت، لذا فهو لا يصلح إلا للنصوص القصيرة، ولم نأخذ به كون العينة التي اخترناها في دراستنا كبيرة نسبياً.

= بعين الاعتبار الظروف التي نطق فيها وعلاقته بمنطوقه. فعندما نستعمل، مثلا، عبارة «الخطاب الناصري» نعني كل ما نطق به عبد الناصر من تصريحات وكتابات ومقابلات وخطب وليس فقط الخطب بالمعنى الشائع (وهو ما نطق به علنا مخاطبة بجمهور معين في مناسبة معينة).

(٢٠) فضلنا استعمال هذا التعبير «تحليل المنطوق» بدل «تحليل القول» المستعمل في التحليل الادبي، وذلك لازدواجية معنى كلمة «قول» التي تدل على كيفية القول وعلى مضمونه في الوقت نفسه.

(٢١) Z.H.Harris, **Discourse Analysis Reprints**(Paris, La Haye: Mouton,1963) ,and **Langage**,no. 17 (Mars 1969).

(٢٢) J.Dubois, « Lexicologie et analyse d'énoncés,» **Cahiers de lexicologie**,vol. 15, nos.2 and 3 (1969).

وتكمن حدود هذا المنهج وثغراته بشكل أساسي، في كونه يبسّط، نحوياً، النصوص المدروسة، ولا يأخذ بعين الاعتبار كل «مصاغ النطق» (appareil d'énonciation) في خطاب ما، أي طريقة أو كيفية النطق[٢٣] التي تعبّر عنها الضمائر، والظروف، وأسماء الاشارة، وأزمنة الأفعال (ماضي، مضارع ، أمر) وبكلمة أخرى، كل ما يشير إلى كيفية تعبير الناطق بالمنطوق. ولسد هذه الثغرة قام العاملون في ميدان «تحليل الخطاب» بوضع مقاربة علمية تكمّل الأولى وتركّز على «تحليل عملية النطق أو القول» في خطاب ما أي على تحليل كل «مصاغ النطق» الذي يستعمله الناطق في خطابه لضبط مايقوله. وقد اعتمد أصحاب هذه المقاربة الاضافية دراسات عالم الألسنية الشهير أ. بنفنيست (E. Benveniste)[٢٤] لتحديد «مصاغ النطق».

ب ـ « تحليل القوى الفاعلة »

يرتكز هذا المنهج، أساساً، على دراسات عالِم من علماء المدرسة الشكلية (formaliste) الروسية (V.J.A. Propp)[٢٥]. وقد طوّره وكيّفه عالِم «تحليل الدلالة» (sémantique) آ.ج. غريماس (A.J. Greimas)[٢٦]. وهذا المنهج يعمل على تحليل القوى الفاعلة وأفعالها في خطاب ما، فيصنف القوى الفاعلة إلى فئات إيجابية أو سلبية، متجانسة من حيث الأعمال التي تقوم بها. ويحصل على فئتين من القوى الفاعلة: القوى المساعدة الايجابية (forces adjuvantes)، والقوى المعاكسة (forces opposantes) ثم يحدد أدوار (rôles) هذه القوى: أي الوظائف الخاصة (fonc-tions) التي تقوم بها وصفاتها (qualification) المميزة . كما يسمح هذا المنهج

---

(٢٣) بمعنى ان كل نص يمكن ان يعالج من خلال علاقة صاحبه الناطق ـ الكاتب بمضمون كتابته او نطقه .

(٢٤) E.Benveniste , «L'Appareil formel de l'énonciation,» **langage**, no.17(Mars 1970),and Benveniste,**Problèmes de linguistique générale** (Paris: Gallimard,1974), vol.2,chap.5.

(٢٥) V.J.A. Propp, **Morphologie du conte** (Paris: Larousse, 1966).

(٢٦) A.J.Greimas,**Sémantique structurale: Recherche de méthode** (Paris: Gallimard,1970).

بتحديد تصوّر فئة ما ، للقوى المساعدة والقوى المناهضة أو المعاكسة[٢٧] في نطاق تحليل أيديولوجيتها السياسية وذلك على النحو التالي :

القوى الفاعلة المساعدة			القوى الفاعلة المعاكسة		
الفاعلون	الدّور		الفاعلون	الدّور	
	الوظائف	الصفات		الوظائف	الصفات

وهذا المنهج محدود لانه يساعد، فقط، في تحليل القوى الفاعلة (acteurs) وكل ما يتعلق بدائرة عملها في خطاب ما، وهو لا يساعد إلا جزئياً على تحليل التصورات والمفاهيم الجامدة التي لا تتمتع بصفة الفاعل الحي ، كمفاهيم الوطن والأرض والقومية والوحدة . . . الخ وسبب ذلك أن هذا المنهج إنما وُضع أساساً لتحليل القصة. من هنا فإننا لم نستعمله في بحثنا هذا، إلاّ إستثنائيا.

بعد هذا الاستعراض السريع للمناهج العلمية الكمية والكيفية المتبعة في العلوم الانسانية لتحليل الأيديولوجية السياسية ، نود الاشارة الى أن انتقاداتنا لهذه المناهج ومن ضمنها المنهج الذي اتبعناه ـ والذي سنعرضه فيما يلي ـ لا تعني انها غير صالحة لتحليل الأيديولوجية، فكل منهج قدّم ويقدّم الكثير في ميدان العلوم الانسانية، ولكن حرصنا على تبيان حدود كل منها، نابع من إدراكنا أنه بقدر ما يعي الباحث حدود الأدوات العلمية التي يستخدمها، بقدر ما يستطيع السيطرة عليها وحصر سلبياتها والثغرات الناتجة عنها.

باء ـ المنهج الذي اتبعناه في دراسة فكر عبد الناصر القومي (المفاهيم والتصورات)

لقد اخترنا منهج «تحليل حقول الدلالة» لدراسة الفكر القومي في الخطاب

---

(٢٧) هذا المنهج استعمله بعض محللي أيديولوجيا الثورة الفرنسية أمثال :

J. Guilhaumou,«L'Idéologie du«Père Duchesne»:14 Juillet - 6 Septembre 1793,» (Maitrise, Université de Nanterre,1977).

الناصري، لكونه المنهج الأكثر ملاءمة لهذا الغرض، كما سنثبته لاحقاً. واعتمدنا بالاضافة إليه، مقاربتين أخريين ساعدتانا على إكماله، وهما تحليل «الحقول المرجعية» (champs référentiels) وتحليل مسار البرهنة (argumentation) .

١ ـ منهج تحليل «حقول دلالة» المفاهيم

أ ـ عرض الطريقة: لقد وَضَع هذا المنهج وطوّره مركز علم المفردات في سان كلو[٢٨]، وعملاً بقاعدة ألسنية بديهية، وهي أن المفهوم لا معنى له إلا من خلال علاقاته بالمفردات أو الكلمات المحيطة به، يختار الباحث عدداً من المفاهيم التي يريد دراستها في خطاب، أو نص ما، ثم يستخرج من النص شبكة علاقات كل من هذه المفردات. بعد ذلك يقوم الباحث بترتيب وتصنيف هذه العلاقات حسب فئات دلالة محدّدة مسبقاً، فيحصل على الشبكات التالية:

ـ شبكة علاقات المفاهيم (liaisons natïonelles): وهي المفردات التي تقع مجاورة للمفهوم المدروس فإذا كانت العلاقة التي تربط بين المفهوم المدروس والمفردات المجاورة له (بمحاذاته) علاقة إيجابية أو على الأقل، غير متناقضة معه من ناحية المعنى، يطلق عليها تسمية مفردات مشاركة (associations)، أما إذا كانت تلك العلاقة سلبية أو متناقضة مع المفهوم تطلق عليها تسمية مفردات مناقضة أو معارضة (oppositions) .

ـ شبكة الصفات أو المواصفات (qualifications): وتشمل الصفات والنعوت والحالات والجمل الموصولة والخبر والمضاف، وكل ما يشير إلى أحوال ومواصفات المفهوم المدروس.

ـ شبكة الأفعال (actions): وتشمل الأفعال التي يقوم بها المفهوم المدروس (أفعال ال) عندما يكون المفهوم في موقع الفاعل، والأفعال التي تمارس عليه (أفعال على)، عندما يكون في موقع المفعول به.

ـ شبكة المعادلات (équivalences): وتشمل المفردات التي لها نفس علاقات المفهوم المدروس: أي نفس المفردات المشاركة ونفس المفردات المناقضة.

---

(٢٨) يتبع هذا المركز الموجود في ضاحية باريس معهد Ecole Normale Supérieure de St.Cloud وقد اعتمد اساسا لوضع هذا المنهج وتطويره، أطروحة الألسني الفرنسي الشهير: J. Dubois, Le Vocabulaire politique et sociale en France de 1869 à 1872 Paris [n. p] 1926 .

ويحصل الباحث بعد تكوين هذه الشبكات على «حقل دلالة» المفهوم المدروس على النحو التالي(٢٩)

	المواصفات	المشاركات	المناقضات	أفعال	أل	الأفعال على	المعادلات
الصفحات							

ب ـ مبررات اختيار هذا المنهج: لقد اخترنا هذا المنهج بالذات لأن دراستنا لا تتناول إلا جانباً من الأيديولوجية الناصرية هو جانب الفكر القومي العربي لدى عبد الناصر، ولادراكنا أن هذه الدراسة تتطلب تحليل المفاهيم والتصورات القومية الموجودة في الخطاب الناصري. لذا قمنا باستخراج كل المفاهيم القومية من الخطاب الناصري وهي: «الأمة العربية»، «الوطن العربي»، «الأرض العربية»، «الشعب العربي»، «الشعوب العربية»، «القومية العربية»، «العروبة» «الوحدة العربية»، «الثورة العربية»، «المجتمع القومي العربي». كما أحصينا المفاهيم ذات العلاقة بالمستوى الوطني أو القطري(٣٠) المتعلّق بمصر، أو بأي قطر عربي آخر: «الوطن»، «الشعب»، «الأرض»، «الوحدة الوطنية»، «الثورة الوطنية». ورأينا أن تحليل «حقول دلالة» هذه المفاهيم أي تحليل العلاقات التي تربطها بمفردات أخرى في الخطاب الناصري، ومن

---

(٢٩) لقد استعمل هذا المنهج بشكل واسع من قبل «فريق الثورة الفرنسية» (Equipe Révolution Française) الذي اهتم بتحليل بعض المفاهيم المركزية الموجودة في خطب ونصوص قادة الثورة الفرنسية الفكريين والسياسيين وبعد الاطلاع على الدراسات التي قام بها أعضاء هذا الفريق تبين لنا ان النتائج التي توصلوا اليها هامة جدا، كما أن الاكتشافات التي احدثوها في النصوص المدروسة هي اكتشافات لم تسمح بها المناهج التقليدية، ونذكر على سبيل المثال الدراسات الآتية:

A.Geffroy, «Le Peuple selon St. Just,» **Annales** (مفهوم الشعب لدى سان جوست) **Historiques de la Révolution Française** (Janvier – Mars 1968); Guilhaumou, «L'Idéologie du «Père Duchesne»: 14 Juillet-6 Septembre 1793,», R. Robin, **La Société française en 1789-Semur-en-Auxois** (Paris: Plon, 1970), chap. 3: «Les Champs sémantiques de «Nation» et de «Citoyen»,» pp. 319-329, and R. Robin «Le champ sémantique de «Féodalité» dans le cahiers de doléances généraux de 1789,» **Bulletin du Centre d'Analyse du Discours de l'Université de Lille III**, no. 2 (1976), pp. 175-185.

(٣٠) سنستعمل عبارة «المستوى الوطني» للاشارة الى «المستوى القطري» لأنه الاستعمال السائد في الخطاب الناصري.

ثمّ تحليل العلاقات التي تربط هذه المفاهيم فيما بينها يساعدان على فهم جانب التصورات والمفاهيم القومية أو الجانب الفكري من أيديولوجية عبد الناصر القومية.

وسبب آخر جعلنا نعتقد أن هذا المنهج يتلاءم، أكثر من غيره، مع غرض دراستنا، ألا وهو، إتساع العيّنة (corpus) أو مجموعة النصوص التي قرّرنا تحليلها. ولهذا لم نأخذ بالمنهج «التوزيعي» أو منهج «تحليل المنطوق» والذي - رغم دقته - لا يناسب العينات الواسعة، للأسباب التي ذكرناها آنفاً.

ج - تكيّيف هذا المنهج مع النص العربي : بما أن بنية الجملة العربية تختلف عن بنية الجملة الفرنسية أو الانكليزية. رأينا أن نعيد التعريف بمختلف شبكات الدلالة أو تحديدها باعتماد القوانين النحوية التي تُطبّق على بنية الجملة العربية :

- شبكة المفردات المشاركة أو المشاركات، وتشمل كل الكلمات المعطوفة على المفهوم المدروس، وكذلك الكلمات التي تجاوره مباشرة في النص، بغض النظر عمّا إذا كانت لها علاقة نحوية ظاهرة وملموسة بالمفهوم المدروس.

- شبكة المفردات المناقضة أو المناقِضات، وهي الكلمات أو المفردات التي تمتُّ بعلاقة مناقضة أو سلبية للمفهوم المدروس، من حيث المعنى، مهما كان موقعها في الجملة أو المقطع.

- شبكة المواصفات، وتشمل كلمات الجملة العربية التي تعبّر عن صفات ونعوت وعن خبر كان وإنّ، والمضاف، والجمل الموصولة وغيرها من الوظائف النحوية التي تصف وتنعت المفهوم المدروس.

- شبكة الأفعال، وتشمل كل الوظائف الفعلية التي يقوم بها المفهوم المدروس، إذا ما كان في موقع الفاعل، وتلك التي تقع عليه إذا كان في موقع المفعول به.

د - مثل تطبيقي يوضّح هذا المنهج: اخترنا لتوضيح كيفية تطبيق منهج «تحليل حقول الدلالة» ، مفهوم «الأمة العربية» كما ورد في خطابين ألقاهما عبد الناصر بعد الانفصال، في ٣٠ أيلول / سبتمبر و١٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١[٣١] . نبيّن في

---

(٣١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ في المؤتمر الشعبي في ميدان الجمهورية بعد مرور ٢٤ ساعة على قيام حركة التمرد الانفصالية في دمشق (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، وبيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة في مساء يوم ١٦ اكتوبر ١٩٦١ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د .ت .])(سنشير اليه ببيان ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٦١).

الجدول رقم (٣) كيف تمّ استخراج حقل دلالة مفهوم «الأمة العربية» من الخطابين المذكورين، ثم كيف أعدنا ترتيب محتويات شبكات الدلالة (من مواصفات ومشاركات ومناقضات وأفعال ومعادلات) ضمن فئات ملائمة:

كان هذا عرضاً بالأمثلة لكيفية استخراج «حقل دلالة» مفهوم «الأمة العربية» من الخطاب الناصري. وسنقوم في دراستنا هذه بتحليل مماثل لكافة المفاهيم القومية، والوطنية الأساسية في الخطاب الناصري، وذلك في كل خطب العيّنة المختارة (١٨ وحدة خطابية[٣٢]) الموزّعة بين ١٩٥٢ و١٩٧٠. وبالاضافة إلى تحليل دقيق للمفاهيم المدروسة يسمح هذا المنهج باكتشاف تغيّرات (variations) هذه المفاهيم من مرحلة إلى أخرى (بين ١٩٥٢ و١٩٧٠)، كما يسمح باكتشاف ثوابتها (invariants)، الأمر الذي يساعد على تحليل مدى وكيفية تغيّر التصورات القومية في الفكر الناصري ما بين ١٩٥٢ و١٩٧٠. وبمقارنة جداول حقول دلالة المفاهيم القومية الناصرية فيما بينها (مقارنة مفهومي الوطن العربي والأمة العربية، ومفهومي القومية العربية والعروبة، ومفهومي الأمة العربية والشعب العربي، مثلاً) بمثل هذه المقارنة نتمكن من رسم أو تركيب العالَم القومي في تصور عبد الناصر.

هـ ـ فوائد وحدود هذا المنهج: لقد تطلب هذا المنهج التحليلي جهداً كبيراً، ذلك أننا طبّقناه على كل المفردات القومية الناصرية، أي على نحو خمسة عشر مفهوماً قومياً ووطنياً في مجموعة من ثمانية عشر خطاباً وكتاباً يكوّنون العينة. وهذا يعني أننا قمنا بتكوين أكثر من مائتي جدول « لحقول الدلالة» ومائتي جدول آخر مستخلصة من التحليل الداخلي لهذه الحقول (بنسبة جدولين للمفهوم الواحد في الخطاب أو النص الواحد)[٣٣].

والسؤال الآن هو: هل كان هذا البحث يستحق كل ذلك الجهد مع الأخذ بعين الاعتبار حدود المنهج المتبع؟.

---

(٣٢) تتكون الوحدة الخطابية من خطاب أو أكثر حسب متطلبات تكوين العينة.

(٣٣) نظرا لعدم اتساع المجال فاننا لم ننشر في هذه الدراسة الجداول التفصيلية لكل مفهوم، بل اكتفينا بنشر الجداول النهائية المستخلصة من التحليل الداخلي لحقول دلالة المفاهيم المدروسة، وذلك في الأماكن المناسبة لها، ونأسف لأن القارىء لن يستطيع تتبع كل عملية لتحليل دلالات المفاهيم انطلاقا من تكوين حقول دلالتها حتى النهاية، ذلك ان مثل هذا العرض يتطلب بمفرده مئات الصفحات.

جدول رقم (٣)

حقل دلاله مفهوم « الأمة العربية » مستخرج من خطابي الإنفصال : ٣٠ أيلول /سبتمبر و١٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦١

المراجع	المواصفات	المشاركات	المناقصات	أفعال أل	أفعال على	المعادلات
ص١	- ( )	- الظروف المؤلمة		- تمرّ بها		
ص٤	- هذه اللحظات الحاسمة في تاريخها	- والوطن العربي				
ص٥	- حركة تحررية من أجل ( ) و	- والوطن العربي				
ص٥	- كلنا أمة عربية واحدة					
ص٦	- كل واحد من أبناء هذه الأمة					
ص٧	- أمة عربية حرّة . مواطن عربي حر		- الأعداء		- يتمي إليها (المواطن العربي) • يتربصّ بها (الأعداء)	
ص٧	- هذه الأمة : جراحها شعورها بالألم			- أن ترتفع على جراحها وعلى شعورها بالألم	- أطلب منها	
ص٩	- كل من فرد من ابنائها					
ص١٠	- العامل هو أساس هذه الأمة	- العمال				
ص١٠	- ( )	- الوطن	- فئة قليلة من الناس	- أصبحت هي المتحكمة في كل شيء		
ص١١	- إن الأمة	- إن الشعب		- ضحىّ بالكثير من أجل إقامة الجيش الوطني القوي		

تابع

ص٣	ـ إرادة امتنا ، خطاها	ـ إرادة الله			ـ تلهمها وتوجّه خطاها	
ص٣	ـ ( )	ـ النضال الشعبي مكاسب وانتصارات				
ص٤	ـ نبض هذه الأمة • صانعة الحضارة • صانعة التاريخ • دقات قلبها	ـ الحق ، الخير ، السلام				
ص٥	ـ إختيارها • ضميرها • باسم هذه الأمة • امالها • مثلها الأعلى	ـ إختياري • المعاني • المعارك		• قدست معاني • حاربت معارك		
ص٦	ـ النضال الشعبي الطويل لأمتنا	ـ الحرية السياسية والحرية الإجتماعية			ـ حدّد أمامها أهدافاً	
ص٢٧	ـ إن هذا الجيل من الأمة العربية			(قد حمل مسؤوليات في النضال تنوء بها أجيال)		
	ـ هذه الأمة • تأييدها	ـ(أنا) • كل قطرة في دمي • الحق • الخير • السلام		ـ أعطتني من تأييدها ما لم يكن يخطر بأحلامي	ـ ليس عندي ما أعطيه لها غير كل قطرة في دمي	

بعد الإنتهاء من إقامة حقل دلالة « الأمة العربية » ، نعيد ترتيب محتويات كل شبكة من شبكاته ضمن فئات ملائمة :

أ) شبكة مواصفات « الأمة العربية »

خاصياتها : « واحدة »
« حرة »
« صانعة التاريخ »
« صانعة الحضارة »

أحياء			جوامد		
مجموعات	أفراد	تشخيصها	الزمان	حركة ـ نضال	إرادة ـ ضمير
«كلنا أمة عربية واحدة» «هذا الجيل منها»	«كل واحد من ابنائها» «كل فرد من ابنائها حر» «مواطن عربي حر» «العامل هو أساسها»	«نبضها» «دقات قلبها» «جراحها» «شعورها بالألم» «باسمها» «خطاها» « تأييدها »	«تاريخها» «هذه اللحظات الحاسمة في تاريخها» القيم «مثلها الأعلى» « القيم التي قدستها»	«حركة تحرر من اجلها» «معاركها» «نضالها الشعبي الطويل»	«إرادتها» «إختيارها» «ضميرها» «آمالها»

ب) شبكة المشاركات

أحياء			جوامد	
المتكلم	فئات إجتماعية	الظروف	الكيانات	أهداف ومثل

«أنا» «كل قطرة في دمي» الله «والله»	«العمال» «الجيش الوطني القومي» مجموعات «الشعب»	«الظروف المؤلمة» ارادة «اختياري» «(إرادة) الله»	«الوطن العربي» «الوطن» عمل - كفاح «النضال الشعبي» «مكاسب وانتصارات»	«الحرية السياسية» «الحرية الاجتماعية» «الحق» «الخير» «السلام»

جـ) شبكة المناقضات

«الاعداء» «فئة قليلة من الناس» غير علاقية

د) شبكة أفعال الـ « أمة العربية .

غير متممة		متممة		
ارتفاعها	شعورها	التحكم	الكفاح	التقديس
أن ترتفع على جراحها»	«الظروف المؤلمة التي تمر بها»	«أصبحت هي المتحكمة في كل شيء» التضحية «ضحت بالكثير»	«حاربت في معارك» «حمل مسؤوليات في النضال تنوء بها أجيال»	«قدست معاني» اعطاء تأييد «اعطتني من تأييدها»

هـ) شبكة الأفعال على « الأمة العربية » :

ايجابية		سلبية	
توجيهها	التضحية من أجلها	«يتربّص بها اعداؤها»	
«حدد أمامها أهدافًا» «تلهمها وتوجه خطاها»	«اعطيها كل قطرة من دمي»		

و) لا معادلات .

يجب الاعتراف بأن منهج «تحليل حقول الدلالة» المتبع، له حدوده، ككل منهج علمي آخر. فهو لا يطال أو، على الأقل، لا يسمح بتحليل بعض العمليات الخطبية الهامة، كمسار البرهنة الذي يتبعه المخاطب، ومراجعه (أسماء الشخصيات والمؤسسات التي يذكرها)، وعلاقته بالتاريخ الماضي، و«مصاغ النطق» عنده أي الضمائر (هو، أنتم، نحن. . . الخ)، وأسماء الاشارة ومؤشرات الزمان والمكان (هنا، هذا، الآن. . . الخ)، وأزمنة الأفعال (ماضي،حاضر،مستقبل) التي يستعملها لصياغة منطوقه. وبالاضافة الى هذا لا بد من الاشارة إلى أن منهج تحليل «حقول الدلالة» ككل عملية تحليلية، يفكك النص، ولا يسمح بتتبع تسلسل الأفكار والبرهنة التي ينتهجها صاحب الخطاب أو النص، وبالتالي يجب التشديد على أن هذا المنهج يعمل فقط على تحليل المفاهيم والتصورات الموجودة في نصٍ ما، ولا يسمح بالعمل على التركيب المنطقي لهذا الخطاب أو تسلسله ومسار البرهنة فيه.

فإذا كانت الاعتبارات السابقة تشير إلى حدود منهج «تحليل حقول الدلالة»، فانها لا تلغي بالضرورة فوائده. فإذا كان هذا المنهج قاصراً بمفرده عن التوصّل إلى تحليل كل تكوّن الأيديولوجية القومية الناصرية، فهو يسمح بضبط أحد أسسها (التصورات والمفاهيم القومية في الفكر القومي الناصري)، بطريقة أفضل وأدقّ وأكثر علمية من الطرق التقليدية التي تهتم أيضاً بتحليل المفردات. وإذا كان لا يعمل على تحليل الكلمات فإنه يعمل على تحليل حقول العلاقات المفرداتية (champs des relations lexicales) للمفاهيم المختارة، مرتبة ومصنفة تبعاً لفئات أو شبكات دلالة محددة مسبقاً.

ولسد ثغرات منهج «تحليل حقول الدلالة» لجأنا إلى مقاربتين أضفناهما إليه ـ كما أشرنا سابقاً ـ لضبط ما لا يطاله هذا المنهج من الخطاب الناصري، وهاتان المقاربتان هما: أولاً «الحقول المرجعية» أو أسماء العلم (الشخصيات والأماكن الجغرافية والمؤسسات)، والاستشهادات بالتاريخ الماضي، المذكورة في الخطاب وثانياً «مسار البرهنة» التي يقدّمها أحياناً صاحب الخطاب (عبد الناصر) لتأسيس وتدعيم تصوره القومي، وسنوضح فيما يلي هاتين المقاربتين الاضافيتين.

٢ - المقاربتان الاضافيتان اللتان اتبعناهما

لقد استعملنا تعبير «مقاربة» لأن «الحقول المرجعية» و«مسار البرهنة» لا يشكلان

منهجين متكاملين، بل هما إسلوبان جزئيان يساعدان بشكل منتظم، على معالجة بعض جوانب البحث التي لا يطالها المنهج الرئيسي المتبع.

أ ـ تحليل «الحقول المرجعية»

تهدف هذه المقاربة إلى استخراج «الحقل المرجعي» لكل المفاهيم القومية المدروسة. ويتكون هذا الحقل من كل «المراجع» الموجودة في سياق المفهوم المدروس. وهناك نوعان من المراجع: مراجع لأسماء العلم (أسماء الأشخاص الواردة في الخطاب) مثل: قاسم، دلس، حسين، الأفغاني... الخ (وأسماء المؤسسات) مثل، الاتحاد الاشتراكي العربي، الجامعة العربية، و(أسماء أماكن جغرافية وبلدان) مثل المشرق، المغرب، سوريا، السويس، أمريكا، و(أسماء معاهدات) مثل الميثاق الوطني، حلف بغداد، الحلف الاسلامي، ميثاق الأمن المشترك... الخ

والمراجع الأخرى تختص بالاستشهادات بالتاريخ الماضي، بمعنى أن صاحب الخطاب يستشهد بفترات تاريخية ماضية محدّدة في سياق سرد تصوراته القومية. وقد ميزنا في هذا النوع من المراجع بين ثلاث فترات زمنية: التاريخ القديم، ويشمل الاستشهادات للفترة الزمنية السابقة على القرن السادس عشر، التاريخ الحديث، ويشمل الاستشهادات للفترة الممتدة ما بين القرن السادس عشر والقرن العشرين حتى ثورة ١٩٥٢. وأخيراً التاريخ المعاصر ويشمل الاستشهادات بالفترة الناصرية الممتدة بين ١٩٥٢ و١٩٧٠.

ويعطي الجدول رقم (٤) صورة عن كيفية تكوين «الحقول المرجعية» المرتبطة بالمفاهيم والتصورات القومية.

ب ـ تحليل «مسار البرهنة»

مما لا شك فيه أن منهج «تحليل حقول الدلالة»، ومقاربة «الحقول المرجعية» يفكّكان النصوص المدروسة، بعكس مقاربة تحليل «مسار البرهنة» فإنها تحافظ على بنية النص وتسمح بتحليل الأيديولوجية ضمن التسلسل الخطابي وتسلسل البرهنة ونوعية المنطق والحجج التي يعطيها المتكلم لاثبات هذا العنصر أو ذاك من تصوره القومي. ولا تزال هذه «المقاربة» في بداياتها، لذلك أطلقنا عليها إسم «مقاربة» ولا تزال تطبيقاتها النظرية والعملية نادرة، ولهذا اعتمدنا الدراسات المتوفرة لاستخلاص

جدول رقم (٤)

الحقل المرجعي للمفاهيم القومية في خطاب عبد الناصر إلى المؤتمر التعاوني ، ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨

إشارات إلى التاريخ			إستشهاد باسماء علم		
تاريخ قديم (قبل القرن ١٦)	تاريخ حديث (من القرن ١٦ إلى القرن ٢٠)	تاريخ معاصر : من ثورة يوليو ١٩٥٢ وما بعد	شخصيات	مؤسسات	أماكن جغرافية
	١٩٤٨ : «لو كانت فيه وحدة عربية في سنة ٤٨ ما كانتش ضاعت فلسطين وفلسطين ضاعت لأن كنا نحارب وليست هناك وحدة تجمعنا إلّا وحدتنا في خدمة الاستعمار» (ص٤٦) ١٩١٤ : «كلنا نعرف من الحرب العالمية الأولى كيف سيطر الاستعمار علينا ،	١٩٥٢ : «القومية العربية اللي كانت مش ظاهرة ومش موجودة سنة ١٩٥٢» . (ص٤٤) ١٩٥٦ : «ولما اممت القنال مكنش تأميم القنال حدث بالنسبة لمصر بس ، ولكن تأميم القنال كان لكل عربي في كل بلد عربي شعر فيه انه يستطيع ان يعمل وأن يعيد الأسلاب اللي اخذوها .» (ص ٤٤) ١٩٥٨ : «حينما قامت ثورة العراق وحينما أعلن عبد الكريم قاسم أن سياستهم وطنية ضد مناطق النفوذ وضد الاستعمار (ص١٢٥) كل فرد من أفراد الجـ. ع. م. بل كل عربي ساند هذه الثورة لأنه أحسّ أن هذه الثورة ثورته» . ١٩٥٨ : «يوم ١٥ يوليو ١٩٥٨ القوات الأمريكية نزلت لبنان ويوم ١٧ ، القوات البريطانية نزلت في الأردن» (ص ٤٦) ١٩٥٣ : «احنا أعلنا القومية العربية من أول الثورة من ١٩٥٣ وايه رأينا في القومية العربية ووحدة العرب ، وقلنا أن وحدة العرب يجب ان تكون في خدمة العرب لا في خدمة	عبد الكريم قاسم	الجامعة العربية	الاقليم الجنوبي الإقليم المصري الاقليم الشمالي الاقليم السوري الجمهورية العربية المتحدة لبنان الأردن العراق فلسطين

	على الوطن العربي بالدس والوقيعة بالترغيب طبعاً وبالتهديد » (ص ٤٦) ١٩٣٠ـ ١٩٣٦: ودي الوحدة العربية اللي كنا بتتكلم عليها ، اللي طلعنا عليها واحنا صغيرين وكانت مداركنا محددة وبتمشي في الشوارع ونقول تحيا الوحدة العربية ،	الاستعمار . » (ص ٤٦) ١٩٥٧ : في الشرق حينما اتبعت الأردن خطة القومية العربية وأعلن الملك حسين أنه وطني وأنه قائد القومية العربية . قلنا طبعاً على الرحب والسعة . » (ص ٦٨)	الملك حسين		فرنسا دمشق بيروت بريطانيا فلسطين
القرن ١٠ و١١ و١٢ : « هدف الاستعمار ان يقضي على القومية العربية ويفتتها ويقيم بينها قوميات أخرى . . . هذا الهدف قديم مش جديد من القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر منذ جاءت الحرب الصليبية تتنكر تحت اسم الدين ولم يكن هدفها إلاّ القضاء على القومية العربية وإقامة استعمار وتحكم في هذه المنطقة من العالم » (ص٦٠ ـ ٦١)	يسقط وعد بلفور ! تسقط فرنسا أيام ما كانوا بيضربوا دمشق وبيضربوا بيروت كنا لسه في المدارس الثانوي أو في الابتدائي ، بنطلع ونقول تحيا الوحدة العربية تسقط فرنسا الباغية ، تسقط بريطانيا أيام الثورات اللي كانت بتحصل في فلسطين » (ص٤٧) . ١٩٢٠ : « إحنا متنبهين لألاعيب المستعمرين للدسائس اللي عملوها بعد الحرب العالمية الأولى ، بعد أن تحرّرت البلاد العربية واستطاعوا بهذا ان يفتتوها ، ولن يعيد التاريخ نفسه مرة أخرى » (ص٥٠) القرن ١٨ : « ولما جاء نابليون هنا أيضاً ودخل مصر ووصل عكا وهزم امام عكا . . كان يريد أيضاً أن يقضي على القومية العربية ويخضعها . » (ص ٦١) ١٩٠٧ : « ولما هجم الانكليز سنة ١٩٠٧ في حملة فريزر وهزموا في رشيد كان قصدهم هذا » . (ص ٦١) .		نابليون ـ فريزر		عكا

بعض العناصر التحليلية[٣٤]. فأخذنا من الدراسة الأولى فكرة تسلسل الأطروحات والحجج أو الدلائل التي تُمفصل مسار البرهنة في خطابات ذات طابع جدلي. ثم قمنا بتصنيف الحجج بالارتكاز الى مضامينها، وليس إلى أشكالها، فحصلنا بهذه العملية على حجج تاريخية، وأخرى حديثة، كما حصلنا على حجج بالمثل البيولوجي أو الطبيعي وأخرى ترتكز على القيم الأخلاقية، الخ .

وبما أن الخطاب الناصري يتصف بطابع مركب، من حيث الشكل، إذ يحتوي على أشكال روائية (كسرد الأحداث ووصف الحالات) إلى جانب أشكال جدلية أو برهانية تهدف إلى إثبات أطروحة أو فرضية ما، أو إلى تدعيم نظرية أو خطة سياسية. لكل هذا لن نقوم بتحليل مسار البرهنة إلا في الأجزاء التي تتسم بهذا الطابع وبصورة خاصة الأجزاء التي يدور فيها مسار البرهنة على أغراض متعلقة بتصورات عبد الناصر القومية العربية.

وفيما يلي توضيح لكيفية تحليل مسار البرهنة في مقطع متخذ من خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨[٣٥] الذي ألقاه عبد الناصر بمناسبة إعلان وحدة مصر وسوريا، يتضمنه الجدول رقم (٥) التالي.

بعد هذه التقدمة للمنهج وللمقاربات التي اتبعناها في دراستنا للتصورات والمفاهيم القومية في أيديولوجية عبد الناصر القومية، بقي علينا أن نشدّد على نقطة بالغة الأهمية حول علاقة الفكر السياسي بالممارسة السياسية . إن غرض بحثنا ينحصر في تحليل بنية وتحوّلات الجانب الفكري (التصورات والمفاهيم) من الأيديولوجية القومية العربية في الخطاب الناصري، ولا يشمل دراسة أصول وكيفية تكوّن هذه الأيديولوجية، الأمر الذي كان يتطلب منا دراسة معمقة لممارسة عبد الناصر في المجال القومي، وتفاعلات هذه الممارسة مع الممارسات العربية الأخرى.

---

(٣٤) D.Maldidier and R.Robin, «Du Spectacle au meurtre de l'évènement: Reportages, commentaires et éditoriaux de presse à propos de Charléty (Mai 1968),» **Annales**,(Mai –Juin 1976), also in: **Pratiques**, no.14 (Mars 1977), pp.21-65, and G.Vignaux **L'Argumentation** (Genève: Droz, 1976), chap.8: «Analyser un discours argumenté,»

(٣٥) خطاب السيد الرئيس في مجلس الأمة بمناسبة اعلان أسس الوحدة بين مصر وسوريا في ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت.]) ، ص ٢ - ٧ .

جدول رقم (٥)

تحليل مسار البرهنة في خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨ : اعلان الوحدة المصرية السورية

الأطروحات والحجج	
	التلازم بين القوة والوحدة
ـ الأطروحة الأولى : [تلازم القوة والوحدة]	« لما استطاعت أمتنا ان ترسي قواعد وجودها في هذه المنطقة وتثبت دعائم هذه القواعد كان مؤكداً ان الوحدة قادمة وان موعدها بات قريباً » (ص ٢)
الحجج الحجة ١ ـ : تاريخية	« كان التلازم بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ امتنا » (ص٢)
الحجة ٢ ـ : بداهة طبيعية	«فما من مرة توفرت القوة إلا وكانت الوحدة نتيجة طبيعية لها » (ص٢)
الحجة ٣ : تاريخية معكوسة	« وليس محض صدفة ان إشاعة الفرقة وإقامة الحدود والحواجز كان أول ما يفعله كل من يريد أن يتمكن في المنطقة ويسيطر عليها » (ص ٣) .
ـ الأطروحة الثانية : [محاولات الوحدة في المنطقة العربية مستمرة .]	« إن محاولات الوحدة في المنطقة لم تتوقف منذ اربعة آلاف سنة طلباً للقوة . ولقد كان أسلوب السعي إلى الوحدة يتشكل بالعنصر الذي قد تعيش فيه كل محاولة لتحقيقها ، ولكن الهدف ظل دائماً لا يتغير» (ص ٣)
الحجج : الحجة ١ : مثل تاريخي (عسكري)	« لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح ، يوم كان السلاح هو وسيلة التعبير في الطفولة الأولى للبشرية » (ص ٣)

تابع / جدول رقم (٥)

الحجة ٢ : مثل تاريخي (ديني)	« واتحدت المنطقة بتعيين النبوات حين بدأت رسالات السماء تنزل إلى الأرض لتهدي الناس » (ص ٣)
الحجة ٣ : مثل تاريخي (ديني)	« واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الإسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الأخيرة في دعوة عباده الى الحق » (ص ٣)
الحجة ٤ : مثل تاريخي (إجتماعي سكاني)	« واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة في أمة عربية واحدة » (ص ٣)
الحجة ٥ : مثل تاريخي (ثقافي لغوي)	« واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان » (ص ٣) .
الحجة ٦ : مثل تاريخي (تحرر من الاستعمار الصليبي)	« واتحدت المنطقة تحت قوة السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار أوروبا يتقدم منها محاولاً ان يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية ، وكان معنى الوحدة قاطعاً في دلالته حين اشتركت المسيحية في المشرق العربي في مقاومة الصليبيين جنباً إلى جنب مع جحافل الإسلام حتى النصر » (ص ٣)
الحجة ٧ : مثل تاريخي (السيطرة العثمانية)	« واتحدت المنطقة بالمشاركة في العذاب يوم حلّت عليها غارات الغزو العثماني واسدلت من حولها استار الجهل ، تعوق تقدمها وتمنعها من الوصول إلى عصر النهضة ، في نفس الوقت الذي بدأ فيه عصر النهضة في أوروبا » (ص ٣)
الحجة ٨ : مثل تاريخي (السيطرة الاستعمارية الحديثة)	« بل أن المنطقة اتحدت فيما تعرضت له في كل نواحيها من سيطرة الاستعمار عليها » (ص ٤)

الحجة ٩ : مثل تاريخي (التحرر من الاستعمار)	« ثم كان اتحادها في الثورة على هذا الاستعمار بكل أشكاله ومقاومته في تعدد صوره » (ص٤)
الأطروحة الثالثة : [مصر لم تبتعد عن الفكرة العربية]	« بل انه لما بدا في بعض الأحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات ، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ثم تحت حكم اسرة محمد علي ، لم يكن الأمر في باطنه يمثل ما يبدو في ظاهره . لم يكن البعد إلّا سطحياً ولم تكن القطيعة إلا باللسان . أما الشواهد الحقيقية وأما الادلة الأصيلة فكانت تؤكد أن ما قربه الله لا يمكن أن يتباعد وما وصلته الطبيعة لا يمكن ان ينقطع » . (ص ٤) « ومن بين الشواهد والأدلة » :
الحجج : الحجة ١ : مثل تاريخي (تحرّر)	« ان جيش الفلاحين سار تحت قيادة ابراهيم باشا ليحرر سوريا من الظلم العثماني ، وكان يسمّي نفسه بالجيش العربي » (ص ٥)
الحجة ٢ : مثل تاريخي (النهضة الفكرية)	« ومن بين الشواهد والأدلة أن القاهرة التي سارعت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر إلى فتح النوافذ لتيارات النهضة تحولت إلى قلعة للفكر الحر في الشرق العربي ، وما لبث روّاد الحريّة في سوريا ورواد الحرية في المنطقة العربية كلها أن وفدوا إليها يتحصنون بأسوارها المنيعة ويبعثون منها إشعاعات الفكر لتعبيء وتلهم » (ص ٥)
الحجة ٣ : مثل تاريخي (التحرر من العثمانيين)	« بل أن القاهرة تحولت في مطلع القرن العشرين فأصبحت هي ودمشق المركز الرئيسي للجمعيات السرية التي راحت تناضل ضد جبروت سلاطين استانبول من اجل تحرير الأمة العربية ، بكل ما يملكه الشباب من روح البذل والفداء » (ص ٥)

تابع

الاطروحة الرابعة **التوافق والتماثل الوحدوي بين مصر وسوريا**	« هكذا ترون أن تاريخ القاهرة في خطوطه العريضة هو بنفسه تاريخ دمشق في خطوطه العريضة . ولقد تختلف التفاصيل ولكن المعالم البارزة هي نفس المعالم . نفس الدول ، نفس الغزاة ، نفس الملوك ، نفس الأبطال ، ونفس الشهدا . » (ص ٤) ولقد كان التقارب بل التوافق والتماثل كاملاً حتى قبل ان يوقع ميثاق جامعة الدول العربية وحتى بعد أن تم توقيعه » (ص ٥)
I: حجج بالأمثلة التاريخية : **الحجة ١ : (تقارب)**	« حين حصلت سوريا على استقلالها الكامل تطلعت إلى مصر وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت إلى سوريا » (ص ٥)
الحجة ٢ : (تماثل)	« في مصر وسوريا ذلك الفوران الذي اعقب الحرب العالمية الثانية وبدأت على أثره حركات التحرر الهائلة في أفريقيا وآسيا » (ص ٦)
الحجة ٣ : (تماثل)	« في سوريا ومصر هذه الهزات العنيفة وورائها جميعاً محاولات تغيير الأوضاع الى الأفضل والأحسن » (ص ٦)
الحجة ٤ : (تماثل)	« في مصر وسوريا ذلك الإندفاع إلى حرب فلسطين بالفروسية والايمان ولكن من غير سلاح » (ص ٦)
الحجة ٥ : (تماثل)	« ثم كانت في القاهرة ودمشق تلك الآثار التي ترتبت على حرب فلسطين والتي كان أولها تلك اليقظة التي تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق » (ص ٦)
الحجة ٦ : (توافق)	« ثم في سوريا وفي مصر نفس المعارك . ولو قصرنا الحساب على الشهور الأخيرة فقط ، لكان مدهشاً أن المعارك التي خاضتها دمشق هي نفس المعارك التي

تابع

	خاضتها القاهرة : • معركة الأحلاف العسكرية • معركة السلاح • معركة عدم الانحياز • معركة المؤامرات • معركة التحرر الإقتصادي . » (ص ٦)
حجة ٧ : (تقارب)	« بل أن سوريا خاضت معركة قناة السويس بنفس العنف وبنفس القوة التي خاضت بها بور سعيد معركة قناة السويس » (ص ٦)
حجة ٨ : (تقارب) إنتقال	« وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة إلى سوريا وأعصابها كلها في دمشق ، وأمام أعصابها قطعة من جيشها احتل جنودها مراكزهم جنباً إلى جنب مع اخوانهم جنود سورية » (ص ٦) « ولقد كان كل ذلك مدهشاً ولكنه لم يكن من صنع الصدف » .
II : حجـج : العوامـل العميقة حجة ١ : الطبيعة حجة ٢ : التاريخ حجة ٣ : الفيزيولوجيا حجة ٤ : ثقافة لغوية حجة ٥ : ديني حجة ٦ : عقائدي حجة ٧ : استراتيجي حجة ٨ : المثل حجة ٩ : تجارب العذاب	« لقد مهدّت عوامل كثيرة وكبيرة نبيلة وعميقة لهذا الذي ربط بين مصر وسوريا » : (ص ٦ - ٧) « مهّدت الطبيعة » (ص ٧) « ومهّد التاريخ » (ص ٧) « مهّد الدم » (ص ٧) « ومهدت اللغة » (ص ٧) « ومهدت الأديان » (ص ٧) « ومهدت العقائد » (ص ٧) « مهدت السلامة المشتركة » (ص ٧) « ومهدت الحرية » (ص ٧) « كذلك اشتركت في التمهيد له تجارب من الألم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة : السجن والنفي المشنقة» (ص ٧)

وهذا الموضوع خارج عن نطاق بحثنا ويتعدّى مجال تخصصنا. هذا لا يعني أننا لن نهتم به أبداً في هذه الدراسة بل ستتطرق إليه خلال البحث لالقاء ضوء على هذا الجانب أو ذاك من أيديولوجية عبد الناصر القومية، ولكننا سنتجنب «تفسير» أيديولوجيته القومية بالاعتماد على وصف مبسّط لممارسته القومية. ذلك أن العلاقة بين الممارسات السياسية ـ الاجتماعية والنشاط الفكري الأيديولوجي ليست علاقة مباشرة بسيطة، وإنما هي علاقة جدلية مركبة وغير مباشرة، وحتى الآن، لا يزال تحليلها أو معرفتها النظرية والتطبيقية بدائية وغير متقدمة من الناحية العلمية. إذاً فإن بحثنا سيقتصر على تحليل بنية وتحولات التصورات والمفاهيم الفكرية في أيديولوجية عبد الناصر القومية، من خلال الخطاب الناصري. ولن نعود إلى الممارسة القومية الناصرية وتفاعلاتها في المجالين المصري والعربي إلا بشكل فرضيات تفسيرية.

وهناك احتياط آخر يفرض نفسه على كل باحث، وهو محاولة عدم الانزلاق قدر الإمكان في تبعية عمياء للمنهجية المتبعة، خوفاً من القضاء على الحدس أو القدرة المبدعة التي بدونها لا وجود للاكتشافات والمعارف العلمية. لذا نحاول استخدام المنهج المتبع، كدليل أو طريق يفتح أفق جديدة وليس كإطار جامد يشل البحث.

ثالثاً: كيفية اختيار العيّنة واقتراح تحقيب زمني للفترة الناصرية

ألف ـ معايير اختيار العينة

تتميز خطابات عبد الناصر بكثرتها، إذ تقارب ـ سنويا ـ العشرين كلمة وبياناً وأكثر من خمسة عشر خطاباً وبعض المقابلات. وهذه ظاهرة تفسرها ضرورة اعتماد الأسلوب الشفهي في الاتصال بين القائد والجماهير المصرية والعربية، لكون خمسة وسبعين بالماية منهم لا يزالون من الأمّيين. كما يفسرها غياب أو ضعف التنظيمات السياسية الوسيطة بين السلطة المركزية الناصرية وقاعدتها الشعبية، والتي لو وُجدت لكانت قد أخذت على عاتقها جزءاً كبيراً من تلك المهمة الاتصالية.

وهذه النسبة من الأميّة، وهذا الغياب أو الضعف للمنظمات الوسيطة على المستويين المصري والعربي، يفسّران طبيعة العلاقة الشفهية المباشرة والمستمرة بين القائد والجماهير، لطرح تصوراته القومية والاجتماعية والسياسية، لتحديد أهدافه السياسية والعقبات التي تواجهها، ولتفسير الأحداث والتعبئة لمهمة سياسية أو خطوة إصلاحية أو إصلاح إجتماعي... الخ.

وإذا وضعنا جانباً صعوبة تحليل كل الانتاج الخطابي الناصري نظراً لضخامته، يبقى أنه ليس هناك ضرورة لتحليل كل هذا الانتاج لأن عدداً كبيراً من الخطب لا علاقة لها بموضوع البحث: فكر عبد الناصر القومي، ولكون بعض الخطب تردّد نفسها وبصورة خاصة تلك الخطب الملقية في نفس المناسبة ولكن في أماكن مختلفة، فكان علينا أن نختار عيّنة من الخطب والكتابات الناصرية[٣٦]، وفقاً لمعايير محدّدة تجعلها ممثّلة لكل إنتاج عبد الناصر المدوّن.

ويتخذ تكوين العيّنة أهمية خاصة، ذلك أنه لا يمكن تعميم نتائج التحليل المطبّق عليها على مجمل الخطاب الناصري، ومن ثم لا يمكن تعميمها على فكره القومي، إلا إذا كانت العينة المختارة تمثل فعلاً هذا الانتاج.

وقد اعتمدنا أربعة معايير لجعل العينة المختارة ذات صفة تمثيلية لمجمل الانتاج الناصري المدوّن، ولجعلها ملائمة لغرض بحثنا: تحليل الفكر القومي الناصري.

المعيار الأول: الظرف السياسي

لقد اخترنا أولاً الخطب التي ألقاها عبد الناصر بمناسبة حصول أحداث هامة ذات تأثير كبير على المستوى القومي (العربي بما فيه المصري) وذلك مثل:

٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ : تأميم قناة السويس.
تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٦: العدوان الثلاثي على مصر.
١ شباط / فبراير ١٩٥٨: إعلان الوحدة المصرية ـ السورية.
٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٦١: الانفصال.
١٩٦٢: مساندة الثورة اليمنية.
آذار / مارس ١٩٦٣ ـ تموز / يوليو ١٩٦٣: الاتحاد الثلاثي (سوريا ـ مصر ـ العراق)
شباط / فبراير ١٩٦٦: الانسحاب من مؤتمرات القمة العربية وانتقاد الحلف الاسلامي.

---

(٣٦) نستعمل لفظة « ناصري » في هذه الدراسة بمعناها الضيق، أي نسبة الى شخص عبد الناصر، وليس استعمالها هنا بمعناها الواسع، أي نسبة للمجموعات التي تنتمي الى عبد الناصر فكريا او سياسيا.

٥ ـ ١٠ حزيران / يونيو ١٩٦٧ : الحرب العربية الاسرائيلية والهزيمة العسكرية
١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ : ثورتا ليبيا والسودان.

المعيار الثاني: الاحتفالات بذكرى الأحداث القومية الهامة

إخترنا هنا أيضاً الخطب ذات الصفة التلخيصية التي تراجع حقبة معينة ، وهي الخطب التي كان يلقيها عبد الناصر في التاريخ نفسه من كل عام في ذكرى الأحداث القومية الهامة. وهذا النوع من الخطب، إذا أخذ حسب ترتيبه الزمني ضمن السنة الواحدة، يقتصر على التالي:

خطاب ٢٢ شباط / فبراير: وكان عبد الناصر يلقيه كل سنة احتفالاً بذكرى الوحدة المصرية ـ السورية ابتداء من العام ١٩٥٩.

خطاب أول أيار / مايو: إبتداء من عام ١٩٦٢ وذلك، احتفالاً بعيد العمال .
خطاب ٥ حزيران/ يونيو: في ذكرى هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ العسكرية.
٢٣ تموز / يوليو: في الاحتفال بعيد ثورة يوليو ١٩٥٢، إبتداء من تموز / يوليو ١٩٥٣.
٢٣ كانون الأول / ديسمبر: في الاحتفال بعيد النصر في بور سعيد وبالمقاومة الشعبية للعدوان الثلاثي وفشله في كانون الأول /ديسمبر ١٩٥٦. ولقد اخترنا من بين هذه الخطب التذكارية تلك التي تتسم بطابع مراجعات تلخيصية، أو الخطب الغنية من حيث احتوائها عناصر جديدة فيما يختص بالفكر القومي الناصري.

المعيار الثالث: المخاطَب أو الفئة التي وُجِّهت إليها الخطب

لم نأخذ بالخطب الموجهة إلى فئات إجتماعية أو مهنية خاصة، على المستوى القومي أو المصري، مثل طلاب الاسكندرية والصيدليين العرب، أو افتتاح تعاونية أو مصنع ، وإنما اقتصر اختيارنا على الخطب الموجهة إلى كافة الجماهير المصرية والعربية، والتي غالباً ما كانت تذاع بواسطة إذاعة «صوت العرب»، باستثناء ما أخذنا به من بعض الخطب «الفئوية» (الموجهة إلى فئة إجتماعية أو مهنية)، في الحالات التي رأينا أنها تتضمن عناصر جديدة وهامة فيما يختص بفكر عبد الناصر القومي. فأدخلنا بعضها في العيِّنة المختارة واستعملنا البعض الآخر كمرجع خارج العيِّنة.

المعيار الرابع: الكتابات التاريخية

لقد أخذنا في العينة المختارة أهم كتابات عبد الناصر وهي:

- **فلسفة الثورة، ١٩٥٣**
- **ميثاق العمل الوطني، ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢**
- **بيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨**

ثمة ملاحظة أخيرة حول الفارق بين الخطاب المكتوب والخطاب المرتجل من حيث درجة بلورة الأفكار ونسبة العفوية. فقد ورد في بعض خطب العينة مقاطع ملقية في العامية يبدو من الأرجح أن عبد الناصر إرتجلها لحظة إلقاء الخطاب. ولكن تبقى نسبة العامية وبالتالي الارتجال قليلة في الخطب المكوّنة للعينة ذلك إننا لم نختار إلاّ خطب ملقية في مناسبات هامة وبالتالي كانت بمجملها معدة مسبقاً ومكتوبة. أما «الكتابات التاريخية» الآنفة الذكر فهي خالية تماماً من العامية.

وبعد اختيار الخطب والكتابات المكوّنة للعينة حسب المعايير السابقة، قمنا بتحديد كيفية توزيع الخطب المختارة داخل الفترة المدروسة الممتدة من ١٩٥٢ الى ١٩٧٠، ذلك أن هدفنا كان يشمل أيضاً، دراسة تحوّلات أو تطوّر أيديولوجية عبد الناصر القومية حسب الزمان، فأقمنا لهذا الغرض تحقيباً (périodisation) للفترة الناصرية.

باء ـ التحقيب التاريخي المقترح

١ ـ معايير التحقيب

إعتمدنا لاقامة التحقيب التاريخي معيارين: المعيار الأول خارجي يرتبط بأعمال عبد الناصر السياسية وبالأحداث التاريخية ذات التأثير الكبير قومياً وعالمياً، وأهمها:

- تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي: ١٩٥٦
- الوحدة المصرية السورية: ١٩٥٨
- الانفصال: ١٩٦١
- محاولة الوحدة الثلاثية وفشلها: ١٩٦٣
- هزيمة حزيران: ١٩٦٧.

أما المعيار الثاني فهو داخلي، ومن ضمن الخطاب الناصري، وهو تحقيب أقامه

عبد الناصر نفسه ، لسياسته العربية في سياق تقييم نقدي لهذه السياسة في الحقبة الزمنية الممتدة بين ١٩٥٣ و١٩٦٧. وقد قدَّم هذا التحقيب في خطاب[٣٧] ألقاه في الثاني والعشرين من شباط / فبراير ١٩٦٧، بمناسبة الاحتفال بعيد الوحدة (وهو من نوع الخطب ـ المراجعة)، وهذا التحقيب هو التالي:

١٩٥٣ ـ كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٥ : مرحلة «وحدة الصف العربي»[٣٨] مع الجماهير والحكام (ما عدا الهاشميين) لمحاربة حلف بغداد. ولقد اعتبر عبد الناصر أن «هذه المرحلة قد انتهت بانتقال الملك سعود إلى صف الهاشميين».

ونلاحظ أن الاستقلال الوطني المصري تركّز وتدعّم في هذه المرحلة باشتراك مصر في المؤتمر الآسيوي ـ الأفريقي في باندونغ، وبجلاء القوات البريطانية عنها وشراء الأسلحة من المعسكر الاشتراكي، وباعتماد سياسة الحياد الايجابي وتأميم قناة السويس.

١٩٥٧ ـ ١٩٦٣ : مرحلة « وحدة الهدف قبل وحدة الصف : تتميز هذه المرحلة بقيام تجربة الوحدة المصرية ـ السورية من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١، ومحاولة إقامة الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق في ١٩٦٣. كما شهدت هذه المرحلة أيضاً ، مساعدة مصر الناصرية لثورة الجزائر (١٩٥٤ ـ ١٩٦٢) ولثورة العراق (١٩٥٨) وللثورة اليمنية (١٩٦٢). ذلك أن هذه الثورات كانت تناضل «لنفس الأهداف» التي تناضل من أجلها الثورة الناصرية والتي تتلخص بالتحرر الوطني من الاستعمار.

١٩٦٣ ـ شباط / فبراير ١٩٦٦ : مرحلة « وحدة العمل العربي من أجل فلسطين » : بهذا الوصف عرّف عبد الناصر عن هذه المرحلة التي تكوّن بالفعل عودة إلى سياسته العربية السابقة، سياسة «وحدة الصف». وقد تميزت هذه المرحلة بانعقاد مؤتمرات القمة العربية الثلاثة (مؤتمرات، كانون الثاني / يناير، ١٩٦٤، وأيلول / سبتمبر

---

(٣٧) « خطاب في الاحتفال بعيد الوحدة ، ٢٢ فبراير ١٩٦٧ ، » وثائق عبد الناصر : خطب ، أحاديث ، تصريحات، يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٣) .

(٣٨) ان تسميات المراحل المعتمدة هنا، هي ذاتها التسميات التي أعطاها عبد الناصر لهذه المراحل لتمييز كل مرحلة عن غيرها في الخطاب المذكور آنفا .

١٩٦٤ ، ثم أيلول / سبتمبر ١٩٦٥) تلك المؤتمرات التي جمعت ملوك ورؤساء الدول العربية.

شباط/ فبراير ١٩٦٦ -حزيران/ يونيو ١٩٦٧: مرحلة « وحدة القوى الثورية » : يحدّد عبد الناصر تاريخ عودته إلى سياسة عربية جذرية بأوائل سنة ١٩٦٦ ، بعد انضمام الملك فيصل والملك حسين إلى مشروع «الحلف الاسلامي» الذي - كما يقول - أوحت به الولايات المتحدة. فقد أعلن رسمياً انسحاب مصر من مؤتمرات القمة في خطاب ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٦ في السويس ، حيث هاجم «الحلف الاسلامي» واعتمد سياسة عربية أكثر جذرية ، بالدعوة ، لأول مرّة ، إلى «وحدة القوى الثورية» العربية وإلى متابعة الحرب في جنوب الجزيرة العربية. لكن جاءت حرب حزيران لتوقف هذا التطور الجديد بشكل قاطع.

هنا ينتهي التحقيب الذي أعطاه عبد الناصر في خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ ، وتبقى المرحلة التي تلي هزيمة حزيران / يونيو الممتدة بين ١٩٦٧ - ١٩٧٠. مرّة أخرى يُحدِث عبد الناصر تغييراً هاماً في سياسته العربية ، نسميه ، مؤقتاً وبالاعتماد على «قراءة» أولية لخطب هذه المرحلة : عودة إلى سياسة ما قبل ١٩٦٦ ، أي اعتماد عبد الناصر سياسة أكثر اعتدالاً تدعو إلى «وحدة العمل العربي». ولا نشك في أن التعمّق في تحليل هذه المرحلة سيساعدنا فيمابعد على تحديدها بشكل أدقّ. وبإمكاننا القول منذ الآن : أن عبد الناصر بقي يدعو في هذه المرحلة إلى «وحدة القوى الثورية» ولكن بشكل ثانوي ، إذ أن اهتمامه كان منصباً على إعادة تنظيم وبناء القدرة الدفاعية المصرية والعربية بغية «محو آثار العدوان». واستناداً إلى خطب عبد الناصر يمكننا استخلاص تسميته لهذه المرحلة (حزيران / يونيو ١٩٦٧ - أيلول / سبتمبر ١٩٧٠) بمرحلة «وحدة العمل العربي» - بشكل أساسي - والدعوة إلى «وحدة القوى الثورية» بشكل متقطع وثانوي.

٢ - التحقيب المقترح

بعد التوفيق بين المعيارين ، الخارجي والداخلي ، حصلنا على التحقيب الزمني التالي :

١٩٥٢ - ١٩٥٦ : مرحلة « وحدة الصف العربي » ، تنقسم بدورها الى :

۱۹٥۲ ـ ۱۹٥٤ : الكفاح من اجل استقلال مصر السياسي من السيطرة الاستعمارية البريطانية .

۱۹٥٥ ـ ۱۹٥٦ : الكفاح من اجل الاستقلال العربي او رفض الانتهاء الى حلف بغداد .

۱۹٥٦ ـ : السيطرة على الموارد والمرافق الوطنية الاستراتيجية او تأميم قناة السويس وفشل العدوان الثلاثي .

كانون الثاني/ يناير ۱۹٥۷ ـ كانون الأول/ ديسمبر ۱۹٦۳ : مرحلة « وحدة الهدف » ، تنقسم بدورها الى :

شباط/ فبراير ۱۹٥۸ ـ ايلول/ سبتمبر ۱۹٦۱ : الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا او قيام الجمهورية العربية المتحدة .

ايلول/ سبتمبر ۱۹٦۱ ـ كانون الأول/ ديسمبر ۱۹٦۳ : الانفصال ، محاولة وفشل الوحدة الثلاثية (مصر ، سوريا والعراق) ومساندة ثورة اليمن .

كانون الأول/ ديسمبر ۱۹٦۳ ـ شباط/ فبراير ۱۹٦٦ : مرحلة « وحدة العمل العربي من اجل فلسطين » :

مؤتمر القمة الأول ، كانون الثاني/ يناير ۱۹٦٤ : انشاء « القيادة العربية الموحّدة » .

مؤتمر القمّة الثاني ، ايلول/ سبتمبر ۱۹٦٤ : انشاء منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني .

مؤتمر القمة الثالث ، ايلول/ سبتمبر ۱۹٦٥ : تحويل مياه الأردن والدفاع العربي .

شباط/ فبراير ۱۹٦٦ ـ حزيران/ يونيو ۱۹٦۷ : « مرحلة « وحدة القوى الثورية » .

حزيران/ يونيو ۱۹٦۷ ـ ايلول/ سبتمبر ۱۹۷۰ : مرحلة « وحدة العمل العربي » ، من اجل :

« محو آثار العدوان » ، بشكل اساسي .

« وحدة القوى الثورية » بشكل ثانوي .

٣ ـ حدود التحقيب المقترح

إن هذا التحقيب المقترح لتقسيم السياسة القومية الناصرية إلى مراحل، لا يزال غير مُرضٍ بشكل تام، شأنه في ذلك شأن كل التحقيبات، وهو لا يخلو من نقاط اختلاف. فإذا أخذنا المرحلة الثانية الممتدة بين كانون الثاني / ١٩٥٧ وكانون الأول / ١٩٦٣، مثلاً، والتي أطلق عبد الناصر عليها تسمية مرحلة «وحدة الهدف قبل وحدة الصف» لتمييزها عن المرحلة السابقة، نلاحظ مع دويشه[٣٩] أن هذه المرحلة غير منسجمة داخلياً. ويشير دَويشه في تحقيب يقترحه، إلى أن هناك انقطاعاً في سياسة «وحدة الهدف» المعادية للرّجعية التي اتبعها عبد الناصر منذ ١٩٥٧ وعودة إلى سياسة «وحدة الصف» السابقة، أي عودة إلى التقارب مع النظم المحافظة أو على الأقل السكوت عنها. ويحدد دَويشه أن هذا الانقطاع ـ التراجع كان في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٥٨، أي أثناء فترة الوحدة المصرية ـ السورية. كما أنه يربط هذا التراجع بالنزاع الذي وقع بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم حول انضمام العراق إلى الوحدة، وبالصراع الدامي بين الناصريين والشيوعيين في العراق حول هذا الموضوع، فيفسِّر عودة عبد الناصر إلى سياسة أكثر اعتدالاً تجاه النظم العربية المحافظة، وعلى الأخص المملكة العربية السعودية، بغية عزل عبد الكريم قاسم[٤٠].

وللتأكد من هذا التحوّل قمنا بإجراء فحص دقيق لخطب وتصريحات عبد الناصر في هذه المرحلة بالذات، فلاحظنا أن هناك تحوّلاً فعلياً في سياسته العربية، وعودة إلى شعار «وحدة الصف». لكن هذا التحوّل لا يظهر على مستوى الخطاب والتصريح العلني إلا ابتداء من شباط / فبراير ١٩٥٩[٤١]، بمناسبة عيد الوحدة، حيث يذكر عبد الناصر «وحدة الصف» ولا يتطرق الى «الرجعية» إلاّ مرّة واحدة، ودون تسمية أي نظام أو أي حاكم.

أما إذا أخذنا خطاب السابع والعشرين من تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٥٨ وهو

---

(٣٩) انظر التحقيب الزمني الذي اقترحه دويشة في:
A.Dawisha, **Egypt and the Arab World: The Elements of Foreign Policy** (London: Macmillan Press, 1976), chap.10 : «Political Objectives,» pp.140-153.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(٤١) أنظر: «خطاب السيد الرئيس بميدان الجمهورية في يوم ٢١ فبراير ١٩٥٩»، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثاني: فبراير ١٩٥٨ ـ يناير ١٩٦٠ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.]، ص ٣٨٩ (خارج العينة).

التاريخ الذي حدّد فيه دَويشه عودة عبد الناصر إلى سياسة «وحدة الصف» مع كل الأنظمة العربية، بما فيها الأنظمة الرجعية. وإذا أخذنا الخطاب المشار إليه وغيره من نفس الفترة، فإننا نجد عكس ذلك، إذ أن عبد الناصر يهاجم فيها وبشدة «الرجعية» ويسمي الأنظمة المقصودة (حسين وبورقيبة)، ولا يأتي على ذكر العربية السعودية إلا بشكل ضمني. وبالاضافة إلى ذلك يتكلم عبد الناصر في هذا الخطاب عن «الوحدة التي تربط الجمهورية العراقية بالجمهورية العربية المتحدة، الوحدة بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم» (هكذا)[٤٢] .

هناك ـ إذاً ـ ثمة انقطاع داخل المرحلة الثانية في سياسة عبد الناصر العربية الجذرية أو سياسة «وحدة الهدف» وعودة إلى سياسة «وحدة الصف»، لكنّ هذا الانقطاع ـ التراجع حصل في شباط / فبراير ١٩٥٩ وليس في تشرين الأول ١٩٥٨، كما يذكر دَويشه، وكان محدوداً لأن عبد الناصر لم يتوقف عن مهاجمة «الرجعية» و«العملاء»، لكن، دون أن يسمي الأنظمة المقصودة. وقد استمر في هذه السياسة حتى الانفصال الذي قضى على وحدة مصر وسوريا في أيلول / سبتمبر ١٩٦١. واعترف عبد الناصر في خطاب النقد الذاتي بعد الانفصال بأن أحد أخطائه في فترة الوحدة كان التقليل من دور الرجعية داخل سورية وفي كافة أنحاء الوطن العربي و«ارتكاب خطأ المصالحة مع الرجعية»[٤٣] .

بالاضافة الى تبيان نقطة الخلاف هذه في التحقيب المقترح، بقي علينا أن نحدّد بشكل أدق طبيعة المرحلة الأخيرة: حزيران /يونيو ١٩٦٧ـ أيلول / سبتمبر ١٩٧٠. وهذا العمل لن يصبح ممكناً إلا بعد إجراء تحليل عميق لخطب المرحلة المذكورة الممثلة في العينة.

جيم ـ العينة المختارة وتوزيعها حسب التحقيب المعتمد

المرحلة الأولى : ١٩٥٢ ـ ١٩٥٧ ، « وحدة الصف العربي »

---

(٤٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.])، ص ٥٠ و ٦٨.

(٤٣) خطاب ١٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١، ص ١٢٣ .

١ - جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة (القاهرة : وزارة الاعلام ، ١٩٥٣) ، ٥٦ ص .

٢ - خطاب سياستنا الداخلية والخارجية ، في ٢٢ يوليو ١٩٥٥ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])،٦٨ ص .

٣ - « خطاب اعلان الرئيس تأميم قناة السويس ، ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، » الاهرام (القاهرة) في ١٩٥٦/٧/٢٧ .

المرحلة الثانية : ١٩٥٨ - ١٩٦١ ، « الوحدة الدستورية المصرية - السورية »

٤ - أ) خطاب السيد الرئيس في اليوم التاريخي لاعلان الجمهورية العربية المتحدة ، في أول فبراير ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])،٣٠ ص .

ب) خطاب السيد الرئيس في مجلس الأمة بمناسبة اعلان أسس الوحدة بين مصر وسوريا في ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة ، مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])،١٢ ص .

٥ - خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])،٧٢ ص .

٦ - خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر العام للاتحاد القومي ، ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] ، ٤٤ ص .

المرحلة الثالثة : ١٩٦١ - ١٩٦٣ ، « وحدة النضال الثوري »

٧ - أ) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ في المؤتمر الشعبي في ميدان الجمهورية بعد مرور ٢٤ ساعة على قيام حركة التمرد الانفصالية في دمشق (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])،١٢ ص .

ب) بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة في مساء يوم ١٦ اكتوبر ١٩٦١ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])، ٣١ ص .

٨ - مشروع الميثاق ، ٢١ مايو ١٩٦٢ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])، ١٢٤ ص .

٩ - « خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو ، في القاهرة ١٩٦٣/٧/٢٢ ، » الوثائق العربية ١٩٦٣ (بيروت : دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة ، الجامعة الاميركية في بيروت) ، ص ٥٩٠ - ٦٠٥ .

١٠ - « خطاب الرئيس عبد الناصر في القوات العائدة من اليمن ، الاسكندرية ١١ آب ١٩٦٣ ، » الوثائق العربية ١٩٦٣ ، ص ٦٤٦ - ٦٥٢ .

المرحلة الرابعة : ١٩٦٣ - شباط/ فبراير ١٩٦٦ ، « وحدة العمل العربي من أجل فلسطين » (مؤتمرات القمة)

١١ - [بمناسبة زيارة خروشوف الى مصر من ١١ الى ٢١ أيار (مايو) ١٩٦٤] :

أ) « خطاب الرئيس عبد الناصر في مجلس الأمة ، ١١ مايو ١٩٦٤ ، » الاهرام (القاهرة) ١٩٦٤/٥/١٢ .

ب) « خطاب الرئيس عبد الناصر في بور سعيد ، ١٩ مايو ١٩٦٤ ، » الاهرام (القاهرة) ١٩٦٤/٥/٢٠ .

ج) « خطاب الرئيس عبد الناصر في حفل النقابات المهنية ، ٢٠ مايو ١٩٦٤ ، » الاهرام (القاهرة) ١٩٦٤/٥/٢١ .

١٢ - خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في عيد الثورة الثالث عشر ، ٢٣ يوليو ١٩٦٥ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])، ٤٨ ص .

المرحلة الخامسة : شباط/ فبراير ١٩٦٦ - حزيران/ يونيو ١٩٦٧ ، « وحدة القوى الثورية »

١٣ - خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي في السويس بمناسبة عيد المدينة ، ٢٢ مارس ١٩٦٦ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])، ٤٨ ص .

١٤ ـ « خطاب في الاحتفال بعيد الوحدة ، ٢٢ فبراير ١٩٦٧ ، » وثائق عبد الناصر : خطب احاديث تصريحات ، يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣ ، ص ٥٧ ـ ٨٢ .

المرحلة السادسة : حزيران/ يونيو ١٩٦٧ ـ ايلول/ سبتمبر ١٩٧٠ ، « وحدة العمل العربي »

١٥ ـ « خطاب عيد الثورة الخامس عشر ، ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، » وثائق عبد الناصر ، ص ٢٣٩ ـ ٢٦٢ .

١٦ ـ أ) « حديث الى الأمة قدّم فيه الرئيس بيان ٣٠ مارس ، ٣٠ مارس ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ، ص ٣٧١ ـ ٣٨٠ .

ب) « كلمة في اعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، ١٥ ابريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٩ .

ج) « في المؤتمر الشعبي بالمنصورة لشرح بيان ٣٠ مارس ، ١٨ ابريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ، ص ٤٠٣ ـ ٤١٧ .

د) « خطاب إلى المثقفين بجامعة القاهرة لشرح بيان ٣٠ آذار/ مارس ، ٢٥ نيسان/ ابريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ، ص ٤٢١ ـ ٤٣٥ .

هـ) « خطاب الى ضباط وجنود القوات المسلحة في إحدى القواعد العسكرية لشرح بيان ٣٠ مارس ، ٢٩ نيسان/ ابريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ، ص ٤٣٩ ـ ٤٥٠ .

١٧ ـ « خطاب في استاد الخرطوم الرياضي بمناسبة احتفالات السودان بعيد الاستقلال اول يناير ١٩٧٠ ، » وثائق عبد الناصر : خطب أحاديث تصريحات ، كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩ ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣) ، ص ٢٥٧ ـ ٢٧١ .

١٨ ـ « خطاب عيد الثورة الثامن عشر في افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر

القومي ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ، » وثائق عبد الناصر ، ص ٤٧١ - ٥٠٠ .(٤٤)

بعد أن قيمنا في هذا الفصل الأساليب التقليدية المتبعة في « قراءة » فكر عبد الناصر القومي ، وحدّدنا المنهج المتّبع في هذه الدراسة ، واخترنا عينة من خطب وكتابات عبد الناصر ، ننتقل إلى تحليل تصور عبد الناصر القومي وفقاً للمنهج المختار.

نعالج أولاً - في الفصل الثاني - تصوّر عبد الناصر القومي قبل ١٩٥٢ ، معتمدين استثنائياً في هذا الفصل على ما قاله عبد الناصر عن تلك المرحلة ، بعد ١٩٥٢ ، وعلى ما كتبه المؤرخون عن صباه ونشأته الفكرية والسياسية ، ذلك أنه لا وجود لآثار مكتوبة لعبد الناصر قبل ثورة يوليو .

ننتقل في الفصول التالية (الثالث والرابع والخامس والسادس) إلى البحث في تصوّر عبد الناصر القومي بين ١٩٥٢ و١٩٧٠ ، معتمدين بشكل أساسي على تحليل خطبه وكتاباته (في العينة المختارة) وفقاً لمنهج تحليل حقول دلالة المفاهيم . فبعد إحصاء وترتيب المفردات القومية في الخطاب الناصري نستخلص منها المفاهيم القومية المركزية (الفصل الثالث) ونحلّلها في الفصول التالية : مفهوم « الأمة العربية » (الفصل الرابع) ، مفهوم « القومية العربية » (الفصل الخامس) ، مفهوم « الوحدة العربية » (الفصل السادس) . ثم ننتقل في الفصل السابع إلى تقدير مدى تأثير الأيديولوجية الدينية والأيديولوجية الحديثة على المفاهيم القومية في الخطاب الناصري ونُنهي أخيراً الدراسة بمحاولة بناء تشخيص إجمالي لتصور عبد الناصر القومي العربي (الفصل الثامن) .

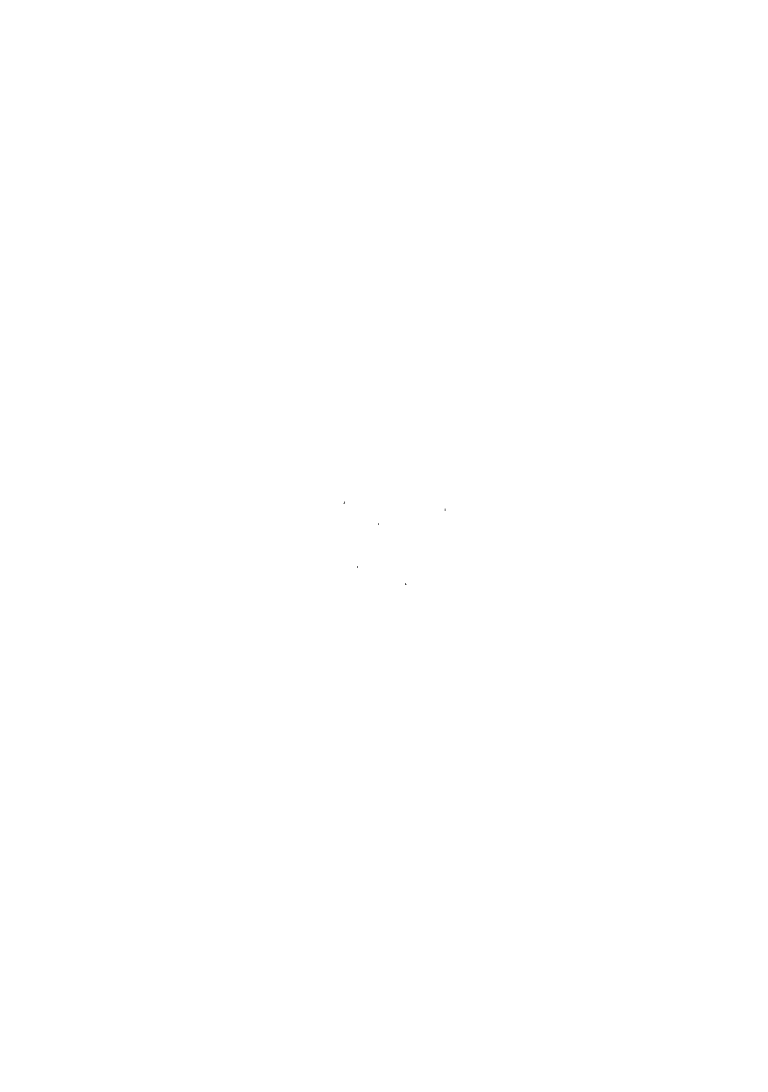
ونتعرّض في سياق البحث إلى مقارنة المفردات القومية العربية بالمفردات الوطنية المصرية ، كما أننا نعالج علاقة الخطاب القومي الناصري بالتاريخ الماضي المصري والعربي ، ومدى تأثره بتقلّبات الظرف السياسي .

---

(٤٤) تتكون العينة بالفعل من ٢٦ خطابا وكتابا ولكن اعتبرنا الخطب الملقاة في نفس المناسبة بمثابة خطاب واحد ، لذلك ذكرنا ان العينة مكونة من ١٨ وحدة خطابية مرقمة من ١ الى ١٨ .

الفصل الثاني

بدايات تكوّن الوعي العربي لدى عبد الناصر قبل ١٩٥٢



ملاحظة تمهيدية: سنركّز بحثنا في هذا الفصل على بعض العناصر السياسية والاجتماعية، والثقافية التي ساهمت في تكوين وعي عبد الناصر القومي قبل ١٩٥٢، محاولين دحض الرأي الشائع بين عدد كبير من الكتّاب العرب والغربيين، والقائل بأن الاتجاه العربي لم يظهر في مصر وفي وعي عبد الناصر على حد سواء، إلا بعد ١٩٥٢. وسنحاول أولاً إعطاء لمحة سريعة عن تطوّر الوعي القومي في مصر قبل ١٩٥٢، وبروز اتجاه أو تيار عروبي في الحياة السياسية المصرية في الفترة التي نشأ فيها عبد الناصر وبلغ سنّ الرشد، ثم ننتقل، ثانياً، إلى تحديد مدى تأثير حياته الاجتماعية والعائلية على تكوّن وعيه القومي. وثالثاً، سوف نحدد مدى تأثير بعض العوامل السياسية (أحداث ونضالات) على تكوّن وعيه القومي، وأخيراً، ندرس مدى تأثير القراءات والدراسات التي قام بها عبد الناصر في المرحلة الثانوية وفي الكلية الحربية، وتأثير الشخصيات التاريخية التي احتك بها، في تكون وعيه القومي.

ولن نتوسع كثيراً في هذا الفصل، لأن دراستنا لا تتناول بشكل أساسي، العوامل الخارجية (إجتماعية، سياسية، تاريخية، وثقافية) التي أسهمت في تكوين أيديولوجية عبد الناصر القومية وإنما تركّز على تحليل داخلي لتصوره القومي بالاستناد إلى كتاباته وخطبه.

أولاً: تطور الوعي القومي في مصر قبل ١٩٥٢

لقد مرّ الوعي القومي في مصر بثلاث مراحل رئيسية، في النصف الأول من

القرن العشرين: مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، مرحلة ما بين الحربين ومرحلة تمتد من ١٩٣٨ إلى ١٩٥٢. وسنكتفي باعطاء لمحة سريعة عن تطوّر الوعي القومي خلال المراحل الثلاث، لالقاء الضوء على الجو الفكري الذي نشأ فيه عبد الناصر[١]

ألف ـ مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى

لقد هيمن التيار القومي المصري باتجاهيه: الاقليمي ـ المحلي، والعثماني، على الحياة السياسية والفكرية المصرية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى. ولكن يمكن الملاحظة، في كلا الاتجاهين، أن مفهوم «الأمة» لم يقتصر على مصر وإنما شمل، على أقل تقدير، كل وادي النيل: مصر والسودان معا. ولا شك أن الاتجاه القومي المصري المؤيد للعثمانيين والمتمثل بالحزب الوطني برئاسة مصطفى كامل، كان الاتجاه الغالب. أما الاتجاه القومي المصري ـ المحلي ـ الأقليمي والمتمثل «بحزب الأمة» برئاسة لطفي السيد فقد كان متأثراً بالأيديولوجية القومية الأوروبية ذات النفحة الليبرالية، مما جعله في موقع تنافر مع التيار الديني الاسلامي المعادي للفكرة القومية والمتمثل، في شقه المحافظ، بالأزهر، وفي شقه الاصلاحي بمجلة «المنار» لرشيد رضا.

وقد تميزت الحياة القومية في مصر في تلك المرحلة بالميزات الايديولوجية التالية: كان الهدف الرئيسي للتيارات الثلاثة المذكورة (القومي المصري الحديث، القومي المصري العثماني، والتيار الاسلامي) إستقلال مصر. ومن الملفت للنظر أن هذا المطلب، في الحالات الثلاث، لم يقتصر على مصر وحدها وإنما كان يشمل مجموعة إقليمية أوسع: إستقلال كل وادي النيل (مصر والسودان) فيما يختص بالتيار الأول (حزب الأمة)، إستقلال ووحدة كل وادي النيل في إطار دولة شرقية عثمانية وإسلامية فيما يختص بالتيار الثاني (الحزب الوطني)، أما التيار الثالث، في شقه الاسلامي الاصلاحي (مجلة المنار) فكان يطالب باستقلال ووحدة كل البلدان الاسلامية العربية، وبدورها القيادي ضمن «جامعة إسلامية» أوسع تضم كل العالم الاسلامي.

أما فيما يختص بالعروبة أو بالفكرة القومية العربية، فبالرغم من أن مجموعة «المنار» (رشيد رضا ورفاقه) كانت قد أدخلتها إلى مصر بثوب إسلامي، إلا أنها لقيت

---

(١) لقد استنتجنا هذه الملاحظات والجدول التابع لها من دراسة أكثر تفصيلا اجريناها حول «بروز الوعي العربي في مصر في النصف الأول من القرن العشرين» لم تنشر بعد.

معارضة شديدة من قبل «الحزب الوطني» المؤيد للعثمانيين، في حين أن «حزب الأمة» تجاهلها واعتبرها سابقة لأوانها[٢]

باء ـ مرحلة ما بين الحربين

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وتفكيك السلطنة العثمانية من قِبَل القوى المنتصرة، تميّزت الحياة السياسية في مصر باختفاء التيارات القومية المؤيدة للعثمانيين مثل الحزب الوطني، وببروز تيّارات ومنظمات سياسية جديدة.

لا شك أن التيار الذي كان مهيمناً في هذه الفترة، هو التيار القومي المصري التحديثي، الذي تمثل بـ «الوفد» وريث حزب الأمة، الذي ركّز نضاله لتحرير واستقلال مصر والسودان ووحدتها في إطار وادي النيل ضمن دولة نظامها برلماني ليبرالي.

وقد برز بالمقابل تنظيم جديد داخل التيار الاسلامي، إعتبر نفسه مكملاً لخط «المنار» وهو «جمعية الاخوان المسلمين». وكان هدفه الرئيسي إستقلال مصر وتحقيق الوحدة الاسلامية في إطار دولة شبيهة بالخلافة الاسلامية الأولى. ولم يرفض أتباع هذا التنظيم الوحدة العربية بل اعتبروها خطوة أولى نحو الوحدة الاسلامية الأشمل، شرط تجريد العروبة من أي طابع قومي. وهذا نابع من معاداته للفكرة القومية بشكل عام لتناقضها مع الفكرة الدينية.

وعلى هامش الصراع بين هذين التيارين الرئيسيين، تكوّن في مصر، خلال تلك الفترة، تياران صغيران: التيار الشرقي، المنفتح على بلدان المشرق العربي، والذي عبّرت عنه أحسن تعبير «الرابطة الشرقية» التي ابتعدت عن كلا التيارين: القومي

(٢) اعتمدنا لهذه الفترة المراجع التالية : J.M.Ahmad. **The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism** (London: Oxford University Press , 1960), pp.58-112 and 69-82; J.M. Landau,**Parliaments and Parties in Egypt** (New York: Praeger,1954), pp.37-140 and 104-135; M.Colombe,**L'Evolution de l'Egypte, 1924-1950**(Paris: Maisonneuve, 1951),pp.162 and 176,and

أنيس صايغ ، **الفكرة العربية في مصر** (بيروت : مطبعة الغريب ، ١٩٥٩) ، ص ٥١ ـ ٥٧ و ١٠٧ ـ ١١٧ .

المصري، والقومي الاسلامي، ولكنها لم تطرح، بالمقابل، فكرة القومية العربية. أما التيار الثاني، ويمكن تسميته بتيار إسلامي لا سياسي ومعتدل، وقد تمثل بعدد من الجمعيات الاسلامية التي لم تدخل في الصراع للوصول إلى السلطة، وإنما عملت مدفوعة بإيمانها الملتزم، على مساعدة الشعوب العربية، المجاورة في نضالها من أجل الاستقلال. وبعكس جمعية «الاخوان المسلمين» لم تهدف هذه المنظمات الاسلامية إلى «الوحدة الاسلامية» في إطار دولة إسلامية، وإنما اكتفت بالدعوة إلى «التضامن بين المسلمين». وما لبثت في ١٩٣٣ أن طالبت «بالوحدة العربية». وأهم هذه المنظمات كانت دون شك «جمعية الشبان المسلمين»[٣].

والجدير بالذكر أن عبد الناصر ولد وبلغ سن الرّشد في هذه المرحلة بالذات.

جيم - مرحلة ما بين ١٩٣٨ و١٩٥٢

تتميز المرحلة الثالثة (١٩٣٨ - ١٩٥٢) ببداية تعرّب الحياة القومية في مصر. فقد بدأ يتكوّن تدريجياً، وانطلاقاً من عام ١٩٣٦، تيارٌ عروبي مستقل عبّر عن نفسه من خلال تنظيمات مميزة، مثل جمعية «مصر الفتاة» و«جمعية الاتحاد والترقي». وظهرت خلال تلك الفترة شخصيات سياسية ومفكرون بارزون ناضلوا من أجل العروبة ولعبوا دوراً هاماً في الحياة القومية المصرية والعربية. أما التيارات الأخرى، كالتيار الوطني المصري، والتيار الاسلامي، والتيار الشيوعي، فقد اضطرت أن تتخذ موقفاً واضحاً تجاه القضايا العربية وهوية مصر القومية، وانقسم بعضها حيال هذا الموضوع إلى اتجاه مؤيد واتجاه معارض.

---

(٣) من المراجع التي اعتمدناها للمرحلة الثانية :

Ahmad, **The Intellectual Origins of Egyptian Nationalism**, pp.107-122 and 113-120; Landau, **Parliaments and Parties in Egypt**, pp.148-168; R.P. Mitchell, **The Society of the Muslim Brothers** (London: Oxford University Press, 1969), pp.209-211, 218, 219 and 221; F. Berthier, «Les Forces sociales à l'oeuvre dans le nationalisme égyptien» **Orient**, vol.2, no.2 (1958), pp.73-85; Colombe, **L'Evolution de l'Egypte, 1924-1950**, p.122, 126, 172 and 264;.

مجيد خدوري، **الاتجاهات السياسية في العالم العربي** (بيروت: الدار المتحدة، ١٩٧٢)، ص ٨٥ - ٩١، وصايغ، **الفكرة العربية في مصر**، ص ١٩٤ - ١٩٥، ٢١١ - ٢١٨ و ١٩٨ - ٢٠١.

١ ـ التيار العروبي

خلال استعراضنا لتكوّن «مصر الفتاة» سنرى كيف أن التيار القومي العربي الوليد بدأ يتميز تدريجياً عن التيار الاسلامي.

تحولت جمعية «مصر الفتاة» من منظمة تدعو إلى القومية المصرية (وحدة مصر والسودان) المتحالفة مع الدول العربية والمتزعمة للعالم الاسلامي (١٩٣٣)، إلى منظمة تدعو إلى قومية مرتكزة على الاسلام (١٩٤٠). فأصبح إسمها آنذاك «الحزب الوطني الاسلامي» الذي شدّد على كون مصر زعيمة الكتلة العربية.

وفي الفترة نفسها أعلن أحمد حسين، مؤسس المنظمة «عروبة مصر»، كما دعا في خطاب موجه إلى «جمعية الشبان المسلمين» إلى تحقيق الوحدة العربية قبل الوحدة الاسلامية. وحدّد مرتكزات الوحدة العربية بـ «وحدة اللغة ووحدة الدين ووحدة الثقافة ووحدة الايمان». وتحوّل إسم «مصر الفتاة»، مرّة ثانية، إلى «الحزب الاشتراكي» (١٩٤٨)، الذي شدد أكثر من أي وقت مضى على وحدة الشعوب العربية في إطار دولة «الولايات العربية المتحدة» وكان شعاره المكتوب على «البيت الأخضر» «ليست حركة مصر الفتاة، مصر الاشتراكية، إلا صرخة انبعاث ويقظة الأمة العربية كلها»[٤].

وإذا كانت «مصر الفتاة» قد تطّورت من منظمة قومية مصرية منفتحة عربياً (١٩٣٣) إلى منظمة قومية عربية إسلامية (١٩٣٩) ثم إلى منظمة قومية عربية إشتراكية (١٩٤٩) فإن الأمر كان مختلفاً تماماً بالنسبة لجمعية «الاتحاد العربي» التي بدأت منذ أن أسسها فؤاد أباظة في ١٩٤٢، تطرح خطاً قومياً عربياً صرفاً. ودعت هذه الجمعية إلى إنشاء «إتحاد عربي» يضم مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق واليمن والسعودية وليبيا والجزائر والمغرب[٥]. واعتبرت أن أساس القومية العربية هو اللغة وليس الدين. فكانت المرّة الأولى التي يطرح فيها الانتماء القومي العربي، في مصر،

---

(٤) من المراجع لـ «مصر الفتاة»: Colombe, **L'Evolution de l'Egypte ,1924-1950**,pp. 140-145;P.J. Vatikiotis ,**Nasser and His Generation** (London: Croom Helm,1978),pp. 72-77,and صايغ، **الفكرة العربية في مصر**، ص ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٥) صايغ، المصدر نفسه، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

بمعزل عن الانتماء الديني والطائفي. وفتحت الجمعية فروعاً لها في بغداد وبيروت وعمان وبلاد المهجر، وساعدت حركات الاستقلال في لبنان وسوريا، كما أرسلت أموالاً وسلاحاً لمساعدة الفلسطينيين في كفاحهم. واستمر نشاطها حتى قيام ثورة تموز / يوليو ١٩٥٢.

لم يقتصر التيار العروبي على هاتين الجمعيتين، وإنما ظهرت في هذه الفترة جمعيات عروبية كثيرة منها: «المؤتمر العربي العالمي» (١٩٥٠) الذي تحول فيما بعد إلى «المؤتمر الشعبي العربي العام» و«جماعة الوحدة العربية» التي أسسها أسعد داغر، تبعتها «جامعة العروبة».

ولربما لعبت الشخصيات ذات الاتجاه العروبي دوراً لا يقلّ أهمية عن دور الجمعيات آنفة الذكر، في طرح ونشر الأفكار القومية العربية في مصر، ومن أبرز تلك الشخصيات التي أثّرت على مجرى الحياة القومية في مصر، عزيز علي المصري، ومكرم عبيد، وساطع الحصري، وعبد الرحمن عزّام. ومما لا شك فيه أن عبد الناصر تأثّر بأعمال وكتابات هذه الشخصيات، السياسية منها والفكرية. إلا أنه، وباعترافه هو، تأثر بشكل مباشر أكثر بعزيز علي المصري الذي علّمه في الكلية الحربية. وسنعطي فيما يلي بعض التفاصيل عن هذه الشخصية المصرية المؤثرة. وفيما يختص بالشخصيات والمفكرين الآخرين، فسنكتفي بالقول: أن مكرّم عبيد أحد قادة «الوفد» بدأ، منذ ١٩٣٠، التبشير بالقومية وبالوحدة العربية في مصر وبلاد المشرق العربي، وساهم في العدد الخاص من مجلة «الهلال» حول «العرب والاسلام» (نيسان / أبريل ١٩٣٩) بمقال عنوانه «المصريون عرب» دعا فيه إلى تحقيق الوحدة العربية[٦].

ولا نجد حاجة للتعريف بساطع الحصري. فقد كان تأثيره عميقاً في مصر، حيث ساهم في نشر تصوّر عقلاني وعلمي للفكرة القومية. كما أنه ناقش وفنّد في كتبه ومقالاته، الأطروحات القومية المصرية والفرعونية، ووضع الأسس النظرية للفكرة القومية وللوحدة العربية. ولم تقتصر كتاباته على تحليل المسألة القومية في الوطن العربي، بل أسهم أيضاً في تعريف المثقفين المصريين والعرب، بشكل نقدي، على النظريات القومية الأوروبية والاشتراكية الستالينية، كما أرّخ في كتاباته لعدد من الحركات القومية الوحدوية في العالم، كالحركة السلافية، والحركة الهلّينية الأغريقية،

(٦) أنظر خطب وكتابات مكرم عبيد في: المكرميات، جمع أحمد قاسم جودة (القاهرة: [د. ن، د. ت.]).

والوحدتين الايطالية والألمانية . وكانت كتاباته تلاقي إقبالاً شديداً في مصر وفي سائر البلدان العربية الأخرى ، وقد ناقشه وتأثر به العديد من المثقفين العرب .

وكان عبد الرحمن عزّام هو أول رجل سياسي مصري حاول أن يدفع سياسة بـلده إلى مزيد من الالتزام بالقضايـا العربيـة ، لا سيما القضيـة الفلسطينيـة . وعندمـا انتخب في ١٩٤٥ أميناً عـاماً لجامعة الـدول العربية عمل للوحدة العربية ونشر تصوره لهذه الوحدة، فكان مختلفاً عن التصورات المثالية السابقة، وركّز على حاجة مصر الاقتصادية والاستراتيجية لتحقيق الوحدة العربية.

وكان تأثير التيار العروبي قوي لدرجة أن العديد من الشخصيات السياسية المصرية أمثال منصور فهمي ومحمد حسين هيكل ابتعدوا عن التيّار القومي المصري وعملوا لخدمة العروبة.

٢ ـ التيارات الأخرى

إنقسمت التيارات الأخرى تحت تأثير التيار العروبي إلى مؤيد ومعارض. فانقسم التيار القومي المصري إلى اتجاهين: إتجاه إقليمي مؤيد للغرب رفض أن يعترف بهوية مصر العربية، وعبّر عن هذا الاتجاه ونظّر له طه حسين في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي نشر في ١٩٣٨ في القاهرة. أما الاتجاه الآخر فهو الاتجاه القومي المصري المعتدل الممثل بحزب الوفد. واعترف هذا الاتجاه بعروبة مصر وبدأ يهتم بالقضايا العربية وخاصة تحت قيادة زعيمه الجديد نحاس باشا. ويمكن الملاحظة أن البيانات التي وزعها الحزب خلال تلك الفترة، شددت مرات عديدة على عروبة مصر. وجاء فيها استعمال تعبير «الشعب» المصري بدل «الأمة» المصرية.

وانقسم التيار الشيوعي المصري، بدوره إلى اتجاهين حيال القضية العربية: إتجاه معادٍ للعروبة، تهجّم أصحابه، في جريدتهم «صوت الشعب» على الأيديولوجيات القومية ودعوا مؤيدي القومية العربية إلى الاهتمام بالأهداف الأممية التي تناضل من أجلها الشيوعية[٧] واتجاه آخر مؤيد للتضامن العربي دعا إلى «وحدة كفاح الشعوب العربية ضد الأمبريالية والرجعية الداخلية»[٨].

---

(٧) A.Abdel Malek, **Egypte, société militaire** (Paris: Seuil, 1962), p.240.

(٨) C.Farah, «The Impact of West on the Conflict of Ideologies in the Arab World,» **Islamic Culture**, (April 1961), p.1113.

ونلخص في الجدول رقم (٦) المراحل الثلاث لتطور الوعي القومي في مصر في النصف الأول من القرن العشرين.

لقد أمضى عبد الناصر السنوات الخمس والثلاثين الأولى من عمره في النصف الأول من القرن العشرين. ولا نشك في أن وعيه القومي كان قد بدأ يتكوّن ويتبلور قبل ١٩٥٢، خاصة في فترة ما بعد ١٩٣٠، حيث بدأ التيار العروبي يشق طريقه إلى الحياة السياسية والقومية المصرية. وسندرس في الأقسام التالية العناصر الاجتماعية والثقافية والسياسية التي أسهمت مباشرة في تكوّن وعي عبد الناصر القومي وبصورة خاصة وعيه للعروبة.

ثانياً: تأثير البيئة الاجتماعية ـ العائلية على تكوّن وعي عبد الناصر القومي

لنقل أولاً إننا نرفض التحليلات والتفسيرات المبتذلة التي تنسب بشكل «ميكانيكي» ذاك النوع من الوعي القومي إلى ذاك الانتماء الطبقي، بإسم ماركسية مبسطة. كما لو أن مجرد انتماء فرد إلى طبقة أو فئة إجتماعية معيّنة، يولّد لديه أيديولوجية تطابق حتمياً أيديولوجية طبقته الأصلية. وهذا لا يعني أننا ننفي تأثير الطبقة أو البيئة الاجتماعية لفرد ما على تصوراته الأيديولوجية. لكن ما نريد أن نشدد عليه هو وجود تأثيرات أخرى، كالممارسة السياسية والاجتماعية، والوعي التاريخي، والارادة الثورية التي يمكن أن تدفع هذا الفرد إلى تبني أيديولوجية تختلف عن أيديولوجية طبقته أو بيئته الأصلية[٩].

هنالك تفسيرات أخرى كتحليل V.Wolfenstein, H. Dekmejian ضخّمت، إلى حد ما، تأثير العوامل النفسية ـ العائلية على وعي عبد الناصر السياسي والقومي. فقد كتب هـ. دكمجيان يقول:

«لقد كانت حياته العائلية غير مستقرة، وكانت علاقات الشاب عبد الناصر بأبيه متوتّرة، خاصة بعد وفاة أمه. وأصبحت حياته العائلية تعيسة للغاية بعد أن تزوج أبوه للمرة الثانية، لأنه أُبعد لكي يعيش مع أقربائه (...) فزاد تغرّبه وتعمّق، في الوقت الذي انتقل من أزمة عائلية إلى أزمة

---

(٩) هذا ما حدث بالنسبة لعدد كبير من الشخصيات الثورية التاريخية أمثال: لينين وهوشي منه وماوتسي تونغ وتيتو وفيديل كاسترو وغيرهم.

جدول رقم (٦)

المراحل الثلاثة لتطور الوعي القومي في مصر في النصف الأول من القرن العشرين

<table>
<tr><td colspan="3">١ ـ المرحلة القومية المصرية المؤيدة للعثمانيين وبروز التيار الاسلامي الاصلاحي ١٩٠٠ ـ ١٩١٨</td></tr>
<tr><td>التيار القومي المصري التحديثي. والاقليمي (١٩٠٧) : حزب الأمة (أقلية)</td><td>التيار القومي المصري المؤيد للعثمانيين : الحزب الوطني (١٩٠٧)(أكثرية)</td><td>التيار الإسلامي الإصلاحي : رشيد رضا ومجموعة المنار (١٩٠٠)</td></tr>
<tr><td colspan="3">٢ ـ المرحلة القومية المصرية التحديثية المناهضة للقومية الاسلامية ، ١٩١٨ ـ ١٩٣٦</td></tr>
<tr><td>التيار القومي المصري التحديثي : الوفد ١٩١٨ ـ (أكثرية) والتيار الفرعوني</td><td>التيار المصري الشرقي المؤيد للعرب : الرابطة الشرقية (١٩٢١) النادي الشرقي (١٩٢٢) والشخصيات العروبية : مكرم عبيد (١٩٣٠) . طلعت حرب (١٩٢٥) وعزيز علي المصري .</td><td>التيار الإسلامي : المؤيد للعرب : الاخوان المسلمون (١٩٢٨) جمعية الشبان المسلمين (١٩٢٧) المناهض للقومية العربية : الأزهر</td></tr>
<tr><td colspan="3">٣ ـ مرحلة التضامن العربي وبدايات الوعي القومي العربي</td></tr>
<tr><td>التيار القومي المصري :
ـ المعادي للعروبة
الفرعونيين
الشيوعين

ـ المؤيد للعروبة
الوفد (١٩٣٩)
الشيوعيين</td><td>التيار العروبي الناشيء :
• مصر الفتاة (١٩٣٣)
الحزب الوطني الاسلامي (١٩٣٩)
الحزب الاشتراكي (١٩٤٩)
• الاتحاد العربي (١٩٤٢)
• المؤتمر العربي العالمي (١٩٥٠) ـ جماعة الوحدة العربية
• الشخصيات العروبية : عزيز علي المصري ، مكرم عبيد ، ساطع الحصري ، عبد الرحمن عزّام .</td><td>التيار الإسلامي :
الاخوان المسلمون</td></tr>
</table>

أوسع، كانت تصيب كل المجتمع المصري في منتصف العشرينات والثلاثينات»[10].

كما حاول الباحث الأميركي ولفنشتاين (E.Victor Wolfenstein) أن يطبق التحليل النفسي الفرويدي في هذا المجال، فشدد على تأثير أحداث طفولة عبد الناصر على تصرفاته وسلوكه فيما بعد: وفاة أمه، وخلافه مع أبيه، مما أثّر على نظرته للعالم، فاعتبر أن مصر هي الأم الفقيدة التي يجب بعثها وإنقاذها من الدمار[11].

هذا لا يعني أننا ننفي أي تأثير لحياة عبد الناصر العائلية على تكوّن وعيه القومي، ولكننا نعتقد أنه يجب الأخذ بالجانب الاجتماعي لحياته العائلية وليس الاقتصار على جانبها النفسي - العاطفي.

عاشت عائلة عبد الناصر الأبوية حالة انسلاخ دائم، على عكس العائلات الفلاحية التي كانت في حال نزوحها من الريف إلى المدينة، تثبت فيها بشكل نهائي. ذلك الانسلاخ الدائم يعود إلى مهنة الأب الموظف في البريد، الذي كان عليه أن يتنقل حسب متطلبات وظيفته. غادر والد جمال ذويه الفلاحين وقريته بني مرّ[12] نهائياً، إلى الاسكندرية حيث تزوّج في ١٩١٧ من إبنة أحد التجار. وبعد ولادة عبد الناصر في ١٩١٨، إضطرت العائلة إلى الانتقال إلى أسيوط (١٩٢١) ثم إلى «قطبطه» وهي قرية صغيرة على حافة الدلتا (١٩٢٣). بعد ذلك انتقلت إلى حلوان وهي إحدى ضواحي القاهرة، (١٩٢٨)، ثم عادت إلى الاسكندرية (١٩٢٩) وأخيراً إلى القاهرة (١٩٣٠ - ١٩٣٦).

وقد أدى هذا التجوال الدائم في مصر، وهي تمر في مرحلة تحول من الاقتصاد التقليدي إلى إقتصاد سوقي تجاري، إلى اقتلاع أسرة عبد الناصر من جذورها وجعلها قبل الأوان عائلة صغيرة نواتية (famille nucléaire) من الطراز الحديث السائد حالياً في المدن الكبرى.

---

(١٠) H.Dekmejian, **Egypt Under Nasir** (New York: State Union of New York Press, 1971), p.98.

ويذكر د كمجيان عوامل أخرى كالمدرسة والاحتلال البريطاني والأحداث السياسية العامة التي أثرت على حياة عبد الناصر الشاب، بالاضافة الى العامل النفسي - العائلي.

(١١) E.Victor Wolfenstein «Centre of International Studies Paper,» Princeton University, October 1965.

كما أورده فاتيكيوتيس، **Nasser and His Generation**، ص ٣١٧ - ٣١٩.

(١٢) «بني مرّ» قرية زراعية سنية - قبطية في الصعيد.

فلم يكن الارتباط الوحيد، بالأرض ـ الاقليم ، الذي عرفه عبد الناصر في شبابه إرتباطاً بالقرية أو بالحي في هذه المدينة أو تلك، على غرار ارتباط معظم المصريين، وإنما امتد ارتباطه بالأرض إلى مجمل الأرض المصرية وبشكل خاص إلى المجال المديني (urbain) والضاحوي (suburbain) في مدن مصر الكبرى، تارة القاهرة وتارة أخرى الاسكندرية حيث تابع عبد الناصر دروسه بعيداً عن المنزل الأبوي، فكانت علاقته العائلية التي عرفها، علاقة بعائلة صغيرة من نوع العائلات النواتية المقتلعة من بيئتها الأصلية والمنقطعة عن العائلة الكبيرة الممتدة التي كانت لا تزال، آنذاك، سائدة في الريف المصري. وبالاضافة إلى ذلك فإن هذا الارتباط العائلي ما لبث أن انفك باكراً بالنسبة للفتى عبد الناصر، عندما أُرسل وهو في السابعة من عمره إلى بيت خاله في القاهرة لمتابعة دروسه في مدرسة «النحاسين» الابتدائية، وما إن بلغ التاسعة من العمر حتى توفيت أمه وتزوّج أبوه مرّة ثانية وفقد بذلك حنان الأم وعرف الوحشة العائلية والعاطفية، وهو بعد طفل.

إن عوامل التنقل أو عدم الاستقرار الجغرافي والانسلاخ الاجتماعي العائلي(١٣) لدى عبد الناصر كوّنت، في اعتقادنا، أرضية خصبة لبروز وعيه القومي.

وتؤكد الدراسات أن الأيديولوجيات القومية الحديثة تولد في مجتمعات تتحول من نمط إنتاج تقليدي (ما قبل صناعي) إلى نمط إنتاج رأسمالي يرافقه تكوّن سوق داخلية، وأنه من الصعب أن تنمو أيديولوجية قومية في بيئات إجتماعية تقليدية ينحصر أفقها في حدود العائلة الكبيرة أو العشيرة، أو القرية، أو الحي في المدينة. والأفراد الذين يفقدون علاقاتهم بهذه الخلايا الاجتماعية يصبحون في وضع يسمح لهم بالانتماء إلى هوية إجتماعية وكيان إجتماعي أوسع، يمتد ليشمل الوطن كله والأمة بأكملها. وهذا غالباً ما يحدث في مرحلة تحوّل مجتمع ما إلى نمط إقتصادي سوقي يعمّه بأكمله، إذ تتفتت أو تتذرّر (atomisation) الخلايا الاجتماعية التقليدية.

هكذا كان الوضع في مصر بعد الحرب العالمية الأولى، تلك المرحلة التي شهدت ظهور «الوفد» وهي حركة وطنية «ذات أفكار ليبرالية برجوازية» تدعو إلى الوحدة

---

(١٣) استمر عبد الناصر في التنقل من مدرسة الى مدرسة ومن مسكن الى آخر بين القاهرة والاسكندرية حسب تنقلات عائلة أبيه ، وذلك حتى نهاية دروسه الثانوية (١٩٣٦) . ولم يعرف الاستقرار ، نسبيا ، الا بعد دخوله الجيش . فقد أمضى ثلاث سنوات في السودان (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢) ولم يثبت نهائيا في القاهرة الا بعد تعيينه أستاذا في الكلية الحربية .

الوطنية وتعمل لاستقلال مصر ولاقامة نظام برلماني وبناء مجتمع عصري.

إن ضعف الروابط التقليدية العائلية والاجتماعية (الريفية والمدينية) لدى عبد الناصر وانسلاخه الناتج عن انهيار تلك الروابط وعن التنقل الدائم، جعلاه يبحث باكراً عن هوية وعن انتهاء من نوع آخر وجدهما في مصر بأكملها، وطنه الوحيد وفي أفق الأمة العربية، فيما بعد، أمته الوحيدة. لقد وجد هويته التي بحث عنها منذ الصغر، في الهوية الوطنية المصرية وفي القومية العربية. فقد كانت عزلته سببا في رغبته الجامحة بالوحدة. وحدة وطنية تجمع كل الشعب المصري، ووحدة قومية أوسع تجمع كل الشعوب العربية، وتقضي نهائياً على «زمن العزلة».

وإذا كنا لم نحاول، أبداً فيما سبق، إقامة علاقة سببية بين حياة عبد الناصر العائلية ـ الاجتماعية ووعيه القومي، فإننا لم ننوِ ذلك الآن. وإنما اقترحنا فقط بعض الفرضيات، وقمنا ببعض التقريبات لاعتقادنا، فقط، أن مسيرة عبد الناصر العائلية ـ الاجتماعية، النادرة نسبياً، كوّنت لديه أرضية خصبة تصلح، إذا ما تفاعلت مع عوامل أخرى، لبروز وعي قومي وحدوي مصري وعربي.

وبالفعل فإن هناك عوامل عديدة إجتماعية وسياسية عملت في تكوين هذه الأرضية. فقد ساهمت التحولات الهامة التي عرفتها مصر والبلدان العربية المجاورة، في النصف الأول من القرن العشرين، في تسييس عبد الناصر. وعمّق وعيه مشاركته منذ الصغر، في نضالات شعبه والشعوب المجاورة، ضد الاستعمار البريطاني ـ الفرنسي. كما ساهمت قراءاته ودروسه في المدرسة الثانوية وفي الكلية العسكرية، في تعميق وعيه القومي وفي رفعه إلى مستوى علمي. كما تأثر عبد الناصر في تلك الفترة بشخصيات سياسية وفكرية. وفيما يلي تحليل وتفصيل لمدى تأثير كل هذه العوامل في تكوّن وعي عبد الناصر القومي. نعتمد لاجرائها مصدرين: سِيَر حياة عبد الناصر، وسيرته الذاتية التي جمعناها من خطبه وكتاباته ومن المقابلات التي أجريت معه. ولسوف يكون اعتمادنا لهذا المصدر الثاني أكثر، لكونه أقل استعمالاً من الأول وأقرب إلى الحقيقة.

ثالثاً: التفاعل مع الاحداث السياسية الهامة الوطنية والقومية والنضال السياسي

سنميّز، هنا، بين فترتين هامتين في حياة عبد الناصر قبل ١٩٥٢: الفترة الأولى تمتد بين ١٩٢٥ و١٩٣٦، حيث تابع دراسته الابتدائية والثانوية في القاهرة

والاسكندرية. والفترة الثانية تمتد بين ١٩٣٧ و٢ ١٩ حيث دخل الكلية الحربية ثم مارس المهنة العسكرية (تعليم عسكري، نشاط سياسي وعسكري).

ألف - المرحلة المدرسية: ١٩٢٥ إلى ١٩٣٦

يؤرخ عبد الناصر بدايات «وعيه العربي»(١٤) بدءاً بالمظاهرات التي كان يشارك فيها كل عام مع رفاقه، للاحتجاج على وعد بلفور، كما جاء في كتاب «فلسفة الثورة»:

«وأنا أذكر فيما يتعلق بنفسي إن طلائع الوعي العربي بدأت تتسلل إلى تفكيري وأنا طالب في المدرسة الثانوية أخرج مع زملائي في إضراب عام في الثاني من شهر نوفمبر من كل سنة إحتجاجاً على وعد بلفور الذي منحته بريطانيا لليهود ومنحتهم به وطناً قومياً في فلسطين، اغتصبته ظلماً من أصحابه الشرعيين»(١٥).

وقد ذكر عبد الناصر فيما بعد (١٩٥٨ و١٩٦٣) نضالات الثلاثينات من أجل استقلال سوريا ولبنان، والانتفاضات في فلسطين ضد الاحتلال البريطاني والاستعمار الصهيوني (١٩٢٩ و١٩٣٦)، كما ذكر الأحداث السياسية التي هزّت المنطقة في فترة ما بين الحربين، معتبراً أن تلك الأحداث أيقظت، في ذلك الحين شعوره بالوحدة العربية:

«دي الوحدة العربية اللي طلعنا عليها واحنا صغيّرين وكانت مداركنا محدودة وبنمشي في الشوارع ونقول تحيا الوحدة العربية يسقط وعد بلفور، تسقط فرنسا أيام ما كانوا بيضربوا دمشق وبيضربوا بيروت وايام ما كانوا بيضربوا سوريا وبيضربوا لبنان كنا لسّه في المدارس الثانوي أو في الابتدائي بنطلع ونقول تحيا الوحدة العربية تسقط فرنسا الباغية، تسقط بريطانيا أيام الثورات اللي كانت بتحصل في فلسطين»(١٦)

«الناس اللي بيقولوا ان الشعب المصري مش عربي وإن عروبته كانت مفقودة، أنا بافتكر في سنة واحنا في ثانوي لما كان بيحصل حاجة في دمشق أو في بيروت، كانت المدارس تطلع في مظاهرات، وتهتف بالوحدة العربية بحياة العرب»(١٧)

وفي الفترة نفسها، كان عبد الناصر يشارك في النضال من أجل استقلال مصر،

---

(١٤) هذه العبارة استعملها عبد الناصر نفسه.

(١٥) جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة (القاهرة: وزارة الاعلام، ١٩٥٣)، ص ٤٢.

(١٦) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٤٧.

(١٧) «خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو، القاهرة ٢٢ /٧ / ١٩٦٣»، الوثائق العربية ١٩٦٣ (بيروت: الجامعة الاميركية في بيروت، دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة، [د. ت.])، ص ٥٩٥، حيث أعلن الانسحاب من الوحدة الثلاثية.

وقاد بنفسه عدداً من المظاهرات الطلابية في ١٩٣٥ من أجل عودة دستور ١٩٢٣، لتدعيم الوحدة الوطنية المتهاوية ومن أجل استقلال مصر:

«الفوران الذي عشت فيه أيام كنت طالباً أمشي مع المظاهرات الهاتفة بعودة دستور ١٩٢٣ وقد عاد الدستور بالفعل في سنة ١٩٣٥... وأيام كنت أسعى مع وفود الطلبة، الى بيوت الزعماء نطلب منهم أن يتّحدوا من اجل مصر، وتألّفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على أثر هذه الجهود»[18]

«وفي تلك الأيام قدت مظاهرات في مدرسة النهضة وصرخت من أعماقي بطلب الاستقلال التام، وصرخ ورائي كثيرون...»[19]

وهكذا يمكننا أن نستنتج أنه في الوقت الذي كان فيه الشاب عبد الناصر يشارك في حركات التضامن مع الشعوب العربية المجاورة: سوريا ولبنان وفلسطين من أجل الاستقلال، كان أيضاً يناضل بحماس شديد من أجل استقلال مصر. ومنذ ذلك الحين إندمجت وطنيته المصرية بشكل عضوي باندفاعه التضامني تجاه الشعوب العربية المجاورة في حركة واحدة من أجل الاستقلال القومي.

ولا يبدو أن اشتراك عبد الناصر في التنظيمات السياسية كان يحتل جزءاً هاماً من حياته النضالية[20]. فهو لا يذكر هذه الناحية إلا نادراً. ففي ١٩٣٣ إنتسب، ولبضعة أشهر، إلى جمعية «مصر الفتاة» التي كانت يومها شبه سرّية[21] وكما ذكرنا فإنها كانت أول منظمة سياسية تدعو، بالاضافة إلى استقلال مصر الكامل، إلى التضامن مع الشعوب العربية. ولكنها لم تكن قد طرحت بعد التضامن العربي بمعنى الوحدة وإنما بمعنى التحالف. ولحين انتساب عبد الناصر إليها، (١٩٣٣)، لم تدع إلى «وحدة الأمة العربية» كما فعلت فيما بعد (١٩٣٩).

وشارك عبد الناصر أفراد شبيبة «الوفد» في نشاطاتهم، لكنه لم ينتسب إلى

---

(١٨) عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٢٣.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢٠) يخالف فاتيكيوتيس هذا الرأي تماما ويشدد على اهمية تأثير جمعية «مصر الفتاة» على عبد الناصر، فيذهب الى معادلته بتأثير الجيش على عبد الناصر. أنظر:
Vatikiotis, Nasserand His Generation, pp.49-50 and 58.

(٢١) أنظر: «خطاب الى المثقفين بجامعة القاهرة لشرح بيان ٣٠ مارس، ٢٥ ابريل ١٩٦٨»، «وثائق عبد الناصر: خطب، أحاديث، تصريحات، يناير ١٩٦٧ - ديسمبر ١٩٦٨» (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ١٩٧٣)، ص ٤٣٣، حيث يفسر عبد الناصر كيف تعرّف على جمعية «مصر الفتاة» في ١٩٣٣ وباشر يومها نشاطه السياسي.

«الوفد» بسبب سياسة قادته المترددة تجاه الاحتلال البريطاني في الثلاثينات، وعلى العموم فقد نفّره ضعف المنظمات السياسية المصرية، فلم يقتنع بقدرتها على تحقيق الهدف الأساسي: طرد المحتل وتحرير مصر. فقد كتب إلى صديق له، بهذا المعنى في الثاني من أيلول / سبتمبر ١٩٣٥ يقول: «أين تلك القوة التي نستعد بها لهم؟!»[٢٢]

ومن أجل الحصول على أداة سياسية فعّالة، إنتسب عبد الناصر إلى الجيش في عام ١٩٣٧، بعد أن سمحت معاهدة ١٩٣٦ للشبّان من أصل شعبي أن يلتحقوا كضباط به، بعد أن كان الانتساب إلى الجيش حكراً على أبناء الأرستقراطية المالية.

باء ـ المرحلة العسكرية الدراسية والمهنية ١٩٣٧ ـ ١٩٥٢

بدخول عبد الناصر إلى الجيش تعمّق وعيه القومي باكتساب ثقافة علمية، عسكرية واستراتيجية عن طريق الدراسات والقراءات التي أجراها. وقد سمح له الجهاز العسكري بمتابعة نشاطه السياسي باتجاه توفير الأداة التي ستسمح له فيما بعد بالاستيلاء على السلطة وتحقيق استقلال مصر. كما استطاع بواسطة الجيش، أن يساعد الشعب الفلسطيني في كفاحه ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني، ثم أن يشارك مباشرة في حرب فلسطين عام ١٩٤٨. فزاد ذلك من تبلور وعيه العربي. وكان للقضية الفلسطينية أثر كبير في تبلور هذا الوعي، سنفصله فيما يلي، تاركين تأثير القراءات والدراسات في الكلية العسكرية إلى الجزء الرابع من هذا الفصل.

عندما انفجر الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٧، كان عبد الناصر يعلّم في الكلية العسكرية حملات «اللنبي» على مصر[٢٣]. ففهم، فوراً، الخطر الاستراتيجي الذي سينتج عن ضياع فلسطين إن بالنسبة لمصر أو بالنسبة للشعب الفلسطيني. وأدرك عبد الناصر أيضاً الترابط العضوي بين التضامن العربي والوطنية المصرية، ليس على نطاق المشاعر فحسب، وإنما على نطاق المصالح الاستراتيجية. وقد عبر عن هذا الترابط في فلسفة الثورة قائلا:

«ولما بدأت أزمة فلسطين كنت مقتنعاً في أعماقي بأن القتال في فلسطين ليس قتالاً في أرض غريبة، و هو ليس انسياقاً وراء عاطفة، وإنما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس (...) وأذكر يوماً

---

(٢٢) عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ١١٠.

(٢٣) فؤاد مطر، بصراحة عن عبد الناصر، مقابلة مع محمد حسنين هيكل (بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥)، ص ٩٨ ـ ٩٩.

عقب صدور قرار تقسيم فلسطين في شهر سبتمبر سنة ١٩٤٧ عقد فيه الضباط الأحرار اجتماعاً واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة في فلسطين. وذهبت في اليوم التالي أطرق باب الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين (...) وعدت إليه بعد أيام وكان رده ـ الرد الذي حصل عليه من الحكومة ـ هو الرفض! ولم نسكت...»[٢٤].

وساهم الضباط الأحرار في تدريب الشباب الفلسطيني على الكفاح المسلح، وعندما قرّرت الأقطار العربية المجاورة لفلسطين العمل على منع قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، تأخرت الحكومة المصرية في اتخاذ قرار فقرر «الضباط الأحرار» أن يتصرفوا بمفردهم، وأرسلوا أحد أعضائهم حسن إبراهيم، إلى دمشق للاتصال بالضباط السوريين التابعين لفوزي القاوقجي قائد «قوات التحرير العربية». «ووضع حسن ابراهيم وعبد اللطيف البغدادي خطة جريئة»: إذ قررا أن يرسلا سلاح الطيران المصري لمساعدة «قوات التحرير العربية» بضرب مركّز فوق ميدان عملياتها[٢٥].

لقد ساهم عبد الناصر في تدريب وتأطير المتطوعين الفلسطينيين وفي التنسيق العسكري مع الضباط السوريين. ومع هذا فإنه لم يكتشف وحدة المنطقة العربية الاستراتيجية، ومصالح الشعوب العربية المشتركة، بشكل ملموس، إلا عندما اشترك مباشرة في حرب فلسطين وعاش محاصراً في «الفالوغا» هزيمة الجيوش العربية:

«هذه قوات إخواننا في السلاح وفي الوطن الكبير وفي المصلحة المشتركة وفي الدافع الذي جعلنا نهرول إلى أرض فلسطين. هذه جيوش إخواننا .. جيشاً جيشاً.. كلها أيضاً محاصرة بفعل الظروف التي كانت تحيط بها والتي كانت تحيط بحكوماتها (...) وكانت شعوبنا جميعاً تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة أخفت عنها عمداً حقيقة ما يجري وضللتها حتى عن وجودها نفسه»[٢٦].

«ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك في فلسطين وعدت إلى الوطن،كانت المنطقة كلها في تصوري قد أصبحت كلاً واحداً. وأيّدت الحوادث التي جرت فيها بعد هذا الاعتقاد في نفسي (...) كان الحادث يقع في القاهرة، فيقع مثيل له في دمشق غداً، وفي بيروت وفي عمّان وفي بغداد، وغيرها. وكان ذلك كله طبيعياً مع الصورة التي رسمتها التجارب في نفسي. منطقة واحدة، ونفس الظروف، ونفس العوامل .. بل نفس القوى المتألبة عليها جميعاً. وكان واضحاً إن الاستعمار أبرزُ هذه القوى»[٢٧].

---

(٢٤) عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٤٣.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٤٧.

رابعاً: تأثير قراءات عبد الناصر وبعض الشخصيات السياسية التاريخية على تبلور وعيه القومي

ألف ـ قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢

إن المعلومات الوحيدة المتوفرة حول قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢ هي المعلومات التي جمّعها الكاتب السويسري ـ الفرنسي ج. فوشيه G.Vaucher[٢٨]، وهي تحتوي على الكتب التي قرأها عبد الناصر عندما كان تلميذاً في ثانوية النهضة في القاهرة عامي ١٩٣٥ و١٩٣٦، وعلى الكتب التي استعارها من مكتبة الكلية العسكرية حين كان يُدرّس فيها عامي ١٩٣٧ و١٩٣٨، وفيما بعد عندما اختير ليعلّم فيها من ١٩٤٣ إلى ١٩٥٢. والجدير بالذكر هو أن هذه الجردة لقراءات عبد الناصر التي قام بها فوشيه لا تعطي أية معلومات عن قراءات عبد الناصر بين ١٩٣٨ و١٩٤٣ وهي الفترة التي أمضى خلالها خدمة عسكرية لمدة ٣ سنوات في السودان. كما أنها لا تلتفت إلى قراءاته خارج المدرسة والكلية العسكرية والتي تشمل الكتب والمجلات والجرائد العربية التي حصل عليها من خارج مكتبتي المدرسة الثانوية والكلية الحربية. ولقد اهتدى الكثيرون من الكتاب والباحثين بقائمة فوشيه لقراءات عبد الناصر (الجدول رقم (٧) وعلقوا عليها[٢٩]. ولن نعود إليها نحن في بحثنا إلا للتساؤ ل عما إذا كانت تلك القراءات في هذه الفترة تلقي ضوءاً إضافياً على نوعية اهتمام عبد الناصر بمصر وبالمنطقة العربية ؟.

يؤكد عبد الناصر بنفسه أثر تلك القراءات في وعيه القومي فيقول: «ثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيري حول هذا الموضوع (الوعي العربي) لما أصبحت طالباً في الكلية الحربية أدرس تاريخ حملات فلسطين بصفة خاصة وأدرس بصفةعامة تاريخ المنطقة وظروفها التي جعلت منها في القرن الأخير فريسة سهلة (. . .) ثم بدأ الفهم يتضح وتتكشف الأعمدة التي تتركّز عليها حقائقه لما بدأت أدرس وأنا طالب في كلية أركان الحرب حملة فلسطين ومشاكل البحر المتوسط بالتفصيل»[٣٠]

نقدّم فيما يلي تصنيفاً لقراءات عبد الناصر المعروفة في مدرسة النهضة وفي الكلية

---

(٢٨) G.Vaucher, **Gamal Abdel Nasser et son équipe** (Paris: Julliard,1959) vol.1,pp.101-103.

(٢٩) أنظر: Abdel Malek, **Egypte,société militaire**,pp.204-206.

(٣٠) P.Mansfield, **Nasser's Egypt** (London:Penguin Books,1969),p.38.

جدول رقم (٧)

قراءات عبد الناصر من مكتبة ثانوية النهضة ومكتبة الكلية الحربية

الموضوع	المجال الجغرافي			
	العالمي	الإقليمي		المصري
		العربي والإسلامي	البحر المتوسط	
إصلاحي ديني		ـ المدافعون عن الإسلام ـ مقدمة ـ مصطفى كامل (ث) المسلمون الأكثر شهرة (ث) ـ أحمد أمين ، الأفغاني ومحمد عبده (ث) .		علي الغاياتي ، وطنيق (ث) .
تاريخي	_Dikens, Atale of Two Cities _Belloc, The French Revolution _Rousseau, Voltaire, Bonaparte (٤ أجزاء)	– History of Palestine and Syria		عبد الرحمن الرافعي ، تاريخ الثورة المصرية (٣ أجزاء)
استراتيجي عسكري	ـ كتب نظرية : Clausewitz, Liddle Hart, Fuller, Lindsel ـ المنشورات البريطانية حول الاستراتيجية العسكرية . - «Geographical Magazine».	–Liddel Hart, Lawrence in Arabia. _Mesopotamia campaign, 1914-18. Official British Sources. _Wavel. Palestine Campaign –Evans, A Brief Outline of the Campaign of Mesopotamia	Mediterranean Assignments	–Wavel, Allenby in Egypt. _Arnold Wilson, Suez Campaign _ Brief Record of the Advance of the Egyptian Expeditionary Forces, 1914-1918. Official British Sources. _Campaign of 1882 in Egypt Official British Sources.

-Strategy of the Egypt and Palestine campaign, 1917. Official British Sources.	-E Morroe, Mediterranean Politics. -Gordon, Mediterranea Problems -Corbet, England in The Mediterranea (2 vol.)	-Strategy of the Egypt and Palestine Campaign. 1977. Official British Sources. -Military Operations (Egypt and Palestine). Official British Sources.,		
-Elgood, Egypt and the Army -Chiroll, Egyptian Problems -Calvin, Making of Modern Egypt. -Egyptian Soudan 1908 A. Sieg fried , Suez and Panama.		- الكواكبي ، طبائع الإستبداد . - الكواكبي ، أم القرى (ث) - شكيب أرسلان : مقالاته حول الشرق نشرت في « الأخبار » واللواء (ث) .	- المعجزة اليابانية (٣ أجزاء) . - مجلة « تايمز » «Times»	سياسي
سيرة حياة مصطفى كامل (ث) Armstrong, Grey Wolf (ث)		- سيرة حياة كمال أتاتورك -Graves B., Lawrence and the Arabs. -Liddle Hart, Lawrence in Arabia	- حياة روسو وفولتير (ث) - سيرة حياة بونابارت (٤ أجزاء) - سيرة حياة بسمارك فوش ، غاريبلدي ، غوردن ، مارلبورو ، تشرشل، هندنبورغ ،	سير حياة شخصيات تاريخية
-Elgood, Transit of Egypt.		-Bonné, Economic Development of the Middle East		إقتصادي
توفيق الحكيم ، عودة الروح (ث) توفيق الحكيم ، أهل الكهف (ث) . شعر أ. شوقي وحافظ إبراهيم (ث)			-Hugo, The Miserables (ث) -Dikens, Atale of Two Cities (ث)	أدبي

الحربية حسب موضوع القراءة، والمجال الجغرافي الاقليمي الذي شملته: (ونشير بحرف (ث) إلى قراءات عبد الناصر في المدرسة الثانوية: ١٩٣٥ و١٩٣٦).

إن جزئية هذه القائمة ، كونها لا تحصي إلا قراءات عبد الناصر المسجلة في مكتبتي المدرسة الثانوية والكلية الحربية ، لا تسمح لنا إلا بإبداء بعض الملاحظات الأولية حول التأثيرات الفكرية الناتجة عن قراءاته :

أولاً ، لا شك أنه يمكن الاعتبار أن عبد الناصر كوّن لنفسه ، من خلال قراءاته ، ركيزة ثقافية وعلمية متينة في الفترة الممتدة بين ١٩٣٦ و١٩٤٦ ، ذلك أن هذه القائمة على جزئيتها ، تحصي حوالي ٧٥ كتاباً ذي قيمة علمية اطلع عليها ، مما يدحض بشكل قاطع مزاعم بعض المستشرقين أمثال فاتيكيوتيس الذين صوّروه كقائد « عديم الثقافة »[٣١] .

تتوزّع قراءات عبد الناصر المعروفة في تلك الفترة بشكل متساوٍ بين مواضيع متعلقة بمصر ومواضيع متعلقة بمنطقة الشرق الأوسط ومواضيع متعلقة بالعالم الخارجي .

نلاحظ فيما يختص بقراءاته المتعلقة بالمنطقة أن المواضيع الخاصة بالمشرق العربي تحتلّ بالطبع أكبر مكان ، معظمها دراسات في التاريخ السياسي والاستراتيجية العسكرية في الفترة الحديثة والاستعمارية ، في حين ان الدراسات الاقتصادية قليلة جداً ، لم يُذكرَ إلاّ كتاب واحد لـ « بونّيه » (Bonné) عن « النمو الاقتصادي في الشرق الأوسط » . إن العدد المحدود للكتب الخاصة بروّاد القومية العربية (كتابان . الأول لعبد الرحمن الكواكبي ، وبعض المقالات للأمير شكيب أرسلان) لا تعني أن عبد الناصر لم يهتم بهذا الموضوع في تلك الفترة . ولكن من المعروف ان معظم المقالات والكتب حول العروبة ، والمناقشات حول الموضوع في الصحافة المصرية صدرت بعد ١٩٣٦ ، ولا نعتقد أن مكتبة الكلية الحربية كانت المكان الأمثل للاطلاع عليها . لا شك ان كتب الكواكبي وكتب المصلحين المسلمين أمثال محمد عبدُه وجمال الدين الأفغاني ، التي اطلع عليها عبد الناصر في المرحلة الثانوية ، ساعدته على الانتقال من الأيديولوجية الدينية الإصلاحية إلى الأيديولوجية القومية العربية[٣٢] .

---

(٣١) Vatikiotis,Nasser and His Generation,pp.342.

(٣٢) انظر ما جاء في : السيد يسين ، تحليل مضمون الفكر القومي (دراسة استطلاعية) (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٠) ، ص ٤٨ ، حول مفهوم القومية العربية لدى الكواكبي .

أما فيما يتعلق بمصر ، فتشير قراءات عبد الناصر هذه إلى أنه اهتم أكثر بالفترة الاستعمارية وبثورة ١٩١٩ من أجل الاستقلال .

وأخيراً على الصعيد الدولي ، تشير القائمة إلى أنه اطلع على ثلاث تجارب ناجحة من الثورات الوطنية الحديثة : « المعجزة اليابانية » في آسيا ، واليابان هو البلد الآسيوي الوحيد الذي نجح في التنمية الصناعية وحقق نمواً إقتصادياً هائلاً ، بعيداً عن السيطرة الاستعمارية الغربية . في الشرق الأوسط لفتت انتباهه الحركة القومية التركية التي أنجزت بقيادة مصطفى كمال أتاتورك ثورة وطنية حديثة وعلمانية . في أوروبا اطلع عبد الناصر على تاريخ الثورة الفرنسية في ١٧٨٩ . لقد أثارت هذه الثورة الوطنية « البرجوازية » اهتمامه وهو لم يزل طالباً في الثانوي .

وبما أننا لا نملك معلومات شاملة عن كل قراءات عبد الناصر قبل ١٩٥٢ ، خاصة قراءاته باللغة العربية . لا نستطيع أن نقدّم استنتاجات نهائية حول التيارات الفكرية التي أثّرت على وعيه السياسي والقومي قبل ١٩٥٢ . ولإلقاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع ، إنما نبدي فيما يلي بعض الملاحظات حول الشخصيات التاريخية التي اهتم بها عبد الناصر ، سواء من خلال قراءاته أو من خلال معرفته الشخصية لهم .

باء - الشخصيات التاريخية التي أثارت إهتمام عبد الناصر

إن قائمة ج . فوشيه بقراءات عبد الناصر المعروفة قبل ١٩٥٢ ، تشير إلى أن عبد الناصر اهتم كثيراً بمعرفة سير حياة الشخصيات التاريخية الكبيرة ، ولاسيما تلك الشخصيات التي كان لها دور كبير في بناء وحدة ومجد أممهم ، أمثال بسمارك وغاريبالدي ، ومصطفى كمال أتاتورك الذين كافحوا : أولهم من أجل الوحدة الألمانية ، وثانيهم من أجل الوحدة الإيطالية والثالث من أجل تكوين الأمة التركية الحديثة . وعلى المستوى المصري الداخلي اهتم عبد الناصر بمعرفة سيرة حياة مصطفى كامل الذي ناضل من أجل استقلال مصر ووحدتها الوطنية .

واطلع عبد الناصر في الميدان العسكري والاستراتيجي ، على فكر كبار المنظّرين في الاستراتيجية العسكرية أمثال كلاوز فيتس وليدل هارت وفوللر ولندسل ، وعلى تجربة كبار قادة الفن العسكري الحديث أمثال بونابرت أو بسمارك وفوش وهندنبورغ وتشرشل وغوردن وغيرهم .

عندما سأل سولز برغر مندوب « النيويورك تايمس » عبد الناصر في ١٩٦٩ ، إذا كان هناك شخصية معاصرة تأثّر بها ، أجابه : « أعتقد أن أكثرهم تأثيراً عليّ ، كان الفريق عزيز المصري . لقد أُعجبت به عندما كنت ضابطاً صغيراً ، فلقد كافح في سبيل الاستقلال وأصرّ عليه . ولقد التقيت به مرّات عديدة قبل الثورة وبعدها واستمرّت لقاءاتنا تتكرر حتى وفاته »[٣٣] .

والجدير بالذكر أن عزيز علي المصري علّم في الكلية الحربية في عامي ١٩٣٧ و١٩٣٨ ، في الوقت الذي كان عبد الناصر يتلقى دروسه هناك . ومن المعلوم أيضاً عن المصري أنه أسهم في إنشاء التنظيمات السرية التي جمعت الضباط العرب في الجيش التركي : « الجمعية القحطانية » و« العهد » ، كما أنه أسهم بعد الحرب العالمية الثانية بإنشاء أولى التنظيمات التي اهتمت بالقضية العربية في مصرمثل « الجمعية الثورية العربية » و« الرابطة الشرقية » (١٩٢١) .

في نهاية هذا الفصل ، وبعد دراسة تأثير العوامل الاجتماعية العائلية والسياسية ، والثقافية التي كوّنت تدريجياً وعي عبد الناصر العربي ، نستطيع أن نؤكد وخلافاً للرأي السائد في معظم الكتابات حول الناصرية ، أن الوعي القومي العربي لم يظهر فجأة من لا شيء لدى عبد الناصر في ١٩٥٣ أو في ١٩٥٦ بعد تأميم قناة السويس أو بعد اطلاعه على الكتابات البعثية[٣٤] ، إنما تبلور تدريجياً في مرحلة الدراسة الثانوية والدراسة العسكرية في الكلية الحربية ثم أثناء ممارسته للمهنة العسكرية والتعليم في الكلية الحربية بين ١٩٣٢ و١٩٥٢ . لقد وعى عبد الناصر العروبة تدريجياً . أولاً ، من خلال مشاركته في حركات التضامن مع نضالات الشعوب العربية المجاورة من أجل الاستقلال ، ثم بدراسة تاريخ الشرق الأوسط الحديث وتداخله مع تاريخ مصر الحديث ، وأخيراً باكتشافه الشخصي أثناء حرب فلسطين ، لوحدة المنطقة العربية الاستراتيجية وللتضامن العميق الذي يشدّ شعوبها بعضاً لبعض . لا شك أن هذا المسار الطويل تكوّن على أرضية خصبة هي حياة عبد الناصر الاجتماعية العائلية التي تميزت بدرجة كافية من الانخلاع عن البيئة المحلية والعائلية الضيقة والتحرر من البنى الاجتماعية التقليدية الخانقة ، وهي الشروط

---

(٣٣) « حديث مع سولز برغر رئيس تحرير النيويورك تايمز في ٢٦ فبراير ١٩٦٩ ، » وثائق عبد الناصر : خطب ، أحاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٩ـ سبتمبر ١٩٧٠(القاهرة :مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣) ، ص ٧١ .

(٣٤) أنظر : G.Silberman,«National Identity in Nasserist Ideology,1952-1970, **Asian and African Studies** (jerusalem),vol.8,no.1 (1972),p.62.

الضرورية لتكوّن الوعي القومي الحديث . مما سمح له بالتكوّن كشخصية مفردة وفريدة انغرست كلياً في المجال الوطني والقومي ، والتزمت تحريره وبناءه وتوحيده .

وحول تكوّن الوعي القومي العربي لدى عبد الناصر قبل ١٩٥٢ نتقدم بالاستخلاصات التالية :

أولاً : هناك تطابق أو توافق بين نشوء تيار (عربي أو عروبي) داخل الحركة الوطنية المصرية ، وتكوّن الوعي العربي لدى عبد الناصر وكلا الظاهرتين تبلورتا في الثلاثينات .

ثانياً : لم يتكوّن الوعي العربي لدى عبد الناصر عبر تنظيم سياسي محدد . فعلى الرغم من كونه قد التحق بضعة شهور في جمعية « مصر الفتاة » وناضل مع الشباب الوفدي ، فإنه لم يتأثر بهذه التنظيمات الخاصة بقدر ما تأثر بمجمل حركة التحرر الوطنية والقومية في مصر والبلدان العربية المجاورة .

ثالثاً : تابع عبد الناصر ، عندما دخل المؤسسة العسكرية ، مشاركته في الحركة الوطنية من أجل الاستقلال بتعميق معرفته بآلية السيطرة الاستعمارية على مصر والمشرق العربي عبر قراءاته في الكلية الحربية ، وعبر مشاركته كمناضل وضابط في الجيش المصري في حرب فلسطين إلى جانب الجيوش العربية الأخرى .

إذاً لم يكن للبعد العربي لوعي عبد الناصر القومي في درجة الصفر عشية ثورة يوليو / تموز ١٩٥٢ . إنما كان هذا الوعي كامناً وفي حالة « اللامنطوق » (non - dit) ولم يعلن عنه عبد الناصر عبر الكلام والكتابة إلا انطلاقاً من ١٩٥٣ في « فلسفة الثورة » ثم في خطبه حيث بدأ يبلوره ويفصّله . وسوف نحلل هذه الخطب والكتابات بهدف استخلاص بنية وآلية التصور القومي العربي لدى عبد الناصر .

الفَصلُ الثالث

المفرداتُ القوميَّة في الخطابِ الناصِري

أحصينا ، لأغراض الدراسة ، مجموعة المفردات القومية في الخطاب الناصري بشقيها القومي العربي والوطني المصري . تمّ إحصاء المفردات القومية العربية بالمعنى الواسع للكلمة أي كل المفردات المقرونة بالصفة « عربي (ـة) » ، في حين أنه لم تُحصَ من المفردات المتعلقة بالمجال الوطني المصري إلاّ المفردات الأساسية التي أفادت البحث من حيث مقارنتها بالمفردات القومية العربية .

أجرينا أولاً إحصاءاً تزامنياً للمفردات ، أي بغضّ النظر عن تاريخ ورودها في الخطاب الناصري[1] . وتمّ بعد ذلك تصنيفها حسب الموضوع ، ثم مقارنة المفردات القومية العربية بالمفردات الوطنية المصرية .

قمنا ثانياً بعملية تصنيف تعاقبي لهذه المفردات ، آخذين بعين الاعتبار تاريخ ورودها في الخطاب الناصري بين ١٩٥٢ و١٩٧٠ .

وتمّ أخيراً تحديد المفاهيم القومية العربية المركزية في الخطاب الناصري بغية تحليلها تحليلاً مفصلاً في الفصول ٤ و٥ و٦ القادمة .

أولاً : احصاء تزامني للمفردات القومية في الخطاب الناصري

تمّ تصنيف المفردات القومية المحصاة في الخطب الخمس والعشرين (١٨ وحدة

---

(١) إستعملنا عبارة « الخطاب الناصري » بمعنى مجموعة الخطب والبيانات والكلمات والكتابات المكونة للعينة .

خطابية) المكوّنة للعينة ضمن فئتين رئيسيتين عامتين ، تتعلق أولاهما بالوجود القومي ، فتشمل من ناحية المفردات المشيرة إلى كيانات قومية جغرافية اجتماعية وسياسية ، وتشمل من ناحية أخرى المفردات الخاصة بالهوية القومية . وتتعلق الفئة الثانية بالتحرك القومي الوحدوي والثوري فتشمل من ناحية المفردات المتعلقة بالعمل القومي وتلك المتعلّقة بالأهداف القومية وتلك المتعلقة بالحركات القومية .

فتوصّلنا إلى التوزيع التالي :

ألف ـ بعض الملاحظات حول توزيع المفردات القومية العربية

يتبين من الجدول رقم (٨ ـ أ) أن المفردات القومية العربية تتوزّع في الخطاب الناصري بشكل شبه متساو بين فئة خاصة بالوجود القومي ، كياناً وهوية ، وفئة أخرى خاصة بالتحرك القومي ، عملاً وأهدافاً وقوى وحركات .

إن المفردات الأكثر تنوعاً وعدداً هي المفردات المشيرة إلى الكيان القومي : جغرافية ـ مكانية كـ « المنطقة العربية » و« الأرض العربية » و« الوطن العربي » ، جماعية ـ بشرية « كالأمة العربية » و« الشعب العربي » و« الشعوب العربية » و« العرب » و« الجماهير العربية » و« الإنسان العربي » و« المجتمع القومي » . ولا تشمل هذه الفئة إلّا كياناً سياسياً واحداً هو « دولة الوحدة » لم يظهر في الخطاب الناصري إلا في المرحلة الثانية (١٩٥٨) ، وتعود ندرة المفردات المشيرة إلى مؤسسات قومية في الخطاب الناصري إلى عدم قيام هذه المؤسسات فعلاً على أرض الواقع القومي ، إلّا في مرحلة الوحدة المصرية السورية (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) .

إن القوة السلبية الوحيدة في فئة القوى والحركات القومية هي « الرجعية العربية » التي لم تظهر في الخطاب الناصري إلا في المرحلة الخامسة (١٩٦٦ ـ ١٩٦٧) . ذلك أن الاستعمال المفضّل في المراحل الأخرى كان « أعوان الاستعمار » . والجدير بالملاحظة أن القوى القومية الأخرى تتسم بالايجابية ، وهي محددة بأغلبها تحديداً سياسياً عاماً (« قومية » ، « ثورية » ، « تقدميّة » « وحدوية ») . وغاب عن معظمها التحديد الاجتماعي أو الاقتصادي الدقيق ، فالصفة الاجتماعية الوحيدة التي نعتت بها القوى والحركات القومية هي « الشعبي (ـة) » ، وهي صفة عامة غير محددة .

جدول رقم (٨ ـ أ) إحصاء تزامني للمفردات القومية الناصرية (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠) المفردات القومية العربية

الوجود القومي		الحركة القومية		
كيانات قومية	هوية قومية	عمل قومي	أهداف قومية	قوى وحركات قومية
جغرافية ـ مكانية				
«الدائرة العربية»	«العروبة»	«القومية العربية»	«الوحدة العربية»	«القوى الشعبية العربية»
«المنطقة العربية»	«القومية العربية»	«النضال العربي»	«وحدة الصف»	«القوى القومية العربية»
«الأرض العربية»	«شخصيتنا العربية»	«الثورة العربيه»	«وحدة الهدف»	«القوى التقدمية»
«الوطن العربي»		«العمل العربي الموحد»	«التضامن العربي»	«القوى الثورية العربية»
إجتماعية بشرية	صفة	«الوطنية العربية»	«وحدة العمل العربي»	«قوات المقاومة العربية»
			«وحدة النضال العربي»	«الرجعية العربية»
«العرب»	«قومي(ـة)»،		«وحدة القوى الثورية»	«الحركات الشعبية العربية»
«الأمة العربية»	«وحدوي(ـة)»			«الحركات القومية»
«الشعب العربي»، «الشعوب العربية»	«وطني(ـة)»			«الحركة العربية الواحدة»
«المجتمع القومي»				
«الجماهير العربية»				
«الإنسان العربي»				
سيأسية				
«دولة الوحدة»				

جدول رقم (٨-ب) المفردات الوطنية المصرية

الوجود	الوطني	الحركة	الوطنية	
الكيانات الوطنية	الهوية الوطنية	العمل الوطني	الأهداف الوطنية	قوى وحركات وطنية
جغرافية ـ مكانية « الأرض » «الوطن» **إجتماعية ـ بشرية** «الأمة» «هذه الأمة» «الشعب» «المجتمع» «الجماهير» **سياسية** «الدولة»	«المصرية» «الشخصية المصرية» **صفة** «قومي(ـة)» « وطني (ـة) »	«الكفاح الوطني» «الثورة الوطنية» «الوطنية»	«الوحدة الوطنية» «الوحدة الوطنية القومية» «وحدة قوى الشعب العاملة»	«القوى الشعبية» «قوى الشعب العاملة» «الرجعية» «الإقطاع» «الرأسمالية الوطنية»

باء ـ مقارنة المفردات القومية العربية بالمفردات الوطنية المصرية

يتضح من مقارنة جدول المفردات القومية العربية (أ) بجدول المفردات الوطنية المصرية (ب) أن :

ـ المفردات القومية العربية تبدو أكثر تنوعاً من المفردات الوطنية المصرية في الخطاب الناصري ، ولا سيما المفاهيم المصنّفة تحت فئة « الحركة القومية » .

ـ تَرِد المفردات القومية العربية في النص ضمن صيغة محددة، مقرونة بالصفة « عربي / ية » أو « قومي / ية » (« كالأرض العربية » و« الوطن العربي » و« الأمة العربية » و« المجتمع القومي ») في حين أن المفردات الوطنية المصرية ترد في النص ضمن صيغة مزدوجة : صيغة محددة بصفة « وطني / ية » وهي الصيغة الغالبة للمفردات المشيرة إلى الحركة الوطنية (كـ« الثورة الوطنية » و« الكفاح الوطني » و« الوحدة الوطنية ») ، وصيغة أخرى مفتوحة غير محددة ، وهي الصيغة الغالبة بالنسبة للمفردات المشيرة إلى كيانات وطنية (قطرية) كـ« الأرض » و« الأمة » و« الوطن » و« الشعب » و« المجتمع » و« الجماهير » ، كأنما هي تشير تلقائياً إلى مصر ، دون حاجة لأي صفة إضافية تحددها ، بعكس المفردات الخاصة بالكيانات القومية العربية التي لا تظهر إلا مقرونة بصفة « عربي / ية » أو « قومي / ية » وإلاّ وقعت تلقائياً في المجال الوطني المصري .

نستنتج من هذا التباين النسبي أن المفردات الوطنية المصرية المشيرة إلى كيانات وطنية « كالأمة » و« الوطن » و« الأرض » و« الشعب » الخ . . هي المفردات الأولى أو الأساس في الخطاب الناصري ، بمعنى أنها المفردات ـ المصدر التي انبثقت عنها المفردات القومية المشيرة إلى الكيان القومي العربي مثل « الأمة العربية » و« الوطن العربي » و« الشعب العربي » و« المجتمع القومي » و« الجماهير العربية » .

ويمكن تتبّع هذا الانبثاق في الخطاب الناصري نفسه . فمفهوم « الأمة العربية » مثلاً لم يظهر في الخطاب الناصري إلاّ في ١٩٥٦ ، في حين أن مفهوم « الأمة » مشيراً إلى مصر سبقه وورد في الخطب الناصرية الأولى وفي كتابات عبد الناصر قبل ثورة ١٩٥٢ . كذلك ، لم يظهر مفهوم « الوطن العربي » في الخطاب الناصري إلاّ بعد ١٩٥٤ في حين أن مفهوم « الوطن » مشيراً إلى مصر ظهر بظهور الخطاب الناصري . كذلك لم يظهر مفهوم « الشعب العربي » إلاّ في خطب ١٩٥٨ ، في حين أن مفهوم « الشعب » المصري واكب الخطاب الناصري منذ ظهوره .

وهناك بعض المفاهيم القومية كـ « المجتمع القومي » و« الجماهير العربية » لم ترد في الخطاب الناصري إلاّ بعد ١٩٦٣ بالنسبة للمفهوم الأول ، وبعد ١٩٦٧ بالنسبة للمفهوم الثاني ، في حين أن مفهومي « المجتمع » و« الجماهير » في إطار مصري واكبا الخطاب الناصري منذ ظهوره في السنوات الأولى للثورة .

يتضح أيضاً بعد مقارنة الجدولين أن الأسماء هي نفسها في المجالين الوطني (القطري) والقومي ، وإنما الصفات المقرونة بها تختلف باختلاف المجالين الوطني والقومي وقد بينّا ذلك في القائمة التالية :

المجال الوطني (المصري)	المجال القومي العربي
الوطن	الوطن العربي
الشعب	الشعب العربي
الأمة (في المرحلة الأولى فقط)	الأمة العربية
المجتمع	المجتمع القومي
الجماهير	الجماهير العربية
الأرض	الأرض العربية
الثورة الوطنية	الثورة العربية (أو القومية)
الوحدة الوطنية	الوحدة العربية (أو القومية)
الرجعية	الرجعية العربية
القوى الشعبية	القوى الشعبية العربية
الوطنية المصرية	الوطنية العربية
المصرية	العروبة

فيما عدا مفهوم « العروبة » الذي يقابله في المجال الوطني جزئياً ولفترة قصيرة (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨) مفهوم « المصرية » ، ومفهوم « القومية العربية » الذي لا مقابل له في المجال الوطني ذلك أن عبد الناصر لم يستعمل أبداً « القومية المصرية». فيما عدا هذين المفهومين يبدو أن كل المفاهيم متلازمة في المجالين الوطني والقومي فيما يختص بالأسماء ، فالاختلاف محصور فقط في الصفات : « وطني / ية » و« مصري / ية » للإشارة إلى المجال الوطني المصري و« عربي / ية » أو« قومي / ية » للإشارة إلى

المجال العربي . كذلك هناك اختلاف فيما يختص بمفهوم « الوحدة » . هذا المفهوم له صيغ متنوعة في المجال القومي كـ « الوحدة العربية » و« وحدة الصف » و« وحدة الهدف » و« وحدة العمل العربي » و« وحدة القوى الثورية » و« وحدة النضال العربي » في حين أنه لا يظهر في المجال الوطني إلاّ ضمن استعمالي « الوحدة الوطنية » و« وحدة قوى الشعب العامل » . كما أن مفهومي « الأمة » و« قومي / ية » (الصفة) كانا قبل ١٩٥٦ موجودين في المجالين الوطني والقومي ، وأصبحا بعد ١٩٥٦ مختصين بالمجال القومي دون سواه . ويلقي التحليل التعاقبي للمفردات القومية مزيداً من الضوء على هذه التحوّلات .

ثانياً : إحصاء تعاقبي للمفردات القومية في الخطاب الناصري

نقدّم فيما يلي الترتيب التعاقبي للمفردات القومية والوطنية الناصرية حسب تاريخ ظهورها في الخطاب الناصري بين ١٩٥٢ و١٩٧٠ . تمّ تقسيم هذه المدة إلى ست مراحل تبعاً لمعايير أشرنا إليها في الفصل الأول . وقد حافظنا أثناء ترتيب المفردات على التصنيف الموضوعي المعتمد في الإحصاء التزامني . يختص الجدول رقم (٩) بترتيب المفردات القومية والجدول رقم (١٠) بترتيب المفردات الوطنية . ويشير الرقم اللاحق بكل مفردة إلى عدد صلات هذه المفردة أي عدد الكلمات المرتبطة بها في النص بعلاقة وصف أو إشتراك (عطف) أو مناقضة أو فعل أو معادلة .

ألف ـ المفردات القومية العربية حسب تاريخ ظهورها في الخطاب الناصري

ظهرت معظم المفردات الخاصة بالوجود القومي، كياناً وهوية، في الخطاب الناصري في الفترة الأولى (قبل ١٩٥٦). وقد اقتصرت المفردات في ١٩٥٣ على استعمال مفردات « العرب » و« المنطقة العربية » و« الدائرة العربية » و« الوطن الكبير» ولم تتنوع وتغتني إلا ابتداء من عام ١٩٥٤ حيث بدأ عبد الناصر يستعمل تعبير « أمة واحدة » (١٩٥٤) و« أمة متحدة » (١٩٥٥) للاشارة إلى الأمة العربية ، ومفهوم « الوطن العربي » (١٩٥٥) و« القومية العربية » (١٩٥٥) و« الوحدة العربية » (١٩٥٦) ثم « الأمة العربية » (١٩٥٦) . وعلل عبد الناصر أسباب هذا التوقيت بشكل غير مباشر في مقابلة له لصحيفة « صنداي تايمز » البريطانية[٢] إذ قال :

(٢) « مقابلة لعبد الناصر » ، صنداي تايمز ، ١ آب / اغسطس ١٩٥٤ (خارج العينة) .

جدول رقم (٩)
المفردات القومية العربية (إحصاء تعاقبي)

الوجود القومي		المرحلة الأولى: ١٩٥٢ـ ٥٧	المرحلة الثانية: ١٩٥٨ـ ٦١	المرحلة الثالثة: ١٩٦١ـ ٦٣	المرحلة الرابعة: ١٩٦٣ـ ٦٦	المرحلة الخامسة: ١٩٦٦ـ ٦٧	المرحلة السادسة: ١٩٦٧ـ ٧٠
	الكيانات القومية	جغرافية ـ مكانية: الدائرة العربية. المنطقة العربية ٣٣ الوطن العربي ١٨ الأرض العربية ١ إجتماعية بشرية: العرب ٧١ الشعب العربي/الشعوب العربية ١٢ الأمة العربية ١٩	المنطقة العربية ٥٢ الوطن العربي ٣١ العرب ٥٤ الشعب العربي / الشعوب العربية ٦٨ الأمة العربية ١٠٥ سياسية الدولة ٥٢	المنطقة العربية ١٥ الوطن العربي ٣٢ الأرض العربية ٣٠ العرب ٥ الشعب العربي ٣٣ /الشعوب العربية الأمة العربية ٢١٨ الانسان العربي ١٤	الوطن العربي ٤ الأرض العربية ١٧ العرب ٢٩ الشعب العربي ١١٢ / الشعوب العربية الأمة العربية ٦٨ المجتمع القومي ١٣ الانسان العربي ٢	الوطن العربي ١١ الأرض العربية ٤ العرب ٦ الشعب العربي ٧٢ /الشعوب العربية الأمة العربية ٤٢	الوطن العربي ٢٤ الأرض العربية ٧٤ العرب ٤٧ الشعب العربي ٦٥ / الشعوب العربية الأمة العربية ٢٥٦ ٣ ٣٧ الجماهير العربية ٥٠
	القومية	العروبة ٣٣ القومية العربية ١٠٦	العروبة القومية العربية ١١٩ قومي(ـة)	العروبة القومية العربية ٥٠ قومي (ـة) شخصيتنا العربية ٤	العروبة القومية العربية ١٧ قومي (ـة)	العروبة القومية العربية ٢٦ قومي (ـة)	العروبة القومية العربية ٢٥ قومي (ـة) وطني (ـة)

	الهوية						
الحركة القومية	العمل القومي	القومية العربية	القومية العربية الثورة العربية النضال العربي	القومية العربية الثورة العربية النضال العربي	القومية العربية الثورة العربية النضال العربي	القومية العربية الثورة العربية النضال العربي	القومية العربية الثورة العربية النضال العربي الوطنية العربية
	الأهداف القومية	الوحدة العربية ٧	الوحدة العربية ١٥٣	الوحدة العربية ٢٤٢	الوحدة العربية ٦٣	الوحدة العربيه ٩٠ وحدة النضال العربي ٣٩ وحدة القوى الثورية ٣٣ وحدة العمل العربي ٩٠	الوحدة العربية ٢٥ وحدة النضال العربي ٢ وحدة القوى الثورية وحدة العمل العربي ٣
	القوى والحركات القومية			القوى القومية القوى الشعبية العربية ٢٧ الحركات القومية العربية ١٥ الحركات الشعبية العربية الحركة العربية الواحدة ١٨		القوى الثورية العربية القوى التقدمية العربية ٣٧ الرجعية العربية ٣٧	القوى الشعبية العربية ٨ قوات المقاومة العربية ١١

ملاحظة عامه : تشير الأرقام إلى عدد الصلات المرتبطة بالمفردات في علاقة وصف أو إشتراك أو معاكسة أو فعل أو تعادل

جدول رقم (١٠)

المفردات الوطنية المصرية (إحصاء تعاقبي)

		المرحلة الأولى: ١٩٥٢ ـ ١٩٥٧	المرحلة الثانية: ١٩٥٨ ـ ٦١	المرحلة الثالثة ١٩٦١ ـ ٦٣	المرحلة الرابعة ١٩٦٣ ـ ٦٦	المرحلة الخامسة: ١٩٦٦ ـ ٦٧	المرحلة السادسة: ١٩٦٧ ـ ٧٠
الوجود الوطني	الكيانات الوطنية	الوطن ١٢٩ الشعب الأمة ٤٦ المجتمع الجماهير الدولة	الوطن ٣٨ الشعب الأمة المجتمع الجماهير الدولة	الوطن ٤٤ الشعب المجتمع الجماهير الدولة الأرض ٣٠	الوطن ٤٥ الشعب الأمة المجتمع الجماهير الدولة الأرض ٣٣	الوطن ٤٥ الشعب المجتمع الجماهير الدولة الأرض ٥	الوطن ١١٠ الشعب المجتمع الجماهير الدولة الأرض ٥٥
الحركة الوطنية	الهوية الوطنية	مصريتكم ٨ قومي(ـة) (إقتصادي وسياسي) وطني	قومي(ـة) (إقتصادي) وطني	قومي (ـة) (إقتصادي) وطني	الوطنية المصرية وطني	الوطنية المصرية وطني	الوطنية المصرية وطني
	العمل الوطني		الثورة الوطنية ٥٦			الثورة الوطنية ١٥	الثورة الوطنية ٣
	الأهداف الوطنية	الوحدة الوطنية	الوحدة الوطنية ٢٥	الوحدة الوطنية ٣٠ وحدة قوى الشعب العاملة	الوحدة الوطنية ١٨ وحدة قوى الشعب العاملة	وحدة قوى الشعب العاملة	الوحدة الوطنية ٣٤ وحدة قوى الشعب العاملة
	القوى والحركات الوطنية						

ملاحظة : لم تحص إلا المفردات التي أفادت البحث من حيث مقارنتها بالمفاهيم القومية .

«سيبدأ شعبنا بالتفكير استراتيجياً بعد توقيع المعاهدة الجديدة الخاصة بالسويس، حتى هذا التاريخ لم يفكّر إلا بمصر».

أما فيما يختص بمفاهيم «الأرض العربية» و«الانسان العربي» و«المجتمع القومي» فقد ظهرت متأخرة نسبياً في الخطاب الناصري. المفهوم الأول في ١٩٦١ والثاني في ١٩٦٢ والثالث في ١٩٦٤.

بيد أن الوضع يختلف بالنسبة للمفردات المتصلة بالحركة القومية. فإذا استثنينا مفهومي «القومية العربية» و«الوحدة العربية» اللذين ظهرا في الخطاب الناصري في المرحلة الأولى (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧)، نجد ان المفاهيم الأخرى المتعلقة بالعمل القومي والأهداف والقوى القومية لم تظهر إلاّ تدريجياً إبتداء من المرحلة الثانية (١٩٥٨) بشكل مواكب لتطوّر حركة القومية العربية على أرض الواقع. ظهرت المفردات الخاصة بالعمل القومي «كالثورة العربية» و«النضال العربي» في المرحلة الثانية، وجزء من المفردات المشيرة إلى قوى أو حركات قومية في المرحلة الثالثة (١٩٦١ ـ ١٩٦٣) ثم استكملت في المرحلة الخامسة (١٩٦٦ ـ ٦٧) وتجذرت صفاتها. أما المفردات الخاصة بالأهداف القومية، فلقد ظهرت على مرحلتين: في المرحلة الثالثة بعد فشل الوحدة المصرية ـ السورية (١٩٦١) وفي المرحلة الخامسة بعد فشل الوحدة الثلاثية (١٩٦٣) في عملية مراجعة وتأمل على أثر فشل تجربتي الوحدة.

باء ـ المفردات الوطنية المصرية حسب تاريخ ظهورها في الخطاب الناصري

إن المفردات الوطنية المصرية بعكس المفردات القومية العربية، موجودة في الخطاب الناصري منذ بوادر ثورة يوليو ١٩٥٢، وربما قبل ذلك في بعض مناشير «الضباط الأحرار». إنما طرأ على بعضها تحوّلات بسيطة: زاد استعمال مفهوم «الأرض» (أرض مصر) في المرحلة الثالثة (١٩٦١ ـ ١٩٦٣) وقد واكب هذا النمو ظهور مفهوم «الأرض العربية» في الخطاب الناصري. وحدّد عبد الناصر في المرحلة الثانية مفهوم «الثورة» في مصر «بالثورة الوطنية» مما سمح بتمييزها عن «الثورة العربية» التي ظهرت في خطبه في المرحلة نفسها. وقد برز في المرحلة الرابعة (١٩٦٣ ـ ٦٦) مفهوم «الوطنية المصرية» الذي جاء حسب اعتقادنا ليحل محل مفهوم «المصرية» (اسم) الذي غاب عن الخطاب الناصري إبتداء من المرحلة الثانية (١٩٥٨ ـ ١٩٦١). بيد

أن استعماله بقي محدوداً، ذلك أن عبد الناصر فضل استعمال مفاهيم تدعو للوحدة والتغيير مثل «الوحدة الوطنية» و«الثورة الوطنية».

جيم - إختفاء بعض المفاهيم وتحوّل البعض الآخر في الخطاب الناصري

سنتابع تحوّل ثلاث مفردات أساسية في الخطاب القومي الناصري: مفهوم «الأمة» وصفتي «قومي (ية)» و«وطني (ية»

- «الأمة»: كان مفهوم «الأمة» في الخطاب الناصري قبل ١٩٥٦ يشير في الوقت نفسه إلى كيان وطني هو مصر وكيان قومي عربي. فاستعمال «أمة» بدون صفة محددة مقرونة بها كان يشير إلى مصر، واستعمال «أمة واحدة» أو «أمة متحدة» كان يشير إلى الأمة العربية . إن عدم اقتران مفهوم «الأمة» بالصفة «مصرية» في الخطب الناصرية الأولى جعل منه مفهوماً مفتوحاً غير محصور بمصر[٣] وانطلاقاً من ١٩٥٦ تحوّل مفهوم «أمة متحدة» ليصبح «الأمة العربية»، ومنذ ذلك الحين اختفى مفهوم «الأمة» مشيراً إلى مصر من الخطاب الناصري، إذ لم يعد بالامكان وجود أمّتين، وساد استعمال «الأمة العربية» في الخطاب الناصري بشكل شبه مطلق إذ أنه ظهر في بعض الأحيان وفي حالات محدودة إستعمال «هذه الأمة» وهو استعمال ذو معنى ملتبس أشار في الوقت نفسه أو بالتوالي الى مصر والأمة العربية[٤].

- قومي (ية): تبدو هذه الصفة قريبة من حيث الدلالة من مفهوم «الأمة»، وإن كانت بعيدة عنها من حيث الاشتقاق أو الجذر. ويؤكد على هذه القرابة تشابه مسارهما في الخطاب الناصري. إقترنت الصفة «قومي (ية)» في المرحلة الأولى (قبل ١٩٥٦) بمفردات وردت في سياق مصري «كالسياسة القومية» و«التربية القومية» و«الحياة

---

(٣) يتواجد مفهوما « الأمة » مشيرا الى مصر و« أمة متحدة »مشيرا الى الامة العربية في: « خطاب بالجامع الأزهر بمناسبة عيد الثورة الثاني في ٢٣ يوليو ١٩٥٤»، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الأول : ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ١٩٥٨ (القاهرة :مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ١٧٧ .

(٤) « خطاب الرئيس عبد الناصر في القوات العائدة من اليمن ، الاسكندرية ، ١١ /٨ /١٩٦٣ ، » الوثائق العربية ١٩٦٣ (بيروت : الجامعة الاميركية في بيروت: دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة ، [د . ت .]) ، ص ٦٤٨ و٦٥١ ، جاء فيه: «أيها الجنود نذكر اخوة لكم ذهبوا من أجل المبادىء التي رفعتها هذه الأمة: . ومن أجل الرسالة الكبرى التي رفعتها الأمة العربية كلها »، و «خطاب عيد الثورة الثامن عشر في افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومي ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠،» وثائق عبد الناصر : خطب ، أحاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٩ - سبتمبر ١٩٧٠ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣) ، ص ٤٧٤ ، جاء فيه : « وأنا أحب أن اقول لكم ولابناء هذه الامة وللأمة العربية كلها أن الشعب المصري صممّ على الصمود . . » .

القومية»[٥]. كانت الصفة الموازية لها في المجال العربي صفة «عربي (ية)» («السياسة العربية»، «الثقافة العربية»). ولكن بعد أن ساد مفهوم «القومية العربية» في الخطاب الناصري في ١٩٥٦ على أثر تأميم قناة السويس[٦] إنتقلت الصفة «قومي (ية)» من المجال المصري إلى المجال العربي، وحلّ محلها في المجال المصري الصفة «وطني (ية)»، فظهرت في الخطاب الناصري إنطلاقاً من ١٩٥٦ الاستعمالات التالية: «جبهة وطنية»، «سياسة وطنية»، «تربية وطنية» «كتلة وطنية»... الخ. ولم تعد تظهر الصفة «قومي (ية)» في سياق مصري إلاّ نادراً في بعض الاستعمالات المحصورة في نطاق إقتصادي، « كالدخل القومي » و« الاقتصاد القومي » في بعض خطب المرحلة الثانية والثالثة ..والجدير بالاشارة أن عبد الناصر كان يستعمل في الوقت نفسه « الدخل الوطني » و« الاقتصاد الوطني » للاشارة إلى الظواهر نفسها . وقد حُسم نهائياً هذا التردد في المرحلة الثالثة (١٩٦٣) حيث اختفت نهائياً الصفة « قومي (ية) » من المفردات الواردة في سياق مصري ، سياسية كانت أم إقتصادية ولازمت نهائيا المفردات الواردة في سياق قومي عربي[٧] .

- «وطني (ية)»: إقتصر استعمال هذه الصفة والاسم المشتق عنها («الوطنية») في الخطاب الناصري، على الاطار القطري. وقد وسع عبد الناصر بشكل إستثنائي تطبيق هذه الصفة على المفردات القومية في الخطب المفسّرة لبيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨، حيث ظهر بالاضافة إلى ذلك مفهوم جديد هو «الوطنية العربية»[٨]. ولكن بقي الاستعمال السائد للصفة «وطني (ية)» محصوراً بصورة عامة، في إطار قطري.

نستنتج من تطوّر مفهومي «الأمة» و«القومية» إن معظم المفردات القومية العربية

---

(٥) خطاب سياستنا الداخلية والخارجية ، في ٢٢ يوليو ١٩٥٥ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات، [د . ت .]) ، ص ١١ ، ٢٥ و ٥٧ .

(٦) « خطاب اعلان الرئيس تأميم قناة السويس ٢٦ يوليو ١٩٥٦، » الاهرام، ٢٧ تموز / يوليو ١٩٥٦، ص ٢ .

(٧) لم تعد تظهر الصفة « قومي (ة) » مقرونة بمفردات وطنية مصرية الا مرّة واحدة في نص بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ضمن استعمالات سياسية واقتصادية على حد سواء. أنظر : « حديث الى الأمة قدم فيه الرئيس بيان ٣٠ مارس ، ٣٠ مارس ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر : خطب، أحاديث، تصريحات، يناير ١٩٦٧ - ديسمبر ١٩٦٨ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٣). ولكن لم يأخذ عبد الناصر بها في الخطب التي ألقاها في نيسان تفسيرا لبيان ٣٠ مارس (أنظر العينة) ولا في الخطب الأخرى الملقية بعد ١٩٦٨ . مما يؤكد انه حصر نهائيا استعماله للصفة « القومي (ة) » في المجال العربي . أما شذوذ بيان ٣٠ مارس عن هذه القاعدة فقد يشير الى أنه تم تحضير هذه الوثيقة من قبل مجموعة تمثلت فيها اتجاهات سياسية وفكرية مختلفة . تبناها فيما بعد عبد الناصر كما هي .

(٨) « كلمة في أعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، ١٥ أبريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر : خطب ، أحاديث ، تصريحات، يناير ١٩٦٧ - ديسمبر ١٩٦٨ ، ص ٣٩٨ .

في الخطاب الناصري («كالأمة العربية» و«الشعب العربي» و«المجتمع القومي») تنحدر من أساس وطني مصري، كأنها انبثقت عن المفردات الوطنية باتساع نطاق هذه الأخيرة حتى أصبحت تشمل كل الحقل العربي. هذا لا يعني أن المفردات القومية العربية تأتي من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد المفردات الوطنية. ما نشاهده يشير إلى عكس ذلك إذ أن بعض المفردات القومية المركزية في الخطاب الناصري «كالأمة» و«القومي (ية)» ألغت نهائياً بدخولها في المجال العربي، المصادر التي انبثقت عنها في المجال الوطني. ويؤكد هذا التطور على أن ميزة المفردات القومية الأساسية هي الحصرية ونفي الازدواجية.

ثالثاً: المفاهيم القومية العربية المركزية في الخطاب الناصري

تبيّن من الاحصاء أن عدد المفردات القومية العربية في الخطاب الناصري (جدول رقم(٩)) يتجاوز الثلاثين، تمّ ،لأغراض البحث، تحليل حقول دلالاتها جميعاً في كافة الخطب المكوّنة للعينة. ونقدّم نتائج هذا التحليل على النحو التالي:

سنحدد أولاً المفاهيم القومية العربية المركزية في الخطاب الناصري ثم نقدّم بشكل تفصيلي نتائج تحليل حقول دلالاتها ومسارات البرهنة التي وردت في نطاقها، والحقول الارجاعية الملازمة لها.

ما هي المفاهيم القومية المركزية في الخطاب الناصري وعلى أي أساس حُدّدت مركزيتها؟ تتسم ١١ مفردة من أصل ٣٠ بميزة الاستمرار أي الظهور بانتظام في معظم المراحل والخطب بين ١٩٥٢ و١٩٧٠، في حين أن المفردات الأخرى لا تظهر إلا بشكل متقطّع في الخطاب الناصري، وبعضها اختفى نهائياً بعد مرور مرحلة أو مرحلتين على وجودها. ولاحظنا بعد إقامة حقول دلالات المفاهيم القومية أن ٣ مفردات فقط من بين المفردات الاحدى عشرة المنظمة، تجمع وحدها أكثر من النصف[٩] (٥٥,٩٪) من مجموع صلات المفردات القومية المنتظمة، في حين أن المفردات الثمانية الباقية لا تجمع معاً سوى ٤٤,١٪ من مجموع الصلات. ونبين تفاصيل هذا التوزيع في الجدول التالي رقم (١١):

---

(٩) الصلات هي مجموعة المواصفات والمفردات المشاركة والمناقضة والأفعال والمعادلات التي تكوّن حقل دلالة مفهوم ما.

جدول رقم (١١)

توزيع صلات المفردات القومية المنتظمة في الخطاب الناصري

الفئة	المفردات المركزية	عدد الصلات	المفردات الأقل مركزية	عدد الصلات
كيانات قومية	الأمة العربية	٧٠٨	المنطقة العربية	١٠٠
			الوطن العربي	١٢٠
			الأرض العربية	١٢٧
			الشعب العربي الشعوب العربية	٣٦٢
			العرب	٢١٢
هوية قومية	القومية العربية	٣٤٣	العروبة	٩٩
حركة قومية	الوحدة العربية	٥٨٠	الثورة العربية	١٧٤
			النضال العربي	٩٤
		١٦٣١		١٢٨٨
		٪٥٥,٩		٪٤٤,١

إن المفردات القومية المركزية في الخطاب الناصري هي بالتالي: «الأمة العربية» و«القومية العربية» و«الوحدة العربية»، بمعنى أن حقول دلالاتها هي الأغنى والأكثر تنوعاً وهي تمثل المفاهيم القومية الأخرى بسبب توزعها المتساوي بين فئة الكيانات القومية (الأمة العربية) وفئة الهوية القومية (القومية العربية)، وفئة أهداف الحركة القومية (الوحدة العربية) . لذا خصّصنا فصلاً لدراسة كل منها (الفصول٤، ٥و٦) هذا لا يعني أن المفاهيم القومية الأخرى المنتظمة وغير المنتظمة ستهمل . نتطرق إليها أولاً من باب المقارنة بالمفاهيم المركزية ثم نعالجها بشكل تفصيلي في الفصلين السابع والثامن ، حيث نتناول التصور القومي العربي الناصري بمجمله .

لن نتبع أثناء تقديم نتائج التحليل نفس الترتيب الذي اتبعناه أثناء القيام بالتحليل (تحليل حقول الدلالة، ثم مسار البرهنة ثم الحقول الارجاعية) إنما نعرض

نتائج التحليل بشكل حاولنا أن يكون تركيبياً (synthétique)

وبقي علينا أن نشرح ما نعني بالتحليل التزامني والتعاقبي وكيف أجريناهما عملياً فيما يختص بالمفردات القومية المركزية . إن التحليل التزامني (synchronique) لمفهوم ما يعني بالنسبة للمنهج المتبع في هذه الدراسة تحليل حقول دلالة هذا المفهوم ومسار البرهنة المرتبط به في مجموعة خطب العينة دوئما أخذ بعين الاعتبار تاريخ ورودها في النصوص المحللة ، كأنما تعتبر مجموعة الخطب المحلّلة بمثابة خطاب واحد . ويعني التحليل التعاقبي(diachronique) عكس ذلك ، إذ يقوم على دراسة التغيرات والتطورات الحاصلة في تكوين حقول دلالة المفاهيم ومسار البرهنة والحقول الارجاعية الخاصة بها . قد تحصل هذه التحولات نتيجة لتأثير عوامل خارجة عن النص كالظرف السياسي والتغيرات الاجتماعية ، ولن نخوض في تفاصيل هذه المؤثرات في نطاق هذه الدراسة ، وإنما نشير إليها قدر المستطاع في مكانها .

وبما أن هذا المنهج جديد نسبياً في الميدان العلمي العربي، نشرح فيما يلي كيف أجرينا بالتحديد التحليل التزامني والتعاقبي للمفاهيم القومية في هذه الدراسة مقتصرين على مثل مفهوم «الأمة العربية». وقد قمنا أولاً بتجميع كل حقول دلالة مفهوم «الأمة العربية» في الوحدات الخطابية الـ ١٨ (٢٥ خطاب وكتاب) المكونة للعينة، آخذين بعين الاعتبار توزعها على المراحل الستة الممتدة بين ١٩٥٢ و١٩٧٠، ومحافظين على توزّع صلات «الأمة العربية» بين شبكة المواصفات والمشاركات والمناقِضات والأفعال والمعدلات. ثم تمّ ترتيب هذه الصلات في جداول من النوع التالي رقم (١٢) .

لقد تمّ، لأغراض التحليل التزامني، تجميع وتصنيف صلات كل مفهوم حسب درجة تمثيليتها، أي حسب عدد المرّات التي تظهر فيها، في الوحدات الخطابية الـ١٨. إعتبرنا ذات تمثيلية مرتفعة صلات المفهوم المدروس التي وردت في ٨ وحدات خطابية على الأقل، موزّعة على أربع مراحل أو أكثر (مثلاً صلة «أبنائها» وصلة «شعوبها» بالنسبة لمفهوم « الأمة العربية» في الجدول رقم (١٢) ، وصلات ذات تمثيلية متوسطة تلك التي ترد في ٥ وحدات خطابية على الأقل موزعة على ٣ مراحل أو أكثر (مثلاً «آمالها» و«إسرائيل» في الجدول رقم(١٢) . واعتبرنا ذات تمثيلية ضعيفة الصلات التي لا تظهر إلاّ في٣ وحدات خطابية على الأقل، موزعة على مرحلتين أو أكثر (مثلا صلة «الأرض»

جدول رقم (١٢)
الترتيب التزامني والتعاقبي لصلات مفهوم «الأمة العربية» في الخطاب الناصري

الأمة العربية (صلاتها)	المرحلة الأولى ١٩٥٢ - ١٩٥٧			المرحلة الثانية ١٩٥٨ - ١٩٦١			المرحلة الثالثة ١٩٦١ - ١٩٦٣				المرحلة الرابعة ١٩٦٣ - ١٩٦٦		المرحلة الخامسة ١٩٦٦ - ١٩٦٧		المرحلة السادسة ١٩٦٧ - ١٩٧٠			
المواصفات	خ١	خ٢	خ٣	خ٤	خ٥	خ٦	خ٧	خ٨	خ٩	خ١٠	خ١١	خ١٢	خ١٣	خ١٤	خ١٥	خ١٦	خ١٧	خ١٨
● أبنائها ـ كل واحد من ابنائها						×	×	×	×	×				×	×	×	×	×
● العامل هو أساس الأمة العربية كل فرد عامل في الأمة العربية							×										×	
● شعوبها ـ الشعوب العربية امة واحدة ـ هي الشعوب						×		×			×			×	×		×	×
● آمالها							×		×					×		×		×
● تاريخها المجيد ـ لها تاريخ في سنينها الطويلة ـ عمرها ... الخ				×			×	×								×		
المشاركات																		
● الوحدة العربية				×	×	×		×	×	×				×			×	
● نفس الأرض ـ الأرض ارضنا ـ الأرض العربية ـ كل الأراضي العربية . ... الخ				×							×					×		
المناقضات																		
● إسرائيل						×								×		×	×	×
● الولايات المتحدة ـ امريكا ... الخ																	×	×
الأفعال ... الخ																		

ملاحظة عامة :

يمثل الحرف (خ) والرقم التابع له الوحدة الخطابية ، والعينة كما سبق وذكرنا (الفصل الأول) مكونة من ١٨ وحدة خطابية موزعة على المراحل الستة .

و«تاريخها» في الجدول رقم ١٢)، وذات تمثيلية نادرة أو ضئيلة الصلات التي لا ترد إلا في مرحلة واحدة أو في وحدتين خطابيتين موزعتين على مرحلتين (مثلا صلة «العامل» في الجدول رقم ١٢).

ويلخص الجدول التالي رقم (١٣) توزيع صلات مفهوم ما حسب درجة تمثيليتها :

جدول رقم (١٣)
طريقة الاشارة إلى توزيع صلات المفاهيم حسب درجة تمثيليتها

الرموز المؤشرة	درجة تمثيلية الصلات	عدد المراحل	عدد الوحدات الخطابية
(+)	ذات تمثيلية مرتفعة	≤ ٤	≤ ٨
(=)	ذات تمثيلية متوسطة	≤ ٣	≤ ٥
(−)	ذات تمثيلية ضعيفة	≤ ٢	≤ ٣
(٠)	ذات تمثيلية نادرة	١ أو ٢	≥ ٤ أو ٢

ملاحظة : لا تحمل الرموز المؤشرة أي معنى سلبي أو ايجابي سوى التدرج بين الحد الأقصى (+) والحد الأدنى(٠)

سنأخذ بعين الاعتبار درجة تمثيلية صلات كل مفهوم في التحليل التزامني، ولكن تبقى أهمية هذا المؤشر نسبية، ذلك أننا اخترنا في أثناء تكوين العينة الخطب الأكثر تمثيلاً لمجمل الفترة الناصرية، وبالتالي الأكثر تنوعاً. فلم نختر مثلا خطباً متشابهة كتلك التي ألقيت في نفس المناسبة أو نفس الظرف السياسي، بهدف تجنب التراداد. وبالتالي لا عجب إذا كانت السمة السائدة في العينة هي اختلاف صلات مفهوم ما باختلاف المراحل والخطب، فنادراً ما ترد صلة ما في أكثر من ٨ وحدات خطابية، لذا اعتبرنا أن هذه النسبة تعبر عن تمثيلية مرتفعة. ومن ناحية أخرى إن الصلات ذات تمثيلية نادرة أو ضئيلة تبقى دلالتها محترمة بسبب التنوع المقصود في اختيار العينة.

وقد أخذنا بعين الاعتبار في مجرى التحليل التزامني مسارات البرهنة المتعلقة بهذا

المفهوم القومي أو ذاك، محاولين قدر الامكان تحديد أنماط البرهنة التي اتبعها عبد الناصر لاثبات خصائص المفاهيم القومية المركزية في خطابه. ويتناول التحليل التعاقبي للمفاهيم المركزية دراسة ظهورها في الخطاب الناصري والتحولات في صلاتها الدلالية عبر المراحل الستة، وسنأخذ أيضاً بعين الاعتبار التطور العام لعدد صلاتها من مرحلة الى أخرى لمعرفة مدى وكيفية تقدّم أو تراجع حقول المفاهيم المدروسة بين ١٩٥٢ و١٩٧٠. ونهتم أيضاً بتحليل الحقول الارجاعية لكل مفهوم لمعرفة علاقته بالماضي التاريخي العام وبماضيه الخاص كما هو الحال بالنسبة لمفهوم «الأمة العربية».

الفصل الرابع

تحليل مفهوم «الأمة العربية» في الخطاب الناصري

إن مفهوم « الأمة العربية »[1] هو المفهوم الأهم والأغنى في مجموعة مفردات عبد الناصر القومية العربية . فهو يشمل وحده حوالي ٢٤٪ (٧٠٨) من مجموع صلات[2] المفاهيم الأكثر إنتظاماً في هذه المفردات (أنظر الجدول رقم (١١)) . سنتناول في هذا الفصل : ظهور هذا المفهوم وتطوره في الخطاب الناصري بين ١٩٥٢ و١٩٧٠ ؛ وتحليلا تزامنيا وتعاقبيا لحقل الدلالة الذي يندرج فيه هذا المفهوم ، والبراهين التي تنبثق عنه ؛ والتصوُّر الناصري لماضي « الأمة العربية » .

أولاً : ظهور مفهوم « الأمة العربية » وتطوره في الخطاب الناصري بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠

ألف ـ ظهور مفهوم « الأمة العربية »

ابتداء من ١٩٥٤ إستعمل عبد الناصر « الأمة » بمعنى مجموع العرب . وقبل ذلك التاريخ كان مفهوم « الأمة »[3] يشير على وجه التحديد إلى مصر (في « فلسفة

---

(١) وضعنا كل المفردات والعبارات والجمل المأخوذة كما هي من الخطاب الناصري ، بين هلالين ، في هذا الفصل وفي الفصول الاخرى .

(٢) ان ارتفاع عدد الصلات لكل مفهوم جرى تحليله يمكن أن يبدو مذهلا. ويفسر ذلك بواقع أننا قمنا بعدّ كل الصلات المترادفة ، القريبة المعنى من بعضها كثيرا (مثلا : الأمة العربية كلها / جميعا / بأكملها / اجماعيا) . ولم نعدّ الا مرة واحدة الصلاة المتشابهة في الخطاب الواحد ، ولكننا عددنا الصلات المتشابهة في كل مرة ظهرت في خطب مختلفة .

(٣) يرى أنيس صايغ أن مفهوم « الامة المصرية» قد استعمل للمرة الاولى في مصر ايام حكم الخديوي اسماعيل (١٨٦٠) . وقد جاء في ردّ النواب على خطاب العرش : « نحن نواب الامة المصرية ووكلاؤها =

الثورة » مثلاً) . ولكن هذا الاستعمال ظلّ مفتوحاً ولم يتبعه على الاطلاق تحديد « مصرية » : إن إستعمال « الأمة المصرية » ليس موجوداً في الخطاب الناصري . ونادراً ما إقترن إسم « مصر » بـ الأمة . وقد وقعنا مرة واحدة في تموز / يوليو ١٩٥٥ على الاستعمال التالي : « أمة كمصر » . فهذا « الانفتاح » لمفهوم « الأمة » قد سمح له بالانطلاق من المجال المصري ليشمل كل المجال العربي .

وقبل ١٩٥٤ شغل مفهوما « المنطقة العربية » و « الدائرة العربية » دور البديل الجزئي أو السابق لاستعمال مفهوم « الأمة العربية » . ويلتقي هذان المفهومان مع مفهوم « الأمة العربية » حول خصائص الوحدة . إذ أن « المنطقة العربية » توصف بأنها « واحدة » و « أصبحت كلاً واحداً » و « مشاكلها واحدة » و « أحوالها واحدة » و « مستقبلها واحد »[٤] . وأن « الدائرة العربية » تشكل كلاً واحداً مع مصر : « إن هذه الدائرة مِنّا ونحن منها » . ويلتقي هذان المفهومان أيضاً مع مفهوم « الأمة العربية » في واقع « التاريخ الواحد » : « إمتزج تاريخنا بتاريخها »[٥] .

وفي ١٩٥٤[٦] ، وللمرة الأولى ، أعلن عبد الناصر وهو يتكلم باسم مجلس الثورة « إن هدف حكومة الثورة أن يكون العرب أمة متحدة » . وطوال عامي ١٩٥٤ و١٩٥٥ جرى ترداد هذا الهدف في المناسبات الرسمية (أنظر خطاب ٢٢ تموز /يوليو ١٩٥٥ ، في العيّنة) : « سياستنا العربية تهدف إلى جعل العرب أمة واحدة » (ص ٦٣) . وفي الخطاب نفسه فإن مفهوم « الأمة » يشير أيضاً إلى مصر ، والمعنيان يتعايشان . ولكن هذا الوضع ، المتناقض إلى حدٍ ما ، بوجود « أمة واحدة » لكل العرب و « أمة كمصر » ما كان ليدوم . فقد جرى البتّ بها في دستور ١٦ كانون الثاني / يناير ١٩٥٦ ، الذي نصَّ على أن « الشعب المصري جزء من الأمة

= المدافعون عن حقوقها الطالبون لمصلحتها . . » . وتضمن الاشارة الى مفهوم « الامة » ست مرات ، الى جانب مفهومي « الوطن » و « الحرية » . أنظر : أنيس صايغ ، الفكرة العربية في مصر (بيروت : مطبعة الغريب ، ١٩٥٩) ، ص ٤٦ .

(٤) جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة (القاهرة : وزارة الاعلام ، ١٩٥٣) ، ص ٤٧ و ٥٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

(٦) « خطاب بالجامع الازهر بمناسبة عيد الثورة الثاني في ٢٣ يوليو ١٩٥٤ ، » مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الاول : ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - ١٩٥٨ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ١٧٧ (خارج العينة) .

العربية » . ولم يشر الدستور الجديد إلى أن مصر هي أمة . ومن حينه ، لم تعد تذكر في خطب عبد الناصر إلاّ « الأمة العربية » ، ووصفت مصر بـ « الوطن » .

ونجسّد هذا التطور في الشكل التالي :

	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦
أمة عربية	صفر	« أن يكون العرب أمة متحدة »	« جعْل العرب أمة واحدة »	«الأمة العربية»
مصر أمة	« الأمة »	« هذه الأمة »	« أمة كمصر »	صفر

بقي أن نعرف لماذا حصل التغيير في ١٩٥٤ ؟

لقد شرح عبد الناصر ذلك بنفسه في خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٥٤ : « لقد بدأت مصر مع العرب عهداً جديداً (. . .) إن هدف حكومة الثورة أن يكون العرب أمة متحدة (. . .) وإن كانت مشكلة الاحتلال قد استنفدت إلى الآن الجزء الأكبر من جهد المصريين ، فإنها لم تصرفهم أبداً عن المشاركة في كل جهد عربي يبذل من أجل تحرير العرب »[٧] .

يبين هذا التصريح أن التغيير حصل بعد أن تقدّمت الحكومة المصرية في طريق الاستقلال الوطني لمصر . عند ذلك فقط أمكنه الاهتمام بالأمة العربية جمعاء . وقد عقب التعبير الأيديولوجي في الخطاب هذا التطور واستقر نهائياً في ١٩٥٦ بالانتهاء الكامل إلى « الأمة العربية » . وذابت مصر الأمة عندئذ في الأمة العربية الكبرى ، فأحيتها وجسدّتها وأعطتها « قاعدة » و« طليعة » .

باء ـ تطور حقل دلالة « الأمة العربية » بين ١٩٥٢ و١٩٧٠

إن عدد المفردات أو الصلات المرتبطة بمفهوم « الأمة العربية » من فترة إلى أخرى يدلّنا على التطور الشامل لحقل دلالته (أو حقول دلالته) بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٧٠ . وينبغي عدم الخلط بين عدد صلات هذا المفهوم وتكراره . فالتكرار هو مجرد إشارة كمية إلى عدد المرات التي استعمل فيها مفهوم « الأمة العربية » ، دون إعتبار علاقاته أو صلاته بالمفردات المحيطة به .

ولدراسة التغييرات في صلات « الأمة العربية » بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠ ، جمعنا

---

(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

الصلات الدلالية « للأمـة العربيـة » في خطب كـل مرحلة (في العينـة) . وبما أن عدد الخطب التي جرى تحليلها يختلف بين مرحلة وأخرى ، فقد قمنا بعملية موازنة أو ترجيح للحصول على نتائج قابلة للمقارنة :

(جدول رقم (١٤)
تطور الصلات الدلالية لمفهوم « الأمة العربية» حسب المراحل

المراحل	السنوات	عدد الوحدات الخطابية والكتابية المحللة	العدد (المرجح) للصلات الدلالية للأمة العربية
المرحلة الأولى	١٩٥٢ ـ ٥٧	٣	١٩
المرحلة الثانية	١٩٥٨ ـ ٦١	٣	١٠٥
المرحلة الثالثة	١٩٦١ ـ ٦٣	٤	٢١٨
المرحلة الرابعة	١٩٦٣ ـ ٦٦	٢	٦٨
المرحلة الخامسة	١٩٦٦ ـ ٦٧	٢	٤٢
المرحلة السادسة	حزيران / يونيو١٩٦٧ ـ أيلول/ سبتمبر ٧٠	٤	٢٥٦

وقد تمَّ تجسيد هذه النتائج في الرسم البياني رقم (١) :

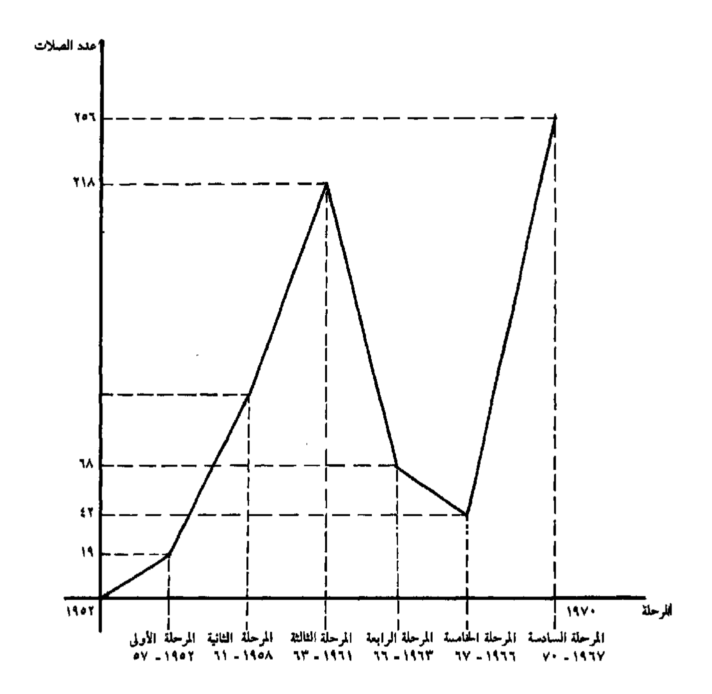
يتبينٌ من الرسم البياني أن حقل دلالة مفهوم « الأمة العربية » قد شهد نمواً كبيراً أثناء المراحل الثانية والثالثة والسادسة . وعلى العكس من ذلك فقد شهد حقل دلالة هذا المفهوم ضعفاً كبيراً في المرحلتين الرابعة والخامسة . أما المرحلتان الثانية والثالثة فقد بلغ فيهما إنفتاح النظام المصري على القضايا القومية العربية أوجه : الوحدة السورية ـ المصرية (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) ، والاشتراك في حرب اليمن (١٩٦٢) ، ومحاولات الوحدة الثلاثية بين سوريا والعراق ومصر (١٩٦٣) . ورغم الاخفاقات المتوالية ، فإن الفترة الواقعة بين ١٩٥٨ و ١٩٦٣ تعتبر فترة تخمُّر أيديولوجي وسياسي على الصعيد القومي العربي ، الأمر الذي يفسِّر تطور حقل دلالة « الأمة العربية » ، وكذلك « الوحدة العربية » و « القومية العربية » .

إن هذه الاخفاقات المتوالية على الصعيد القومي ربما كانت هي السبب في

شكل رقم (١)

الأمة العربية

تطوّر حقل دلالتها بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠



حدوث التقلّص في حقل دلالة « الأمة العربية » أثناء المرحلتين الرابعة والخامسة ، رغم أن هاتين المرحلتين تتعارضان في إتجاههما السياسي . ولكن عبد الناصر أقلع أثناء هاتين المرحلتين عن توجيه نداءاته إلى مجمل الأمة العربية : في المرحلة الرابعة دعا الحكومات العربية إلى التفاهم فيما بينها ، في مؤتمري القمة لعامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، حول سياسة مشتركة تجاه إسرائيل ، رغم الاختلافات السياسية فيما بينها . وعلى العكس من ذلك ، ففي المرحلة الخامسة توجّه عبد الناصر إلى القوى الثورية العربية داعياً إياها إلى التوحّد من أجل النضال ضد الرجعية الداخلية والاستعمار وإسرائيل . وهو في كلتا الحالتين قد توجّه إلى قوى سياسية محددة وليس إلى الأمة العربية كما كانت عليه الحال من قبل .

إن النمو المذهل الذي عرفه مفهوم « الأمة العربية » بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ يشكل دحضاً لمقولة ج سيلبرمان[٨] (G. Silberman) التي يشاطره إياها العديد من الكتّاب الآخرين ، والقائلة بأن عبد الناصر قد إعتكف نحو مصر بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ .

إن تركيز عبد الناصر على إعادة البناء العسكري والاقتصادي للقاعدة المصرية قد ترافق ، بصورة متصاعدة ، مع التوجه نحو «الأمة العربية» (٢٥٦ صلة) و « الجماهير العربية » (٥٠ صلة) و « الشعوب العربية » (٦٥ صلة) . ولكنه لم يدعوها ، كما في السابق ، إلى « الوحدة السياسية » ، المهمة المؤجلة إلى ما بعد ، بل إلى « تجنيد طاقاتهم » من أجل « تحرير الأراضي العربية المحتلة » (٧٤ صلة) .

وقبل الانتقال إلى إجراء تحليل مفصّل لمفهوم « الأمة العربية » ، رغبنا في مقارنة التطور العام لحقل دلالته مع حقل دلالة مفهوم « الوطن العربي » ، خصوصاً وأننا سنكون ملزمين بمقارنة حقلي دلالة المفهومين . ولذلك قمنا بوضع الجدول رقم (١٥) الذي يبيّن نمو حقل دلالة مفهوم « الوطن العربي » بين ١٩٥٢ و١٩٧٠ :

---

(٨) G.Silberman, «National Identity in Nasserist Ideology 1952-1970,» **Asian and African Studies**(Jerusalem), vol.8, no.1 (1972).

جدول رقم (١٥)

تطور الصلات الدلالية لمفهوم « الوطن العربي » حسب المراحل

المراحل	السنوات	عدد الوحدات الخطابية والكتابية المحللة	العدد الموازن لصلات الدلالة
المرحلة الأولى	١٩٥٢ ـ ٥٧	٣	١٨
المرحلة الثانية	١٩٥٨ ـ ٦١	٣	٣١
المرحلة الثالثة	١٩٦١ ـ ٦٣	٤	٣٢
المرحلة الرابعة	١٩٦٣ ـ ٦٦	٢	٤
المرحلة الخامسة	آذار/ مارس ١٩٦٦ ـ ٦٧	٢	١١
المرحلة السادسة	حزيران/ يونيو ١٩٦٧ ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠	٤	٢٤

مع أن مفهوم « الوطن العربي » ، على العكس من مفهوم « الأمة العربية » ، هو أحد المفاهيم المنتظمة الأقل نمواً في مجموعة المفردات القومية العربية ، فإنه يمثل مع ذلك منحنى تطور شبيه بمنحنى التطور العائد لمفهوم « الأمة العربية » : أي نمو حقل دلالته في المرحلتين الثانية والثالثة ، وإنخفاض كبير في المرحلتين الرابعة والخامسة ، وانبعاث ملحوظ في المرحلة السادسة . وهذا ما يُثبت أن المفهومين ، رغم عدم التشابه بينهما في الأمور الأخرى (أنظر جيم ـ٢ـ) فإنهما « يتفاعلان » بذات الطريقة إزاء عوامل خارج الخطاب ، كالظرف والموقع الخطابي . وتجدر الاشارة إلى أن مفهوم « الوطن العربي » هو أقل حساسية إزاء هذه العوامل من مفهوم « الأمة العربية » ، إذ أن منحناه هو أقل تقلباً من منحنى « الأمة العربية » .

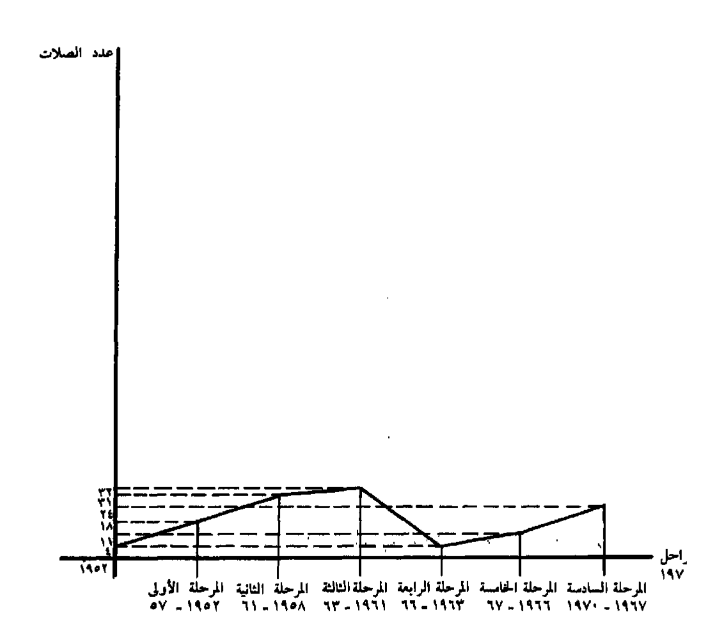
ثانياً : تحليل تزامني وتعاقبي لمفهوم « الأمة العربية » في الخطاب الناصري

سنعمد هنا إلى إجراء تحليل تزامني وتعاقبي لمفهوم « الأمة العربية » في الخطاب الناصري بمجمله بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠ ، وذلك بالاستناد إلى تحليل حقول الدلالة والبرهنة الموضوعة بشأنه على حد سواء . ونتناول بالبحث : (ألف) خصائص مفهوم

شكل رقم (٢)

الوطن العربي

تطوّر حقل دلالة مفهوم « الوطن العربي » بين ١٩٥٢ و ١٩٧٠



« الأمة العربية » ؛ (باء) حقل عمل القوى المساعدة والمعاكسة له ؛ (جيم) علاقته بالكيانات ما دون القومية وما بعد القومية .

ألف ـ خصائص مفهوم « الأمة العربية »

ندرس أولاً مواصفات « الأمة العربية » في الخطاب الناصري : ماهيتها ، تكوينها ، والعناصر المكوِّنة لها ، وخاصياتها المادية والروحية ، وأهدافها وأعمالها على الصعيد التزامني وثانياً أخذ التحولات التعاقبية لهذه الخصائص بعين الاعتبار .

١ ـ تحليل تزامني لخصائص « الأمة العربية »

أ ـ وحدانية وانقسام « الأمة العربية » في الخطاب الناصري

نلاحظ أولاً أن عبد الناصر نادراً ما يضفي أية صفة على « الأمة العربية » . فهو لا يصفها كشيء خارجي قام بمراقبته . وأهم صفة يطلقها عليها هي تأكيده على وحدتها : إنها « واحدة » واعترافه بأن حالتها « مجزأة » .

(١) وحدانية الأمة العربية

نلاحظ التأكيد على وحدة الأمة العربية في الخطاب الناصري بالأشكال التالية :

(+) « الأمة العربية هي أمة واحدة » .

(+) « أمة عربية واحدة » .

(+) « العرب أمة واحدة »[٩] .

وما يرفضه ضمناً بهذا التأكيد ، هو تأكيد معاكس لا يأتي على ذكره ، ويقول به أعداء الوحدة بأن : العرب يشكلون عدة أمم لا أمة واحدة . وهو تأكيد مبني على حالة إنقسام العرب إلى عدة دول عربية .

ـ براهين ثابتة على وحدانية الأمة العربية : قدّم عبد الناصر في بعض المناسبات الهامة براهين على وحدانية الأمة العربية :

---

(٩) يجدر التذكير بأن اشارة (+) تدل على أن صفة « الواحدة » تقع بين صلات « الأمة العربية » الاكثر تمثيلا : في أكثر من ٨ خطب موزعة على اكثر من اربع مراحل (أنظر الجدول رقم ١٣) .

« لها تاريخ واحد ، إذن ضمير واحد ، وحدة الوجدان » .

« لها لغة واحدة ، إذن وحدة الفكر والعقل » .

« لها وحدة الأمل ، إذن وحدة المستقبل والمصير » .

نجد إذن سلسلتين من البراهين : سلسلة براهين موضوعية ، منها برهانان زمنيان : التاريخ والمستقبل والمصير ، وبرهان ثقافي لغوي : اللغة المشتركة . أما السلسلة الثانية من البراهين فهي تتعلق بالميدان العقلي والنفسي : وحدة الضمير ، والفكر ، والعقل ، ووحدة الأمل . وفي سلسلة البرهنة ، تبنى البراهين العقلية والنفسية على أساس البراهين التاريخية واللغوية ، وهي بدورها تثبت وحدانية الأمة العربية . وهذا ما يظهر بوضوح في مسار البرهنة الوارد في خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠[١٠] .

« وإذا كان تاريخ أي أمة هو صانع ضميرها فإن لغة أي أمة هي صانعة فكرها ، فإذا كانت للعرب وحدة الضمير ووحدة الفكر ، فمعنى ذلك بوضوح هو أن العرب أمة واحدة » .

لقد كانت هناك إذن حاجة إلى وساطة البراهين العقلية والنفسية لإرساء أسس وحدة الأمة العربية . وهذا ما سمح لعبد الناصر بالانتقال من مستوى المعطيات الموضوعية (اللغة والتاريخ) إلى مستوى ذاتي هو مستوى الضمير والفكر والأمل والعقل الذي يجري الاحساس به وجودياً في البداية . وانطلاقاً من إدراك عبد الناصر للحركة الوحدوية ولحركة التضامن العربي ، قبل ١٩٥٢ وبعدها ، فقد أدرك وحدانية الأمة العربية ، ثم فكّر ، في اسس العناصر الذاتية وحدّد العوامل الموضوعية لهذه الوحدة . نجد العملية ذاتها في سلسلة البرهنة : الانطلاق من المحسوس الأيديولوجي والوجودي إلى المعطيات الموضوعية .

- براهين ديناميكية على وحدانية الأمة العربية : لقد قدّم عبد الناصر براهين

---

(١٠) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ١٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ١٥ (سنشير اليه بـخطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) ؛ مشروع الميثاق ، ٢١ مايو ١٩٦٢ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ١٠٧ (سنشير اليه بـ مشروع الميثاق) ، و « خطاب الرئيس عبد الناصر في حفل النقابات المهنية ، ٢٠ مايو ١٩٦٤ » الاهرام ، ٢٧ أيار / مايو ١٩٦٤ ، ص ٢ (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٠ أيار / مايو ١٩٦٤ ») .

أخرى مأخوذة من الديناميكية السياسية ـ الاجتماعية العربية ، لكي يؤكد وحدانية الأمة العربية[١١] .

إنها من جهة :

« وحدة التيارات الاجتماعية التي تهبّ على الأمة العربية » .

« إلتقاء القوى التقدمية الشعبية على الأمل الواحد في كل مكان من الأرض العربية »

وإنها من جهة أخرى بالبرهان العكسي :

« تجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة » وكذلك « مجرد وجود خلافات بين الحكومات العربية » .

وبعد أن حللنّا البراهين على وحدة الأمة العربية سنبحث في المزاعم القائلة بأن المفهوم الناصري للأمة العربية قد استمد عناصره من النظريات الأوروبية .

إن عبد الناصر ، خلافاً لهذه النظريات ، لا يسعى إلى إثبات وجود الأمة العربية بل وحدانيتها . فبعد أن استعرضنا النظريات الأوروبية الرئيسية حول الأمة ، كنظرية رينان القائمة على الارادة المشتركة ، والمفهوم الالماني القائم على الوحدة اللغوية، والمفهوم الايطالي الماتزيني (Mazzini) القائم على وحدة الطبيعة والتاريخ والأصل والأرض المشتركة ، وأخيرا المفهوم السوفياتي الستاليني القائم على وحدة الأرض واللغة والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي[١٢] ، لاحظنا أن المفهوم الناصري لم يأخذ مباشرة عن أيٍّ من هذه النظريات . بل إن المفهوم الناصري استوحى من مفهوم ساطع الحصري ، الذي عاش في مصر إبّان الحقبة الناصرية . ويقول الحصري : « إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو : وحدة اللغة ووحدة التاريخ . لأن الوحدة في هذين الميدانين هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع ، ووحدة الآلام والآمال ووحدة

---

(١١) مشروع الميثاق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ . جرى في الميثاق ، أكثر من غيره ، تفصيل للبراهين على وحدانية الأمة العربية .

(١٢) ان المفهوم الذي اعتمده الحزبان الشيوعيان السوري واللبناني في قرار ٢٢ نيسان / ابريل ١٩٥٦ يقع في منتصف الطريق بين المفهوم الستاليني والمفهوم الناصري . فهو يلتقي مع المفهوم الستاليني حول « وحدة الارض واللغة والعوامل الاقتصادية المشتركة » ، ويلتقي مع المفهوم الناصري حول « اللغة والتاريخ والضمير المشترك » ولكنه ينسب هذه العناصر « الى البلدان العربية » وليس الى « الأمة العربية » .

الثقافة . . . ويكل ذلك نجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمّة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى . ولكن لا وحدة الدين ، ولا وحدة الدولة ، ولا وحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية . كما أن « الاشتراك في الرقعة الجغرافية » أيضاً لا يمكن أن يعتبر من مقومات الأمة الأساسية »[١٣] .

صحيح أن الحصري قد صاغ مفهوم الأمة العربية بعد دراسته للقضية القومية في أوروبا الغربية والشرقية وبعد تفحص دقيق للنظريات القومية . إلا أنه أكد بشكل بارز على وحدة اللغة والتاريخ . وقد تأثر عبد الناصر بوحدة التاريخ واللغة والأمل . ولكنه أضاف إلى ذلك وحدة الفكر والعقل والضمير ، فضلاً عن البراهين الديناميكية للوحدة ، وهي عناصر غير موجودة في أي من التحديدات المذكورة آنفاً . ويعتبر عبد الناصر عنصري « الارادة » و « الأرض » المشتركة بمثابة خاصيات للأمة العربية ، وليس بمثابة براهين على وحدتها ، لأن إرادة العيش المشترك تنزع نحو بناء دولة قومية موحدة تسمح بدورها بتوحيد الأرض . وبالنسبة إلى « الأمة العربية » ، فإن عبد الناصر يعتبر أنها موجودة وأنها واحدة بقطع النظر عن الارادة المشتركة وبالرغم من إنقسام الأرض العربية .

(٢) حالة انقسام « الأمة العربية »

يتعارض تأكيد عبد الناصر للوحدانية ، الصفة الرئيسية للأمة العربية ، مع اعترافه بأنها ممزقة ومفتتة . علماً بأن هذه الصفة الثانية نادراً ما وردت في الخطاب الناصري[١٤] . وقد يكون سبب ذلك عائداً إلى أن عبد الناصر يرى أن حالة الانقسام حاصلة في الأرض العربية وليس في الأمة العربية : « هذه التقسيمات التي نراها الآن في الأرض العربية »[١٥] . ويأتي العامل الخارجي في مقدمة أسباب هذا الانقسام : « كانت قوى الاستعمار هي التي فرضت هذه التقسيمات على عكس الطبيعة والتاريخ وعلى عكس إرادة الشعوب »[١٥] . و« يريد دائماً أمة عربية ممزقة »[١٦] .

---

(١٣) ساطع الحصري ، أبحاث مختارة في القومية العربية، ١٩٢٣ ـ ١٩٦٣(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤) ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ؛ أو طبعة (بيروت : دار القدس ، ١٩٧٤) ، ج٢ ، ص ٢١ .

(١٤) مشروع الميثاق ، ص ٢٨ ، و« خطاب في الاحتفال بعيد الوحدة ، ٢٢ فبراير ١٩٦٧ ، » وثائق عبد الناصر : خطب ، أحاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣) ، ص ٥٨ (سنشير للخطاب بـ« خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧، » وللكتاب بـ وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨) .

(١٥) « خطاب ٢٠ أيار / مايو ١٩٦٤ ، » ص ٤ .

(١٦) « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ ،» ص ٥٨ .

إلا أن عبد الناصر يعترف بوجود عوامل داخلية للانقسام . وهذه العوامل هي أولاً « القلة المستغلة التي كانت تريد أن تبحث عن عروش وإقطاعيات ممزقة مباحة للنهب والاستغلال »[17] . وهناك أيضاً العامل الاقتصادي ـ الاجتماعي : « الفجوات الناشئة عن اختلاف مراحل التطور بين الشعوب العربية »[18]. ولا يوضّح عبد الناصر بقدر كاف ما يقصده باختلاف مراحل التطور ويتبينّ من السياق أن هذا الاختلاف هو اختلاف في مراحل التطور السياسي بين الأنظمة العربية أحياناً ، واختلاف في مراحل التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي أحياناً أخرى . ولكن ما من شيء في حقل الدلالة وفي البرهنة العائدة إلى مفهوم الأمة العربية يشير إلى أن عبد الناصر كان لديه إدراك كافٍ للفروقات في التطور وللتفكك المجتمعي ما قبل الرأسمالي (الطائفية والقبلية والاقليمية) ، التي تشكّل عوامل بنيوية لانقسام الأمة العربية في داخل كلّ بلد عربي بالذات . ويمثل تأكيده على « الوحدة الوطنية » ، لكلّ من الشعوب العربية كشرط مسبق لوحدتها الشاملة ، مؤشراً على الأهمية التي كان يعلّقها على التلاحم الداخلي .

بقي علينا أن نفسّر التناقض بين تأكيد عبد الناصر على أن « الأمة العربية أمة واحدة » واعترافه بانقسامها . وسنفسّر ذلك مفترضين بأن عبد الناصر يفرّق ضمنياً بين مستويين للأمة العربية : المستوى التاريخي ـ الثقافي المشترك لكلّ الأمة العربية الذي ظل قائماً باستمرار والذي تنتج عنه « وحدة العقل والفكر والآمال والضمير » . وهذا المستوى هو الذي يقرّر الوحدة الدائمة للأمة العربية .

والمستوى الآخر مستوى التمزق والتفتت ، في الفترة المعاصرة هو المستوى السياسي ـ الدولتي الذي ينبغي توحيده . فهو يقول : « مصير الأمة العربية هو الوحدة » و« الوحدة القومية » ، والمقصود بذلك التوحيد القومي للأمة العربية على المستوى السياسي ـ الدولتي .

لقد درسنا الصفة الرئيسية للأمة العربية ، وحدتها / إنقسامها . أما الصفات الأخرى فهي صفات نادرة وهامشية ، وهي لم تظهر سوى مرة واحدة في العيّنة موضع التحليل :

---

(١٧) « خطاب ٢٠ أيار/ مايو ١٩٦٤ ،» ص ٣ .
(١٨) مشروع الميثاق ، ص ١٠٨ .

(.) « أمة عربية حرة »[19] (خطاب الانفصال ، تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١) .
(.) « أمة عربية سليمة » (خطاب ١١ آب / أغسطس ١٩٦٣) .
(.) « أمة عربية أصيلة » (خطاب ما بعد الهزيمة ، تموز / يوليو ١٩٦٧) .

وإذا كان عبد الناصر لا يهتم كثيراً بوصف الأمة العربية كشيء خارجي[20] فذلك لأنه يتماثل مع هذه الأمة . وبالفعل فإننا غالباً ما نجد في مجموعة المعادلات للأمة العربية تعابير «نحن » و« الشعوب العربية » ، و« هي الشعوب » . وبذلك نفهم عدم اكتراث عبد الناصر بوصف الأمة العربية . كما نفهم أيضاً لماذا لا يحاول أن يثبت وجودها : إنها موجودة لأننا « نحن » ، « الشعوب العربية » موجودون .

ومن المشاغل الكبرى لعبد الناصر التي نشأت بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ ليس وجود الأمة العربية (تكون أو لا تكون) بل بقاؤها على قيد الحياة : « تبقى أو لا تبقى ؟ » وهو سؤال طرحه عبد الناصر على نفسه ووجّهه إلى كل الأمة العربية .

« الامة العربية هي الشعوب ».

« إما تبقى الأمة العربية بكرامتها أما لا تبقى وتسيطر علينا الصهيونية والاستعمار . وبنقول سنبقى »[21] .

ومرة أخرى نجد في هذا المقطع معادلة بين « الأمة العربية » و« الشعوب العربية » و« نحن » . ولكن هل تعني الأمة العربية الشعوب فقط أم أن هناك عناصر أخرى تكوّنها ؟

---

(١٩) نذكر بأن الاشارة (.) تعني صلات نادرة ، اي الصلات التي وردت في أقل من ٣ خطب من العينة . (أنظر الجدول رقم ١٧) .

(٢٠) خلافا لذلك ، يتبين من قراءة أولية لكتابات ميشيل عفلق ، فيلسوف « البعث » أن « الامة العربية » في تصوره امر خارجي ، موضوع تأمل وتفكير .

(٢١) « خطاب عيد الثورة الخامس عشر ، ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، » وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ، ص ٢٥٩ (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٧ ، ») و « في المؤتمر الشعبي بالمنصورة لشرح بيان ٣٠ مارس ، ١٨ ابريل ١٩٦٨ ، » المصدر نفسه ، ص ٤١٠ (سنشير اليه بـ « خطاب ١٨ نيسان / ابريل ١٩٦٨ لشرح بيان ٣٠ مارس ، ») .

ب ـ تكوين « الأمة العربية » وخاصياتها في الخطاب الناصري

(١) تكوين « الأمة العربية »

تشكل « الأمة العربية » في المفهوم الناصري شخصاً حياً وشخصاً جماعياً أو جماعة مركبة في وقت واحد .

(أ) إنها شخص : بعد حادثتين مأساويتين ، إنفصام الوحدة السورية ـ المصرية في ١٩٦١ وهزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، شخّص عبد الناصر الأمة العربية كفرد :

(ـ) « دقّات قلبها » ـ « نبضها » ـ « قلبها » ـ « خُطاها » ـ

« على مسمع منها » ـ « عمرها » .

(.) « خلقها » ـ « جراحها » ـ « مشاعرها » ـ « شعورها بالألم » .

(ـ) « قوتها » ـ « إرادتها »[٢٢] .

وربما أراد عبد الناصر بهذه الصورة أن يجعلها أقرب منالاً وأكثر إدراكاً من مخيَّلة الجماهير العربية . ولكنها بذلك أصبحت أكثر ابتعاداً عنهم ، إذ أنها لم تعد مكوّنة منهم كجماعة . ويمكننا أن نجد في هذه الأمة المجسّدة صورة الأم ، لأن لها أبناء :

(+) « أبناؤها » ـ « كل واحد من أبنائها » .

ولكنها ليست مرادفة للأسرة . فهي لم توصف بذلك ، ولم يظهر هذا الوصف سوى مرة واحدة في سياقها ، في موضع العطف ، وذلك في خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٥٥ .

---

(٢٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٣٠ (أيلول) سبتمبر ١٩٦١ في المؤتمر الشعبي في ميدان الجمهورية بعد مرور ٢٤ ساعة على قيام حركة التمرد الانفصالية في دمشق (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])(سنشير اليه بخطاب ٣٠ايلول / سبتمبر١٩٦١) ؛ بيان الرئيس إلى شعب الجمهورية العربية المتحدةفي مساء يوم ١٦اكتوبر ١٩٦١ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) (سنشير اليه بـ بيان ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر١٩٦١) ؛ «خطاب ٢٣ تموز /يوليو١٩٦٧ ، »و«خطاب في استاذ الخرطوم الرياضي بمناسبة احتفال السودان بعيد الاستقلال ، اول يناير ١٩٧٠ ، » وثائق عبد الناصر ،يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨ . (سنشير اليه بـ « خطاب أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم ، » .

(ب) إنها جماعة : يقتصر تشخيص الأمة العربية كفرد على المرحلتين الثالثة والسادسة . وتبقى صفتها كجماعة هي الصفة المهيمنة . إنها جماعة متجانسة من الأفراد والشعوب :

(+) « أفرادها » ؛ « شعوبها » ؛ « الشعوب العربية هي الأمة العربية » .

ولا يصف عبد الناصر الأفراد الذين يكونون الأمة العربية بأنهم مواطنون . فهذا الاسم مقصور برأيه على أبناء الدولة الواحدة . ومن بين أفراد الأمة العربية ، هناك فرد واحد مميَّز هو « العامل » ، الذي يعتبره عبد الناصر ركيزة الأمة العربية :

(-) « العامل هو أساس الأمة العربية ، كل فرد عامل »(٢٣) .

وهذا الاقرار من عبد الناصر بمكانة العامل المميزة في نطاق الأمة العربية يعود إلى ١٩٦١ ، تاريخ دخول المراسيم الاشتراكية حيز التطبيق . وهناك مكوّنان صغيران ، كونهما لا يظهران إلّا إبتداء من ١٩٦٧ »،« الجماهير العربية » و« دُوَلها » . فبعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ والتدفّق الشعبي في ٩ و١٠ حزيران / يونيو ١٩٦٧ في كل البلدان العربية ، الذي أعاده إلى الحكم ، أخذ عبد الناصر يتوجّه أكثر فأكثر إلى « الجماهير العربية » ، وهو مفهوم يدلّ على مجموعة أكثر توحّداً وتجانساً من مفهوم « الشعوب » . ولم يذكر مفهوم « الدول » منسوباً إلى الأمة العربية إلّا بصورة استثنائية في خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٧٠ . وذلك لأن وجود عدة « دول » يتعارض مع وجود أمة عربية واحدة .

ويشير عبد الناصر داخل الأمة العربية ، التي تؤلف مجموعة أو جماعة متجانسة من « الأفراد » و« الشعوب » و« الجماهير » ، إلى وجود عدة فئات :

فئات إجتماعية : « قوى العمال والفلاحين والمثقفين » .

هيئات مهنية : « القوات المسلحة العربية » ـ « الجيوش الشعبية العربية » والإشارة إلى وجود فئات إجتماعية داخل الأمة العربية هو حدث جديد ومتأخر في الخطاب الناصري ، ويعود إلى « بيان ٣٠ آذار / مارس » ١٩٦٨(٢٤) . وتجدر الإشارة

(٢٣) خطاب ٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٦١ ، ص ١٠ .

(٢٤) « كلمة في أعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، ١٥ أبريل ١٩٦٨ » ، وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ، ص ٣٩٨ .

إلى أن عبد الناصر لم يشر إلى وجود طبقات بل فئات إجتماعية .

ولحينه كان عبد الناصر قد تحاشى كل تصنيف من شأنه أن «يجزىء» الأمة ، وهو لم يعترف إلّا بوجود أجسام متجانسة تشمل كل أعضائها دونما تفريق في الطبقة أو المهنة . ولم يذكر عبد الناصر رسمياً وجود فئات إجتماعية داخل الأمة العربية إلا بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ وصدور بيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨ . وقد أولى « المثقفين » إلى جانب « العمال والفلاحين » مكانة هامة داخل هذا التصنيف الجديد . وهكذا فإذا كان « العامل هو أساس الأمة العربية » ، فإن « المثقفين هم الطليعة »(٢٥) .

ولا يذكر عبد الناصر فئات إجتماعية أخرى داخل الأمة العربية أمثال " . ار والصناعيين والحرفيين . لكن هذا لا يعني أنه يستبعدهم . وسنجد في دراسة القوى المعارضة أن الفئة الوحيدة المستبعدة من الأمة العربية هي فئة سياسية لا إجتماعية : « الرجعية العربية » و« أعوان الاستعمار » . أما الاقطاع فلا يرد ذكره .

وتجدر الاشارة أيضاً إلى غياب فئات إجتماعية ما قبل الرأسمالية كالقبائل والطوائف والاثنيات عن تكوين الأمة العربية . واستبعد عبد الناصر هذه الفئات التي كان من شأنها أن تدخل تجزئة « رأسية » في جسم الأمة العربية ، ولكنّه كان مدركاً لوجودها لأنها تدخل في حقول دلالة مفاهيم أخرى « كالشعوب العربية » و« العرب » و« المنطقة العربية »(٢٦) .

وبنهاية هذا التحليل نلاحظ أن عبد الناصر انتقل من نظرة تماثلية وشعبية للأمة العربية المكونة من « أفراد » و« شعوب » و« جماهير » ، إلى رؤية إجتماعية وفئوية تعددية أكثر تعقيداً . ولكن هذا التحوّل يبقى نسبياً لأن التصورين بقيا متعايشين في الخطب ذاتها .

---

(٢٥) « خطاب الى المثقفين بجامعة القاهرة لشرح بيان ٣٠ مارس ، ٢٥ ابريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ، ص ٤٢٢ .

(٢٦) « حديث الى مدير تحرير نيويورك تايمز ، ١٩ ابريل ١٩٦٩ ، » وثائق عبد الناصر : خطب ، احاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٩ - سبتمبر ١٩٧٠ ، ص ١١١ ، و« حديث الى شوفيل المعلق السياسي للتلفزيون الفرنسي ، ٢٩ نيسان / ابريل ١٩٦٩ ، » المصدر نفسه ، ص ١٢١ - ١٢٢ (سنشير للكتاب المذكور بـ وثائق عبدالناصر ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠) .

(٢) خاصّيات الأمة العربية

يتبين لنا من دراسة مواصفات ومشاركات مفهوم « الأمة العربية » وجود خاصيّات مادية وروحية وزمنية للأمة العربية .

(أ) الخاصيات المادية للأمة العربية

سبق لنا وأشرنا إلى هذه الخاصّيات على أنها ليست بين البراهين على وحدة الأمة العربية ، ونقصد بذلك عنصر الأرض والعنصر الاقتصادي .

ـ الأرض ومجال « الأمة العربية» : بما أن مفهومي الأرض والوطن يوحيان بمعنى المجال الأرضي ، فقد بحثنا علاقتهما بمفهوم « الأمة العربية ». إن مفهوم « الأرض العربية » الذي يعني مجمل « الأرض القومية العربية » لا يظهر بوضوح في الخطاب الناصري ، إلّا أثناء المرحلة الثالثة (١٩٦١ ـ ٦٣) ، عوضاً عن مفهوم « المنطقة العربية » الذي يغيب عندئذ عن مجموعة المفردات الناصرية . ولن تُنسب « الأرض العربية » إلى « الأمة العربية » كالقول « أرض الأمة العربية » إلّا في وقت متأخر أثناء الفترة السادسة (١٩٦٧ لغاية ١٩٧٠) في إطار بيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨ ، في الاستعمالات التالية :

(.) « أرض الأمة العربية » .
« البقاع المقدسة للأمة العربية ».
«أرض الأمة العربية جميعاً » .

كما أن مفهوم « الأرض العربية » لم يعطف لمفهوم « الأمة العربية » إلّا في خطابي ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٥ و٢٣ تموز / يوليو ١٩٧٠ (من العينة) . ولا يُنسب مفهوم « الوطن العربي »[٢٧] ، الذي يستعمل استعمالاً قليلاً ولكن منتظماً في الخطاب الناصري ، إلى مفهوم « الأمة العربية » إلّا في المرحلة الأخيرة وفي الخطاب الوحيد بتاريخ الأول من كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم :

« وطن الأمة العربية كلّها » . (وقد تمكنّا من خلال السياق فقط أن نعرف أن المقصود بذلك هو الوطن العربي بأجمعه) . ولا يقترن المفهومان ضمن علاقة مشاركة

---

(٢٧) ان مفهوم « الوطن العربي » لا يقتصر فقط على المجال القومي ، بل هو أغنى من ذلك بالمعنى ، كما سنبين ذلك في المقطع ٢ ـ من جيم .

أو عطف إلاّ مرة واحدة في خطاب إنفصام الوحدة السورية ـ المصرية (أيلول / سبتمبر ١٩٦١) . ويمكننا إذن أن نفكر أن المفاهيم التي لها مدلول المجال أو الأرض القومية[٢٨] لم تُنسب إلاّ نادراً ومؤخراً إلى « الأمة العربية » (بعد ١٩٦٧) . ونادراً ما عُطفت لها أو شاركتها . « فالأرض » بمعنى الأرض القومية تنسب بالأحرى في الخطاب الناصري إلى « الشعوب العربية » و« الوطن العربي » في الاستعمالات التالية : « أرض الشعوب العربية » ، و« أرض الوطن العربي » .

وقد جاء التفسير لهذا النقص من خلال التفحص لشبكة مواصفات « الأمة العربية » الذي يبيِّن لنا أن عبد الناصر كان يعتبر « الأمة العربية » كمجال ومكان ومنطقة في فترة ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ . وتبيّن ذلك الصلات التالية التي تتكرّر في الغالب بين هذه التحديدات :

« مساحتها الكبيرة » ، « في كل منطقة منها » ، « في كل أجزائها » ، « في كل أنحائها » ، « إلى جانبها » .

وهكذا ، وبما أن الأمة العربية ليست مجرّد جماعة وشخص بل أيضاً مكان ومجال قومي فلم يعد من الضروري أن تنسب إليها الأرض . وإذا كان مفهوما « الأرض » و« الوطن » قد نسبا مع ذلك إلى مفهوم « الأمة العربية » بعد ١٩٦٧ فذلك من أجل التأكيد على أهميتها وعلى الضرورة القصوى لتحريرهما ، لأن مفهوم « الأمة العربية » ، قد أصبح يحتل مكانة رئيسية في الخطاب الناصري ، وتحول بعد ١٩٦٧ إلى محور هذا الخطاب الذي تدور حوله كلّ المفاهيم القومية العربية الأخرى .

- الخاصّيات الاقتصادية للأمة العربية : إذا كانت العناصر الاقتصادية غير موجودة بين البراهين على وحدة « الأمة العربية » فهي ليست غائبة عن خاصّياتها ومشاركاتها ، وهي قليلة وغير محددة ، دون أن تكون نادرة :

(-) « ثروتها » ، « طاقاتها المادية » ، « أموالها » ، و« طاقاتها الاقتصادية » .
« كل طاقات الأمة العربية سياسيا واقتصاديا وعسكرياً » .

---

(٢٨) لا تنسب المساحات الوطنية المحلية « كالارض » و « الوطن » الى « الأمة العربية » اطلاقا ، بل ان مفهوم الوطن يقترن بعلاقة عطف بمفهوم « الأمة العربية » بصورة منتظمة بعد ١٩٦١. وسنعالج هذه النقطة في ١ ـ من جيم (الأمة العربية والكيانات العربية مادون القومية) .

وهذه العناصر بالذات هي معطوفة أيضاً للأمة العربية مع بعض التخصيصات الاضافية للاشارة إلى الصناعة والزراعة .

(ـ) « الأموال » ، « الطاقات الهائلة ، الطاقات العسكرية والاقتصادية » .

(.) « المصانع الضخمة » ، « الحقول الخصبة » .

وباستثناء المرحلة السادسة فإن عبد الناصر لا يتوسع كثيراً في موضوع ثروات الأمة العربية . وربما يكون السبب في ذلك أنه لم يشأ أن يعطي مأخذاً لخصومه الذين كانوا يتهمونه بالرغبة ، من خلال نداءاته إلى الوحدة والقومية العربية ، في الاستيلاء على الثروات النفطية العربية لفائدة مصر التي تفتقر إليها[٢٩] . وكان يريد أن ينزع من يد الامبريالية كلّ ذريعة لاستعمال الحجّة الاقتصادية لخلق الإنقسامات داخل المعسكر العربي .

ومع ذلك ، فقد حصل تبدّل بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧ حينما لوّح عبد الناصر بسلاح النفط . ولكن هنا أيضاً كان ذلك بهدف الضغط السياسي ، لأن الدافع السياسي يتقدم على ما يبدو ، الدافع الاقتصادي في المفهوم الناصري :

(ـ) « الثروات والطاقات الاقتصادية للأمة العربية » (١٩٦٨)

«بكل طاقة ضغط نملكها » (تموز / يوليو ١٩٧٠) .

ولا تجري الاشارة إلى الخاصّيات الاقتصادية « للأمة العربية » بعبارات « الثروات » و« الطاقات » بل أيضاً في عبارات :

(ـ) « تطور الأمة العربية » .

« نموها الاقتصادي والاجتماعي » .

---

(٢٩) في : « خطاب عيد الثوره الثامن عشر في افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومي، ٢٣ يوليو ١٩٧٠»، وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ ، ص ٤٧٧ (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٧٠ »)، حيث تحدث عن النتائج الايجابية للثورة الليبية : « وقلت لهم نحن لا نريد شيئا من ثروة الشعب الليبي . ثروة الشعب الليبي للشعب الليبي . قلت الكلام ده لأن الاستعمار ركز على هذه النقطة وقال بان مصر تتقرب الى ليبيا طمعا في اموال ليبيا » . اراد عبد الناصر اذن ان ينزع كل ذريعة من يد الامبريالية لاستخدام الحجة الاقتصادية لخلق انقسامات داخل المعسكر العربي .

ويوضّح عبد الناصر جيداً أن المقصود هو « نموها المتكامل »[٣٠] ، لسدّ الفجوات الناتجة عن « اختلاف مراحل التطور بين الشعوب العربية » . وفي هذا بالذات يظهر اهتمامه ببناء الوحدة الاقتصادية « للأمة العربية » .

(ب) الخاصّيات الروحية والزمنية « للأمة العربية »

ترتبط الخاصيات الروحية للأمة العربية بذاتيتها كطاقة فكرية وبُعد نفسي . وسبق لنا أن شاهدنا بين البراهين على وحدة الأمة العربية الخاصيات التي تجعل منها كائناً ذا « ضمير » و« فكر » و« عقل » .

ولهذا الكائن أيضاً بُعد يتصل بحقل القيم الأدبية :

(.) « لها عقائد »
و« مثل »
توكل إليها « الرسالة الكبرى » .

ومع أن « للأمة العربية » علاقات مع الله ، كما سنرى ذلك لاحقاً ، فإن « المعتقدات » و« المبادىء » و« المثل » و« الايمان » التي تحركها توكل إليها « مهمة » محض زمنية وغير فائقة للطبيعة : هذا ما يتّضح لنا من دراسة أهدافها وأعمالها في القسم التالي (ج) . ولعلّ هذا هو السبب في أن تكون خاصّيات القوة والارادة هي المهيمنة بين خاصّيات « الأمة العربية » . ولأن عبد الناصر كان يتصوّرها توّاقة بكاملها إلى مهمة تاريخية ثورية غالباً ما كان يناشد « قوتها » و« إرادتها » و« طاقتها » :

(=) « قوتها » ، « قواها » .
« إرادتها » ، « إرادتها في التغيير » .
« تصميمها » ، « عزيمتها » .
« قدرتها » ، « إنها قادرة » .

أما الخاصيات الزمنية للأمة العربية فقد سبق لنا أن شاهدناها بين البراهين على وحدانية « الأمة العربية » (« التاريخ » و« المصير ») . بقي علينا أن ندرس مفهوم « القدر » المنسوب إلى « الأمة العربية » (« قدرها ») . لأول وهلة يعيد هذا المفهوم

---

(٣٠) « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ » ، ص ٥٨ .

إلى الأذهان مفهوم « المكتوب » القديم . ولكن المهم أن نلاحظ أن عبد الناصر بقلبه للأمور والأفكار القديمة أعطى « القدر » معنىً جديداً : إنه يضع « قدر الأمة العربية » ليس في يد علوية قدرية بل بين أيديها بالذات ، فلم يعد مصيرها يرسم في الخارج بل هي « تصنعه » بنفسها : إنقلاب بالنسبة إلى المعنى التقليدي والسائد لـ« القدر » :

(=) « قدرها » ، « وتصنع بنفسها قدرها » (أنظر خطاب ١١ أيار / مايو ١٩٦٤ ، الأهرام ، ١٢ أيار / مايو ١٩٦٤) .

يبدو إذن بعد دراسة الخاصيات الروحية والزمنية « للأمة العربية »[٣١] . أن عبد الناصر يعتبرها شخصاً جماعياً له تاريخ ومصير وقدر ، قدر تصنعه بنفسها لأنها تتمتع بقوة وإرادة وتصميم . وهي ، باسم معتقداتها ومثلها ومبادئها ، موجّهة برسالة كبرى ، رسالة نتبيّنها من خلال دراسة الأهداف التي تصبو إليها، والأعمال التي تقوم بها .

ج ـ أهداف ونضالات وأفعال « الأمة العربية »

(١) الأهداف الأمة العربية

ينسب عبد الناصر إلى « الأمة العربية » ثلاثة أهداف رئيسية :

(+) الوحدة ؛ (=) الحرية ؛ (.) الاشتراكية .

ولا يشكل هذا الترتيب لأهداف الأمة العربية ترتيب أولويات في التحقيق . إنما هو ترتيب نسبة ورودها في حقول دلالة « الأمة العربية » . فالوحدة ، وتليها الحرية ، هما هدفا الأمة العربية اللذان ركّز عليهما بالدرجة الأولى الخطاب القومي الناصري . وخلافاً لذلك، إن ترتيب الأهداف الثلاثة للأمة العربية من حيث توقيت تحقيقها في الواقع ، هو على الشكل التالي : حرية ، إشتراكية ، وحدة . وبما ان عبد الناصر لم يتطرق للترتيب الزمني للأهداف الثلاثة إلا عندما تكلّم عن شروط تحقيق الوحدة العربية وعن موقعها بين أهداف « النضال العربي » ، لذا سنعالج هذه النقطة في

---

(٣١) ان صفتي « الشرف » و « الكرامة » قليلتا الاستعمال بين خاصيات « الأمة العربية » . أنظر : « خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٧ ، » ص ٢٥٩ .

الفصل السادس المخصص لتحليل مفهوم « الوحدة العربية » في الخطاب الناصري (جيم ١ ـ أ وجيم ٢ ـ ب) .

(أ) الوحدة العربية

تنسب إلى مفهوم الأمة العربية أو تقترن به وهي الهدف الذي يظهر في أغلب الأحيان في سياقها المباشر ولن ندرسها هنا لأننا خصصنا لها الفصل السادس بكامله .

(ب) الحرية

غالباً ما يظهر هذا الهدف في سياق (خاصّية ومشاركة) « الأمة العربية » في التسميات التالية :

الحرية ـ التحرير	الحرية ـ التحرر	الاستقلال
« حرية الأمة العربية . . . حقها في الحرية . التحرير » .	(ـ) « الحرية السياسية ، الحرية الاجتماعية التحرر الذاتي » .	(ـ) « الاستقلال الاجتماعي ومن ضمنه الاستقلال الاقتصادي » .

بالاستناد إلى التعاريف وإلى الحجج الواردة في مجمل خطابات العينة[٣٢] حول مختلف أشكال الحرية هذه ، توصّلنا إلى الرسم البياني التالي الذي يلخّص كل تطورات مفهوم « الحرية » ، الهدف الرئيسي « للأمة العربية » :

---

(٣٢) بيان ١٦ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٦١ ، ص ٥ ؛ مشروع الميثاق ، ص ٤٢ ؛ « خطاب الرئيس عبد الناصر في القوات العائدة من اليمن ، الاسكندرية ١١ /٨ /١٩٦٣ ، » الوثائق العربية ١٩٦٣ (بيروت : الجامعة الاميركية في بيروت ، دائرة الدراسات السياسية و الادارة العامة ، [د . ت .]) ص ٦٤٦ ـ ٦٤٧ (سنشير اليه بـ « خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٣ ») ؛ « خطاب الى ضباط وجنود القوات المسلحة في احدى القواعد العسكرية لشرح بيان ٣٠ مارس ، ٢٩ ابريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ، ص ٤٥٠ (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٩ نيسان / ابريل ١٩٦٨ لشرح بيان ٣٠ مارس ») ؛ « خطاب أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم ، » ص ٢٧١ ، و« خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٧٠ ، » ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦ و ٤٨٠ .

شكل رقم (٣)
تكوّن ودلالة مفهوم « الحرية » في الخطاب الناصري

« الحرية

« الحرية السياسية » « الحرية الاجتماعية »

الحرية السياسية

على الصعيد الخارجي (سلباً)	على الصعيد الداخلي (إيجاباً)
الأهداف « التحرر من الاستعمار وأعوانه » الاستقلال السياسي داخل الأمة العربية — من أجل الاستقلال الاقتصادي (رفض المعونة الأجنبية المتجهة نحو الاستغلال)	« حياة ديمقراطية سليمة » (١٩٥٣ - ٥٥) ↓ « حرية تقرير كل مواطن في ما يختص بوطنه » (حق الاقتراع) ↓ « ديمقراطية سياسية » : « السيادة وكل السلطة للشعب » « الديمقراطية أي الحرية السياسية » « إنهاء سيطرة الطبقة الواحدة على الطبقات الأخرى »
الطريق « الثورة السياسية » (١٩٥٣) أو « الثورة الوطنية » (١٩٦٠)	
المبادىء « حق الأمم في تقرير مصيرها » (١٩٥٥) « الحياد الايجابي وعدم الانحياز »	

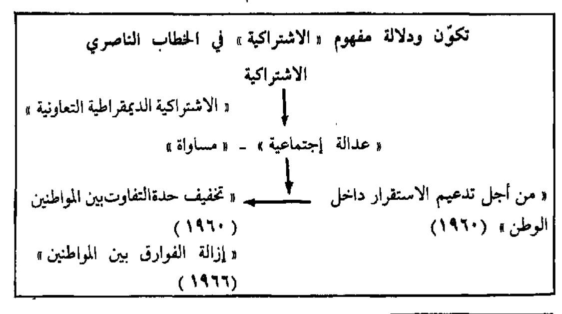
تابع / شكل رقم (٣)

الحرية الاجتماعية

إيجاباً	سلباً
« كفاية » ← « إشتراكية » ؛ « عدل » « مساواة » ← « إشتراكية »	١٩٥٤ : « التحرر من الاقطاع » « التحرر من الاحتكار » « التحرر من سيطرة الرأسمال » ١٩٦١ : « التحرر من الطبقة المسيطرة المستغلة » .

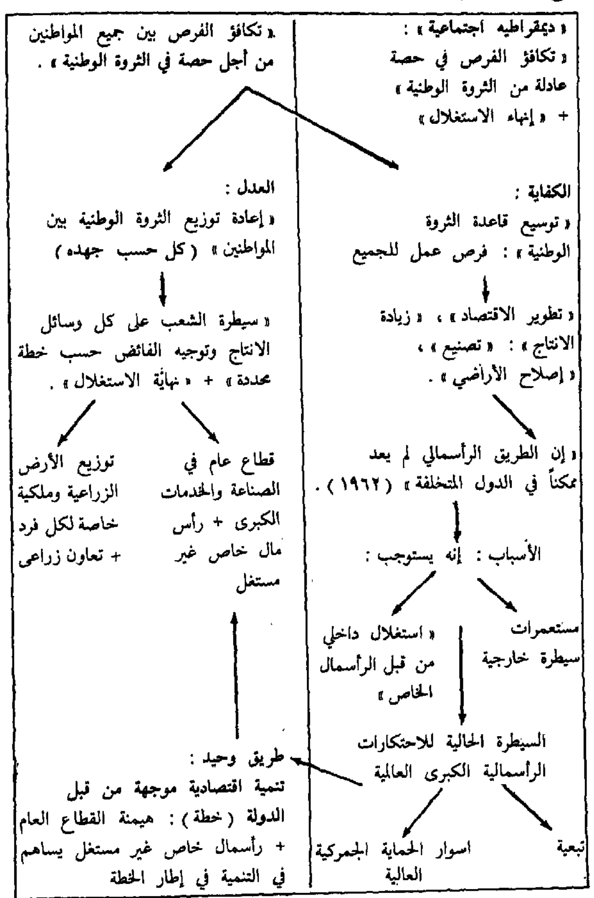
(ج) الاشتراكية : إن نضال « الأمة العربية » في سبيل الاشتراكية على الصعيد العربي وداخل كل بلد عربي ليس إلّا أحد أشكال النضال من أجل الحرية الاجتماعية لأن « الديمقراطية هي الحرية السياسية والاشتراكية هي الحرية الاجتماعية »[٣٣] . وقد تطوّر المفهوم الناصري « للاشتراكية » بصورة خاصة بين ١٩٦٠ و١٩٦٢ وفي السنوات اللاحقة . وقد لخّصنا الخصائص الرئيسية « للاشتراكية » الناصرية في الشكل التالي :

شكل رقم (٤)



(٣٣) مشروع الميثاق ، ص ٤٢ . مراجع اخرى في العينة لتوضيح المفهوم الناصري للاشتراكية :خطاب =

تابع / شكل رقم (١٠)



(٢) النضالات الثورية للأمة العربية

تأتي الصفة العامة « مناضلة » وخاصيات الكفاح والنضال والمعارك الملازمة للأمة العربية في ترتيب الأهمية بعد وحدتها . وهي عامة على مستوى الخصائص وأكثر تحديداً على مستوى المشاركات :

الأيديولوجية	الاجتماعية ـ الاقتصادية	السياسية العسكرية
(+) « المعارك الفكرية »	« المعارك الاجتماعية » .	« المعارك من أجل القوة »
	« المعارك من أجل التصنيع »	« المعركة السياسية والعسكرية »
	« المعارك ضد التخلف »	

وتندرج هذه الصراعات في إطار ثلاثة أنواع من « الثورة » منسوبة إلى الأمة العربية :

على الصعيد الوطني	على الصعيد القومي العربي
(.) « الثورة الوطنية »	(.) « الثورة العربية »
(.) « الثورة الاجتماعية »	

إن دراسة مسار البرهنة المقدّم بشأن « الثورات الثلاث » « للأمة العربية » يمكن أن يزيدنا معرفة بالعلاقات المتبادلة فيما بينها ، وطبيعتها ، والسياق الذي تدور فيه ، والأدوات التي بحوزتها . وخطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ أمام المؤتمر العام للاتحاد القومي له دلالته لأنه يتركّز كلّياً حول هذه النقاط . ونستخلص منه هيكله ومسار البرهنة على النقاط الأساسية :

الهيكل : -تعريف الثورات الثلاث (ص ٢)

- امتزاج الثورات الثلاث (ص ٤ ـ ٨)

= الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر العام للاتحاد القومي ، ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ٢٢ ـ ٣١ . (سنشير اليه بـ خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠) ؛ بيان ١٦ تشرين الأول / اكتوبر ١٩٦١ ، ص ٨ ـ ٩ و ١٨ ؛ مشروع الميثاق ، ص ٥٩ و ٦٢ ؛ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي في السويس بمناسبة عيد المدينة ، ٢٢ مارس ١٩٦٦ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ٢٣ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٦ في السويس) .

ـ المسار الذي تندرج فيه (ص ٨ ـ ٣٣)

ـ الاطار الضروري (ص ٣٣ ـ ٤٣)

(أ) تعريف الثورات الثلاث للأمة العربية

« ثورة وطنية في كل قطر عربي ، تحفزه إلى مجابهة الاستعمار وإلى قتاله » ، « ثورة عربية في كل قطر عربي تحفزه إلى تخطي الأسوار وإلى كسر الحواجز (. .) المادية التي تتمثل في الجهود التي اصطنعها الدخيل الغاصب ، أو المعنوية التي تتمثل في الشكوك التي زرع بذورها نفس الدخيل الغاصب » .

« ثورة اجتماعية في كل قطر عربي تحفزه إلى طلب الحياة لكل فرد من أفراده تحقيقاً للعدل ، إيماناً بأن العدل الاجتماعي هو الركيزة الوحيدة التي يمكن أن يستقر عليها الكيان الوطني لأي شعب من الشعوب » .

(ب) العلاقة المتبادلة بين الثورات الثلاث

يعطي عبد الناصر أمثلة عامة وأمثلة محددة على هذه العلاقة المتبادلة ، مأخوذة من التاريخ المعاصر للشعبين المصري والسوري . ونقتصر على مثالين اثنين :

ـ العلاقة المتبادلة بين « الثورة الوطنية » و« الثورة العربية » : « لقد كان نجاح الشعب السوري في الحفاظ على استقلاله في مواجهة المؤامرات والمناورات من حلف بغداد سبباً في احتفاظ هذا الشعب المجيد بإرادته الحرة التي استطاع بها أن يفرض التجربة الأولى للوحدة العربية ، وذلك بإقامة الجمهورية العربية المتحدة »[٣٤] .

ـ العلاقة المتبادلة بين « الثورات الثلاث » : « تأميم قناة السويس كان من ناحية التوقيت طلقة في معركة الكرامة الوطنية (ثورة وطنية) وكان من ناحية الهدف طلقة في معركة العدل الاجتماعي (ثورة اجتماعية) حين رصد دخل القناة للبناء والتصنيع والتطوير . كذلك كان من ناحية المعنى طلقة في معركة الوحدة (ثورة عربية) حين أثبت للأمة العربية أن شعوبها إذا ما استجمعت إرادتها ، واستوحت ضميرها ، كانت قادرة على أن تتحدى جبروت الاستعمار »[٣٥] .

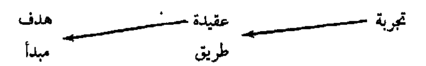
---

(٣٤) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، ص ٧ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٦ ـ ٧ .

(ج) المسار الايديولوجي الذي تندرج فيه

إن الصورة العامة للمسار الأيديولوجي الذي تندرج فيه كلّ من هذه الثورات هو على النحو التالي :



« لقد تبلورت الثورة الوطنية وتحددت في عقيدة الحياد الايجابي وعدم الانحياز باعتباره طريقاً إلى السلام العالمي » . « إن تجربتنا الثورية الوطنية ضد الاستعمار جعلتنا دعاة سلام » .

« وتبلورت الثورة العربية وتحددت في عقيدة القومية العربية باعتبارها طريقاً إلى الوحدة العربية » . . « وتجربتنا الثورية العربية ضد الفرقة جعلتنا دعاة وحدة » .

« وتبلورت الثورة الاجتماعية وتحددت في عقيدة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية باعتبارها طريقاً إلى العدل الاجتماعي » . . « وتجربتنا الثورية الاجتماعية ضد الاستقلال جعلتنا دعاة عدل »[٣٦] .

(د) الاطار المعتمد للقيام بهذه الثورات

يرفض عبد الناصر طريق الدولة أو « سيطرة الدولة » على العمل الثوري . ويرفض أيضاً « التعددية الحزبية » لأنها تؤدي إلى انقسام الشعب ، كما يرفض « الحزب الواحد » ، لأنه يقتصر على فئة واحدة من فئات الشعب . ويقترح صيغة الوحدة الشعبية : صيغة الاتحاد القومي بين ١٩٥٧ و ١٩٦٢ . وبالاستناد إلى الاقتراع الحرّ لكلّ الشعب « يسمح للمتناقضات أن توازن نفسها (. .) وأن تتفاعل الطبقات بما يقرب بينها ، وأن يقل التناقض بطريقة سلمية »[٣٧] . وفي عام ١٩٦٢ اقترح « الاتحاد الاشتراكي العربي »[٣٨] .

إن «النضالات الثورية» «للأمة العربية» ليست في نهاية الأمر بالنسبة إلى عبد

---

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٨ ـ ٩ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

(٣٨) حول مفهوم الاشتراكية عند عبد الناصر والتنظيمات السياسية التي اقترحها النظام الناصري ، أنظر المؤلف القيم للسيدة القشري ـ محفوظ ، الاشتراكية والسلطة في مصر (باريس : المكتبة العامة للقانون والاجتهاد، ١٩٧٢) .

الناصر سوى نضالات كلّ من شعوبها، وهي تحدث دائماً حركة تضامن عامة. وبهذا المنظار نظر عبد الناصر إلى نضالات الشعب السوري والعراقي والجزائري والليبي والسوداني والفلسطيني. وفي كل مرة تنشأ فيها حركة ثورية في أي جزء من الوطن العربي، كان يمنحها تضامن مصر، ويدخل تلك الحركة في نطاق النضال الاجمالي للأمة العربية. وقد جاء المثل الأكثر سطوعاً على ذلك في هذا التفسير الذي أعطاه لثورة اليمن:

«معركة اليمن كانت ملامح المعركة الشاملة للأمة العربية. إن كانت الأمة العربية تنسد الحرية فقد كانت معركة اليمن من أجل الحرية وإن كانت الأمة العربية تنشد الخلاص من الاستغلال فقد كانت المعركة في اليمن من جانب القوى الثورية جهداً مستميتاً للخلاص من الاستغلال، وإن كانت الأمة العربية تنشد العدل للانسان العربي فقد كانت المعركة في اليمن تطلب حق العدل؛ وإن كانت الأمة العربية تنشد حق تقرير مصيرها بعيداً عن الطغاة وأصحاب العروش الباغية فقد كانت معركة الشعب اليمني من أجل هذا»[٣٩]؛

(هـ) أدوات الكفاح.

إن صانعي النضال هم إذن كل شعب من الشعوب العربية والأمة العربية ذاتها:

« الأمة العربية بأكملها »

« الشعوب العربية »، « الشعب العربي »

ويبقى صانعو النضال إذن إجماليين غير محددين. وهناك أداة واحدة محددة من أدوات النضال هي «الجيش الوطني القوي» و«القوات المسلحة العربية». وبتعبير «الجيش الوطني القوي» كان عبد الناصر يقصد خاصة الجيش المصري الذي أوكل اليه في ١٩٦٣ «مسؤولية لا حدود لها في داخل الأمة العربية كلّها وحدود الأمة العربية». وهو يعتبره «درع الأمة العربية» ـ وهذه المسؤولية «مسؤولية غير منحصرة داخل حدودنا المصطنعة»[٤٠]. وسنبحث بمزيد من التفصيل في الدور الخاص الموكل إلى مصر داخل الأمة العربية (في جيم ـ ١). إلاّ أنه من بين أدوات النضال المتوفرة لديها

---

(٣٩) «خطاب ١١ آب / أغسطس ١٩٦٣»، ص ٦٤٦.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٤٧.

تبقى الأداة العسكرية هي الأداة المميزة، وتبقى الأداة السياسية المنظمة على الصعيد العربي مجرد مشروع.

(٣) أفعال الأمة العربية

إن شبكات أفعال الأمة العربية تستأثر بوفرة في أفعال العمل نصنفها حسب معايير عديدة: معيار المتمم / غير المتمم ومعيار الأفعال المعارضة (ضد) والأفعال الايجابية (مع)، ومعيار الصفة التمثيلية: الأفعال الشائعة هي التي تظهر بانتظام في العينة، وهي ذات صفة تمثيلية كبيرة (+) أو متوسطة (=)، والأفعال النادرة (.) هي التي لا تظهر إلّا نادراً (أنظر الجدول رقم ١٣) حيث جرى تفسير معايير الصفة التمثيلية . وقد توصّلنا إلى الجدول رقم (١٦) التالي.

نلاحظ أولاً سيطرة المرادفات :هناك عدة أفعال ذات معان متقاربة تدل، مع بعض الفروقات البسيطة، على عمل واحد (مثلاً، كافح، ناضل، حارب). وتفوق الأعمال غير المحددة على الأعمال المحددة. ونلاحظ خاصة سيطرة الأفعال الايجابية للأمة العربية، وأكثرها تمثيلاً هي «التوحيد» و«حشد طاقاتها» و«البناء» و«العمل» و«إختيار وسلوك طريقها لبلوغ أهدافها». أما الأفعال السلبية أو المعارضة فهي أقل عدداً. والعمل المجابه الرئيسي هو أنها «كانت تقاتل» و«تخوض ثورة» و«تخوض الحرب»، ولكن ذلك هو من الأمور الماضية، لأن عبد الناصر يرى أنه في الوقت الحاضر وفي المستقبل ستكون الأمة العربية مأخوذة كلياً بأفعال «البناء» و«العمل» و«مغالبة التخلّف» وهي تستأنف النضال بعد ١٩٦٧ من أجل «القضاء على العدوان»، وتفعل ذلك من أجل هدف إيجابي هو «تحرير أرضها» «لتبقى».

وبنهاية هذا التحليل التزامني لخصائص «الأمة العربية» توصلنا إلى الملاحظات التالية:

يطرح عبد الناصر مسألة وحدة الأمة العربية في شكل معطيات ثابتة وجوهرية: اللغة والتاريخ والضمير والعقل. وهو لا يطرحها في شكل عملية تحوّل إجتماعي جذري وبناء إجتماعي متوجب التحقيق. فهو يفترضها محققة على الصعيد التاريخي - اللغوي والنفسي ومتوجبة التحقيق على الصعيد السياسي - الدولتي. وهكذا، يغيب عن باله أن الأمة العربية الحديثة لم تتوحّد بعد وأنها متوجبة البناء ليس على الصعيد السياسي - الدولتي فحسب، بل خصوصاً بإحداث تحوّل عميق في البنيات الاجتماعية

جدول رقم (١٦)

أفعال « الأمة العربية »[٤١]

الأفعال الشائعة (+) (=)	الأفعال النادرة (٠) (−)
انتهت (تمت في الماضي)	
إيجابية (+) «عاشت تاريخا واحدا» . «حققت تجربة وحدوية» . «هبت تنادي بالوحدة» «سعت إلى وحدتها»	(٠) «لم تتفتت، لم تنته بعد الهزيمة» (٠) «رفعت المبادىء» . «قدست معاني» (−) «وقفت مع الشعب المصري» «صمدت» «صبرت» (٠) «حققت دائما النصر»
معارضة أو سلبية (=) «كافحت» «ناضلت» «كانت تحارب وتخوض ثورتها» «تخوض المعارك» «تقاتل» .	(٠) تحملت مرارة كفاح طويل «ضحت بالكثير» «قاست» (٠) «انهارت عسكريا» «فقدت جيوشها وسلاحها» ( ) «رفضت الهزيمة» «رفضت الاستسلام»

(٤١) لقد أوردنا المفاهيم حرفيا كما جاءت في الخطاب الناصري . وينطبق الشيء نفسه كلما أوردنا المفردات المأخوذة من شبكات الدلالة .

تابع / جدول رقم (١٦)

لم تنته (غير متمّمة في الوقت الحاضر والمستقبل)	
إيجابية (+) «تتحرك» «تختار طريقها» «تحدد إتجاه الطريق» «تسير في طريقها» «تتمكن من الانتقال إلى ما تتطلع إليه» «للتحرك من مرحلة الصمود إلى مرحلة النصر» (=) «تحتاج إلى جهد كبير وعمل في جميع الاتجاهات» « سوف تبذل جهودا أكبر» «ستنطلق في طريق البناء والعمل» «أن تبني نفسها» «وتقيم فوق أرضها ما تريد» «ستعمل» «تصنع بنفسها قدرها» **معارضة**	(٠) «لمغالية التخلف» « للخلاص من الاستغلال» (٠) لبلوغ مستوى التقدم المنشود (بعد ١٩٦٧) (٠) «هل ستستطيع أن تقاوم»؟ «ستصمد» «تصمم على الصمود» (٠) «تحشد قواها» ، «تحشد كل طاقاتها» «ستعبأ جهودها» (٠) «تتحد» «تحاول بكل وسيلة أن تتكتل وتتفق سياسيا وعسكريا وإقتصاديا» «حتى تشترك كلها في المعركة» (٠) «التحرير» «تطالب بارضها» «استرداد أراضيها» «لن تفرط» «لن تسلم أي قطعة من أراضيها» «واجب تحرير الأرض» «تريد تحرير أرضها جيعاً» «لن نتنازل عن شبر» (٠) «الموضوع هو أن تكون أو لا تكون ، إما تبقى أو لا تبقى ، ستبقى » (٠) «لمواجهة اعدائها» للقضاء على العدوان» .

القائمة والبنيات القديمة المجزأة التي تعترض سبيل عملية التوحيد. وتتوقف ملاحظة عبد الناصر لحالة انقسام وتفتت الأمة العربية عند الانقسام السياسي الذي صنعه الاستعمار. ولكنه عندما أثار بعد ١٩٦٧ مسألة التطور غير المتكافىء، إكتفى بتحديد موقعه على صعيد سياسي واقتصادي بين الشعوب العربية، دون أن ينظر إليه على صعيد البنيات الاجتماعية. ويظهر تردد عبد الناصر في التعمق بمسألة حالة انقسام الأمة العربية عندما يتصوّر تركيبها: الرؤيا المتجانسة للأمة العربية هي التي تغلب، وهو لا يعترف إلاّ بعد ١٩٦٧ بوجود فئات إجتماعية داخل الأمة العربية. أما التشكيلات ما قبل الرأسمالية التقليدية، فهو يستمر في تجاهلها كلياً، معتبراً - ربما - أنها ثانوية، أو خشية إلحاق الضرر بالصورة الموحّدة التي يعطيها للأمة العربية.

ونحن نشاطر جزئياً ج. موزيكار[٤٢] رأيه في أن «المفهوم المثالي للأمة (عند عبد الناصر) قد منعه من تكوين فهم تاريخي للتطور المجتمعي». ومع أن موزيكار لا يشرح كثيراً ماذا يقصد بالتطور المجتمعي، فإننا نعتقد أن البعد المجتمعي غائب عن الخصائص التي نسبها عبد الناصر للأمة العربية.

ولكن لا نعتقد بأن مفهوم عبد الناصر «للأمة العربية» هو مفهوم مثالي كلياً. بل إنه بالأحرى، برأينا، مزيج من المثالية والواقعية: تختلط الخاصيات المادية والروحية للامة العربية، وتنتج الخاصيات الروحية عن الخاصيات المادية، ولدى عبد الناصر نظرة شعبية للأمة العربية «إنها الشعوب». ولكن الأمر الذي يهيمن بين الخصائص التي يعطيها للأمة العربية، هو بعدها النضالي والفاعل. وبالنسبة إلى عبد الناصر إذا كانت هناك أمة عربية فذلك لأنها في نضال متواصل ضد الاستعمال وكل أشكال السيطرة. والأمر الذي يعطي الحياة للأمة العربية، رغم البراهين الثابتة التي يتقدم بها، هو حركة النضال والتضامن الدائمة في الوطن العربي.

٢ - تحليل تعاقبي لخصائص «الأمة العربية»

سنبحث هنا في التحولات الهامة للخصائص المميزة «للأمة العربية» في الخطاب الناصري.

---

(٤٢) J.Muzikar, «Arab Nationalism and Islam,» ArchivOrientalni(prague), vol.43, no.3 (1975), pp.203-204.

أ ـ وحدانية / وانقسام «الأمة العربية»

وضع عبد الناصر البراهين على وحدة «الأمة العربية» وحالة انقسامها بين ١٩٦٠ و١٩٦٤، اثناء المرحلتين الثانية والثالثة، مرحلتي الوحدة السورية ـ المصرية محاولة الاتحاد الثلاثي (١٩٦٣). وقبل هذه المرحلة وبعدها، أكدّ عبد الناصر على أن الأمة العربية «واحدة» دون أن يقدم براهين جديدة، إذ أن هذه البراهين تكرّست نهائياً في ميثاق ١٩٦٢.

ب ـ العناصر المكوّنة «للأمة العربية»

إن التفحص الدقيق للعناصر المكونة «للأمة العربية» يبيِّن لنا وجود ثلاثة أنواع من العناصر: العناصر الدائمة كـ «أبناء» و«شعوب»، التي تظهر بانتظام بين خاصياتها ؛ والعناصر النادرة والمتأخرة («العمال» و«الفلاحون» و«المثقفون» و«القوى المسلحة») ؛ والعناصر الظرفية التي تتغير حسب الظروف («الحكام» و«الحكومات العربية»).

ولم يميّز عبد الناصر داخل «الأمة العربية» وجود عدة فئات اجتماعية إلاّ بعد ١٩٦٧، وقد رأينا في ذلك تعميقاً نسبياً لرؤ يته المجتمعية للأمة العربية، خلافاً لرؤ يته التماثلية والشعبية قبل ١٩٦٧. وسعياً منه لعدم مضاعفة «التقسيمات»، حتى الموضوعية منها، التي تنتج عن التمادي في التصنيف. فقد استبعد الفئات العليا والفئات المتوسطة (التجار والحرفيون) واقتصر على الأساسي من القوى المنتجة والمدافعة والمفكرة. ولكن هذا لا يعني أن عبد الناصر لم يكن يرى التمايز الاجتماعي في كل قطر من أقطار الأمة العربية، لأنه أقر منذ ١٩٥٥ بالنسبة إلى مصر تمايزها إلى عدة فئات إجتماعية:

« جميع طبقات الأمة (نسبة لمصر) : من ريفها وحضرها وبدوها ، من فقرائها وأغنيائها ، من مثقفيها وعمّالها وفلاّحيها » . (خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٥٥) .

ج ـ خاصيات الأمة العربية

درسنا تطور الخاصيات المادية للأمة العربية، وبقي علينا أن نبحث في تطور خاصياتها الروحية. وقد وضع عبد الناضر الخاصيات غير المادية «للأمة العربية» التي تناشد ضميرها وعقلها والقيم التي تؤمن بها («الايمان» و«المثل» و«المبادىء») و«إرادتها» و«قوتها»، اثناء مراحل النهوض القومي (المرحلة الثانية) ومراحل استئناف النضال على

المستوى العربي (المرحلتان الثالثة والسادسة)، وذلك كما لو أن عبد الناصر أراد في تلك الأوقات أن يحشد كل الطاقات العقلية والروحية والنفسية للأمة العربية وأن يدفعها إلى الأمام.

د ـ أهداف ونضالات وأفعال الأمة العربية

(١) أهداف الأمة العربية

سوف نتناول في الفصل السادس التحوّلات التعاقبية لهدف «الوحدة العربية»، الهدف الرئيسي للأمة العربية. وندرس هنا تحولّات هدفا «الحرية» و«الاشتراكية». فإذا استثنينا المرحلة الثانية (١٩٥٨ ـ ٦١) حيث أصبحت «الوحدة العربية» الهدف الوحيد للأمة العربية والمرحلة الخامسة (١٩٦٦ ـ ٦٧) حيث احتل النداء من أجل «وحدة القوى الثورية» للأمة العربية كل المجال، باستثناء هاتين المرحلتين، فإن هدف الحرية ـ التحرر ظل موجوداً باستمرار في السياق شبه المباشر «للأمة العربية» (المراحل الأولى والثانية والرابعة والسادسة). ومع أن عبد الناصر يعطي هدف الحرية المكانة الأولى في مراتب التنفيذ، قبل الاشتراكية والوحدة العربية (كما سنرى في الفصل السادس)، فإنه يأتي من حيث الأهمية (التكرار) بعد هدف الوحدة، إلاّ أثناء المرحلة السادسة، بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧ حيث أصبحت «الحرية ـ التحرير» الهدف الأول «للأمة العربية».

أما هدف «الاشتراكية» فهو نادراً ما يظهر في سياق «الأمة العربية». وقد نُسِب إليها أثناء المرحلة الثالثة بعد المراسيم الاشتراكية في حزيران / يونيو ١٩٦١. ومردّ هذه الندرة إلى أن عبد الناصر لم يقترح تحقيق «الاشتراكية» على مستوى «الأمة العربية» بكاملها في آن واحد، وإنما اقترح تحقيقها في كل بلد عربي على حدة، مع مراعاة «نمو متكامل» بين هذه البلدان. كذلك يتبيّن من قراءة الميثاق أن عبد الناصر لم يضع تصوّره للاشتراكية إنطلاقاً من تحليل أوضاع الأمة العربية بشكل أساسي وإنما وضعه إنطلاقاً من التجربة المصرية ومتطلبات الدول النامية وتحليل أوضاع الرأسمالية العالمية، ثم اقترح على كافة الأقطار العربية تطبيق هذا النموذج من الاشتراكية الذي توصّل إليه.

(٢) نضالات « الأمة العربية »

يبيّن التحليل التعاقبي للنضالات والثورات المنسوبة أو المقترنة «بالأمة العربية»

في الخطاب الناصري، التأثير القوي للظروف القائمة. وتظهر موضوعات «الكفاح» و«المعارك» و«النضال» في النطاق شبه المباشر «للأمة العربية» في فترات النهوض القومي (المرحلة الثالثة) ولدى أخذه بسياسة جذرية على الصعيد العربي (في المرحلتين الثالثة والسادسة).

ويؤدي تبدّل الأوضاع إلى تبدّل نوع كفاح «الأمة العربية». وهكذا فإن «المعارك الفكرية»، و«المعارك من أجل القوة والتصنيع والبناء» تعتبر أهم المعارك في المرحلة الثالثة (١٩٦١ - ٦٣): إنها تتوافق مع مرحلة حددت فيها المبادىء (الفكرية) المتعلقة بالوحدة العربية والاشتراكية، في ميثاق ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢[٤٣]، كما تتوافق أيضاً مع التصنيع المكثّف لمصر وتطبيق المراسيم الاشتراكية لعام ١٩٦١ على الصعيد المحلي، والاشتراك في حرب اليمن على الصعيد القومي. في حين أن تبدل الأوضاع بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧، بسبب الهزيمة العربية، وضع «المعارك الفكرية والسياسية» للأمة العربية في المقام الأول. ومع التذكير بمعاركها الماضية والاشارة إلى معاركها المقبلة، فإن الظرف الحالي هو لحشد كل الطاقات العسكرية والاقتصادية والسياسية من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة.

وبعد أن نسب عبد الناصر موضوعي «الثورة الوطنية» و«الثورة العربية» إلى الأمة العربية أثناء المرحلة الثانية، عاد أثناء المرحلة الثالثة، وفصلهما عنها وأصبحا مستقلين. وبقيت «الثورة الوطنية» محدودة الاستعمال في الخطاب الناصري (المرحلة الخامسة) ولم تتخطَّ المستوى المحلي لكل «قطر عربي». أما «الثورة العربية» فقد كانت موضوعاً ثابتاً في الخطاب الناصري وعرفت تطورات كبيرة أثناء مراحل السياسة الجذرية على الصعيد القومي العربي (المرحلة الثالثة: ١٩٦١ - ٦٣ والمرحلة الخامسة، ١٩٦٦ - ٦٧).

(٣) أفعال «الأمة العربية»

سنعتمد على جدول أفعال «الأمة العربية» (رقم ١٦) لدراسة تطور حقل أفعال «الأمة العربية»:

(٤٣) عندما أتى عبد الناصر على ذكر الصراعات الفكرية للامة العربية في خطاب ٢٢ تموز / يونيو ١٩٦٣ عند الانسحاب من الاتحاد الثلاثي، أوضح انه قد عاد الى ميثاق ١٩٦٢ والى كل المناقشات التي دارت حوله. وهو لم يشر الى المباحثات مع حزب البعث لأن الخلافات معه. كما أكد ذلك في خطاب ٢٢ تموز / يوليو لم تكن خلافات «عقائدية» بل «شخصية». أنظر: «خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو، القاهرة ٢٢ / ٧ / ١٩٦٣،» الوثائق العربية ١٩٦٣، ص ٥٩٢.

ـ «تحقيق الوحدة، تسعى إليها، تتوحد، تتكتل» (أفعال تحققت وتتحقق، المراحل: الثانية والثالثة والخامسة والسادسة).
ـ «تختار طريقها، تحدد اتجاه الطريق، تسير في طريقها» (أفعال تتحقق، المراحل: الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة).
ـ «تصمد، تكافح، تناضل، تخوض ثورتها والحرب في وقت واحد (أفعال تحققت ومتوجبة التحقيق، للمراحل: الثانية والثالثة والسادسة).
ـ «تعمل، تبني، تبني نفسها، تقيم فوق أرضها ما تريد»، (أفعال عليها أن تحققها وهي تقوم بذلك، المراحل: الثالثة وخاصة السادسة).

وتجدر الاشارة إلى أن أفعال الوحدة والكفاح هي أفعال دائمة «للأمة العربية» في الماضي والحاضر والمستقبل. وعلى العكس من ذلك فإن أفعال العمل والبناء أدخلت حديثاً من قبل عبد الناصر، وليس لها سابق في ماضي «الأمة العربية»: إنها مهمة وواجب للوقت الحاضر وللمستقبل. وقد شدد عبد الناصر على هذه المهمة بشكل خاص بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧.

إن فعل السير إلى الأمام هو صفة دائمة «للأمة العربية» في كل المراحل، سواء كانت مراحل انكفاء أو إنطلاق، ما من شيء يوقف مسيرة «الأمة العربية» نحو أهدافها. فضلاً عن أن هذا الفعل يجري دائماً في الوقت الحاضر في الخطاب الناصري: إنه ليس الحركة الماضية «للأمة العربية» المستمرة بصورة متواصلة في الوقت الحاضر بل هناك قطيعة مع الماضي. وقد أشار عبد الناصر إلى فعل آخر للأمة العربية في المرحلتين الثالثة والخامسة: «مغالبة التخلف»، «للخلاص من الاستغلال»، «لبلوغ مستوى التقدم المنشود». هذا الفعل للأمة العربية، المقرون بالمجهد من أجل العمل والبناء، توقف مع حرب وهزيمة ١٩٦٧ اللتين فرضتا على «الأمة العربية» هدفاً آخر أكثر إلحاحاً هو «تحرير» الأراضي العربية المحتلة، الذي تكرر باستمرار أثناء المرحلة السادسة.

وبنهاية هذا التحليل ترتسم أمامنا عملية تجري في الزمان والمكان، نستخلصها من الخاصيات التي وصف بها عبد الناصر «الأمة العربية»: عملية جماعة من «الشعوب ـ الابناء»، «تتكتل وتتحد»، «تتحرك وتسير في طريقها»، ليس في مجال غير محدد بل في «سبيل، طريق، اتجاه حدَّدته بنفسها»، سبيل إيجابي بصورة أساسية من أجل «العمل والبناء»، «مغالبة التخلف»، «للخلاص من الاستغلال». وهي لذلك

تصطدم بالأعداء الخارجيين الذين يعتدون عليها فـ«تقاومهم وتواجههم». يحتلون «أراضيها» فـ«تحشد كل طاقاتها وتعبىء كل جهودها» من أجل «تحريرها». إنها صورة عربية قديمة للجماعة البشرية التي تسير دائماً إلى الامام، في الطريق الذي رسمته لنفسها، من مرحلة إلى مرحلة، تناضل ضد أعدائها، وتدافع عن أراضيها ضد غزواتهم، وإنها صورة عربية حديثة للجماعة القومية التي «تعمل وتكافح» لكي «تبني» مجتمعاً «بدون استغلال» ولـ «مغالبة التخلف» و«بلوغ مستوى التقدم المرجو » وتحقيق وحدتها. إنهما صورتان تندمجان في بعضهما بعضاً: صورة الماضي الذي يحيط بإطاره الشكلي صورة الحاضر والمستقبل.

باء ـ القوى المساعدة والقوى المعاكسة لمفهوم «الأمة العربية» في الخطاب الناصري

مع أننا لم نعتمد طريقة تحليل القوى الفاعلة (أنظر الفصل الأول)، فقد أخذنا عن هذه الطريقة مفهومي «القوى المساعدة» و«القوى المعاكسة». وتشمل القوى المساعدة الفاعلين الذين يُنسبون في حقول دلالتها «للأمة العربية» أو يقترنون بها: إنها ، بصورة أساسية، عوامل إيجابية حيّة. وتشمل القوى المعاكسة العوامل المضادة «للأمة العربية». ونعمد أولاً إلى إجراء تحليل تزامني لهذه القوى ولأفعالها. وثانياً، نجري تحليلاً تعاقبياً لها. ونبحث في كل من هذه الأجزاء إبتداء بالقوى والأفعال المساعدة ومن ثمّ القوى والأفعال المعاكسة.

١ ـ تحليل تزامني

أ ـ القوى والأفعال المساعدة « للأمة العربية »

صنفنا في الجدول رقم (١٧) القوى المساعدة «للأمة العربية» إنطلاقاً من القوى الأكثر عمومية إلى القوى الأكثر خصوصية[٤٤] وأشرنا بين قوسين الى المراحل التي ظهرت فيها هذه القوى في حقل دلالة «الأمة العربية». وسنبين في الجدول رقم (١٨) شبكة أفعال القوى المساعدة «للأمة العربية»، حسب درجة عموميتها / خصوصيتها، وحسب الوقت الذي تحققت فيه («انتهت» بالنسبة للافعال الماضية، «ولم تنته» بالنسبة للأفعال الحاضرة والمستقبلة).

---

(٤٤) نذكر بأن اشارة (+) تعني القوى (او الصلات الاخرى) الواسعة التمثيل أو العامة ، وأن الاشارة (=) تعني القوى المتوسطة التمثيل ، وأن الاشارة (ـــ) تعني القوى القليلة أو الخاصة ، وأن الاشارة (•) تعني القوى النادرة .

جدول رقم (١٧)

القوى المساعدة «للامة العربية»

عامة (+) (=)	خاصة (−)	نادرة (٠)
«الشعب العربي»	«العمّال من جميع البلاد العربية»	فئات داخلية
«الشعوب العربية»	«العامل، العمال» (المرحلتان الثالثة والسادسة)	«قوى الفلاحين»
(المراحل الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة)		«المثقفون»
		«القوى الشعبية» (المرحلة السادسة)
«أي شعب من شعوبها»	«الشعب العامل» (المرحلة السادسة)	
«الشعب المصري»	«نحن جماهير الشعب العاملة» (المرحلة السادسة)	«كل فرد منها»
«الشعب السوري»	«القوات المسلحة العربية»	«كل واحد من أبنائها»
(المراحل الثانية والثالثة والسادسة)	«الجيوش الشعبية العربية» (المرحلة السادسة)	«المواطن العربي الحر»
	«الجيش الوطني القوي» (المرحلة الثالثة)	«الانسان العربي»
	«الجماهير العربية» (المرحلة السادسة)	«قواها السياسية» (المرحلة السادسة)
	«أنا» (المرحلتان الثالثة والسادسة)	«القوى الثورية» (المرحلة الخامسة)
		«كل القوى العربية» (المرحلتان الثالثة والسادسة)
		«القيادات الثورية الشعبية» (المرحلة الثالثة)

تابع/ جدول رقم (١٧)

	«العالم» (المرحلتان الثالثة والسادسة) «الله» (المرحلتان الثالثة والسادسة)	«القواعد الشعبية» (المرحلة الثالثة) «كل الحركات القومية» (المرحلة الثالثة) «قوات المقاومة» (المرحلة السادسة) «هذه القيادة» (المرحلة الثالثة) «الحكومات العربية» (المرحلة السادسة) **فئات خارجية** «طلائع ثورة أخرى كبرى» (المرحلة الرابعة) «الدول الاشتراكية» (المرحلة السادسة) «أمم أخرى» (المرحلة الثالثة) .

جدول رقم (١٨)

أفعال القوى المساعدة «للأمة العربية»

انتهت	لم تنته بعد
(-) «دفعها الأمل» «أعطيتم دفعة كبيرة لـ( )» « حركتها» (-) «اكرمها الله (الأمة العربية) «اراد الله أن يمدها بمدد جديد» (-) «النضال الشعبي حدد أمامها أهداف» (٠) «آمن الشعب بها» «ما كفرنا بها»	(٠) «سوف يقرر الشعب مصيرها» (٠) «تحريرها» (المرحلة الثانية) (٠) «يريد الله لها النصر»(المرحلة السادسة) (-) «إرادة الله ترشدها وتلهمها» (المرحلة الثالثة) (٠) «نؤمن بها» «لا يمكن ان نفقد ثقتنا بها» «نعتمد عليها» (٠) «تحقيق وتأكيد الانتماء إليها» (المرحلة السادسة). (-) «يجب أن نحشدها» «حشد وتجميع كل طاقاتها» «جمع شملها» «تجميع بنيها» «حتى لا تفرق بين ابنائها» (المرحلتان الثانية والسادسة) (٠) «من أجل الدفاع عنها» «نطلع ونموت من أجلها» «صمموا على الكفاح والنضال من أجلها»(المرحلة السادسة) (٠) «كلهم يريدون العمل من أجلها» «تحتاج إلى جهد كبير كبير وعمل في جميع الاتجاهات » (المرحلة السادسة) .

إن عامل «الشعب» في كل استعمالاته (المفرد، الجمع، المحلي، العربي، المصري والسوري) وعامل «نحن» هما العاملان اللذان يظهران بانتظام أكثر من غيرهما في حقل دلالة «الأمة العربية». ويبقى تأثيرهما عليها متمماً ويقضي بتحفيزها و«دفعها» و«تحديد أهداف أمامها» و«تقرير مصيرها» بممارسة حقها في ذلك. وعامل «الشعب» يعمل بالأحرى بالاشتراك مع «الأمة العربية» ويتلقى ذات الأفعال التي تتلقاها.

وعامل «نحن» متعدد الدلالات. وقد استعمله عبد الناصر كثيراً، وهو يهدف إلى إزالة المسافة بينه وبين المخاطبين الذين يتوجه إليهم في خطابه سواء كانوا الشعب المصري أو مجموع الأمة العربية أوأعضاء مجلس الأمة أو القوات المسلحة. والـ «نحن» مدعوّة من قبل عبد الناصر إلى «تجميع وحشد» «الأمة العربية» و«الّا تفقد الثقة بها» و«الموت من أجلها». والـ «نحن» «تعتمد على الأمة العربية» لأنها «تؤمن بها».

وللقوى ذات المدلول الاجتماعي أهميتها، رغم كونها قليلة التمثيل في حقل دلالة «الأمة العربية»، بسبب خاصيتها بالذات. ويتعلق الأمر أولاً بالقوات المسلحة. فقبل ١٩٦٧ كان «الجيش الوطني القوي»، كالجيش المصري مثلاً، يشكل درع «الأمة العربية». وبعد حرب حزيران /يونيو ١٩٦٧، أضيفت إليه الجيوش العربية «النظامية» و«الشعبية»، لأن هزيمة حزيران /يونيو ١٩٦٧ أثبتت أن «الجيش الوطني» لا يستطيع وحده تأمين الدفاع عن «الأمة العربية» بكاملها. وفعل «الدفاع» عن الأمة العربية والاستعداد « للموت من أجلها » هما المهمتان المتممتان أو الواجب إتمامها من قبل القوات المسلحة .

إن القوى المساعدة ذات المدلول الاجتماعي، التي أعلنت منذ ١٩٦١ (المرحلة الثالثة) بادخال « العامل » و« العمال » في حقل دلالة « الأمة العربية » ، أصبحت معقّدة بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧. وعلى « عمال كل البلدان العربية » و« الشعب العامل » و« جماهير الشعب الكادح » و« قوى العمال والفلاحين » و« المثقفين » « العمل في كل الميادين » من أجل « بناء الأمة العربية » ومنحها « بنيان داخلي قوي » و« بنيان إقتصادي قوي » . و« بدون هذا البنيان الداخلي القوي » « لا يقوم جيش وطني قوي » (١٩٦١) .

وإذا كانت القوى المساعدة ذات المدلول الاجتماعي محدّدة بدرجة ما، فإن القوى المساعدة ذات المدلول السياسي ليست كذلك. وكونها ظرفية ومذكورة في بعض الخطب، وموزّعة على فترة واحدة أو إثنتين، فإن التفريق الوحيد الذي نجده

فيها هو التأكيد على «القيادات» السياسية سواء كانت «شعبية وثورية» أو حكومية: «الحكام»، «هذه القيادة» (الناصرية). وإن إضافة الصفة «قومية» أو «عربية» لبعض القوى السياسية («كل القوى العربية» «كل الحركات القومية») قلّما تحدّدها.

وربما يعود عدم تحديد عبد الناصر للقوى السياسية المساعدة «للأمة العربية» إلى غياب الأداة السياسية المنظمة على الصعيد العربي عن تصوّره القومي، كما يعود إلى رؤيته الشعبوية للأمة العربية، حيث ينحصر الدور الرئيسي في حركة «الجماهير العربية» و« الشعوب العربية » .

وتبقى هناك القوى المحسوسة ذات المدلول الشمولي: «العالم كله» و«العالم الخارجي» أو القوى الروحية: «الله» ، «إرادة الله». وسندرس في الفقرة التالية (جيم) علاقة الأمة العربية بالشمولية المحسوسة، وسنبحث في الفصل السابع العلاقة بين الفكر الديني والفكر القومي في الخطاب الناصري.

ب ـ القوى والافعال المعاكسة للامة العربية

لقد صنّفنا في الجدولين التاليين رقم (١٩) و(٢٠) القوى والافعال المعاكسة «للأمة العربية»، حسب درجة عموميتها /خصوصيتها، وحسب ما إذا كانت انتهت أو لم تنتهِ بعد.

يتبيّن من الجدولين أن الأعداء الرئيسيين «للأمة العربية» في التصور الناصري هم: «الاستعمار»، «اسرائيل»، «الصهيونية»، «الرجعية العربية». وابتداء من أول شباط / فبراير ١٩٦٧، جمع عبد الناصر هؤلاء الأعداء في تحالف واحد إعتبره: العدو الرئيسي للأمة العربية: « التحالف المعادي لآمال الأمة العربية ، التحالف الثلاثي : الاستعمار والرجعية على يمينه ، وإسرائيل على يساره » .

وداخل هذا التحالف تعود المكانة الرئيسية للاستعمار، لأنه هو الذي يقوم بـ «تسليح إسرائيل وتسليح الرجعية العربية»[٤٥]. ومنذ عام ١٩٥٢، فرّق عبد الناصر بين وجهين لمفهوم «الاستعمار»: الاحتلال المباشر من قبل القوات المسلحة الأجنبية لأحد البلدان (الاستعمار بالمعنى التقليدي) وسيطرة الاحتكارات المالية الدولية على إقتصاد هذا البلد (الامبريالية بالمعنى اللينيني) . وبما أن هذين الوجهين للسيطرة

(٤٥) « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧،» ص ٨١ .

جدول رقم (١٩)

القوى المعاكسة «للأمة العربية»

من اكثرها عمومية (+) (−)	
الخارجية	الداخلية
«الأعداء ـ العدو»	«اعوان الاستعمار»
(المراحل الثانية والثالثة والخامسة والسادسة)	«اعوان الصهيونية»
«الاستعمار»	(المراحل الثانية والخامسة والسادسة)
«الاستعمار العالمي»	
«الدول الاستعمارية»	«الرجعية»
«الامبريالية» (المرحلة السادسة)	«الرجعية المتحالفة مع الاستعمار»
(المراحل الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة)	«الرجعية العربية»
	(المرحلتان الثالثة والخامسة)
«الصهيونية»	
«الصهيونية العالمية»	
«الحركة الصهيونية العنصرية»	
(المراحل الأولى والثانية والثالثة والرابعة والسادسة)	
«اسرائيل»	
«اسرائيل رأس جسر للاستعمار العالمي»	

تابع/ جدول رقم (١٩)

الخارجية	الداخلية
(المراحل الثانية والخامسة والسادسة) .	
«التحالف الثلاثي : الاستعمار والرجعية العربية والعنصرية الاسرائيلية» (المرحلة الخامسة).	
إلى أكثرها خصوصية (٠)	
الخارجية	الداخلية
«الغزاة» (المرحلتان الثانية والسادسة) «حكومة المحافظين» (في بريطانيا) (المرحلة السادسة) «سلاطين اسطمبول» (المرحلة الثانية) «بريطانيا» «قوات الاحتلال البريطانية» (المرحلة السادسة) «الولايات المتحدة الامريكية» (المرحلة السادسة) «العواصم الأجنبية» (المرحلة الثالثة) «محطات إذاعة الاستعمار» (المرحلة الثالثة)	«حكام يتعاونوا مع الاستعمار» «الطغاة واصحاب العروش الباغية» (المرحلة الثالثة). «حزب البعث» (المرحلة الثالثة) «الناس الخارجين عليها والمنحرفين» (المرحلة الثالثة) «هؤلاء الأفراد» (المرحلة الثانية) «فئة قليلة من الناس» (المرحلة الثالثة) «الصحافة الرجعية» (المرحلة الثالثة) «الاذاعات الرجعية» (المرحلة الثالثة)

جدول رقم (٢٠)

أفعال القوى المعاكسة للأمة العربية

انتهت	لم تنته بعد
(−) «ارادوا دائما أن يقسموها إلى أمم صغيرة من أجل السيطرة عليها » «مزقها اعداؤ ها» (المرحلتان الثانية والثالثة) (−) «يتقرر مصيرها في الخارج» «كبلتها» (المرحلتان الثانية والثالثة) (−) «ارادت ان تهزم ( )» (٠) «نهبت ثرواتها» «أرغمت على التخلف» (المرحلة الثالثة) .	(٠) «يريدها دائما الاستعمار أمة عربية ممزقة» (المرحلة الخامسة) (=) «تريد أن تخضعها» «تسيطر عليها» «تمكن اسرائيل منها» (المرحلة السادسة) (=) «يعمل من أجل ضربها» «الحملة التي سيشنها عليه الاستعمار وأعوانه» (المرحلة السادسة) «حتى يقضوا عليها» (المرحلة السادسة) (=) «ليخدعوها» (المرحلتان الثانية والثالثة) (=) «الحرب النفسية التي توجه ضدها» . (المرحلة السادسة)

الأجنبية قد اجتمعا في مصر (منذ القرن التاسع عشر) ، فقد شملهما عبد الناصر بمفردة واحدة هي « الاستعمار » أو « الاستعمار الدولي » . ولم يفرّق من حيث التسمية بين وجه الاحتلال الأجنبي (الاستعمار) ووجه السيطرة السياسية والاقتصادية ذات الطابع الاحتكاري (الامبريالي) وإن كان قد ميّز بين المفهومين من حيث المعنى . ولم يلجأ إلى إستعمال تعبير « إمبريالية » إلاّ في عام ١٩٦٨ . وعلى الرغم من هذا التجديد ، فقد بقي استعمال كلمة « استعمار » مهيمناً في مجموعة المفردات الناصرية .

علاوة على فعل «السيطرة» على الأمة العربية فإن «الاستعمار» متهم بأنه «أراد ويريد دائماً تقسيمها» و«تفتيتها إلى أمم صغيرة». وعلى الصعيد الاقتصادي «نهب ثرواتها» «فأرغمت على التخلف». وعلى الصعيد السياسي يسعى عن طريق «الحرب النفسية» عبر وسائل إعلامه: «الصحافة» و«الاذاعات» أن « يخدعها». وعلى الصعيد العسكري، يتهم عبد الناصر الاستعمار بأنه يريد أن «يضرب» الأمة العربية، وأن يعد «بمساعدة عملائه» المحليين «حملة للقضاء عليها».

وقد نظر إلى إسرائيل على أنها الحليف والأداة المفضلة لـ « الاستعمار » في المنطقة. وأنها التجلّي المحلي للاستعمار: «رأس جسر الاستعمار العالمي في قلب الأمة العربية». وترتبط «الصهيونية العالمية» إرتباطاً وثيقاً بـ «الاستعمار العالمي». وينعت عبد الناصر الصهيونية وإسرائيل بـ «العنصرية» لانهما يريدان دولة محض يهودية: «فما أعنيه في الحقيقة هو أنه ستكون هناك دولة تضم اليهود والمسلمين والمسيحيين. من الذين طردوا من إسرائيل إنهم المسيحيون والمسلمون، وعندما يعود اللاجئون فلن تظل هناك دولة عنصرية متعصبة، كما هي الحال الآن»[٤٦].

ويبقى الأعداء الداخليون للامة العربية فئة لم يحددها بوضوح الخطاب الناصري. ولغاية ١٩٦١، لم يعطِ عبد الناصر تسمية محددة للأعداء الداخليين: إنهم «أعوان الاستعمار»، «قلة من الناس»، «المنحرفين»، «الخارجين عليها». وابتداء من ١٩٦١، بعد النقد الذاتي لمناسبة إنفصام عرى الوحدة السورية ـ المصرية (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١)، وحدّ عبد الناصر الأعداء الداخليين للأمة العربية وحددهم باسم «الرجعية العربية». وصفتها الرئيسية أنها «متحالفة» مع الاستعمار الذي قدّم لها

---

(٤٦) « حديث مع جيمس رستون رئيس تحرير نيويورك تايمز ، ١٣ فبراير ١٩٧٠ » ، وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٩ - ١٩٧٠ ،ص ٣٠٣ .

العون والاسلحة. ولا يعترف عبد الناصر لها بدور مستقل: في غالبية «المؤامرات» العدوة التي تحاك ضد «الأمة العربية»، سواء في حلف بغداد (١٩٥٥ ـ ٥٦) أم في «الاتحاد العربي» الهاشمي لعام ١٩٥٨ الموجّه ضد الجمهورية العربية المتحدة، أم في «الحلف الاسلامي»، تصرفت الرجعية العربية تحت إشراف إحدى الدول الاستعمارية التي كانت تخطط وتوزع الأدوار. ويبقى فعل «الرجعية العربية» ضد الأمة العربية إذن خاضعاً لفعل الاستعمار. وتحديد الأعداء الداخليين باسم «الرجعية» يبقى مع ذلك عرضة للتقلبات، لأن عبد الناصر عاد بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ إلى إستعمال عبارة «أعوان الاستعمار».

نلاحظ إذن وجود ضعف في تحديد الأعداء الداخليين «للأمة العربية»، الذين كان يسميهم في معظم الأحيان «أعوان» الاستعمار، والذين ليس لهم فعل خاص بهم حتى في ١٩٦١ و١٩٦٧، حينما أطلق عليهم إسم «الرجعية العربية». وبالاضافة إلى ذلك، يحدّد عبد الناصر الأعداء الداخليين للأمة العربية دائماً تبعاً للظرف السياسي بـ: «الرجعية»، «الحزب»، الحكام»، «الطغاة»، «الأقلية»، «العملاء». ولا يوجد أعداء إجتماعيون أو إقتصاديون داخليون: إذا كان «الاستغلال» الذي تعاني منه الأمة العربية (الميثاق، ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢) هو من صنع «الرجعية» فإن «التخلّف» و«التأخر» و«العقبات في طريق وحدة الأمة العربية» و«التجزئة» هي من صنع العدو الخارجي. وقد ساهم الأعداء الداخليون في ذلك وهم يستفيدون منه، ولكن عبد الناصر لا يعترف لهم بأي عمل خاص بهم ومستقل في هذا المجال.

وبنهاية هذا التحليل نلاحظ أن الأفعال المعاكسة لأعداء «الأمة العربية»، الجارية والمقبلة (غير المنتهية) ليست إلّا امتداداً أو تكراراً لأفعال متشابهة تمّت ضدها في الماضي (أنظر الجدول رقم ٢٠). والأفعال المعاكسة السياسية والعسكرية تبقى مسيطرة، وهي الأكثر تفصيلاً في الخطاب الناصري: إن أكبر جزء من الأمثلة والبراهين التي ساقها عبد الناصر يتناول هذا النوع من الأفعال. أما الأفعال المعاكسة الاجتماعية ـ الاقتصادية التي تتناول الأمة العربية بكاملها فهي أقل تفصيلاً بصورة نسبية[٤٧]، إلّا فيما يتعلق بحالة مصر. ونلاحظ أيضاً أن الأفعال المعاكسة للقوى

---

(٤٧) اذا كانت أعمال النهب والاستغلال الاجتماعية الاقتصادية نادرة في حقل دلالة «الأمة العربية» فمرد ذلك لأن عبد الناصر يوردها في حقل دلالة «الارض العربية»، حيث يقول بالفعل: «ان قوى الاستعمار العالمي واحتكاراته تسعى الى هدف ثابت هو وضع الارض العربية الممتدة من المحيط الى الخليج تحت سيطرتها =

المساعدة «للأمة العربية» لا تتوضّح إلاّ بمقارنتها بالافعال السلبية للقوى المعاكسة لها: فضد محاولات أعدائها لـ «تقسيمها وتفتيتها» «يجب أن نحشدها ونجمع شملها». ويجب «تحريرها» من «سيطرتهم». وضد محاولاتهم «ضربها» و«القضاء عليها»، يجب «الدفاع عنها» و«الكفاح» و«الموت من أجلها» عند الاقتضاء. ولأن «مصيرها يتقرر في الخارج» فإن الشعب العربي هو الذي «سيقرر مصيرها» منذ الآن. وأخيراً، لأنهم «نهبوها» و«أرغموها على التخلف» فان «كلهم يريدون العمل من أجلها».

ومع ذلك تبقى شبكة الأفعال الايجابية والسلبية التي تقوم بها القوى المساعدة والمعاكسة تجاه الأمة العربيه أقل تفصيلاً من شبكة الأفعال العائدة للأمة العربية (أنظر الف - ج). ومن هنا يتبيّن أن «الأمة العربية» في المفهوم الناصري، بعيداً عن أن تكون كياناً سلبياً، هي قبل كل شيء كيان فاعل، ولا يجري تحريكها، بل هي تتحرك بالتوافق مع دفع قواها المساعدة، ويكون عملها إيجابيا بصورة أساسية كما رأينا.

٢ - تحليل تعاقبي

سنتناول بسرعة التحليل التعاقبي للقوى والافعال المساعدة والمعاكسة «للأمة العربية»، لأننا سنعود إلى هذا الموضوع في التوليفة النهائية (دال).

أ - تطور القوى المساعدة وتأثيرها على «الأمة العربية»

باستثناء الفئة الأكثر عمومية «الشعب العربي» «الشعوب العربية» التي تُنسب الى «الأمة العربية» أو تقترن بها في كل المراحل، فإن القوى المساعدة الأخرى هي أكثر ارتباطاً بالأوضاع، ولا تظهر إلاّ في مراحل معيّنة. فالفئات الاجتماعية التي أعلن عنها في المرحلة الثالثة لم تصبح القوى المساعدة الرئيسية للامة العربية إلاّ أثناء المرحلة السادسة (١٩٦٧ - ١٩٧٠). وقد شكلت الفئات السياسية جزءاً منها منذ المرحلة الثالثة في شكل تسميات مختلفة. وأثناء المرحلة الخامسة، مرحلة تجذّر السياسة الناصرية على الصعيد العربي التي سبقت حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧، إقتصرت هذه الفئات على «القوى الثورية العربية» التي دعيت لأن تكون الممثل السياسي الرئيسي على الساحة العربية. وأرغمت هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ عبد الناصر على العودة إلى «القوى السياسية» عامة دون تفريق في اللون السياسي، وحتى الى

= العسكرية حتى تتمكن من مواصلة استغلالها ونهب ثرواتها». أنظر: مشروع الميثاق، ص ٩٢.

«الحكومات العربية» التي أدخلها بين العناصر المكوّنة «للامة العربية». ومرغماً إذن على التحالف، بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧، مع كل «الحكومات العربية»، لجأ عبد الناصر، لموازنة ذلك، إلى «الجماهير العربية» التي أدخلها في عداد القوى المساعدة «للأمة العربية»، والتي أصبحت أثناء المرحلة السادسة القوة المساعدة الرئيسية. وقد توجّه إليها مباشرة في معظم الوقت لحشدها دون المرور بواسطة الحكام، ولكن دون أن يستبعدهم نستطيع إذن القول أن عبد الناصر، بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧، أخذ يتوجه إلى «الأمة العربية» مباشرة، وأن مفهوم «الجماهير» أمّن له هذه الواسطة («يا جماهير الأمة العربية»).

أما الفئات السياسية الخارجية المساعدة للأمة العربية فهي نادرة جداً في الخطاب الناصري. وحدها «الدول الاشتراكية» أدرجت بعد ١٩٦٧ في عداد القوى المساعدة «للامة العربية». ومع تعزز التحالف مع المعسكر الاشتراكي، نجد آثاره في حقل المفردات القومية بالذات.

ب ـ تطور القوى المعاكسة وتأثيرها على الامة العربية

إن «الصهيونية» شأنها شأن «الاستعمار» هي العدو الدائم (في كل المراحل) والمباشر «للأمة العربية». ولم تدخل إسرائيل في شبكة الاعداء المباشرين «للامة العربية» إلاّ أثناء المراحل الثانية والخامسة والسادسة: ذلك لأن عبد الناصر، أثناء الوحدة السورية ـ المصرية (المرحلة الثانية)، ومن موقع الهجوم، تصدّى مباشرة للدولة الاسرائيلية. وعلى العكس من ذلك، أثناء المرحلتين الخامسة والسادسة، أدرك الخطر الاسرائيلي وهو في موقع الدفاع. وبعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧، أصبحت الدولة الاسرائيليةّ في المقام الأول بين أعداء «الأمة العربية». وأثناء الفترات الأخرى، إعتبرت الحركة الصهيونية أكثر من الدولة الاسرائيلية العدو الرئيسي للأمة العربية، خاصة بسبب طابعها «العنصري» و«الاستعماري» و«العالمي» الذي يسمح بتشبيهها بـ «الاستعمار». وعلى صعيد الأعداء الداخليين، نلاحظ أن «أعوان الاستعمار» و«الرجعية العربية» لا يدخلون في عداد القوى المعاكسة «للأمة العربية» إلاّ في فترات النهوض أو تجذّر سياسة عبد الناصر القومية العربية (المراحل الثانية والثالثة والخامسة والسادسة).

وأثناء المرحلة الخامسة (آذار / مارس ١٩٦٦ ـ حزيران / يونيو ١٩٦٧) بعد

فشل سياسة القمم العربية و«المصالحة» مع الانظمة الرجعية، قاد عبد الناصر حملة عنيفة ضد «الرجعية العربية» و«الحلف الاسلامي» ودشّن ابتداء من آذار /مارس ١٩٦٦ سياسة عربية ثورية. وفي ذلك الوقت وضع أعداء «الأمة العربية» الداخليين والخارجيين في مقام واحد، وجمعهم في تحالف ثلاثي واحد: الاستعمار والرجعية العربية وإسرائيل. وبعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧، إضطر عبد الناصر لأن يرضخ لحكم الواقع: إسرائيل هي العدو الرئيسي «للامة العربية» لكونها تحتل الأراضي العربية. ولم تعد «الرجعية العربية» ترد في الخطاب الناصري لأن العدوان الاسرائيلي موجَّه ضدها أيضاً. ثم أغتنت فكرة «الاستعمار» بمفهوم «الامبريالية» فحدد عبد الناصر الدول «الامبريالية» عدوة «الامة العربية» وحصرها في: الولايات المتحدة[٤٨] وبريطانيا. ولم يأت على ذكر البلدان الامبريالية الأخرى في إطار المفاهيم القومية العربية. ولم تؤثر القوى المعاكسة على «الأمة العربية» إلا أثناء المراحل الثانية والثالثة والسادسة (النهوض والتجّذر على الصعيد العربي) من أجل «خداعها» و«تقسيمها» و«السيطرة عليها»، مع التركيز على تأثيرها الاقتصادي أثناء المرحلة الثالثة وعلى تأثيرها السياسي ـ العسكري أثناء المرحلة السادسة.

وإذا كانت أفعال القوى المعاكسة ضد «الامة العربية» لم تذكر أثناء المرحلة الخامسة، فذلك لأن عبد الناصر قد حدد المواجهة آنذاك ليس على صعيد «الأمة العربية» بكاملها، بل فقط على صعيد «وحدة القوى الثورية العربية».

جيم ـ «الأمة العربية» بين المستوى ما دون القومي (الوطني) والمستوى ما بعد القومي (العالمي)

سنبحث هنا في العلاقات التي تقيمها «الأمة العربية» أولاً مع الكيانات المحلية العربية ما دون القومية (١ـ)، ومن ثمّ مع الكيانات التي من مستواها أي الكيانات القومية العربية (٢ـ)، وأخيراً مع الكيانات ما بعد المستوى القومي، على المستوى الدولي والعالمي (٣ـ).

---

(٤٨) هذا لن يمنع عبد الناصر من قبول مشروع روجرز في حزيران / يونيو ١٩٧٠. ومع ذلك فهو لا ينفك يعتبر الولايات المتحدة احدى الاعداء الرئيسيين للأمة العربية. ويبدو أن خطوته كانت مجرد خطوة تكتيكية: اراد ان يكسب وقتا ثمينا لاعادة بناء مصر اقتصاديا وعسكريا.

١ - «الامة العربية» والكيانات العربية ما دون القومية

من بين الكيانات ما دون القومية فإن مفهوم «الشعب العربي» الذي يعني كلاً من الشعوب العربية، ينسب في الغالب إلى «الأمة العربية» ويقترن بها. أما الكيانات المحلية الأخرى فليس لها إلاّ علاقة شراكة مع «الامة العربية»:

(-) « كل بلد عربي »
(-) « الأوطان العربية » ، « الوطن » ، « في كل جزء منه » .
(-) « الأرض » ، « في أي قطعة من الأرض » .

ولا يقترن مفهوم «الدول العربية» إطلاقاً بمفهوم «الامة العربية» في الخطاب الناصري . وقد نسب إليه مرة واحدة بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧ (« دولها ») . وربما يعود هذا الاتجاه في الخطاب الناصري إلى التناقض القائم بين وجود عدة دول عربية متكوّنة والهدف الذي رسمه عبد الناصر «للامة العربية» في بناء دولة قومية واحدة موحّدة. وبعد أن وضعت هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ هدف الوحدة بين الدول العربية في المحل الثاني، ودفعت إلى المقام الأول ضرورة الدفاع العربي المشترك، إضطر عبد الناصر إلى مهادنة الدول العربية القائمة، وهو ما تجلّى على الصعيد الأيديولوجي ـ الخطابي بإدخالها في عداد العناصر المكوّنة «للامة العربية».

ولا يدخل أي كيان إجتماعي أدنى من الكيانات السياسية المحلية في حقل دلالة «الأمة العربية». وترد على ذهننا التشكيلات الاجتماعية العربية التقليدية كالقبائل والطوائف والملل. وإذا أقر عبد الناصر أحياناً بوجود مثل هذه التشكيلات فإنه يستبعدها من حقل دلالة «الأمة العربية». ولا تقيم هذه الاخيرة علاقات إلاّ مع التشكيلات الوطنية الحديثة: «الشعوب»، «البلاد»، «الارض»، «الأوطان». ومن بين هذه الكيانات المحلية هناك كيان تقيم«الأمة العربية»معه علاقات مميزة هو مصر.

مصر و«الامة العربية»

منذ أول كتاباته الرسمية في ١٩٥٣ «فلسفة الثورة»، أكد عبد الناصر على الدائرة العربية: «هي منّا ونحن منها»، لم ينفك يعلن «عروبة مصر» و«انتماءها إلى الأمة العربية». وبالاضافة إلى الخطب التي غالباً ما يعود فيها إلى هذا الموضوع، تأكدت عروبة مصر في كل الكتابات الرسمية الهامة للثورة الناصرية: دستور ١٩٥٦ وميثاق ١٩٦٢ وبيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨:

«فإني أقترح أن ينص الدستور على تأكيد الانتماء المصري إلى الأمة العربية تاريخياً ونضالياً ومصيرياً، وحدة عضوية فوق أي فرد وبعد أي مرحلة» (بيان ٣٠ آذار /مارس ١٩٦٨، ص ٢٥).

وبالاضافة إلى تأكيد إنتماء مصر إلى «الأمة العربية»، أعلن عبد الناصر منذ المرحلة الثانية (أثناء الوحدة السورية ـ المصرية) الجمهورية العربية المتحدة «قاعدة» أو «قلعة» للكفاح العربي و«طليعة» هذا الكفاح:

«الجمهورية العربية المتحدة وطننا هو في نفس الوقت طليعة النضال العربي الحر، وقاعدته وقلعته من المحيط إلى الخليج». (خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠، ص ٤٣).

«إن دورنا كطليعة للنضال العربي يحتم علينا (..) أن نذكر أن مسؤولياتنا ليست تجاه هؤلاء الأفراد الذين تجوز عليهم الخيانة أو التخاذل أو الردة وإنما مسؤولياتنا هي تجاه الأمة العربية كلها» (المصدر السابق، ص ٤٠).

واثناء المرحلة الثالثة ، بعد إنفصام عرى الوحدة السورية ـ المصرية (١٩٦١)، أعاد عبد الناصر التأكيد بأن موقع الشعب المصري هو القاعدة وبأنه يقوم بدور ثوري طليعي للامة العربية بأكملها:

«نحن قاعدة للامة العربية»، «الثورة هي التحول إلى قاعدة ثورية وطليعة ثورية لأمة بأكملها»، «الشعب (المصري) تحول إلى قاعدة ثورية وطليعة ثورية لكل الامة»، «هذه الثورة العربية في مصر للامة العربية كلها». (خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣، الوثائق العربية ١٩٦٣، ص ٥٩٤ و٥٩٧) و(خطاب ١١ آب / أغسطس ١٩٦٣، نفس المصدر، ص ٦٥٠).

إن هذه المهمة التي كانت في ١٩٦٠ لا تزال مشتركة مع سوريا ، عادت بعد الانفصال إلى « الشعب المصري » و« ثورته » و« جيشه » . وفي هذه المرحلة أصبح للجيش المصري دور مزدوج : ضمان أمن المنطقة العربية ومساعدة الثورات العربية الأخرى . إلاّ أن عبد الناصر قصر دور الجيش المصري في الدفاع عن الأمة العربية على « الظروف الحالية » (١٩٦٢) لأن الجيوش العربية الأخرى كانت لا تزال ضعيفة وغير قادرة على الدفاع عن نفسها .

«تقع مسؤولية سلامة المنطقة العربية في الدرجة الأولى على القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة» (مشروع الميثاق، ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢، ص ٩١).

«الجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ وبالواقع هي الدولة العربية الوحيدة في الظروف الحالية، التي تستطيع تحمل مسؤولية بناء جيش وطني يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية الصهيونية» (مشروع الميثاق ص ٩٢).

« الجيش الوطني القوي هو درع للأمة » (خطاب ١١ آب/أغسطس ١٩٦٣، الوثائق العربية، ١٩٦٣، ص ٦٥١).

ويتعذر على هذا الجيش أن يكون قوياً ما لم تكن قاعدته، مصر، قوية. إذن، يشدد عبد الناصر على ضرورة قيام «بنيان داخلي قوي: بنيان إقتصادي وبنيان شعبي» (خطاب ١١ آب / أغسطس، ١٩٦٣ نفس المصدر، ص ٦٥١). وفي ١٩٦٨ إعتبر أن الشعب المصري نجح «وأقام أول قاعدة عربية للصناعة المتقدمة» (بيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨، ص ٣٠).

ولم تكن مهمة الجيش المصري مقصورة على الدفاع عن «الأمة العربية». فقد أوكل اليها عبد الناصر أيضاً دوراً نشيطاً هو تقديم المساعدة إلى الثورات العربية التي تطلب ذلك. وقد شرح عبد الناصر هذه المهمة في خطاب ١١ آب / أغسطس ١٩٦٣ للقوات المسلحة العائدة من اليمن. ومن المبادىء العامة:

«إن مسؤوليتنا ليست منحصرة داخل حدودنا المصطنعة، ولكنها مسؤولية لا حدود لها في داخل الامة العربية كلها وحدود الامة العربية» (المصدر السابق، ص ٦٤٧).

ولا يتدخل الجيش المصري إلاّ إذا طلبت الحركات الثورية المعنية ذلك. وقد تحدث عبد الناصر بهذا الصدد عن مثال اليمن، وذكّر بمثال سوريا في ١٩٥٧:

« والشعب السوري يذكر لكم أيها الرجال انكم في سنة ١٩٥٧، (ذهبتم) إلى سوريا لتقفوا إلى جانب الشعب السوري والجيش السوري ضد العدوان الرجعي الاستعماري المدّبر عليه» (المصدر السابق، ص ٦٤٧).

ولكي نحدد أخيرا موقع مصر بالنسبة إلى «الامة العربية» في الخطاب الناصري نخلص إلى الاستنتاج بأن مصر كشعب «تنتمي» إلى الامة العربية، وكبلد هي «قاعدة» الكفاح العربي، وكثورة هي «طليعة» كفاح الامة العربية، وكجيش تسهر على «أمن الأمة العربية كلها» وتقدم مساعدتها الفعّالة إلى الثورات وإلى الشعوب العربية التي تكافح من أجل ذات الأهداف.

٢ ـ الكيانات القومية المجاورة «للامة العربية»

إن هدفنا هنا هو أن نقارن مفهوم الوطن العربي مع مفهوم «الامة العربية» في الخطاب الناصري. وتجدر الاشارة أولاً إلى أن مفهوم «الوطن العربي» نادراً ما يُنسب إلى «الامة العربية»: مرة واحدة في العينة، في خطاب أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠

في الخرطوم: «وطن الامة العربية كلها». وهو أيضاً لا يقترن به سوى مرتين أو ثلاث مرات في مجمل العيّنة (المرحلة الثالثة: ١٩٦١ - ٦٣):

(.) « وطنكم الكبير ، الأمة العربية بأجمعها » .

« الوطن العربي والأمة العربية » .

« في كل جزء من الأمة العربية ومن الوطن العربي » .

فضلاً عن ذلك، ومع أن المفهومين يظهران بانتظام في الخطاب الناصري، فإن مفهوم «الامة العربية» هو أهم بكثير في مجموعة مفردات عبد الناصر القومية العربية. كما أن حقل دلالتها، كما رأينا، هو الأغنى (أكثر من ٧٠٠ صلة). وبالمقابل فإن مفهوم «الوطن العربي» في الخطاب الناصري هو أحد أقل المفاهيم أهمية لناحية إتساع حقل دلالته (١٢٠ صلة). وهكذا يبدو أن مفهوم «الأمة العربية» هو مفهوم رئيسي في الخطاب الناصري، في حين أن مفهوم «الوطن العربي» يبقى مفهوماً هامشياً إلى حد ما. ومن شأن المقارنة الأكثر تعميقاً لحقلي دلالتهما أن تسمح لنا بتحديد الفرق بين المفهومين بدقة.

«فالأمة العربية» أولاً، كجماعة من الشعوب والأفراد، كما رأينا في (ألف - ب) لها أيضاً مجال و«مساحة» و(بعد ١٩٦٧) «أرض». وهي نادراً ما تعتبر إمتداداً. و«الوطن العربي» على العكس من ذلك ليس إلاّ مجالاً ومكاناً وامتداداً كما يتضح من الصفات التالية:

« الوطن العربي يمتد من المحيط إلى الخليج » (المرحلة الأولى ، ١٩٥٦) .

« في قلب الوطن العربي ، هذه القاعدة إسرائيل » .

« في كل أنحاء الوطن العربي » (المرحلة الثالثة) .

« في كل جزء من أجزائه » (المرحلة السادسة) .

« في أي مكان من الوطن الكبير » (المرحلة السادسة) .

إن حقل دلالة «الوطن العربي» شبيه كثيراً بحقل دلالة «الأرض العربية» في حين أن حقل دلالة «الأمة العربية» يختلف عن ذلك كلياً.

فمفهوم «الأرض» فصل ابتداء من ١٩٥٥ عن مفهوم «الوطن العربي»، لكي يصبح منذ ذلك الحين مفهوماً مستقلاً يحمل إسم «الأرض العربية». ولا نعثر بعد ١٩٥٥ على استعمال: «أرض الوطن العربي»، في حين أن استعمال «أرض الوطن»

(حيث يعني الوطن كياناً محلياً) يظل جارياً في الخطاب الناصري. هكذا إذن فإن لمفهوم «الأرض العربية» وجوداً مستقلاً ولكن موازياً لوجود «الوطن العربي». ويوجد مع ذلك فرق رئيسي بين المفهومين: إنها فكرة «السيادة والتملك». فالسيادة والتملك في الخطاب الناصري تُمارسان على «الأرض العربية» ولكن ليس على «الوطن العربي» ولا على «الامة العربية». وتعود هذه الصلاحية إلى «الثورة»، «الفرد» و«الانسان العربي»:

«الثورة وحدها لها السيادة على الأرض العربية» (خطاب ١١ آب / أغسطس ١٩٦٣ ، الوثائق العربية ١٩٦٣، المصدر السابق، ص ٦٤٦)

«آن للانسان العربي أن يكون سيّد أرضه ومالك مقداره في بلده» (خطاب ٢٢ تموز / يوليو نفس المصدر، ص ٥٩٤).

ليس هناك إذن كائن جماعي، «الشعب» أو «الامة»، يمارس سيادته على «الأرض العربية» بل الفرد والثورة. فمفهوم «السيادة» المقترن بمفهوم التملك، هو إذن حق إفرادي وغير جماعي في المفهوم الناصري. وهذا ما يقودنا إلى التفكير باهتمام الثورة الناصرية في جعل كل فلاح سيد أرضه:

«أصبح الفلاح مالكا للارض، أصبح سيد أرضه » (خطاب ٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٦١، المصدر السابق، ص ٨).

ولم ترد أي من الخاصيات الحيّة للامة العربية مثل «شعوب»، «ابناء»، «عمال، فلاحون»، «قوى الشعب العاملة»، بين خاصيات «الوطن العربي». وخلافاً «للامة العربية » ، فإن « الوطن العربي » ليس مجموعة أو جماعة حيّة ، إنه مكان ومجال ويوجد مع ذلك أفراد يرتبطون على وجه التخصيص بهذا المكان وليسوا في حقل دلالة الأمة العربية :

«كل إنسان، كل ست، أولادها، كل بيت، كل عيلة في الوطن العربي» (خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٧، وثائق عبد الناصر، ص ٢٥٥).

وخلافاً للامة العربية، فان «الوطن العربي» في الخطاب الناصري هو مكان يتصل بالخلية العائلية وبالمسكن، ولكنه «كالأمة العربية» متصل أيضاً «بالفرد» و«بالانسان العربي».

ويقترن هدفا «الوحدة» و«الحرية» أيضاً ويرتبطان بمفهومي «الوطن العربي» و«الامة العربية». كما نجد أيضاً بين مناقضات «الوطن العربي» ثالوث: «الاستعمار والرجعية وإسرائيل».

وخلافاً «للامة العربية» التي هي قبل كل شيء كيان جماعي فاعل يقوم بأفعال النضال والثورة والعمل والبناء والحرب والمقاومة، فإن «الوطن العربي» هو وحدة جامدة ومكان «النضال» و«الثورة» و«حركة التحرر العربي» أكثر مما هو صانعها.

وأكثر من «الأمة العربية»، يتعرض «الوطن العربي» لاعمال سلبية من قبل أعدائه الذين يحاولون «السيطرة عليه» و«تقرير مصيره» ويحاولون «تقليصه» (كمساحة من الأرض) و«إعطائه لآخرين». وعلى غرار «الامة العربية» «قسِّم» «الوطن العربي» من قبل أعدائه الخارجيين الذين «يحاولون تقسيمه أيضاً» في الوقت الحاضر بالهجوم على «الأوطان» الصغيرة التي تؤلفه (ونجد هذا التقسيم الحالي والمستقبلي في حقول دلالة «الوطن» المحلي، مما يشير إلى أن عبد الناصر كان يتوقع منذ ذلك الحين حدوث أعمال تقسيمية تقوم بها القوى المعادية داخل «الأوطان» الصغيره).

وأمام هذه الاعمال العدوة فإن أمام القوى المساعدة «للوطن العربي»، وفي مقدمتها «الثورة والشعب والجيش المصري» مهمة رئيسية في «الدفاع عنه» و«حمايته».

«قعدنا عشر سنين نبني جيش من أجل الوطن العربي» (خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٧، المصدر السابق، ص ٢٥٩)

«الشعب العربي في مصر ظل مدافعاً مقاتلاً ليس عن وطنه فحسب ولكن عن وطن الأمة العربية كلها» (خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠، وثائق عبد الناصر ص، ٢٦٩).

وبنهاية هذا التحليل المقارن لمفهومي الوطن العربي والامة العربية في الخطاب الناصري، توصلنا إلى الاستنتاج بأن المفهومين مختلفين كل الاختلاف:

- إن مفهوم «الوطن العربي» الذي ظل هامشياً في الخطاب الناصري هو «مكان» ومجال جغرافي محدد يمتد من المحيط إلى الخليج. ورغم كونه شبيهاً في حقل دلالته بمفهوم «الأرض العربية» فهو مع ذلك ليس أرضاً وليس له أرض خاصة به. وهو انطلاقاً من هذا الواقع ليس هدفاً لـ «السيادة» أو «التملك».

- وعلى العكس من ذلك، إذا كانت للامة العربية أحياناً صفات المجال ولها،

ولو مؤخراً (بعد ١٩٦٧)، «أرض» فهي أولاً وبصورة أساسية كيان جماعي مؤلف من «شعوب» و«أفراد» وهي مكوّنة من فئات إجتماعية. و«الوطن العربي» هو مكان «الأسر» و«بيوت» وليس فئات إجتماعية، إنه مجال مشترك لـ «الأفراد» ولـ «الانسان العربي» وليس للشعوب.

ـ وكونه كياناً جامداً في الخطاب الناصري، فان «الوطن العربي» ليس سوى مكان لنضال الشعوب العربية ومسرح تواجه عليه اعداءها. وهو غير فاعل في وجه محاولات هؤلاء الأعداء لـ «السيطرة عليه» و«اقتطاع أجزاء منه»، وينتظر «الدفاع» و«حماية» «الشعب المصري» و«جيشه» و«ثورته».

ـ وعلى العكس من ذلك «فالامة العربية» هي كيان فاعل بصورة أساسية وهي أيضاً مهددة من قبل ذات الأعداء بـ «السيطرة»، ولكن أيضاً بـ «التفتيت» و«التصفية»، وهي تناضل أولاً بذاتها ثم بمساعدة «الشعب المصري» «لمقاومة» هذه الاعتداءات و«تحديد اتجاه الطريق» و«التقدم» و«العمل والبناء» و«بلوغ أهدافها في الحرية والوحدة».

٣ ـ «الامة العربية» والامم الأخرى والعالم

إن صلات «الامة العربية» مع العالم الخارجي (دول وأمم وشعوب) نادرة إذا اقتصرنا على بحث حقل دلالتها. ونعثر على المفاهيم التالية:

(.) «غيرها من الأمم الأكثر والأقل تقدماً» (١٩٦٢).
(.) «حركة التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية» (١٩٦٤).
(.) «الدول الأجنبية».
«الدول الاشتراكية» (المرحلة السادسة).

وهذا لا يعني أن الانفتاح الدولي للنظام الناصري كان مقصوراً على المستوى السياسي. ويمكننا القول فقط أنه على المستوى الأيديولوجي القومي، لا تحتل الامم والدول الأخرى إلّا مكانة محدودة في حقل دلالة «الامة العربية». ومنذ ١٩٥٣، وفي كتاب «فلسفة الثورة» حدّد عبد الناصر دفعة واحدة «الدائرة العربية» التي تشكل مصر مركزها، داخل دائرتين «أفريقية» و«إسلامية». وتشارك مصر «الدائرة الأفريقية» الكفاح من أجل الاستقلال والتقدم. وتشترك مع «الدائرة الاسلامية» «دائرة إخوان

العقيدة»: «عالماً إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية فحسب، وإنما تشدها حقائق التاريخ»[٤٩] (فلسفة الثورة، ص ٤١ و٥٥).

بواسطة مصر إذن إنفتحت الدائرة العربية على القارة الأفريقية وعلى العالم الاسلامي. وفي ١٩٥٥ في باندونغ أعلن عبد الناصر في خطابه «حق الأمم في تقرير مصيرها»، هذا الحق الذي يترتب عليه الحق في «الاستقلال» للدول المستعمَرة و«العمل على توسيع نطاق التعاون بين أعضاء الكتلة الآسيوية ـ الأفريقية».

وتأخذ علاقة «الامة العربية» بالعالم ككيان شامل وعالمي أهمية متزايدة في الخطاب الناصري إبتداء من ١٩٦٣ (المرحلة الثالثة) وخاصة بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧. وبذلك تظهر في حقل دلالة «الامة العربية» المفاهيم التالية:

(-) «العالم أجمع، كله»
«العالم الخارجي»
«العالم».

ولا يعترف عبد الناصر للعالم بأي تأثير على «الامة العربية»، وهو يعتبره شاهداً على «الارادة الحالية للأمة العربية في المقاومة»، كما كان شاهداً في الماضي على «قوتها وحضارتها وأصالتها». وهو على العكس من ذلك ينسب إلى «الأمة العربية» دوراً فاعلاً في «مصير الانسانية».

«كان لها دورها العظيم في التاريخ وسوف يكون لها دور عظيم في مصير الانسانية» («بيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨» وثائق عبد الناصر، المصدر السابق، ص ٣٧٣).

وبنهاية هذا التحليل، الذي حاولنا فيه أن نحدد علاقات «الامة العربية» مع الكيانات ما دون القومية والعالمية في الخطاب الناصري، بقي علينا أن نرد على الآراء التي أدعت أن هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ تسببت في ابتعاد مصر عن «الامة العربية» وعودتها إلى العزلة. إننا لا نعثر على أي أثر لهذا الابتعاد في الخطاب الناصري. وعلى

---

(٤٩) ان فكرة دوائر الانتماء الثلاث هذه هي ردّ عبد الناصر على البلبلة التي اثيرت في ١٩٥٣ من جراء مقال فتحي رضوان، «هل المصريون عرب ام مسلمون ام افارقة؟» اخبار اليوم، ٢١ آذار /مارس ١٩٥٣. وقد اعيد طرح هذا السؤال في المناظرة التي نظمتها مجلة المصور، ١٧ نيسان / ابريل ١٩٥٣. وقد اتى ساطع الحصري على ذكرها في كتابه: العروبة اولا (بيروت: [د. ن.]، ١٩٥٥)، ص ١٤ ـ ١٥.

العكس من ذلك فقد وضّح عبد الناصر دور مصر إزاء «الامة العربية» ورسّخه بعد ١٩٦٧. ويؤكد لنا هذا الامر خطابا ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٧ و١٩ نيسان /إبريل ١٩٦٨ (الذي يشرح بيان ٣٠ آذار /مارس للقوات المسلحة). فقد دعا عبد الناصر إلى تدعيم «القاعدة» المصرية و«حماية وتعميق نظامنا الثوري»، لأن الهدف الرئيسي للعدوان الاسرائيلي برأيه كان تصفية ذلك النظام. وهذا ما يسمح لمصر بمتابعة اداء دورها داخل «الامة العربية»: إذ أن العدوان الاسرائيلي، برأي عبد الناصر، قد استهدف أيضاً تصفية حركة «الثورة العربية» (الحركة التي أطلقها هو في ١٩٦٦ بدعوته القوى الثورية العربية إلى التوحُّد). فقد دعا إذن بعد ١٩٦٧ إلى «توسيع الروابط النضالية بين الحركة الثورية العربية»[٥٠].

وعلى الصعيد العسكري، وفي معرض حديثه في ١٩ نيسان / إبريل ١٩٦٨ إلى القوات المسلحة، أوضح مع ذلك أن دور مصر الطليعي يمكن أن يفرض عليها مواجهة إسرائيل وحدها، مع أن كل جهودها قد استهدفت حشد كل الامة العربية:

«ولكن لا زلت أقول ان إحنا ممكن ندخل المعركة لوحدنا، لأن مفيش خطة عسكرية عربية، ولا فيش خطة سياسية عربية (..) وعلى هذا لا بد من حشد كل طاقات الامة العربية سياسياً وعسكرياً، ورغم عدم النجاح في تحقيق هذا الهدف فاحنا لم نيأس بل سنحاول بكل طاقاتنا (..) ولكن في نفس الوقت إحنا بنعمل في تخطيطنا الاستراتيجي الأساسي على أساس أننا قد نواجه إسرائيل وحدنا»[٥١].

وبعد ١٩٦٧ أيضاً إزدادت علاقات «الامة العربية» بالعالم الخارجي. وتعزز تحالفها مع البلدان الاشتراكية وتأكدت تسمية الولايات المتحدة (مع إسرائيل) أنها العدو «الامبريالي» الرئيسي «للامة العربية».

دال ـ بنية الامة العربية وتحوُّلها في الخطاب الناصري

إن هدفنا هنا هو جمع استنتاجات الدراسة التزامنية والتعاقبية لمفهوم «الأمة العربية» بحيث تحدّد التغييرات في مجمل خصائصها بين مرحلة وأخرى. إن نسبة تغيّر هذه الخصائص من مرحلة إلى أخرى، تسمح بقياس مدى تأثير الأوضاع والعوامل

---

(٥٠) «خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٧»، ص ٢٥٣.

(٥١) «خطاب ٢٩ نيسان / ابريل ١٩٦٨ لشرح بيان ٣٠ مارس»، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

الأخرى الخارجة عن الخطاب، على تصوّر عبد الناصر القومي. وهناك بعض الخصائص «للأمة العربية» لا تتغير بين ١٩٥٢ و١٩٧٠، رغم تغيّر المراحل والظروف: نستخلص هذه الخصائص الثابتة في نهاية التحليل ونعتبر أنها تشكل الاساس الدلالي الأدنى الثابت لمفهوم الأمة العربية في الخطاب الناصري. وقد استبعدنا المرحلة الاولى من توليفتنا، لأن حقل دلالة مفهوم الأمة العربية الناشىء لم يكن متطوراً بعد.

المرحلة الثانية: ١٩٥٨ - ١٩٦١:

شهد مفهوم «الأمة العربية» أول نهوض له أثناء هذه المرحلة، مرحلة الوحدة السورية ـ المصرية، وتجلّى ذلك في تطور حقل دلالته إلى ١٠٥ صلات (أنظر الرسم البياني رقم ١). ما هي الخصائص الرئيسية لهذا المفهوم في هذه المرحلة؟

لقد صنفنا كل خصائص الامة العربية أثناء هذه المرحلة في ست خانات وسنتبع هذا التصنيف بالنسبة إلى المراحل التالية : الخانات التي تتعلق بالعناصر المكونة، وبالقوى المساعدة وبتأثيرها على الامة العربية، وتلك التي تتعلق بفكرة الوحدة، وتلك التي تتعلق بفكرة الحرية، وتلك التي لها مدلول إجتماعي ـ إقتصادي أو التي تتعلق بالاشتراكية وأخيراً أفعال «الامة العربية» بالذات. ويلخص الجدول التالي رقم (٢١) الخصائص الرئيسية لمفهوم «الأمة العربية» أثناء المرحلة الثانية:

الفئات المهيمنة في حقل دلالة «الامة العربية» أثناء المرحلة الثانية هي مفهوم «الشعب العربي» في كل استعمالاته. إنه العنصر المكون الرئيسي للأمة العربية وقوتها المساعدة الوحيدة، ولكن ليس له تأثير محدد عليها. أما القوى المعاكسة وبصورة خاصة الأعداء الخارجيين للأمة العربية (الاستعمار والصهيونية وإسرائيل) فهي موجودة بقوّة وتأثيرها ضد «الأمة العربية» محدد: العمل ضد وحدتها («يريدون تقسيمها») والعمل ضد حريتها («تقرير مصيرها»). أما القوى المعاكسة الداخلية «أعوان الاستعمار» فهي موجودة طوال الفترة كلها، ولكنها ليست محددة كفاية، وعملها ضد الأمة العربية غير محدد أيضاً. وتبقى ثانوية بالنسبة إلى الأعداء الخارجيين.

وتشكل الوحدة فئة دلالية مهيمنة أيضاً في حقل دلالة الأمة العربية أثناء هذه المرحلة: البراهين على وحدة الأمة العربية، العقبات أمام وحدتها، هدف الوحدة، العمل التوحيدي أو، على العكس، التقسيمي على «الأمة العربية»، العمل التوحيدي

جدول رقم (٢١)

خصائص مفهوم « الأمة العربية » في المرحلة الثانية (١٩٥٨ - ١٩٦١)

العناصر المكونة والقوى المساعدة	القوى المناقضة	الوحدة
عناصر مكونة : أبناؤها الشعب العربي أو الشعوب العربية قوى مساعدة: الشعب المصري ، الشعب السوري ، الجمهورية العربية المتحدة: قاعدتها وطليعتها. أفعال لصالحها : دفعها، تحفيزها .	خارجية : الغزاة الاستعمار الصهيونية اسرائيل داخلية : أعوان الاستعمار أفعال الاعداء الداخليين : لا شيء أفعال الاعداء الخارجيين : ضد وحدتها : تقسيمها . ضد حريتها : تقرير مصيرها .	البراهين على وحدتها . العوائق في طريق وحدتها . هدفها : الوحدة السياسية الدستورية ، الثورة القومية أفعال لصالحها : توحيدها ، جمع شملها . أفعال ضدها (-) : تقسيمها (أعداؤها الخارجيون) أفعالها بالذات : حققت تجربة وحدوية

تابع /جدول رقم (٢١)

الحرية	الاجتماعي ـ الاشتراكية	أفعالها
• ثورتها الوطنية (التي هدفها الحرية) • أفعال لصالحها : تحريرها • أفعال ضدها : تقرير مصيرها في الخارج. السيطرة عليها .	• ثورتها الاجتماعية (الهدف : الاشتراكية) • لا خصائص اجتماعية • خاصيات مادية (ضعيفة) : مساحة . • خاصيات روحية (أكثر تطوراً)	• تقاتل ، تكافح • تسير في طريقها • تختار طريقها

بالذات للأمة العربية، التأثير الناتج عن القيام بتجربة وحدوية (الوحدة السورية ـ المصرية ١٩٥٨ ـ ١٩٦١). إن تأثير الأوضاع واضح كل الوضوح: إن تحقيق الوحدة السورية ـ المصرية يدفع إلى المقام الأول فكرة الوحدة وإلى المقام الثاني فكرة الحرية ـ التحرر وهدف «الثورة الوطنية» في كل بلد عربي. والحجة التي فصلّها عبد الناصر في خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٥٩، في ذكرى الوحدة، تثبت جيداً إدراكه الدائم بأن الوحدة العربية لا يمكن أن تتحقق قبل تحرير الشعوب العربية، التحرير الذي سيسمح لها بالتعبير عن إرادتها وبتحقيق الوحدة.

أما الفئات الغائبة أو الضعيفة أثناء هذه المرحلة فهي الفئات ذات المدلول الاجتماعي: المواصفات الاجتماعية، الأفعال الاجتماعية، الأهداف الاجتماعية، الاشتراكية، الخاصيّات المادية للأمة العربية، كل هذه العناصر غير موجودة في حقل دلالة الأمة العربية. وفي فترة انتعاش القومية العربية هذه، حيث تحقّق أحد الأهداف القصوى للأمة العربية، الوحدة العربية الدستورية (ولو جزئياً) بتحقق الوحدة السورية ـ المصرية، هل يمكننا أن نستنتج أن البعد الاجتماعي قد غاب غياباً شبه كلي عن التصور القومي العربي لدى عبد الناصر؟ لا يمكن الاجابة على هذا السؤال إلا بعد تحليل المفاهيم الأخرى لمجموعة المفردات القومية في الخطاب الناصري لمعرفة ما إذا غاب عنها أيضاً البعد الاجتماعي أثناء هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة (١٩٦١ ـ ١٩٦٣)

إن الفئات المهيمنة والجديدة في حقل دلالة «الأمة العربية» أثناء هذه المرحلة التي أعقبت فشل الوحدة السورية ـ المصرية هي على وجه التحديد الفئات التي كانت تفتقر إليها الفترة السابقة. فانفصام عرى الوحدة كشف لعبد الناصر الأعداء الداخليين «للأمة العربية»: بعد التقليل من أهميتهم أثناء المرحلة السابقة، فقد جرى تعيينهم وتحديد مواصفاتهم أثناء هذه المرحلة. والذين نُسبوا أثناء المرحلة السابقة إلى العدو الخارجي باسم «أعوان الاستعمار»، أطلقت عليهم في هذه المرحلة تسمية محددة: «الرجعية العربية». ولكن مواصفاتهم الاجتماعية بقيت من دون تحديد. وهكذا يتبينَّ أنه اذا كان الأعداء الاجتماعيون ما زالوا غير موجودين أثناء هذه الفترة، فقد أصبح الأعداء السياسيون الداخليون على العكس من ذلك أكثر تحديداً من السابق.

وعلى غرار المرحلة السابقة، فإن عمل الأعداء الداخليين ضد «الامة العربية»

ظل خاضعاً ومختلطاً بأعمال الأعداء الخارجيين التي تطورت كثيراً أثناء هذه الفترة وتشعبّت بتأثير إجتماعي ـ إقتصادي موّجه ضد نمو « الأمة العربية » : نهب ثرواتها وإرغامها على التخلف .

وأثناء هذه المرحلة أدخلت وطوّرت الفئات ذات المدلول الاجتماعي ـ الاقتصادي والمادي التي كانت غائبة أثناء المرحلة الثانية: أصبح «العامل» «قاعدة» الأمة العربية و«العمال» جزء من قواها المساعدة. وأصبحت «الاشتراكية» هدف الامة العربية، وأضيفت الصراعات الاجتماعية ـ الاقتصادية إلى صراعاتها السياسية والأيديولوجية. وقد أشار عبد الناصر أيضاً ـ أثناء هذه المرحلة ـ إلى الخاصيّات المادية للأمة العربية (ثرواتها وطاقاتها المادية).

وبالرغم من فشل وحدة ١٩٥٨، تطورت في هذه المرحلة الفئات العائدة إلى الوحدة العربية. ويبينّ ذلك أن الشاغل الرئيسي لعبد الناصر أثناء تلك المرحلة كان التفكير بفشل الوحدة السورية ـ المصرية ومحاولة صياغة مفهوم جديد للوحدة وضع مُوضع التطبيق في عام ١٩٦٣ في الاتحاد الثلاثي. وبالمقابل كانت فئة الحرية ضعيفة جداً.

يمكننا إذن أن نحدّد صفات المرحلة الثالثة باكتشاف الاعداء الداخليين للأمة العربية، وبتعميق مفهوم الوحدة العربية، وبدخول البعد الاجتماعي في المفهوم الناصري للأمة العربية.

المرحلتان الرابعة والخامسة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ و١٩٦٦ ـ ١٩٦٧)

لقد بدا لنا مهماً أن نقارن حقلي دلالة «الأمة العربية» أثناء هاتين المرحلتين لقياس تأثير وضعين مختلفين كلياً على حقل دلالتها. وبالفعل، تتميز المرحلة الرابعة بانفتاح السياسة الناصرية على كل الأنظمة العربية، بدون تمييز للونها السياسي: مرحلة مؤتمرات القمة التي وصفها عبد الناصر في وقت لاحق (في شباط / فبراير ١٩٦٧) بأنها مرحلة «مصالحة الرجعية». وعلى العكس من ذلك، فإن المرحلة الخامسة (من آذار / مارس ١٩٦٦) لغاية حزيران /يونيو ١٩٦٧) حيث يقطع بصورة جذرية علاقته بالانظمة العربية المحافظة، وينتقد سياسته السابقة، ويدشن مرحلة ثورية على الصعيد العربي بالدعوة إلى «وحدة القوى الثورية» العربية، ويرسم استراتيجية جديدة للنضال.

جدول رقم (٢٢)

خصائص مفهوم « الأمة العربية » في المرحلة الثالثة (١٩٦١ - ١٩٦٣)

العناصر المكونة والقوى المساعدة	القوى المناقضة	الوحدة
عناصر مكونة : أبناؤها ، الشعوب العربية ، أفرادها ، العامل . **قوى مساعدة** : الجيش الوطني ، العمال ، مصر قاعدتها وطليعتها ، إرادة الله / العالم . **أفعال تؤثر عليها** : (+) دفعها ، الأيمان بها ، عدم الكفر بها ، توجيه خطاها .	خارجية : الاستعمار ، الصهيونية . داخلية : الطغاة ، مالكو العروش ، الرجعية المتحالفة مع الاستعمار ، الرجعية العربية ، البعث ، الناس الخارجون عليها ، المنحرفون . **أفعال الأعداء الخارجيين :** **ضد وحدتها** : تمزيقها **ضد حريتها** : تكبيلها **ضد تطورها** : نهب ثرواتها ، إرغامها على التخلف	**براهين على وحدتها** : (+ جرى شرحها) **هدفها** : الوحدة العربية (وحدة الهدف والوحدة السياسية ـ الدستورية) . **أفعالها** : تثبيت حقيقة الوحدة ، تنادي بالوحدة ، سعت إلى وحدتها .

تابع /جدول رقم (٢٢)

الحرية	الاجتماعي ـ الاشتراكية	أفعالها
هدفها : الحرية **أفعال مناهضة لها** : تكبيلها	**فئات إجتماعية** : العامل هو أساسها ، العمال (قوة مساعدة) **خاصيات مادية** : ثرواتها ، طاقاتها المادية ، مجالها . **الهدف** : الاشتراكية **صراعات إجتماعية ـ إقتصادية** : مغالبة التخلف ، انهاء الاستغلال ، البناء ، العمل . **أفعال ضد تقدمها** : نهب ثرواتها ، إرغامها على التخلف . **خاصيات روحية** : (جزى شرحها)	• السير ، التحرك ، الكفاح ، البناء ، العمل ، مغالبة التخلف ، القضاء على الاستغلال . • معارك فكرية ، إجتماعية ـ اقتصادية وسياسية ـ عسكرية .

ما هو حال حقلي دلالة «الأمة العربية» أثناء هاتين المرحلتين المتناقضتين؟ إذا كان حقلا دلالة «الأمة العربية» يشهدان تقلصاً ملحوظاً أثناء الفترتين المذكورتين (٦٨ و٤٢ صلة)، فذلك لصالح مفاهيم أخرى في مجموعة المفردات القومية العربية عند عبد الناصر التي توسّع حقل دلالتها، ولكنها تختلف من مرحلة إلى أخرى. فأثناء المرحلة الرابعة، التي تميزت بتحول في السياسة الناصرية نحو اليمين على جبهة القومية العربية، تطورت في الخطاب الناصري مفاهيم «الشعب العربي» و«الشعوب العربية» و«العروبة»، وهي مفاهيم تتعلّق بالكيانات وبالهوية القومية. وعلى العكس من ذلك، أثناء المرحلة الخامسة، التي تميّزت باعتماد سياسة جذرية على الصعيد العربي، تراجعت مفاهيم الكيانات والهوية القومية لصالح المفاهيم العائدة إلى الحركة القومية والعمل الثوري العربي مثل «الثورة العربية» و«النضال العربي» و«القوى الثورية العربية» (أنظر الجدول رقم (٩) في الفصل الثالث).

قبل أن نبحث فيما يفرق بين حقلي دلالة «الأمة العربية» أثناء المرحلتين الرابعة والخامسة، نذكر النقاط المشتركة بينهما: «الشعوب العربية»، «مصر قاعدة الأمة العربية»، «الاستعمار»، غياب أية إشارة إجتماعية، وعمل واحد للامة العربية هو التحرك. وهذا الحد الأدنى من العناصر يشكّل مجمل حقل دلالة «الأمة العربية» أثناء المرحلة الرابعة، في حين أن عناصر جديدة تظهر في هذا الحقل أثناء المرحلة الخامسة: «الجماهير العربية»، عناصر مكوِّنة للأمة العربية، و«القوى الثورية» العربية من بين القوى المساعدة لها. وهذان العنصران الأخيران هما نتيجة مباشرة لتبدّل سياسة عبد الناصر العربية وللأوضاع التي طرأت أثناء المرحلة الخامسة: إن مفهوم «الجماهير» يقدم إمكانية حشد مباشرة غير متوفرة في مفهوم «الشعوب» و«الجماهير» قابلة للمخاطبة المباشرة (أيها الجماهير)، في حين ان «الشعوب» ليست كذلك.

كما نلاحظ أيضاً أثناء المرحلة الخامسة تحولاً في فئة الوحدة: بينما يجهد عبد الناصر أثناء المرحلة الرابعة أيضاً للتذكير بالبراهين على وحدة الأمة العربية وبالعقبات أمام وحدتها، فإن هذا الانشغال يتبدّد أثناء المرحلة الخامسة ويتغير معنى الوحدة: لم تعد الوحدة السياسية ـ الدستورية للأمة العربية مطلوبة بل وحدة القوى الثورية العربية. وللمرة الأولى جمع عبد الناصر أعداء الامة العربية الخارجيين والداخليين في تحالف ثلاثي ينبغي أن تعمل ضده «وحدة القوى الثورية» العربية، لا «الامة العربية».

جدول رقم (٢٣)

خصائص مفهوم « الأمة العربية » في المرحلة الرابعة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦)

العناصر المكونة والقوى المساعدة	الوحدة	الحرية
الشعب العربي ، الشعوب العربية ، مصر القاعدة أفعال تؤثر عليها : دفعها	براهين على الوحدة العوائق أمام الوحدة	الهدف : الحرية
الاجتماعي ـ الاشتراكية	الاعداء الخارجيون	أفعالها
لا شيء	الاستعمار ، الصهيونية (لا توجد أية إشارة إلى الاعداء الداخليين)	السير ، التحرك

جدول رقم (٢٤)

خصائص مفهوم « الأمة العربية » في المرحلة الخامسة (١٩٦٦- ١٩٦٧)

العناصر المكونة والقوى المساعدة	الوحدة	الحرية
ـ الشعب العربي، الشعوب العربية ـ الجماهير العربية ـ القوى الثورية ـ مصر قاعدة ثورية (لا أفعال تؤثر على الأمة العربية)	(وحدة القوى الثورية) الهدف : الوحدة أفعال : التوحيد أفعال الاستعمار : يريدها دائما ممزقة	لا شيء الاجتماعي ـ الاشتراكية ـ بلوغ مستوى التطور المنشود خاصيات مادية : ـ لا شيء غير المجال
اعداء		أفعالها
خارجيون : الاستعمار . اسرائيل داخليون : اعوان الاستعمار . الرجعية العربية (تحديد الأعداء الخارجيين والداخليين للمرة الأولى) : التحالف الثلاثي للاستعمار والرجعية العربية والعنصرية الاسرائيلية		ـ السير ـ بلوغ مستوى التطور المنشود

نستنتج من هذه المقارنة أنه أثناء المراحل السياسية الجذرية (المرحلة الخامسة) يصبح حقل دلالة «الامة العربية» أكثر انفتاحاً ويغتني بعناصر جديدة. وعلى العكس من ذلك، أثناء مراحل الانكفاء إلى اليمين، يضيق حقل دلالتها ويقتصر على الأساس الدلالي .الأدنى.

المرحلة السادسة (حزيران / يونيو ١٩٦٧ ـ أيلول / سبتمبر ١٩٧٠) :

(بلغ حقل دلالة الأمة العربية أثناء هذه المرحلة أكبر قدر من التطور : ٢٥٦ صلة) .

فئات مهيمنة وجديدة: للمرة الاولى أدخلت فئات إجتماعية جماعية في عداد العناصر المكونة والقوى المساعدة «للأمة العربية»، التي اغتنت أيضاً بعناصر سياسية جديدة وبالانفتاح على «العالم» و«الله».

وتبلغ الأفعال الايجابية للقوى المساعدة أقصى تطورها أثناء هذه المرحلة، ونرى في ذلك تأثير الاوضاع الراهنة: حاول عبد الناصر بهذه الطريقة أن يعزّز الأمة العربية، وأن يساعدها على النهوض من الهزيمة، وتؤكد ذلك الأفعال المذكورة (الايمان بها، عدم فقدان الثقة بها، الدفاع عنها، الموت من أجلها، حشدها، تجميعها).

ويتقدم هدف الحرية ـ التحرير على هدفي الوحدة والاشتراكية. وينبغي أولاً تحرير أراضي «الامة العربية» التي احتلتها إسرائيل. ومرة أخرى يتغير محتوى الوحدة، فلا يعود يقصد به وحدة القوى الثورية العربية ولا الوحدة الدستورية بين البلدان العربية. بل الوحدة بمعنى «التضامن العربي» و«العمل المشترك للحكومات والجماهير العربية» من أجل «تجميع» و«حشد» الطاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية للأمة العربية من أجل «إزالة آثار العدوان». وغابت «الاشتراكية» عن أهداف الأمة العربية أثناء هذه المرحلة، وحلّت محلها «الثورة الاجتماعية». كما إزدادت أهمية فئات أخرى ذات مدلول إجتماعي ومادي قوي أثناء هذه المرحلة: أشير إلى الخاصيّات المادية، وللمرة الأولى نُسب مفهوم «الأرض» إلى الأمة العربية عوضاً عن مفهوم «المساحة» الأقل دقة. كما أشير إلى طاقاتها الاقتصادية وإلى تأثيرها الاجتماعي ـ الاقتصادي.

وجرى تطوير فئة الأعداء الخارجيين وتقدمت على فئة الأعداء الداخليين، الذين جرى التقليل من أهميتهم وحصر دورهم بأنهم «أعوان» الاستعمار. وبتركيزه كل

جدول رقم (٢٥)

خصائص مفهوم « الأمة العربية » في المرحلة السادسة

العناصر المكونة والقوى المساعدة	الوحدة	الحرية
أبناء ، الشعوب العربية ، الأفراد ، الجماهير العربية ، العمال ، الفلاحون المثقفون ، الشعب العامل ، الجيوش العربية ، الحكومات العربية . القوى السياسية قوات المقاومة مصر قاعدتها الدول الاشتراكية العالم الخارجي ، الله أفعال لصالحها : تشجيعها ، ارشادها ، الايمان بها ، الاعتماد عليها ، تجميعها ، جمع شملها ، حشد طاقاتها ، الدفاع عنها ، الموت من أجلها ، العمل لأجلها	ـ الوحدة بمعنى التضامن ـ الوحدة السياسية ، الاقتصادية ، العسكرية غير الدستورية . الفعل الوحدوي للأمة العربية : تجميع ، حشد أفعال لصالح الأمة العربية : تجميعها ، جمع شملها ، حشد طاقاتها	الهدف : الحرية ، التحرير أفعال لصالحها : تحرير أراضيها أفعال ضد حريتها : إخضاعها ، السيطرة عليها . أفعال ضد وجودها : محاولة القضاء عليها .

تابع /جدول رقم (٢٥)

الفئات الاجتماعية ـ الاشتراكية	الأعداء	أفعالها بالذات
(الفئات الاجتماعية بين العناصر المكونة) التحالف : البلدان الاشتراكية خاصيات مادية : أرضها ، طاقاتها الاقتصادية الصراعات : ثورة إجتماعية أفعالها : بناء ، عمل أفعال لصالحها : العمل من أجلها	الخارجيون :الاستعمار ، الصهيونية ، إسرائيل ، الامبريالية ، الولايات المتحدة ، بريطانيا الداخليون : أعوان الاستعمار أفعال الاعداء على الأمة العربية : ضد حريتها ، سيادتها ، ووجودها : (إخضاعها ، السيطرة عليها ، يحاول ضربها ، هزيمتها ، القضاء عليها) .	الاتحاد ، توحيد ، السير ، النضال ، البناء ، العمل ، المقاومة ، حشد قواها ، رفض الهزيمة ، تحرير .

جهود الأمة العربية «ضد العدو الخارجي، تحاشى عبد الناصر أن يذكر «الرجعية العربية» وترك العدو الداخلي في المقام الثاني. وهكذا تبين كيف أن تبدل الأوضاع يفرض الاختيارات على مستوى تحديد أهداف «الأمة العربية» وحلفائها وأعدائها وأعمالها.

وبنهاية هذه التوليفة، استخلصنا الحد الأدنى لحقل دلالة مفهوم «الأمة العربية» المشترك بين حقول دلالتها أثناء المراحل الستة بين ١٩٥٢ و١٩٧٠:

الحد الأدنى الاساسي والثابت لحقل دلالة مفهوم «الأمة العربية»:

العناصر المكوّنة: الابناء، الشعب العربي والشعوب العربية
القوى المساعدة: الشعب العربي أو الشعوب العربية، مصر قاعدتها
الخاصيات المادية: المساحة (عدا المرحلة الرابعة)
الأهداف: الحرية، الوحدة.
القوى المناقضة: الخارجية: الاستعمار، الصهيونية
الداخلية: أعوان الاستعمار (عدا المرحلة الرابعة)
أفعالها: توحيد، إتحاد، السير، التحرك.
أفعال تؤثر عليها: دفعها، أعطاؤها زخماً.

يشكل هذا الاساس المشترك الحد الادنى للمفهوم الناصري للأمة العربية، وهو أساس مشترك أدنى وثابت لا يتأثر بتبدل الظروف وبالعوامل الأخرى الخارجة عن الخطاب الناصري. وأبعد من هذا الحد نخرج من حقل الخطاب القومي الناصري.

ثالثاً: التصور الناصري لماضي «الأمة العربية»

هدفنا هنا أن نحلّل الإشارات إلى ماضي «الأمة العربية» في الخطاب الناصري. وقد استخلصنا هذه الاشارات وصنّفناها تبعاً لما إذا كان الماضي المقصود هو غير محدد، أو قديم، أي قبل القرن السادس عشر، أو إذا كان ماضياً قريباً يتناول التاريخ الحديث الممتد من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين حتى عشية ثورة عام ١٩٥٢. وبعد أن نعرض الاشارات التاريخية «للامة العربية» حسب المراحل المذكورة، نتفحص ما إذا كان عبد الناصر قد اعتبر وجود «الأمة العربية» إستمرارية تاريخية ألفية أو إنقطاعاً. ثم نبين خصائص «الامة العربية» المشار إليها في كل من هذه الفترات التاريخية.

ألف ـ الاشارات إلى ماضي الأمة العربية

١ ـ الماضي غير المحدّد

«إن الشعوب العربية عاشت كأمة واحدة بل جمعتها في أطول فترات التاريخ دولة واحدة» (خطاب الرئيس في حفل النقابات المهنية ، ٢٠ أيار / مايو ١٩٦٤ ، الأهرام ٢١ أيار / مايو ١٩٦٤) .

«(الامة العربية) أمة كان لها دورها العظيم في التاريخ وسوف يكون لها الدور العظيم في مصير الانسانية». («بيان ٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨»، وثائق عبد الناصر، المصدر السابق، ص ٣٧٣).

«لقد أثبتت الأمة العربية للعالم أجمع حينما رفضت الهزيمة قوتها وأصالتها وحضارتها، الحضارة القديمة التي تمتد إلى آلاف السنين» (كلمة في أعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب، ١٥ نيسان / أبريل ١٩٦٨»، وثائق عبد الناصر، المصدر السابق، ص ٣٩٧).

«كل الغزاة اللي جم مصر ما قدروش يغيروا من طبيعة الشعب المصري، كل الغزاة اللي جم في الأمة العربية ما قدروش يقضوا على الأمة العربية». («خطاب ١٨ نيسان / أبريل ١٩٦٨،» وثائق عبد الناصر، المصدر السابق، ص ٤٠٥)

٢ ـ التاريخ القديم (من الحقبة الفرعونية حتى القرن السادس عشر)

«منذ زمن بعيد في الماضي لم تكن هناك سدود بين بلاد المنطقة التي تعيش فيها الآن الامة العربية، كانت مصر دائما بالوعي أو باللاوعي تؤثر فيما حولها وتتأثر به كما يتفاعل الجزء مع الكل (..) وتلك حقيقة تظهرها دراسة التاريخ الفرعوني صانع الحضارة الانسانية الاولى، كما تؤكدها بعد ذلك وقائع عصور السيطرة الرومانية والاغريقية. كان الفتح الاسلامي ضوءاً أبرز هذه الحقيقة (..) والتاريخ الاسلامي (..) وصدّ أول موجات الاستعمار الأوروبي (الصليبيين) (..) ردّ غزو التتار (..) مقاومة الخلافة العثمانية استعماراً ورجعية باسم الدين (..)» (مشروع الميثاق، ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢، ص ٢١ ـ ٢٢).

القرن الثاني عشر: «معركة المنصورة، التي دارت هنا في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الثاني عشر، كانت توأماً لمعركة حطين التي قادها بطل أمتنا العظيم صلاح الدين والتي أنهت إحتلال الصليبيين للقدس».

(«خطاب ١٨ نيسان / أبريل ١٩٦٨»، وثائق عبد الناصر ، المصدر السابق، ص ٤٠٣ - ٤٠٤)

«منذ سبعماية سنة، عندما جاء الاستعمار إلى هنا، إلى المنصورة، كان يقول وقتئذ أنه إذا أخضع مصر فإنه سيخضع كل المنطقة»

(«خطاب ١٨ نيسان /أبريل ١٩٦٨»، وثائق عبد الناصر، المصدر السابق، ص ٤٠٨).

٣ - التاريخ الحديث (من القرن السادس عشر حتى عام ١٩٥٢)

«بل إن القاهرة تحولّت في مطلع القرن العشرين فأصبحت هي ودمشق المركز الرئيسي للجمعيات السرية التي راحت تناضل ضد جبروت سلاطين إستانبول من أجل تحرير الامة العربية» (خطاب السيد الرئيس في مجلس الامة بمناسبة إعلان أسس الوحدة بين مصر وسوريا في ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨ بالقاهرة. القاهرة، مصلحة الاستعلامات ص ٥) سنشير إليه بخطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨

«إن الاستعمار تنكر لكل عهوده التي قطعها على نفسه خلال الحرب العالمية الاولى: كانت الامة العربية تتصوّر أنها قريبة من يوم الاستقلال ويوم الوحدة، فإن البلاد العربية قسّمت بين الدول الاستعمارية وفق مطامعها».

(مشروع الميثاق، ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢ ، ص ٣٤).

« إن جيوش الأمة العربية دخلت فلسطين » (نفس المصدر ، ص ٣٥).

«إتحدت المنطقة فيما تعرّضت له في كل نواحيها من سيطرة الاستعمار عليها، ثم كان إتحادها في الثورة على هذا الاستعمار بكل أشكاله ومقاومته».

(خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨، المصدر السابق، ص ٤).

«لما بدا في بعض الأحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر، ثم تحت حكم أسرة محمد علي، لم يكن الامر في باطنه يمثل ما يبدو في ظاهره: ومن بين الشواهد والأدلة أن جيش الفلاحين سار تحت قيادة إبراهيم باشا ليحرر سوريا من الظلم العثماني وكان يسمي نفسه الجيش العربي».

(خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨، المصدر السابق، ص ٤)

«إن القاهرة سارعت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر إلى فتح النوافذ لتيارات النهضة وتحوّلت إلى قلعة للفكر الحر في الشرق العربي وما لبث روّاد الحرية في سوريا ورواد الحرية في المنطقة العربية كلها أن وفدوا إليهايتحصنونبأسوارهاويبعثون منها إشعاعاتالفكر»(نفسالمصدر،ص ٥).

يمكن تلخيص الاشارات الى ماضي «الأمة العربية» في الخطاب الناصري. ضمن الجدول رقم (٢٦) التالي:

جدول رقم (٢٦)

الاشارات إلى ماضي «الأمة العربية» في الخطاب الناصري

الفترات التاريخية المذكورة	ماضي قديم غير محدد «آلاف السنين» ، « في أطول فترات التاريخ»								
الاستعمال السائد في الخطاب الناصري	«الأمة العربية»								
الفترات التاريخية المذكورة	ماضي محدد								
	قديم ووسيط					حديث			معاصر
	الفراعنة	الرومان	الفتح الاسلامي	التاريخ الاسلامي	الصليبيين	العثمانيين	استعمار حديث	حرب فلسطين	١٩٥٢
الاستعمال السائد في الخطاب الناصري	« المنطقة العربية »					«الأمة العربية» و«المنطقة العربية»			«الأمة العربية»

وقد تبين من الجدول رقم (٣٦) السابق، أن الاشارة إلى «الأمة العربية» في الماضي يختلف في الخطاب الناصري، باختلاف الزمن التاريخي المذكور: فيظهر استعمال «الامة العربية» في كل الحالات التي يذكر فيها عبد الناصر الماضي البعيد بدون تحديد لفترة معينة أو لقرن ما. ويتضح من هذه الاستعمالات أن عبد الناصر يعيد وجود «الأمة العربية» إلى زمن بعيد غير محدّد يساوي «آلاف السنين».

ويظهر استعمال آخر للأمة العربية يمكن استنتاجه من الاشارات إلى ماضي الأمة العربية في فترات تاريخية حديثة ومحددة يتضح منها أن هناك استعمال حديث «للأمة العربية» في الخطاب الناصري يبدأ في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مع بداية النضال العربي ضد «السيطرة العثمانية» ثم في الكفاح للتحرر من «الاستعمار» الحديث وبمقاومة إسرائيل في «حرب فلسطين». ويبدو واضحاً أن عبد الناصر يستعمل مفهوم «المنطقة العربية» عندما يذكر فترات تاريخية محددة، سابقة للعهد العثماني (صليبيين، تاريخ إسلامي، رومان، فراعنة).

وباختصار، إن ما يمكن استنتاجه من مجمل الاشارات إلى ماضي الأمة العربية في الخطاب الناصري، هو وجود بعدين زمنيين في المفهوم الناصري «للأمة العربية»: بعد زمني قديم يعود إلى آلاف السنين ويرتكز على وجود «حضارة عربية قديمة» و«دولة واحدة في أطول فترات التاريخ»، وبعد زمني حديث يبدأ إنطلاقاً من نهاية القرن التاسع عشر، إنبعث في النضال ضد السيطرة العثمانية ثم الاستعمار الغربي والكيان الصهيوني. ويمتزج بالتالي في المفهوم الناصري «للأمة العربية» كيان قديم يعود إلى تاريخ غابر يعود إلى وجود العرب في التاريخ، وكيان حديث إنبعث في التفاعل والصراع مع حركة نشوء وامتداد الدول القومية الحديثة.

باء - ما هي الخصائص التي أُعطيت للأمة العربية في الماضي؟

إن كل استشهادات عبد الناصر بالأمة العربية في الماضي غير المحدد هي إستشهادات إيجابية:

- لقد كانت «واحدة» وكان لها «دولة واحدة»[٥٢].

(٥٢) ان هذه الفكرة القائلة بأن الشعوب العربية، بما فيها مصر، قد شكلت دولة واحدة خلال اطول فترات تاريخها عالجها باسهاب الحصري، ابحاث مختارة في القومية العربية، ١٩٢٣ - ١٩٦٣، ص ٩١ - ٩٤.

ـ « أمة كان لها دورها العظيم في التاريخ » .
ـ « الحضارة القديمة التي تمتد إلى آلاف السنين » .
ـ لا يمكن قهرها لأن « كل الغزاة اللي جم في الأمة العربية ما قدروش يقضوا على الأمة العربية » .

وتحتل مصر فيها مكانة رئيسية. فعندما تحدث عبد الناصر عن «الحضارة القديمة التي تمتد إلى آلاف السنين»، فإن تفكيرنا اتجه إلى مصر القديمة. وبالفعل، فإن التاريخ المشترك للحضارة العربية لا يرجع إلا إلى حوالي الألفي سنة ، في حين أن الحضارة المصرية القديمة قد امتدت طوال عدة آلاف من السنين قبل المسيح. إذن، لقد قام عبد الناصر بعملية دمج ، ضمّ التراث الحضاري لمصر إلى التراث الحضاري للأمة العربية ، وبذلك أعطى هذا الأخير عمقاً تاريخياً لم يكن موجوداً لديه . وهكذا فإن مصر قد جسّدت الأمة العربية ليس في الحاضر فحسب ، بل في الماضي أيضاً .

وفي ذات المسعى أثبت عبد الناصر وجود تفاعل متبادل في الماضي بين مصر والأمة العربية أدى فيه الشعب المصري دوراً رئيسياً. فقد جعل بقاء «الأمة العربية» وقفاً على بقاء هوية الشعب المصري، إذا كان «كل الغزاة.. ما قدروش يقضوا على الأمة العربية» فذلك لأنهم «... ما قدروش يغيروا من طبيعة الشعب المصري». ولأن هذا الشعب حافظ على هويته إستطاعت «الأمة العربية» أن تبقى على قيد الحياة.

لقد سبق وأشرنا إلى أن عبد الناصر لم يستخدم مفهوم «الأمة العربية» عندما تحدث عن مختلف مراحل التاريخ القديم المحددة، إبتداء من الحقبة الفرعونية حتى حقبة المماليك: لقد اعتمد مفهوم «المنطقة العربية». وتجدر الاشارة أيضاً إلى أنه حينما تحدث عبد الناصر عن «الفتح» و«التاريخ الاسلامي» (أنظر مشروع الميثاق، ١٩٦٢، المصدر السابق، ص ٢١) لم يستعمل مفهوم «الأمة العربية» ولا مفهوم الأمة الاسلامية، بل استعمل بالأحرى مفهوم «المنطقة العربية». وعلى كل حال، فان هذه الفترة لا تحتل مكانة مميزة في الاستشهادات بماضي «الأمة العربية»، ولم يأتِ عبد الناصر على ذكرها سوى مرة واحدة. وبالمقابل فإن فترة الصليبيين وردت تكراراً في العينة (٣ الى ٤ مرات) . ونستنتج من ذلك أن عبد الناصر قد خصّ في استشهاداته بالماضي القديم الفترات التاريخية التي كانت فيها « المنطقة العربية » تواجه عدواً أجنبياً خارجياً كان يحتل أراضيها :

وإذا استثنينا الماضي غير المحدّد وغير التاريخي ، نلاحظ أن الفترة التاريخية الوحيدة المحددة التي اشار فيها عبد الناصر الى « الأمة العربية » هي الفترة المعاصرة ، وبوجه خاص القرن العشرين بمجمله . والحقب الثلاث التي أشير فيها الى « الأمة العربية » هي : النضال ضد العثمانيين حين « تحوّلت القاهرة . . فاصبحت هي ودمشق المركز الرئيسي » و « انقسام البلاد العربية بين الدول الاستعمارية . . » بعد الحرب العالمية الأولى ، وأخيراً الخدعة الاستعمارية الصهيونية ضد جيوش « الأمة العربية » في عام ١٩٤٨ زمن حرب فلسطين . والحقبتان الأخيرتان اللتان أشار اليهما عبد الناصر هما حقبتان سلبيتان بصورة اساسية : الأولى تذكر بالسيطرة على « الأمة العربية » وتقسيمها ، والثانية تذكر بهزيمتها العسكرية . وإذا كان عبد الناصر اذن لا يشير الاّ الى الميّزات الايجابية والمحفزة للأمة العربية عندما يذكر بماضيها البعيد غير المحدد ، فإنه لا يتردد في عرض ماضيها التاريخي الاكثر حداثة بكل سلبياته بصراحة متناهية . ولكن في الماضي كما في الحاضر (بعد ١٩٥٢) نسَب عبد الناصر الأدوار السلبية الموجّهة ضد الأمة العربية الى عوامل خارجية : « سلاطين استانبول » و « الدول الاستعمارية » و « الصليبيين » و « العملاء الأجانب » . وإذا كان مؤكداً ان القوى الاجنبية قد قامت بدور رئيسي في تاريخ « الأمة العربية » و « المنطقة العربية » ، فإن القوى المحلية والعوامل الاجتماعية الداخلية قد أدّت دوراً حاسماً وكانت جديرة بأن يأتي عبد الناصر على ذكرها .

الفَصل الخامس

تحليل مَفهومِ «القوميَّة العَربيَّة» في الخطابِ الناصِري

لقد اخترنا أن نحلل مفهوم «القومية العربية» لانه من جهة يحتل مكانة مركزية في الخطاب القومي العربي لعبد الناصر، بالنظر لاتساع حقول دلالته (٣٤٣ صلة). ومن جهة ثانية لأنه يعني في ذات الوقت الهوية القومية العربية وحركة القومية العربية، كما سيتبين من تحليل حقول دلالته. وسنتبع في هذا الفصل الطريقة نفسها التي اتبعناها في تحليل «الامة العربية» وتحاشيا للاطالة سنركز على أبرز خصائص هذا المفهوم.

أولا: ظهور مفهوم «القومية العربية» وتطوره في الخطاب الناصري

ألف ـ ظهور مفهوم «القومية العربية»

إن مفهوم القومية العربية الذي غاب عن الخطاب الناصري في عامي ١٩٥٣ و١٩٥٤ لم يظهر للمرة الاولى إلا في عام ١٩٥٥. ولكن هذا الاستعمال ظلّ محدودا حتى عام ١٩٥٦ حين شهد فجأة نهوضاً عارماً. وفي خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٥٥ (في العينة)، لمناسبة عيد الثورة لم يستعمل عبد الناصر تعبير «القومية العربية» إلا مرّة واحدة حين قال:

«هذه المحاولة الفاجرة التي يقصد بها الصهيونيون إلى محو القومية العربية في فلسطين وإحلال إسرائيل»[1].

(١) خطاب سياستنا الداخلية والخارجية، في ٢٢ يوليو ١٩٥٥(القاهرة :مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٦١ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٥٥).

لقد كان استعمال عبد الناصر «للقومية العربية» مقصوراً جغرافياً على فلسطين ولم يكن قد اعلن بعد أن القومية العربية هي قومية مصر. ولكن هذا لا يعني أن عبد الناصر كان ينادي في حينه بقومية «مصرية»: فاستعمال القومية المصرية لم يظهر أبداً في الخطاب الناصري. هذا مع العلم بأنه حتى عام ١٩٥٦، كانت صفة «قومي» تقتصر على الاطار المصري. وهكذا نجد بالفعل في خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٥٥ الاستعمالات التالية في الاطار المصري: «الحياة القومية»، و«تربية الشعب تربية قومية» و«سياسة قومية»، و«عِرْض البلاد القومي». وهذا الاستعمال لكلمة «قومي» الذي كان مقصورا في حينه على الاطار المحلي المصري، كان موازياً، كما شاهدنا في الفصل السابق، لاستعمال كلمة «أمة» التي كانت تشير أيضا إلى مصر في تلك الفترة. ولكن علينا أن نوضح منذ الآن أن عبد الناصر لم يلجأ أبداً اثناء هذه الفترة إلى استعمال اسم القومية منسوباً الى مصر[٢].

ولم يحدد عبد الناصر قومية مصر إلا في عام ١٩٥٦[٣]. وفي ذلك العام شهد حقل دلالة مفهوم «القومية العربية» تطورا مدهشا بلغ أوجه تقريبا (١٠٣ صلات، علما بأن تطوره الاقصى وصل الى ١١٩ صلة). فخطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ الذي تضمن إعلان تأميم قناة السويس (في العينة)، هو أحد الخطب الاولى التي أكّد فيها عبد الناصر بأن «القومية العربية» هي قومية المصريين وكل العرب:

« قوميتنا العربية »

« لنا قومية تجمعنا من المحيط إلى الخليج »[٤].

---

(٢) يقدم لنا عبد الناصر نفسه تاكيدا غير مباشر في خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ عندما يتحدث عن مشادة مع احد موظفي السفارة الاميركية وقد ابلغه هذا الاخير ان دالاس وجه اليه « رسالة بها اهانة للقومية المصرية والعزة المصرية ». وقد رد عليه عبد الناصر مدافعاً عن « العزة المصرية » واغفل الاشارة في جوابه الى « القومية المصرية ». وهو بذلك لم يكرر هذا الاستعمال على حسابه. انظر: « خطاب اعلان الرئيس تاميم قناة السويس، ٢٦ يوليو ١٩٥٦ »، الاهرام، ٢٧ تموز / يوليو ١٩٥٦، ص ٢. (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ »).

(٣) بعد أن اكد ان القومية العربية « لم تكن ظاهرة وموجودة سنة ١٩٥٢ »، صرّح عبد الناصر: « اعلنّا القومية العربية من اول ثورة ٥٢ » في: خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٤٤ و ٤٦ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨). ومع اننا لم نتفحص كل الخطب التي القاها عبد الناصر عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤ فاننا نستطيع ان نؤكد ان استعمال مفهوم « القومية العربية » بشكل مكثف قد بدأ في عام ١٩٥٦.

(٤) « خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ »، ص ١ ـ ٢. وهكذا اذن يبدو ان تاكيد ل. بايندر (L. Binder) =

« يجب أن نكون كعرب قومية واحدة »[٥] .

وابتداء من تلك الفترة تغيّر إطار صفة « قومي » ، ولم تعد تظهر إلا نادراً في الإطار المصري (في بعض الاستعمالات الاقتصادية مثل « الدخل القومي ») ، وانتقلت إلى حقل مجموعة مفردات القومية العربية . وحلّت محل هذه الصفة في الإطار المصري صفة « وطني » المشتقة من وطن :

« مصر ، كتلة وطنية متكاتفة » ؛ « جبهة وطنية من جميع أبناء هذا الشعب »[٦] .

لقد شاهدنا في الفصل السابق انه في هذه الفترة نفسها (١٩٥٦) اصبح مفهوم «الامة» يعني بصورة نهائية «الامة العربية» بعد أن تعدّى الاطار المصري. وبأية حال فقد أكّد عبد الناصر بنفسه على ذلك في وقت لاحق، أثناء المحادثات الثلاثية في عام ١٩٦٣:

«إن فكرة القومية العربية والوحدة العربية جديدة على الناس هنا (في مصر) الواقع أصلا من ١٩٥٥، ١٩٥٦ ابتدأ هذا الشعور يبرز (...)في سوريا من زمان الشعور القومي واضح، بيتولد الطفل بيقول القومية العربية... بيقول الوحدة العربية»[٧].

ـ لماذا ظهر مفهوم «القومية العربية» وشهد نهوضا في عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦؟ لقد أوضح عبد الناصر ذلك في خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ (في العينة المختارة) وفي خطاب ١٢ آب / أغسطس ١٩٥٦ (خارج العينة المختارة): لقد كان عام ١٩٥٥ عام حلف بغداد الذي سعت فيه الدول الاستعمارية، وبصفة خاصة بريطانيا، وبدعم من الولايات المتحدة الأمريكية ، للهيمنة على كل الدول العربية في المشرق . وعندما شعرت

= بان « خطاب ١٢ آب / اغسطس ١٩٥٦هو أول خطاب اكد فيه عبدالناصر بصورة مطلقة عروبة مصر وانتماءها الى القومية العربية » هو تاكيد غير صحيح . انظر : ل . بايندر ، **الثورة العقائدية في الشرق الاوسط** ، ترجمة خ . حماد (القاهرة : دار القلم ، ١٩٦٥) ، ص ٢١١ .

(٥) « بيان للرأي العام العربي القي في مساء الاحد ١٢ اغسطس ١٩٥٦ ، » **الاهرام** ، ١٣ آب / اغسطس ١٩٥٦ ، ص ١ (خارج العينة وسنشير اليه بـ « بيان ١٢ آب / اغسطس ١٩٥٦ ، ») .

(٦) « خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ ، » ص ٢ .

(٧) « محاضر محادثات الوحدة ، »**الوثائق العربية ١٩٦٣**(بيروت : الجامعة الاميركية في بيروت ، دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة ، [د . ت .]) ، ص ١١٤ .

مصر الناصرية بخطر الرجوع مجددا إلى عهود السيطرة الاستعمارية أو الوقوع في عزلة ، قاومت هـذا الحلف مقاومـة صريحـة . وتضامنت الحـركـات الشعبيـة في مختلف بلدان المشرق مع مصر: مظاهرات واحتجاجات في سورية والعراق ولبنان والاردن. وهي حركات فسرها عبد الناصر بأنها تدل على شعور قومي مشترك وهوية عربية مشتركة:

«فقاومناه (الاستعمار) قاومنا هذه الدسائس، وكان الوعي العربي، وكانت القومية العربية قد استيقظت واشتعلت واتقدت في جميع البلاد العربية... فلم يستطع الاستعمار أن يحقق أغراضه، وانتصرت القومية العربية عليه»[٨].

«ثم فكرت أننا كعرب يجب أن نكون قومية واحدة (جنسية)، يجب أن نكافح في سبيل القضية الواحدة (...) ظهرت القومية العربية بعد تهديد مصر»[٩]

وابتداء من هذه الفترة (١٩٥٦)، وضعت الحكومة المصرية ما بوسعها من وسائل لنشر الوعي في مصر للقضايا العربية. وقدّر انيس صايغ[١٠] أن عدد المنشورات تجاوز في سنة واحدة كل ما كان قد صدر حول هذا الموضوع خلال العشرين أو ثلاثين سنة الاخيرة. وقد اعطى كمثال على ذلك سلسلتي **اخترنالك**، **والتعبئة العامة** ، ومنشورات وزارة الارشاد. وأبدت الصحافة المصرية إهتماما بالقضايا العربية وخصصت لها مجلّات عديدة وأعداداً خاصة بصورة منتظمة. (أمثال مجلة «صباح الخير» ذات الانتشار الشعبي الواسع) وفي عام ١٩٥٦ هبت مصر باجمعها، كرجل واحد منادية بالقومية العربية.

باء ـ تطور حقل دلالة مفهوم «القومية العربية» بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠

إن التطور الاجمالي لحقول دلالة مفهوم «القومية العربية» يتبين لنا من خلال دراسة التغير الكمّي لصلاته بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠. ونورد هنا جدولا (رقم ٢٧) بهذه التغيرات، ثم نعرضها في الرسم البياني رقم (٥).

---

(٨) « خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ ، » ص ٢ .

(٩) « بيان ١٢ آب / اغسطس ١٩٥٦ ، » ص ١ (خارج العينة) .

(١٠) انيس صايغ ، **الفكرة العربية في مصر** (بيروت مطبعة الغريب ١٩٥٩) ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٦



شكل رقم (٥)

تطوّر حقل دلالة « القومية العربية » بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠

عدد الصلات

١١٩
١٠٦
٥٠
٣٠
٢٦
١٧

١٩٥٦

١٩٥٢ | ١٩٧٠

المرحلة الأولى ١٩٥٢ - ٥٧
المرحلة الثانية ١٩٥٨ - ٦١
المرحلة الثالثة ١٩٦١ - ٦٣
المرحلة الرابعة ١٩٦٣ - ٦٦
المرحلة الخامسة ١٩٦٦ - ٦٧
المرحلة السادسة ١٩٦٧ - ٧٠

جدول رقم (٢٧)

تطور الصلات الدلالية لمفهوم «القومية العربية» حسب المراحل

المرحلة	السنوات	عدد الخطب والكتابات التي جرى تحليلها	العدد المرجح لصلات القومية العربية
المرحلة الأولى	١٩٥٢ - ١٩٥٧	٣	١٠٦*
المرحلة الثانية	١٩٥٨ - ١٩٦١	٣	١١٩
المرحلة الثالثة	١٩٦١ - ١٩٦٣	٤	٥٠
المرحلة الرابعة	١٩٦٣ - ١٩٦٦	٢	١٧
المرحلة الخامسة	١٩٦٦ - ١٩٦٧	٢	٢٦
المرحلة السادسة	١٩٦٧ - ١٩٧٠	٤	٣٠

* ملاحظة : تعود ١٠٢ صلة من أصل ١٠٦ لعام ١٩٥٦، ذلك أن عدد صلات مفهوم «القومية العربية» في الخطاب الناصري لا يتجاوز الأربعة قبل هذا التاريخ (١٩٥٢ - ١٩٥٥) . فإدخالنا عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ في المرحلة الأولى ، عندما أجرينا التحقيب الزمني للفترة الناصرية ، أعطى هذا الانطباع الخاطىء عن ضخامة صلات « القومية العربية » في المرحلة الأولى .

يتبيّن من الجدول والرسم البياني أن مفهوم الفومية العربية شهد فترة نهوض بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦٣ (المراحل الاولى والثانية والثالثة) وفترة هبوط ما بين عامي ١٩٦٣ و١٩٧٠ (المراحل الرابعة والخامسة والسادسة).

تتوافق فترة النهوض مع صعود الحركة القومية العربية ومع تأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦ وقيام الوحدة السورية المصرية بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦١، والاشتراك في ثورة اليمن في عام ١٩٦٢، ومحاولة الوحدة الثلاثية بين سورية ومصر والعراق في عام ١٩٦٣. أنها فترة تضامن قومي معاد للاستعمار (١٩٥٥ - ١٩٥٧)، فترة وحدة قومية بين الدول (١٩٥٨ - ١٩٦١) ووحدة نضال عربي (١٩٦١ - ١٩٦٣). وتتوافق فترة الهبوط مع تحوّل عبد الناصر إلى الاعتدال على الصعيد العربي مع سياسة مؤتمرات القمة (١٩٦٣ - ١٩٦٦). وأثناء هذه الفترة، (المرحلة الرابعة) شهد مفهوم «القومية العربية» كحركة قومية، أكبر هبوط له في الخطاب الناصري، وبلغ مفهوم «العروبة» تطوره الاقصى. وعلى الرغم من عودة عبد الناصر إلى السياسة الثورية على الصعيد العربي فيعامي١٩٦٦ و١٩٦٧ (المرحلة الخامسة)، والنقد الذاتي لسياسته السابقة، وما رافق ذلك من نداء من أجل «وحدة القوى الثورية» في الوطن العربي، بالرغم من هذه

السياسة الجذرية، فقد بقي مفهوم «القومية العربية» ضعيف الاستعمال في الخطاب الناصري وحلّ محلّه مفهوم جديد بلغ أوج تطوره في ذلك الحين، هو مفهوم «الثورة العربية»، الذي يعبّر على نحو أفضل، عن التطور السياسي أثناء تلك المرحلة.

وبعد الهزيمة العربية في حزيران /يونيو ١٩٦٧، بقي مفهوم «القومية العربية» في موقع استعماله الضعيف في الخطاب الناصري، وتراجع مفهوما «العروبة» و«الثورة العربية». وسعى عبد الناصر آنذاك إلى تعبئة كل الطاقات العربية من أجل تحرير الأراضي المحتلة. ولم يعد يقصر نداءه إلى «الجماهير العربية» فحسب بل أصبح يناشد أيضا «كل الحكومات العربية» للمشاركة في هذا الجهد. وكان جهده الرئيسي منصبا على إعادة بناء مصر. وشهدت حركة القومية العربية تراجعا ظاهرا في بلدان المشرق بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧، ولم تؤد «الثورتان» الليبية والسودانية الى تحسين الوضع إلا جزئيا.

إن الأسباب المباشرة لحدوث تغيرات في فكرة القومية العربية في الخطاب الناصري تعود إلى عوامل سياسية ـ استراتيجية عربية، وليس بوسعنا في إطار هذه الدراسة أن نحلل الأسباب العميقة وراء هذه التغييرات. ولكننا لا نعتقد بأن هذه التغييرات ناتجة فقط عن أسباب اقتصادية مباشرة كما يدعي ج. سيلبرمان في مقاله عن التغييرات في الايديولوجية الناصرية بين قطبي «القومية العربية» و«القومية المصرية»، الذي زعم فيه بان عبد الناصر كان ينفتح على «القومية العربية» في كل مرة كانت امام مصر مشاكل اقتصادية خطيرة، وكان يأمل حلها في نطاق السوق العربية. ومن ثم، حين كانت الطريق العربية تسد في وجهه، كان يعتكف في مصر محاولا تطوير الوسائل الاقتصادية المحلية الضعيفة. وهكذا كانت حقبة من «القومية المصرية» تعقب حقبة من «القومية العربية»[١١]. وعلاوة على اقتصادوية تفسير سيلبرمان (بمعنى انه يرجع كل التغيرات الأيديولوجية لأسباب إقتصادية) فقد استند في تحديده لمراحل التغيير في الأيديولوجية القومية لعبد الناصر على مقتطفات من الخطاب الناصري ليست ذات صفة تمثيلية وفسّرها تفسيرا خاطئا. ومن السهل دحض حجج سيلبرمان باستخدام مقتطفات أخرى تثبت العكس في المرحلة نفسها.

وقبل أن ننهي تحليل تطوّر حقول دلالة مفهوم «القومية العربية»، نعرض في

(١١) G.Silberman, «Nationalist Identity in Nasserist Ideology,1952-1970,» **Asian and African Studies,vol.8,no.1(1972),**



شكل رقم (٦)

تطور حقل دلالة « المروية » بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠

عدد الصلات

٣٣
١٦
١١
٦
١

١٩٥٢

المراحل

المرحلة الأولى ١٩٥٢ - ٥٧

المرحلة الثانية ١٩٥٨ - ٦١

المرحلة الثالثة ١٩٦١ - ٦٣

المرحلة الرابعة ١٩٦٣ - ٦٦

المرحلة الخامسة ١٩٦٦ - ٦٧

المرحلة السادسة ١٩٦٧ - ٧٠

الشكل رقم (٦) على سبيل المقارنة، تطور مفهوم «العروبة» القريب من مفهوم « القومية العربية » ، لأنه غالباً ما يظهر في إطاره المباشر . وسنقوم بمقارنة أكثر عمقاً لحقلي دلالة كل منهما :

لقد ظهر مفهوم «العروبة» بصورة مفاجئة في الخطاب الناصري في عام ١٩٥٦، في الوقت الذي كان مفهوم «القومية العربية» يشهد فترة نهوضه القصوى. وعندما بلغ هذا الأخير مرحلة تطوره القصوى في فترة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ ، إختفى مفهوم «العروبة» من الخطاب الناصري[١٢]، تاركا مكانه لمفهوم «القومية العربية».وعلى العكس من ذلك، عندما شهد مفهوم «القومية العربية» تراجعا واضحا، (١٩٦٣ لغاية ١٩٦٦)، عاد مفهوم «العروبة» وبلغ مستواه الاقصى. وبصورة إجمالية نستطيع القول بأن مفهوم «العروبة» يتطور في اتجاه معاكس لمفهوم «القومية العربية» ويبدو وكأنه يؤدي مهمة النيابة عن هذا الأخير. ولكن مفهوم «العروبة» بصورة عامة ليس من حيث المعنى في مستوى غنى مفهوم «القومية العربية» (حقول دلالته محدودة)، كما وأن رسمه البياني منخفض أكثر بكثير من الرسم البياني «للقومية العربية» (تتراوح صلاته بين ١ و٣٣ في حين أن صلات القومية العربية تتراوح بين ١٧ و١١٩). ويدل هذا الفرق في التقلبات على أن لمفهوم «القومية العربية» حساسية أكبر بالنسبة إلى تقلبات الاوضاع التاريخية ـ السياسية.

ثانيا : مفهوم «القومية العربية» في الخطاب الناصري

تحليل تزامني وتعاقبي

سنعمد إلى اتباع ذات الطريقة التي اتبعناها من أجل تحليل مفهوم « الأمة العربية » في الفصل السابق .

فقد استخلصنا أهم خصائص مفهوم « القومية العربية » بعد أن بحثنا حقول دلالته[١٣] والحجج المتصلة بهذا المفهوم . ويجدر التذكير بأن الصلات ذات الصفة

---

(١٢) يتعارض هذا التطور مع زعم دويشه القائل بأن « العروبة كقيمة في السياسة الخارجية لمصر بلغت أوجها في نهاية ١٩٥٨ » . انظر : A.Dawisha,Egypt in the Arab World (London: Macmillan Press,1976) p.129.

وهو لربما يقصد القومية العربية . ولكن رأينا انه لا يمكن الخلط بين مفهومي « العروبة » و « القومية العربية » لانهما لا يتطابقان كليا في التصور الناصري .

(١٣) لقد اضفنا الى حقول دلالة « القومية العربية » التي حللناها في خطب العينة حقل دلالة « القومية العربية » في خطاب ٢١ شباط / فبراير ١٩٥٩ لمناسبة عيد الوحدة (خارج العينة) بالنظر لما ينطوي =

الأكثر تمثيلية أو عمومية المشار إليها بالرمز (+) هي التي تظهر على الأقل في ثمانية خطب في أربع مراحل أو أكثر . والصلات ذات الصفة التمثيلية المتوسطة (=) هي تلك التي تظهر على الأقل ست مرات في ثلاث مراحل أو أكثر . أما الصلات ذات الصفة التمثيلية الأقل (-) فهي تلك الخاصة بخطابين أو ثلاثة خطب في مرحلتين أو ثلاث مراحل . وقد اعتبرنا الصلات الخاصة بخطاب واحد أو خطابين أثناء مرحلة واحدة بأنه صلات نادرة (.) (انظر الجدول رقم ١٣) .

ونتساءل أولا عن المعاني التي أعطاها عبد الناصر لمفهوم « القومية العربية » (ألف) ، ثم ندرس الأهداف الأعمال التي ينسبها إليها (باء) ، ثم نحدد أخيرا شبكة القوى المحيطة بها وكذلك التأثيرات التي تمارسها هذه القوى على « القومية العربية » (جيم) .

ألف ـ ماذا يعني مفهوم «القومية العربية» في الخطاب الناصري؟

يتبين من تحليل حقول دلالة مفهوم «القومية العربية» أنها متعددة الدلالات، أي أنها تنطوي على معان متعددة: لقد استطعنا في الواقع أن نجمع خصائصها ومشاركاتها في ثلاث مجموعات من المعاني أو السمّيات*. المجموعة الأولى من الصلات تصفها بأنها حركة قومية، والمجموعة الثانية تصفها بأنها تصور أو عقيدة قومية، وأخيرا تصفها المجموعة الثالثة بأنها جماعة وهوية قومية. ولم نستطيع التفريق تفريقا واضحا بين مختلف المعاني، لأن بعض الخصائص الدلالية للقومية العربية بقيت غامضة أو عامة ويمكن أن تعزى في نفس الوقت الى القومية العربية «كحركة» وإلى القومية العربية «كعقيدة»، أو إلى القومية العربية كجماعة وهوية قومية.

١ ـ القومية العربية كحركة قومية

إنطلاقاً من ملاحظة التشابه والترابط والتزامن بين حركات التحرير الشعبية في مختلف البلدان العربية، توصل عبد الناصر إلى إدراك وجود حركة قومية عربية واحدة

= عليه من تفصيل . انظر . خطاب السيد الرئيس بميدان الجمهورية في يوم ٢١ فبراير ١٩٥٩ ، « **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الثاني : فبراير ١٩٥٨ ـ يناير ١٩٦٠** (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ٢٧٠ ـ ٢٩٥ (خارج العينة وسنشير اليه بـ « خطاب ٢١ شباط / فبراير ١٩٥٩ ») .

* سميّات جمع سمّية ، مترجمة عن كلمة Sème ، وهي في علم الدلالة مجموعة الاستعمالات والسياقات والصلات التي تحدد احد معاني مفردة ما .

ذات مظاهر محلية مختلفة. فما هي الخصائص التي ينسبها إلى هذه الحركة: أين تتجسد وكيف؟ ما هي معانيها؟ وما هي العلاقة بين «حركة القومية العربية» ومفهوم «الثورة العربية» في الخطاب الناصري؟.

أ ـ أين تتجسد حركة القومية العربية ؟

بملاحظة عبد الناصر للحركات الشعبية في مختلف البلدان العربية وبإيقاظه إياها إستنتج وجود حركة قومية عربية. ونعثر على هذه العملية على مستوى الخطاب حيث يشير إلى الأمكنة والبلدان التي تجري فيها هذه النضالات:

في المشرق:	في المغرب:
في الاردن	في الجزائر
في لبنان	في ليبيا
في سورية	في كل مكان
في العراق	
في اليمن	
في مصر	

ويعتبر عبد الناصر هذه النضالات بأنها:

« (هذه) معاركنا. معارك كل فرد من أبناء العروبة »[14].

إن هذه القائمة بالاماكن لا تقتصر على الاسماء التي تضمنتها، لانه ما أن كانت إحدى نضالات التحرير تبدأ في أي مكان من المنطقة العربية حتى كان عبد الناصر يعتبرها تشكل جزءاً من حركة القومية العربية، وبالتالي جزءاً من نضال كل عربي. وهكذا فسّر عبد الناصر على التوالي حركات التحرير في الجزائر (١٩٥٤)، والحركات الشعبية في الأردن وسورية ولبنان ضد حلف بغداد (١٩٥٥ ـ ١٩٥٦)، ومقاومة مدينة بور سعيد للعدوان الثلاثي وتضامن كل الشعوب العربية مع مصر في ذلك الوقت (١٩٥٦)، وثورة العراق في عام ١٩٥٨، وثورة اليمن في عام ١٩٦٢ والثورة في ليبيا عام ١٩٦٩.

ما هي الخصائص المتماثلة في هذه الحركات التي جعلت عبد الناصر يعتبرها من مظاهر حركة القومية العربية؟.

---

(١٤) « خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ »، ص ٢.

ب ـ معنى حركة القومية العربية وتمثيلها الرمزي

يهمنا أن نبحث هنا عن صلات (صفات ومشاركات) مفهوم «القومية العربية» التي سمحت لنا أن نصفها بأنها حركة قومية وأي نوع من الحركة القومية هو المقصود؟ وأخيرا، كيف تبلور هذا المعنى للقومية العربية تدريجياً في الخطاب الناصري؟

(١) تحليل تزامني

(أ) ماهية القومية العربية

إنها حركة : إن استخدام الصلات التالية، المنسوبة إلى مفهوم «القومية العربية»: «حركة»، «هتافات»، «شعارات»، «نداءات»، «قوة»، «مد»، «تراث»، تثبت جميعا ان المقصود بذلك حركة:

(.) « حركة القومية العربية » ، « شعارات العمل من أجل القومية العربيـة » ، « كانت شعارات وهتافات » ، « هي حقيقة واقعة » ، « قوتها ، مدها ، تراثها » .

إنها حركة وحدة نضال ضد الاستعمار : تثبت ذلك الصلات التالية:

نضال	وحدة نضال
(-) « معارك القومية العربية »	(-) « تعني أن معركة الجزائر والأردن
« معركة القومية العربية »	والأحلاف معـركتنا »

معادية للاستعمار

« تمثّل أن نكون جميعاً يداً واحدة ضد الاستعمار »

إنها حركة قومية: إنها ممثلة رمزيا بالشعار المميز للحركة القومية، «العَلَم»:

(-) «علم، أعلام القومية العربية، راية، رايات القومية العربية»

« رايات العروبة »

« علم الجمهورية العربية المتحدة » (معطوف)

ولهذه الحركة القومية بعد سياسي واجتماعي («حركة القومية العربية سياسيا واجتماعياً، «خطة القومية العربية»):

البعد السياسي لحركة القومية العربية

« هي ، ولها حركة سياسية »

« إنها ضرورة استراتيجية »

« ثورة » (معطوف)

(على المستوى الوطني المحلي)
(أهداف وطنية » (معطوف)
« الاستقلال » (معطوف)

(على المستوى القومي العربي)
« حركة التحرر في الوطن العربي » (معطوف)
« الثورة العربية »

البعد الاجتماعي لحركة القومية العربية

- مواصفاتها: «هي تخطيط إجتماعي» (١٩٥٩)
« هي تعبئة اقتصادية »
« تعني مستوى معيشة لائق لجميع العرب »
« ضد الاقطاع »
« لها ناحية اجتماعية » (١٩٥٩)
« لها فلسفة اجتماعية »

- مشاركاتها: « ثورة اجتماعية »
« العدالة ـ المساواة »
« الاصلاح الزراعي »
« مجتمع اشتراكي ديمقراطي تعاوني »

البعد الاخلاقي لحركة القومية العربية

« شعارات العمل للقومية العربية » : « إنكار الذات » ، « التضحية » .

إنها حركة عفوية : إنها منظمة من تلقاء ذاتها دون تدخل سياسي خارجي:

«قلت أنتم لا تفهمون من هو هذا الرجل الذكي الفذ الذي يستطيع أن يقوم بكل هذا التنظيم، انها القومية العربية أصبحت حقيقة واقعة»[١٥].

(ب) ما ليست عليه القومية العربية

أثناء فترة الوحدة السورية ـ المصرية (١٩٥٨ ـ ١٩٦١) اتُهم عبد الناصر بأنه أراد ضم البلدان العربية الاخرى ووضع يده على ثرواتها. وقد رد على هذه الاتهامات محددا أنه على الصعيد السياسي:

«ليست القومية العربية أن بلد تضم بلد»[١٦].

ودحض على الصعيد الاقتصادي الاتهامات الموجهة اليه:

(١٥) « بيان ١٢ آب / اغسطس ١٩٥٦ » ، ص ١ (خارج العينة) .
(١٦) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٤٧ .

«بيقولوا أن الغرض من القومية العربية أننا نخبط البترول، كلام فارغ»[17].

«تقرأ جرائد إنكلترا كل يوم، تقولك أن الجمهورية العربية المتحدة بتنادي بالقومية العربية علشان عاوزين بترول العراق، قصدهم من هذا الوقيعة»[18].

وبنهاية هذا التحليل، يمكننا الاستنتاج بأن القومية العربية في المفهوم الناصري، هي حركة عفوية، لوحدة النضال المعادي للاستعمار من أجل التحرر والاستقلال القومي العربي، حركة تهدف إلى إنشاء مجتمع عربي متطور واشتراكي تسوده العدالة والمساواة الاجتماعية[19]

(٢) تحليل تعاقبي

قبل أن نبحث كيف تطّور معنى القومية العربية كحركة في الخطاب الناصري، إستخلصنا التطور الذي سلكه عبد الناصر قبل الوصول الى تسميتها صراحة بأنها حركة:

- المرحلة الاولى: إعترف عبد الناصر في عام ١٩٥٩ بان «القومية العربية كانت هتافاً ونداءات، كانت هتافا وشعارات أصبحت حقيقة واقعة»[20].

- المرحلة الثانية: وأصبحت «خطة» سياسية و«حركة سياسية» و«ضرورة استراتيجية» (١٩٥٨ - ١٩٥٩). (ظهور مفهوم «الثورة العربية»)

- المرحلة الثالثة: يعيد عبد الناصر التأكيد بأنها «ليست شعارا»[21]، (تواجد مع مفهوم «الثورة العربية»).

---

(١٧) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(١٩) خلافا للمفهوم الناصري لا يتضمن مفهوم القومية العربية لدى ساطع الحصري اي محتوى اجتماعي.

(٢٠) خطاب السيد الرئيس في اليوم التاريخي لاعلان الجمهورية العربية المتحدة في اول فبراير ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ١ - ٢.

(٢١) «خطاب الرئيس عبد الناصر في القوات العائدة من اليمن، الاسكندرية ١١ /٨ /١٩٦٢»، الوثائق العربية ١٩٦٣، ص ٦٥١ (سنشير اليه بـ «خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٢»).

- المرحلة الرابعة: يعترف عبد الناصر صراحة بوجود «حركة القومية العربية» ذات بعد «إجتماعي وسياسي»[٢٢].

- المرحلة الخامسة: يحل مفهوم «الثورة العربية» تماماً محل «الحركة القومية العربية»

لقد كانت القومية العربية وحدة نضال أثناء المرحلة الاولى، وأصبحت نضالا وتضامنا معادين للاستعمار، واكتسبت بعداً إجتماعياً اثناء المرحلة الثانية. وأثناء المراحل الثالثة والرابعة والخامسة لا يعود معناها محددا بدقة، بالنظر لحدوث تحوّل باتجاه المفهوم الجديد لـ «الثورة العربية». واكتسبت «القومية العربية» في المرحلة السادسة معنى خاصا يرتبط بوضع النضال من أجل تحرير الأراضي العربيه التي احتلتها إسرائيل في حزيران / يونيو ١٩٦٧. ويتلخّص هذا المعنى الاخير في الشعار التالي:

«أن يرفع شعار قومية المعركة بدل إقليمية المعركة»، «العمل على أن تكون المعركة قومية»[٢٣].

تجدر الاشارة، في نهاية هذا التحليل التعاقبي، إلى أن خصائص مفهوم القومية العربية كحركة ترتبط ارتباطاً وثيقا بالظرف السياسي القومي في الفترة الممتدة ما بين ١٩٥٦ و١٩٦١ لأنها لم تكتسب أية معان جديدة إنطلاقاً من المرحلة الثالثة (حيث تترك مكانها تدريجياً لمفهوم «الثورة العربية») وتشهد هبوطاً قويا أثناء المرحلتين الرابعة والخامسة.

ج - «حركة القومية العربية» و«الثورة العربية»

(١) تحليل تزامني

يظهر مفهوم «الثورة العربية» في الخطاب الناصري في نهاية المرحلة الثانية (١٩٥٩ - ١٩٦٠). وبما أننا أشرنا إلى وجود تشابه بين حقل دلالته وحقل دلالة «القومية العربية كحركة»، فقد قررنا إجراء مقارنة بينهما. وقد أدخلنا في العينة المختارة، بصورة استثنائية، خطاب ٢١ شباط / فبراير ١٩٥٩ لأن حقل دلالة

---

(٢٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في عيد الثورة الثالث عشر، ٢٣ يوليو ١٩٦٥ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٤٠ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٥).

(٢٣) «خطاب عيد الثورة الثامن عشر في افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومي، ٢٣ يوليو ١٩٧٠»، وثائق عبد الناصر: خطب، احاديث، تصريحات، يناير ١٩٦٩ - سبتمبر ١٩٧٠، ص ٤٧٩ (سنشير للكتاب بـ وثائق عبد الناصر، ١٩٦٩ - ١٩٧٠).

«القومية العربية» فيه متطور للغاية. ونبيّن في الجدول التالي رقم (٢٨) أوجه الشبه والاختلاف بين حقلي دلالة المفهومين:

جدول رقم (٢٨)

مقارنة حقلي دلالة « القومية العربية»و« الثورة العربية » في الخطاب الناصري

أوجه الشبه	
الحركة القومية العربية	**الثورة العربية**
(المواصفات)	
«نداء عاطفي» «طاقة حماس»	« هي طبيعة اصيلة »
«تراثها»	«اصالتها»
«خطة» «تخطيط اجتماعي» «ضرورة استراتيجية» «فلسفة إجتماعية»	هي «فكرا واعيا»
(المشاركات)	
«حركة التحرر في الوطن العربي»	«ثورة وطنية»
«أهداف وطنية» «الاستقلال»	«من أجل الاستقلال»
«ثورة اجتماعية»	«ثورة اجتماعية»
«العدالة والمساواة»	«ثورة اجتماعية تحقيقا للعدل»
«مجتمع اشتراكي ديمقراطي تعاوني» «اصلاح زراعي»	«الاشتراكية الديمقراطية التعاونية»
«ضد الاقطاع»	«القضاء على الأقطاع»

تابع / جدول رقم (١٨)

(المناقضات)	
«الاقطاع» «الاستعمار»	«الاقطاع» «الاستعمار»
(أفعال من)	
«تعبر عن نفسها»	«تبلورت وتحددت»
أوجه الاختلاف	
حركة القومية العربية	الثورة العربية
(المواصفات)	
	«تجربتنا» «ثورة عربية في كل قطر عربي»
(المشاركات)	
«حركة سياسية»	
(المناقضات)	
«أعوان الاستعمار» «اعدائنا»	«الاستغلال وسيطرة الاستعمار» «الفرقة»
(أفعال من)	
«تحفز كل قطر عربي إلى تخطي الأسوار وكسر الحواجز» «جعلتنا دعاة وحدة» «تبلورت في عقيدة القومية العربية»	

تابع

(أفعال على)	
«يتكلموا ضدها» «الاستعمار أراد أن يهاجمها» «يعمل ضدها» « هدفه أن يقضي عليها»	

ونلاحظ أن أوجه الشبه بين المفهومين تقوم على المستويات التالية:

ـ حركات «طبيعية» وعفوية ولكنها ايضا وليدة تفكير و«تخطيط».

ـ تقترن بهذين المفهومين ثورات ثلاث: الثورة القومية العربية من أجل الوحدة، والثورة الوطنية من أجل الاستقلال، والثورة الاجتماعية من أجل العدالة والاشتراكية ـ التعاونية.

ـ عدو خارجي واحد: الاستعمار، وعدو داخلي واحد: الاقطاع.

ـ الاعمال المناهضة للمفهومين عامة وتتراوح بين: قول السوء فيهما، والعمل ضدهما إلى حد إرادة تصفيتها.

وتقوم الفروقات على مستوى الاهداف والمقاومات الداخلية:

ـ الحركتان تريدان الوحدة، ولكن هذا الهدف قد صيغ على نحو أفضل وبدقة اكبر في حقل دلالة «الثورة العربية» (من حيث المواصفات والاعمال).

ـ الاعداء الداخليون لـ «الثورة العربية» هم أكثر تحديدا إجتماعيا واقتصاديا (الاستغلال، وسيطرة رأس المال، والتفرقة) من الأعداء الداخليين لـ «حركة القومية العربية» حيث أن العدو الداخلي، فيما عدا الاقطاع، غير محدد: «أعوان الاستعمار».

إن مفهومي «الثورة العربية» و«القومية العربية» كحركة هما إذن متشابهين على الرغم من أن «الثورة العربية» هي أكثر دقة من حيث الأهداف وأكثر جذرية من حيث تحديد أعدائها الاجتماعيين والاقتصاديين. وبنهاية هذه المقارنة نقدم الفرضية التالية: لقد وُضِع مفهوم الثورة العربية إنطلاقاً من مفهوم القومية العربية كحركة.

وباعتقادنا أن المسار الأيديولوجي الضمني الذي اتبعه عبد الناصر كان على النحو التالي: عملياً، ينطلق من ملاحظة الأحداث والنضالات والثورات الجارية في مختلف البلدان العربية، والتي يشارك فيها النظام الناصري مشاركة نشيطة، وانطلاقا من كل هذا الذي يسميه «تجربتنا»، يقوم عبد الناصر تدريجيا بوضع مفاهيم جديدة تأخذ بعين الاعتبار هذه الوقائع وهذه التجربة. وفي البدء تكون هذه المفاهيم عامة ومتعددة المدلولات كمفهوم «القومية العربية» الذي تختلط فيه سميّة الحركة مع سميّة العقيدة، ومع مركب الهوية والجماعة القومية. ثم تنفصل هذه السميّات عن المفهوم الأم بعد أن تكون قد بلغت تطورها الأقصى (خطاب ٢٢ شباط / فبراير بالنسبة إلى سميّة الحركة في مفهوم «القومية العربية») وتتحول إلى مفهوم جديد تطلق عليه تسمية مختلفة تدل على نضوج إيديولوجي واجتماعي أكبر لصاحب الخطاب. ولكن لمفهوم «الثورة العربية» طابعا أقل عفوية من «حركة القومية العربية». فهو ينطوي على عنصر تدخل تاريخي: إن عبد الناصر أكثر إرادية وأكثر توجيها فيما يتعلق «بالثورة العربية»، فهو يدعو إلى تحقيق «الثورة العربية في كل قطر عربي» في حين كان يلاحظ «وجود» حركة القومية العربية في كل بلد عربي.

لم يتخل عبد الناصر بصورة نهائية عن استعمال مفهوم القومية العربية كحركة بعد ان تبنّى مفهوم «الثورة العربية». فكل شيء وقف على الظرف السياسي. وهذا ما سنتبينه من خلال التحليل التعاقبي للعلاقة بين المفهومين.

(٢) التحليل التعاقبي

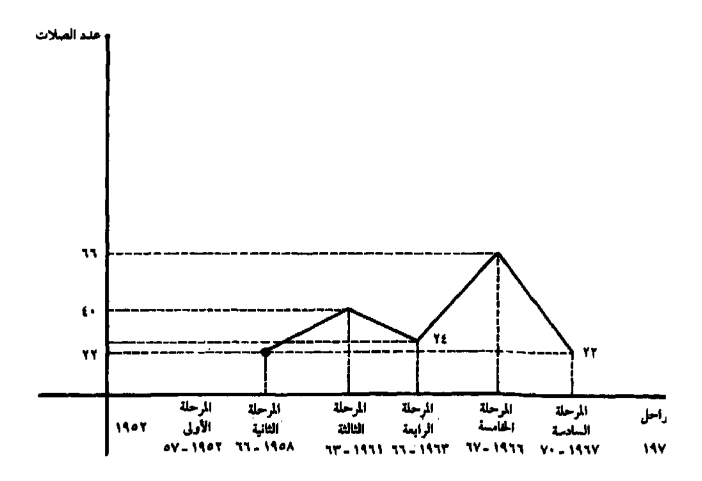
منذ نهاية المرحلة الثانية حلّ مفهوم «الثورة العربية» (الذي ظهر أثناء المرحلة الثانية) بصورة شبه كاملة في الخطاب الناصري[٢٤] محل مفهوم «القومية العربية» الذي لم يظهر إلا مرة واحدة بمعنى عقيدة قومية. وأثناء المرحلة الثالثة (١٩٥٨ - ١٩٦١)، مرحلة السياسة الجذرية على الصعيد العربي وعلى الصعيد الاجتماعي الداخلي، أخذ حقل دلالة مفهوم القومية العربية يتقلص على حساب تطور حقلي دلالة مفهومي «الثورة العربية» و«النضال العربي». أما في المرحلة الرابعة (١٩٦٣ - ١٩٦٦) مرحلة التراجع على الجبهة العربية، التي تميّزت بالعودة إلى سياسة «مصالحة» مع كل الانظمة

---

(٢٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر العام للاتحاد القومي في ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.]) (سنشير اليه بـ خطاب ٩ تموز/يوليو ١٩٦٠).

شكل رقم (٧)

دلالة « الثورة العربية » بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٧٠



العربية بقطع النظر عن اتجاهها السياسي، أخذت حقول دلالة مفهومي «الثورة العربية» و«النضال العربي» تتقلص على حساب مفهومي «العروبة» و«القومية العربية» كحركة قومية. وفي الواقع فإن هذين المفهومين الأخيرين ينطويان على طاقة ثورية أقل من المفهومين السابقين، وهما أكثر ملاءمة لمرحلة الانكفاء هذه.

ولكن الخطب التي ألقاها عبد الناصر أثناء زيارة خروتشوف لمصر في ايار / مايو ١٩٦٤ تشكل استثناء على هذا التطور. وهنا نتبين تأثير المخاطب (خروتشوف) على المخاطِب، الذي أغفل كلية استعمال مفهوم «القومية العربية» - بسبب وقعه القومي الصرف - ولم يستعمل إلا مفهوم «الثورة العربية».

وخلال المرحلة الخامسة (١٩٦٦ - ١٩٦٧)، إنتقد عبد الناصر سياسته العربية السابقة ودشن مرحلة ثورية جديدة بالدعوة إلى «وحدة القوى الثورية العربية». وتقلّص حقل دلالة القومية العربية وغابت عنه سمية الحركة القومية، وفي مقابل ذلك بلغت حقول دلالة «الثورة العربية» و«النضال العربي» تطورها الأقصى أثناء هذه المرحلة. وفي المرحلة الاخيرة (١٩٦٧ - ١٩٧٠)، إضطر النظام الناصري من جراء هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ العسكرية للانكفاء على الجبهة الثورية العربية، وظهرت آثار ذلك على الصعيد الأيديولوجي. وشهدنا، خلافا للمرحلة السابقة، تراجع حقل دلالة «الثورة العربية» وعودة عبد الناصر إلى استخدام سميّة الحركة في حقل دلالة «القومية العربية».

إن تحليل هذا التطور يثبت الفرضية التالية: باستطاعتنا التأكيد أنه أثناء فترات السياسة الجذرية على الجبهة القومية العربية (نهاية المرحلة الثانية والمرحلتان الثالثة والخامسة) تطور حقل دلالة مفهوم «الثورة العربية» وأخذت السميّة « حركة » لمفهوم «القومية العربية» تتجه إلى الأفول وحتى إلى الأختفاء. وعلى العكس من ذلك أثناء فترات التراجع على الجبهة العربية (المرحلتان الرابعة والسادسة)، أصبح مفهوم «الثورة العربية» في حالة ركود، وأخذ حقل دلالتها في الانخفاض وحتى في الاختفاء، وفي مقابل ذلك استعاد مفهوم «القومية العربية» سميته الحركية إلى جانب سميتي العقيدة والهوية وآنذاك استعاد مفهوم « القومية العربية » المتعدد السميّات مكوناته الثلاثة ولكن على مستوى أضعف بثلاث مرات من مستوى ١٩٥٨ - ١٩٦١ حين كان في أوجه (أنظر الشكل رقم (٥) حول القومية العربية) .

٢ - «القومية العربية» كعقيدة

ما هي الصلات الدلالية للقومية العربية التي سمحت لنا أن نستنتج بأنها تمثل بالنسبة إلى عبد الناصر عقيدة إلى جانب كونها حركة؟ وما هي العلاقة بين «القومية العربية» و«الوطنية»؟

أ- صياغة «القومية العربية» ومعناها كعقيدة

(١) تحليل تزامني

منذ خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ (المرحلة الأولى) الذي أعلن فيه عبد الناصر تأميم قناة السويس ، وردت مفردات « الطريق » و« المبادىء » بين مواصفات مفهوم « القومية العربية » ، الأمر الذي جعلنا نفترض بأنها لم تكن مجرد حركة ، بل أيضاً مذهباً فكرياً . وأثناء المرحلة الثانية وبوجه خاص في خطابي ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ و٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ (في العينة المختارة) ، أعلن عبد الناصر صراحة أن القومية هي عقيدة :

«القومية العربية كفكرة وكإيمان وكعقيدة عند كل عربي»[٢٥].

«عقيدة القومية العربية، العقيدة الثانية (بعد عقيدة عدم الانحياز)»[٢٦].

وإذا كان عبد الناصر لم يذكر بعد ذلك صراحة إلا مرة واحدة انها «عقيدة» (خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ لمناسبة عيد الوحدة)، فإن صلات عديدة في حقل دلالة «القومية العربية» تثبت جيدا انها «عقيدة»أو على الاقل مذهب فكري. وقد قمنا بتصنيف كل هذه الصلات بين عامي ١٩٦٢ و١٩٧٠ :

هي:	لها:
(=) « عقيدة عند كل عربي » . « العقيدة الثانية »	(-) « أسس »
	(-) « مثل »
(=) « فكرة »	(-) « مبادئنا في القومية العربية » .
(=) « إيمان ، دعوة »	(.) « تشمل مفاهيم » .

---

(٢٥) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٤٤ .

(٢٦) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، ص ١٤ .

(–) « مبدأ »　　　　　　　　　　　　(–) « طريق »

(–) « هي طريق للشعوب العربية ».

(–) « هي طريق العزة والكرامة »

(–) « هي طريق إلى الوحدة العربية »

نلاحظ أن غالبية الصفات والخاصيات التي أعطاها عبد الناصر للقومية العربية كعقيدة هي غير محددة، باستثناء تلك التي يصفها فيها بأنها «طريق الوجود والكرامة والوحدة للشعوب العربية». ويستخلص من ذلك أن «القومية العربية» هي بالأحرى عقيدة مجردة. والاعمال التي تنطبق عليها هي من نوع الأعمال المتصلة بكل عقيدة وإيمان أو اعتقاد:

«اننا أشد إيماناً بها»

«الجنود بذلوا الروح والدم من أجلها»

«ما كفرناش بها»

«الشعب يعلن تأييده لها»

«يضحوا عنها» (المرحلة الثالثة: ١٩٦١ - ١٩٦٣).

إذن، نحن نشاطر ج. موزيكار رأيه، الذي يصف فيه تصور القومية العربية عند عبد الناصر بأنه «تصور مثالي يقوم على معاني الوعي والايمان ومبادىء من الاخوة والتضامن العربي»[٢٧]. ولكن ينبغي علينا ان نبيّن بوضوح أن منهج عبد الناصر للوصول إلى صياغة هذه العقيدة ليس منهجاً نظرياً بل هو منهج عملي أو «إختباري». فانطلاقا من التفكير في واقع حركة التحرر القومية العربية قام عبد الناصر بصياغة عقيدته حول «القومية العربية»:

«وتبلورت الثورة العربية وتحددت في عقيدة القومية العربية باعتبارها طريقاً الى الوحدة العربية». «وتجربتنا الثورية العربية ضد الفرقة جعلتنا دعاة وحدة»[٢٨].

وخلافا لعبد الناصر، يرفض ميشيل عفلق أن يجعل من القومية العربية فكرة:

«لا يصبح العرب قوميين باعتناقهم فكرة القومية، فهي ليست فكرة (.) جعل القومية فكرة

---

(٢٧) J.Muzikar, «Arab Nationalism and Islam,» **Archiv Orientalni** (Prague),vol.43,no.3(1975),pp.201-204.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٨ و ٩.

تعتنق يضيف إلى طوائف العرب طائفة جديدة (.) ويزيدنا تفرقة ويباعد ما بين التجانس وبيننا»[٢٩].

ولكن علينا، مع ذلك، ألا نسيء فهم الامور فإذا كانت القومية العربية بالنسبة إلى ميشيل عفلق ليست فكرة ولا عقيدة فهي أكثر من ذلك، إنها مصدر كل النظريات والأفكار:

«إن القومية العربية ليست نظرية ولكنها مبعث النظريات، ولا هي وليدة الفكر بل مرضعته، وليست مستعبدة الفن بل نبعه وروحه(.) وهي الحرية»[٣٠].

والقومية العربية هي «العقيدة» الناصرية الوحيدة المطروحة على مستوى قومي. ويقترن بها على المستوى القومي العربي مبدأ «الحريةالعربية» و«السيادة العربية». وهما يشكلان مع الوحدة العربية المبادىء الثلاثة الأساسية التي توجه العمل الناصري على الصعيد القومي العربي. وتقترن عقائد أخرى على المستوى المحلي والدولي بعقيدة القومية العربية. ففي عام ١٩٦٠، استخلص عبد الناصر «العقائد» الرئيسية التي توجّه عمله على المستوى الوطني المحلي والقومي العربي والدولي. وقد أشار في خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠، الذي ألقاه أمام المؤتمر العام للاتحاد القومي، إلى التجارب الثورية الثلاث لنظامه والعقائد التي تولدّت عنها:

«إن تجربتنا الثورية الوطنية ضد الاستعمار جعلتنا دعاة سلام (..) لقد تبلورت الثورة الوطنية وتحددت في عقيدة الحياد الايجابي وعدم الانحياز باعتبارها طريقا إلى السلام العالمي».

«وتجربتنا الثورية العربية ضد الفرقة جعلتنا دعاة وحدة (..) وتبلورت الثورة العربية وتحددت في عقيدة القومية العربية باعتبارها طريقا إلى الوحدة العربية».

«وتجربتنا الثورية الاجتماعية ضد الاستغلال جعلتنا دعاة عدل (..) وتبلورت الثورة الاجتماعية وتحددت في عقيدة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية باعتبارها طريقا إلى العدل الاجتماعي» (ص ٨ - ٩).

وقد قام عبد الناصر بهذا الجهد العقائدي، بعد امتداد تنظيم «الاتحاد القومي» إلى سورية أثناء الوحدة السورية المصرية، حيث بذل جهده من أجل إرساء الأسس الأيديولوجية لخط سياسي ذي أبعاد ثلاثة: إجتماعية ووطنية وقومية، وتجدر الاشارة

(٢٩) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٥٩)، ص ٢٨.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

إلى أن هذا الجهد التنظيري قد تمّ إنطلاقاً من الواقع السياسي والاجتماعي المصري. وتنطوي هذه العقائد على المبادىء الاساسية الثلاثة للثورة المصرية: الحرية (إستقلال وحياد) والاشتراكية والوحدة العربية. كما أن نهج عبد الناصر في هذا المجال أيضاً هو نهج عملي يستخلص العقيدة والهدف إنطلاقا من التجربة الثورية.

وبالنسبة إلى ميشيل عفلق، فإن القومية العربية تنبثق أيضاً من التجربة، لا تجربة الثورة العربية بل ألأمة العربية، في كل أوجه وجودها:

« القومية العربية هي خلق دائم (. . .) نابتاً من التجارب الحية (. .) فنحن نعتبر أن التجربة الحاضرة للأمة العربية هي القيمة الأولى والكبرى لهذه القومية »[٣١].

ولكن في حين أن عبد الناصر يفرّق بين العقيدة القومية، والعقيدة الاجتماعية، والعقيدة الدولية (الحياد الايجابي)، فإن ميشيل عفلق يرد كل أهداف الامة الى «النظرية القومية»، «مصدر كل النظريات»:

«النظرية القومية هي التعبير المتطور عن الفكرة العربية الخالدة حسب الزمان والظروف، وإن هذه النظرية تتمثل اليوم في الحرية والاشتراكية والوحدة»[٣٢].

وفي حين أن «عقيدة» القومية العربية لدى عبد الناصر تقتصر على تحقيق الوحدة العربية، على أساس أن الميدان الاجتماعي والوطني تحكمه عقائد أخرى غير قومية، فإن «النظرية» القومية بالنسبة إلى ميشيل عفلق، هي مصدر كل نظرية أو مبدأ يحكم حياة الأمة في كل الميادين.

(٢) تحليل تعاقبي

كيف تطوّرت «القومية العربية» كعقيدة في الخطاب الناصري بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠؟.

ـ المرحلة الاولى (١٩٥٣ ـ ١٩٥٧): تتغلب سميّتا الحركة والهوية في هذه المرحلة على سميّة «العقيدة»، ذات الصلات النادرة والتي لا تكاد تكون متميزة عن سميّة الهوية القومية. والعناصر التي استندنا اليها من أجل استخلاصها هي مفاهيم «الطريق»، و«المبادىء» و«المثل» التي تقترن بها أو تنسب إليها. فالمرحلة الاولى هي

---

(٣١) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٢١١.

اذن بالنسبة إلى عبد الناصر وقت اكتشاف الحركة القومية العربية الهوية القومية المشتركة.

- المرحلة الثانية (١٩٥٨ - ١٩٦١): بعد اكتساب «تجربة» الحركة القومية، حاول عبد الناصر أن يستخلص منها عقيدة. وأثناء هذه المرحلة التي بلغت فيها الحركة القومية أوجها مع الوحدة السورية المصرية، أرسى عبد الناصر أسس القومية العربية كـ «عقيدة الوحدة العربية».

- المرحلة الثالثة (١٩٦١ - ١٩٦٣): في هذه المرحلة من التأمل في فشل الوحدة، بلغ التنظير في الحقل الاجتماعي والقومي أوجه مع صدور ميثاق العمل الوطني في أيار / مايو ١٩٦٢. وتغلّبت سميّة العقيدة في مفهوم «القومية العربية» على السميّتين الأخريين. وأكّد عبد الناصر على ضرورة الالتزام بعقيدة القومية العربية فبرزت في حقول دلالتها الأفعال التالية: «الايمان بها» و«لم نكفر بها» و«تأييدها» و«التضحية عنها» و«بذلوا من أجلها الروح والدم».

- المرحلة الرابعة (١٩٦٣ - ١٩٦٦): في هذه المرحلة من الانكفاء على صعيد الجبهة القومية العربية، ضعف حقل دلالة القومية العربية بسميّاته الثلاث، الحركة والهوية والعقيدة. ولم يبق من سميّة العقيدة إلا تسميتها بـ: «عقيدة القومية العربية».

- المرحلة الخامسة (١٩٦٦ - ١٩٦٧): إن سميّة العقيدة في مفهوم القومية العربية هي السميّة الوحيدة التي عاودت الظهور في هذه المرحلة من السياسة الجذرية على صعيد الجبهة العربية والدعوة إلى «وحدة القوى الثورية». العربية. وقد اقترنت هذه السميّة بمفهوم «الثورة العربية»، الذي شهد آنذاك نهوضا عارما وحلّت كما شاهدنا في الفقرة (١ -) محل سميّة الحركة في مفهوم القومية العربية.

- المرحلة السادسة (١٩٦٧ - ١٩٧٠): بعد هزيمة حزيران / يونيو، نعثر مجددا في الخطاب الناصري على مفهوم «القومية العربية» بسمياته الثلاث، ولكن بضعف ظاهر لسميّة «العقيدة». ويصبح حقل دلالة «القومية العربية» خاليا من أية إشارة صريحة إلى الطابع العقائدي الذي تميزت به أثناء المراحل السابقة. ويصبح مقصورا على معنى واحد يحدده عبد الناصر صراحة:

«حينما نتكلم عن الوطنية العربية أو القومية العربية، يجب أن ننسى في هذه المرحلة مفاهيم أخرى كثيرة. الوطني اليميني كالوطني اليساري. لأن اسرائيل حينما احتلت الضفة الغربية للاردن لم

تفرق بين الوطني اليميني وبين الوطني اليساري طالما كان كل منهما وطنيا. وهناك فرق بين الوطني وبين الخائن الذي يسلم في بلده وفي أمور بلده»[٣٣].

ويمكن وصف هذا التطور الأخير في الأيديولوجية القومية العربية عند عبد الناصر بأنه عودة إلى الواقع ، ويمكننا القول بأن سميّة « العقيدة » في مفهوم القومية العربية تتميز عموماً بضعف حقل دلالتها واتصافها بالتجريد المفرط . والتفسير الصريح الوحيد الذي يعطي لها هو أنها السبيل إلى الوحدة العربية . ولا ينطوي حقل دلالتها على أية إشارة إلى الحقائق الاجتماعية العربية ، كما أنها لا تشكل أيضاً عقيدة نوع ديني ، إذ لا توجد أية إشارة دينية صريحة في حقل دلالتها . (أنظر الفصل السابع المخصص لهذا الموضوع) .

وعلى الرغم من أن المنهج الناصري لصياغة عقيدة القومية العربية هو منهج عملي (منطلق من التجربة والاختبار) وليس منهجا تجريديا، فإن تصوره لعقيدة القومية العربية يبقى نظريا ومثاليا، إذ أنه يخلو من أية إشارة إلى الوقائع الاجتماعية العربية.

ب ـ القومية العربية والوطنية المصرية

هل يوجد تعارض في الخطاب الناصري بين الانتماء إلى القومية العربية كمبدأ وعقيدة وحركة، والانتماء إلى الوطنية المصرية؟ إن تفحص كل حقول دلالة «القومية العربية» كعقيدة وكحركة يثبت على العكس أن هناك تكاملاً بين الانتماء إلى القومية العربية والانتماء إلى الوطنية المصرية[٣٤]. وقد توقفنا عند المشاركات التالية لسميّات العقيدة القومية والحركة القومية التي تؤكد برأينا هذا التكامل:

المشاركات : ـ « استقلالنا » (تموز / يوليو ١٩٥٦) ـ « سياستنا المصرية المستقلة » (تموز / يوليو ١٩٦٥) ـ « الحرية » (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١) .

ـ « حركة الوطنية المصرية » (تموز / يوليو ١٩٦٥) ـ « الوطنية المصرية » (أيار / مايو ١٩٦٢) ـ « الوطنية » (نيسان / ابريل ١٩٦٨) .

---

(٣٣) « كلمة في اعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، ١٥ ابريل ١٩٦٨ » ، وثائق عبد الناصر : خطب ، احاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣) ، ص ٣٩٨ (سنشير للكلمة بـ « كلمة ١٥ نيسان / ابريل ١٩٦٨ » ، وللكتاب بـ وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨) .

(٣٤) لا يستطيع سلبرمان تصور الوطنية المصرية (التي يدعوها « القومية المصرية ») الا بمعنى متعارض مع القومية العربية . وعلى اساس هذا الاعتراض الخاطيء يبني دراسته عن الايديولوجيا الناصرية :
Silberman ,«Nationalist Identity in Nasserist Ideology,1952-1970,».

ـ «المصلحة الوطنية الكبرى» (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) ـ «مصلحة العراق» (تموز / يوليو ١٩٦٣).
ـ «كرامتنا» (١٩٥٦) ـ «عزة مصر الحقيقية» (١٩٥٦).

وهذا ما يثبت بصورة أكيدة وجود علاقة إيجابية في الأيديولوجية الناسرية بين الانتماء إلى القومية العربية كعقيدة وكحركة وبين «الاستقلال» و«الحرية» و«المصلحة» أو بكلمة واحدة «الوطنية المصرية». والمرة الوحيدة التي يرد فيها ذكر القومية العربية في ميثاق عام ١٩٦٢، فمن أجل التأكيد صرحة على عدم تناقضها مع «الوطنية المصرية»:

«ليس هناك صدام على الأطلاق بين الوطنية المصرية وبين القومية العربية»[٣٥].

ولكن هل يشرح عبد الناصر أسباب هذا التكامل؟ بعد أن نظرنا إلى السياق الخطابي لكل من المشاركات السابقة لم نعثر على أية حجة موضوعة في هذا الصدد سوى حجة غير مباشرة وردت في الميثاق:

«السبب الثاني لفشل ثورة ١٩١٩ هو. . . أن القيادات الثورية في ذلك الوقت لم تستطع أن تمد نظرها عبر سيناء وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية. ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ انه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية وبين القومية العربية. لقد فشلت هذه القيادات أن تتعلم من التاريخ وفشلت أيضا أن تتعلم من عدوّها الذي تحاربه والذي كان يعامل الأمة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد»[٣٦].

إن هذه الحجة غير المباشرة القائمة على عِبَر التاريخ وعلى تصرّف العدو تبقى غير كافية. ونعتقد في نهاية المطاف بأن التفسيرات لا يمكن العثور عليها على هذا المستوى، بل بالاحرى على مستوى «التجربة الثورية» للحركة القومية التي انبثقت منها العقيدة القومية. وفي الواقع، إذا تفحصّنا العلاقة بين «الثورة العربية»، وهي «التجربة» التي صيغت من خلالها «عقيدة القومية العربية» من جهة، وبين «الثورة الوطنية»، «تجربة» مصر وكل بلد عربي، من جهة أخرى، هذه العلاقة التي وضّحها عبد الناصر في خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠، نلاحظ أنه قدّم حججا مفصّلة لكي يثبت التفاعل الجدلي بين الثورتين.

---

(٣٥) مشروع الميثاق، ٢١ مايو ١٩٦٢ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٢٧ (سنشير اليه بـ مشروع الميثاق).
(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٧ ـ ٢٨.

الاطروحة: «لقد كانت كل هزيمة للاستعمار في الثورة الوطنية من أجل الاستقلال هي انتصار للثورة العربية طلبا للوحدة، وكانت (بالعكس) كل هزيمة لدعاة الفرقة هي انتصار للثورة الوطنية من أجل الاستقلال» (الخطاب: ص ٤).

الدلائل المأخوذة من التجربة التاريخية

- «وإذا كان كسر احتكار السلاح - لاقامة الجيش الوطني القوي - مشهدا من مشاهد المعركة الوطنية في مصر ضد تحكم الاستعمار، فلقد كان في نفس الوقت مشهدا رائعاً من مشاهد الهزيمة الساحقة التي لقيها حلف بغداد في محاولته تطويق البلاد العربية» (الخطاب: ص ٦).

- «فإذا معركتنا الوطنية (ضد العدوان الثلاثي) تتحول إلى حرب عربية شاملة، ولم تعد قوانا وحدها هي التي تواجه الغزو، بل أصبحت كل قوى الامة العربية تخوض معنا المعركة، وأصبحت البلاد العربية كلها في كل شبر من امتداد أرضها ميدانا للقتال» (الخطاب: ص ٦).

- «كذلك كان نجاح الشعب السوري الرائع في الحفاظ على استقلاله في مواجهة المؤامرات والمناورات من حلف بغداد سببا في احتفاظ هذا الشعب المجيد بارادته الحرّة التي استطاع بها أن يفرض التجربة الأولى للوحدة العربية، وذلك باقامة الجمهورية العربية المتحدة. وكانت تلك بدورها هي المقدمة المنطقية لثورة شعب العراق في ١٤ يوليو هذه الثورة التي انتهى بها حلف بغداد الاستعماري...» (الخطاب: ص ٧).

وانطلاقا من هذا المستوى من التفاعل بين «التجارب الثورية» الوطنية والقومية العربية، وضع عبد الناصر العلاقة بين القومية العربية كعقيدة وحركة وبين الوطنية المحلية بما في ذلك الوطنية المصرية.

ويرى محمد حسنين هيكل أن عبد الناصر «خاض تجربة الدم في فلسطين وهذا ما جعل الوطنية المصرية تمتزج مع البعد القومي العربي». و«أن عبد الناصر جاء كنتيجة طبيعية للتفاعلات الوطنية المصرية مع الاتجاه العربي (...) وإذا عدنا إلى مفهوم عبد الناصر لظهوره لوجدناه في عبارة كان يردّدها باستمرار هي: إنني مجرد تعبير عن القومية العربية في مرحلة من المراحل»[٣٧].

٣ - القومية العربية كجماعة وهوية قومية

إن دراسة حقول دلالة مفهوم «القومية العربية» في الخطاب الناصري قد بيّنت لنا تعدد سميات هذا المفهوم: حركة قومية وتصوّر وعقيدة قومية، وبقي علينا أن نرى

(٣٧) فؤاد مطر، بصراحة عن عبد الناصر، مقابلة مع محمد حسنين هيكل (بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥)، ص ٩٩.

معناه أو سميته كهوية وجماعة قومية. فما هي خصائص القومية العربية كقومية وعلاقتها بمفهومي «العروبة» و«المصرية» وبقوميات أخرى؟.

أ ـ خصائص القومية العربية كجماعة وهوية

(١) تحليل تزامني

إن العناصر أو الصلات الأخرى في حقل دلالة «القومية العربية» يمكن أن تصنّف بدورها في معنيين أو سميّتين فرعيتين:

«للعرب قومية أو جنسية»، و«العرب هم قومية أو جنس».

يبيّن الاقتراح الأول أن القومية العربية هي جنسية أي أنها هوية قومية. ويبيّن الاقتراح الثاني أن القومية العربية هي جنس أو إتنية، أي أنها جماعة أو جنس بشري (قوم). فكيف تتوزع عناصر حقل دلالة القومية العربية في الخطاب الناصري حول هذين المعنيين الفرعيين؟ إن الجدول التالي يبيّن لنا ذلك:

جدول رقم (٢٩)

توزيع صلات مفهوم «القومية العربية» بين سميّتي «الجنسية» و«الجنس»

«لنا قومية واحدة أو جنسية»	«نحن قومية واحدة أو جنس»
مواصفات القومية العربية	
(=) «لنا قومية عربية» «القومية العربية هي قوميتنا» «قوميتنا، قومتيكم، قوميتهم العربية» «لنا قومية تجمعنا من المحيط إلى الخليج» (=) «القومية العربية (هي) قومية مصر الحقيقية» «قوميته العربية للشعب العربي في مصر» «قوميته العربية للشعب الليبي» (-) «راية، علم، اعلام القومية العربية»	(-) «نحن العرب قومية أو جنس» «يجب أن نكون كعرب قومية واحدة أو جنس» «وجودها، كيانها، حقها في الحياة،حقيقتها» «القومية العربية جيعا»

تابع / جدول رقم (٢٩)

المشاركات في القومية العربية	
(٠) «جنسية» (هوية قومية) (٠) «الغروبة، عروبتنا، عروبته للشعب الليبي» (٠) «المصرية، و مصريتكم» «شخصية مصر المستقلة» (٠) «رايات العروبة» «علم الجمهورية العربية المتحدة»	«جنس كامل»
أفعال القومية العربية	
	(-) «تعلم أن وجودها في اتحادها» «تشعر بوجودها، بقوتها، بكيانها، بحقها في الحياة»
الأفعال التي تقع على القومية العربية (السلبية)	
(٠) «قصدوا محوها في فلسطين» (٠) «اتكلترا تمحوها في عدن»	(٠) «كان يريد أن يخضعها» (=) «يهدفون إلى القضاء عليها-هدفه أن يقضي عليها. القضاء عليها في الجزائر» «يريدون أن يتخلصوا منها » (٠) «كانت تهدف إلى ابادتها جميعا» (٠) «هدفه أن يفتتها»
الأفعال التي تقع على القومية العربية (الايجابية)	
(٠) «لا يجب أن نتنكر لها»	(=) «الدفاع عنها» «حمايتها» «الحفاظ عليها»

إستخلصنا من الجدول السابق خصائص القومية العربية كهوية قومية (جنسية) وكجماعة قومية (جنس). وإن هذه الهوية هي عربية، وهي ذات الجنسية بالنسبة إلى جميع العرب «من المحيط إلى الخليج»، ويشدد عبد الناصر بوجه خاص على أنها قومية الشعب المصري، وهي نقطة كانت ما تزال موضع جدال عشية وصبيحة ثورة عام ١٩٥٢ من قبل فئة من المثقفين المصريين. وتتمتّع القومية العربية كجنس بخصائص جماعة إتنية أو قوم. فالعناصر الدلالية التي تُنسب إليها، «كاملة» و«جنس كامل» و«حقّها في الحياة» و«كيانها»، تدلّ على جماعة وليس على هوية. وقد تبيّنا من خلال خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ المعادلة التالية التي تثبت هذه الصفة للقومية العربية:

«كانت عملية إبادة للقومية العربية، وإبادة للعرب، إبادة كاملة، القضاء على جنس كامل»[٣٨].

وتذكرنا خصائص هذا الجنس بخصائص الأمة العربية: فيشدد عبد الناصر على ضرورة أن تكون «واحدة» و«موحّدة».

«فكّرت أننا كعرب يجب أن نكون قومية واحدة»[٣٩]

«إن القومية العربية تعلم إن وجودها في اتحادها»[٤٠]

وبما أنها كيان حي فهي قادرة على العمل: أن تكون مدركة، وأن تشعر. ولكن الاعمال المنسوبة إليها هي محدودة أكثر بكثير من الأعمال المنسوبة إلى «الامة العربية». ويمكننا ان نستنتج من ذلك ان «القومية العربية» بصفتها أتنية تلعب دورا ثانويا في الخطاب الناصري. وعلى العكس من ذلك فإن الأعمال الممارسة من قبل القوى المعارضة لها، رغم كونها أقل تنوعا، هي ذات الاعمال الممارسة ضد «الامة العربية»: اعمال السيطرة والتقسيم والتصفية:

. «إخضاعها» و«تفتيتها» و«القضاء عليها» و«إبادتها».

(٢) تحليل تعاقبي

كيف تطور مفهوم «القومية العربية» كجماعة وهوية قومية في الخطاب الناصري بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠؟

---

(٣٨) «خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ ،» ص ٢ .

(٣٩) «بيان ١٢ آب / اغسطس ١٩٥٦ ،» ص ١ .

(٤٠) «خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ ،» ص ١ .

ـ المرحلة الأولى (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧) في هذه المرحلة أكّد عبد الناصر الهوية القومية العربية لمصر وطالب بها :

« قوميتنا »

«أرادت مصر أن تكون لها قومية حقيقية»

«وسنبني مصر القوية، مصر العربية»[٤١].

كما أكّد أيضا الهوية القومية الواحدة لكل العرب على أساس اللغة:

«لنا قومية تجمعنا من المحيط إلى الخليج... كلنا عرب نتكلم لغة واحدة»[٤٢]

وتظهر القومية العربية كجماعة إتنية أو جنس في الخطاب الناصري أيضا منذ المرحلة الاولى:

«كانت تهدف بريطانيا... كان يهدف الاستعمار... كانت تهدف امريكا... القضاء على قوميتنا (...) لم تكن العملية، عملية فلسطين ولم تكن فقط وطن قومي لليهود، ولكنها كانت عملية إبادة للقومية العربية وإبادة للعرب.. إبادة كاملة قضاء على جنس كامل»[٤٣]

وهو يشدد على ضرورة أن تكون هذه الجماعة واحدة:

«يجب أن نكون كعرب قومية واحدة»[٤٤].

ـ المرحلة الثانية (١٩٥٨ ـ ١٩٦١): في هذه المرحلة لا تظهر سميّة الجنسية القومية إلا مرّة واحدة عن طريق المشاركة في الاطار التالي :

«إنكلترا بتمحو القومية العربية في عدن، إنكلترا ما تديش جنسية أبدا لأي عربي»[٤٥].

وعلى الرغم من النهوض القومي الكبير نتيجة الوحدة السورية ـ المصرية ، فإن عبد الناصر يشدد في هذه المرحلة على الأخطار التي تهدّد الأتنية أو الجنس العربي في وحدته وفي وجوده بالذات:

(٤١) المصدر نفسه ، ص ٢ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٢ .
(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٢ .
(٤٤) المصدر نفسه ، ص٢ .
(٤٥) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٦٠

«إحنا العرب النهارده بينظروا لينا كجنس أو كقومية لا يأمنوا إليها أو يريدوا أن يتخلصوا منها»

«هدف الاستعمار أن يقضي على القومية العربية ويفتتها»[٤٦]

بقي علينا أن نوضح بأن سميّتي الحركة القومية والعقيدة القومية تتغلبان على سميّة الجنس في حقل دلالة «القومية العربية» أثناء هذه المرحلة.

- المرحلة الثالثة (١٩٦١ - ١٩٦٣): أثناء هذه المرحلة من السياسة الجذرية على الصعيد القومي العربي (التنديد بـ «الرجعية»، والاشتراك في حرب اليمن)، ضعفت سميّتا الجماعة والهوية القومية وأعطيت الأولوية لسميّة العقيدة القومية. وفاقت الاهتمامات بالعمل الثوري والنضال العربي (حل مفهوم «الثورة العربية» محل سميّة الحركة القومية) الاهتمامات بالهوية وبالجماعة القومية. ولكن نعثر على هذين المعنيين للقومية العربية رغم ضآلتها:

معنى الهوية: «القومية العربية: دي قوميتنا».

«إننا أشد إيماناً بقوميتنا»[٤٧].

ومعنى الأثنية: «يدافع عنها الشعب»[٤٨]

«الدفاع عنها، الحفاظ عليها»

«يحميها»[٤٩].

- المرحلة الرابعة (١٩٦٣ - ١٩٦٦): إذا كان مجمل حقل دلالة القومية العربية قد شهد إنخفاضا كبيرا أثناء هذه المرحلة، وغابت سميّتا الجنس والجنسية غيابا كليا عنه فقد لجأ عبد الناصر أثناءها بقدر اكبر إلى مفهوم العروبة.

- المرحلة الخامسة (١٩٦٦ - ١٩٦٧): رغم اختلاف التطوّر في هذه المرحلة عن التطور في المرحلة السابقة على صعيد الجبهة العربية (اعتماد سياسة جذرية) فان

---

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٦٠ - ٦١.

(٤٧) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ في المؤتمر الشعبي في ميدان الجمهورية بعد مرور ٢٤ ساعة على قيام حركة التمرد الانفصالية في دمشق(القاهرة : مصلحة الاستعلامات [د. ت.])، ص ٤ و ٨.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٢.

(٤٩) « خطاب الرئيس بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو، في القاهرة ٢٢ / ٧ / ١٩٦٣ »، الوثائق العربية ١٩٦٣ ، ص ٥٩٤ و ٦٥٠(سنشير اليه بـ « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ ») .

سميّتي الجماعة والهوية القومية لم تظهرا بعد ذلك في حقل دلالة القومية العربية في الخطاب الناصري. وهذا التطوّر الذي يعود تاريخه إلى المرحلة الثالثة ليس متصلا بالاوضاع القائمة. وباعتقادنا أن الأسباب هي أعمق من ذلك ومردها إلى تحول في التصور القومي العربي عند عبد الناصر يعود تاريخه إلى انفصام عرى الوحدة السورية ـ المصرية (١٩٦١).

ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الناصر يلجأ أكثر من الماضي، إلى قيم النضال والعمل الثوري والعقيدة والمبادىء القومية في مراحل السياسة الجذرية وإلى مفهوم «العروبة»، غير الدقيق والغامض في مراحل التراجع. أما بالنسبة إلى سميّة الأثنية أو الجنس في مفهوم «القومية العربية»، فقد لاحظنا تقهقرها منذ المرحلة الثانية، منذ أن تطوّر مفهوم أحدث وأغنى هو مفهوم «الأمة العربية» واحتل مكانة رئيسية في الخطاب القومي العربي لعبد الناصر.

وجاءت هزيمة حزيران /يونيو ١٩٦٧ لتوقف هذا التطور، وعاد عبد الناصر أثناء المرحلة السادسة إلى استعمال سمية الهوية القومية، ولكن سمية الجماعة القومية (الجنس) غابت كليا عن حقل دلالة القومية العربية):

«قوميتنا العربية»
«قوميته العربية للشعب العربي في مصر»
«قوميته العربية للشعب الليبي»[٥٠].

إن هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ لم تدفع عبد الناصر، كما يدعي ج. سيلبرمان[٥١] وغيره من المستشرقين، إلى القومية المصرية بل دفعته إلى تأكيد الهوية القومية العربية، وإلى تأكيد الحركة القومية العربية، وشهد مفهوم «الامة العربية» تطوراً لا مثيل له في الخطاب الناصري. ولكن سمية العقيدة القومية العربية هي التي ضعفت كثيرا في حقل دلالة القومية العربية. وقد فسّرنا ذلك على أنه نتيجة لعملية إعادة النظر في مفاهيمه الأيديولوجية السابقة أثر الهزيمة.

---

(٥٠) «خطاب في استاد الخرطوم الرياضي بمناسبة احتفالات السودان بعيد الاستقلال، أول يناير ١٩٧٠»، وثائق عبد الناصر، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠، ص ٢٦٧ و ٢٦٨ (سنشير اليه بـ «خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم»).

(٥١) Silberman, «Nationalist Identity in Nasserist Ideology,1952-1970,»

ب ـ القومية العربية والعروبة

إن مفهوم «العروبة» هو المشاركة الأكثر تكرارا لمفهوم «القوميةالعربية ».ونقترح تحت هذا العنوان مقارنة حقلي دلالتيهما بين مرحلة وأخرى، ثم استخلاص ما يميز كلا من هذين المفهومين.

(١) مقارنة تعاقبية بين المفهومين

رأينا في القسم الأول من هذا الفصل أن مفهوم «العروبة» له حقل دلالة أقل تطورا بكثير من حقل دلالة «القومية العربية»، وإن منحنيات تطور المفهومين لم تكن متشابهة (أنظر الشكلين رقم ٥ و٦)وسنيتبينّ هنا بمزيد من التفصيل ما هي السميّات المتشابهة بين مفهومي «القومية العربية» و«العروبة»، وما إذا كان هذا الاخير ينطوي في حد ذاته على معان أو سميّات متعددة.

ـ المرحلة الاولى (١٩٥٣ ـ ١٩٥٨): إذا تفحصنا حقول دلالة العروبة نلاحظ أنها تنطوي على الكثير من العناصر المشتركة مع القومية العربية ويمكن أن تصنف في سميّتين:

العروبة (كايمان واندفاع)	العروبة (كهوية وانتهاء)
« هذه المبادىء العليا والمثل »	« قوميّتنا »
« كرامتنا استقلالنا »	« مصريته »
« كلنا نعمل من اجل العروبة »	« لن نتنكر لعروبتنا »
«استشهد وهو يؤدي واجبه من اجل العروبة»	«نحن ابناء العروبة»
«كان كل واحد منها يؤمن بها»	«نعتز بهذه العروبة»
«كلنا سندافع عن عروبتنا»	

لقد صنفنا كل صلات العروبة كمبدأ ومثل وإيمان وانطلاقة في سميّة واحدة اسميناها العروبة (كإيمان واندفاع). أما صلات العروبة التي تشير إلى انتماء أو هوية قومية، فقد صنفناها في سمية أخرى اسميناها العروبة (كهوية وانتماء). ويستخلص من ذلك وجود شبه بين مفهومي « العروبة » و« القومية العربية » : سميّة العروبة (كإيمان واندفاع) تشبه سميتي القومية العربية كحركة وعقيدة ، مع فارق أنه من الصعب التمييز بالنسبة إلى سميّة العروبة بين مظهري الايمان والاندفاع. كما وأن سميّة العروبة (كهوية وانتماء) تشبه سميّة القومية العربية كهوية أو جنسية. وتشترك سميّة

العروبة (كإيمان واندفاع)، مع سميّة القومية العربية (كحركة وكعقيدة قومية في الصلات التالية: «المبادىء والمثل الكبرى» و«الاستقلال» و«الموت من أجلها» و«الايمان بها» و«الدفاع عنها». ويفتقر حقل دلالة العروبة بالمقارنة مع القومية العربية الى صلات أكثر حداثة مثل «الوعي العربي» و«الرأي العام العربي»، ولكن العروبة تتميّز بمشاركات خاصة بها مثل: «انسانيتنا» (أيلول /سبتمبر ١٩٥٥) و«قضايا العروبة». والعروبة (كإيمان واندفاع)، خلافا للقومية العربية (كحركة وعقيدة)، هي مفهوم جامد لا ينسب لها أفعال بل هي بالأحرى هدف لأعمال عدوانية حصلت في الماضي:

«حاول الاستعمار أن يضعفها» ، «كانوا يحيكون المؤامرات ضد عروبتكم»[٥٢].

يتبينّ من المقارنة صعوبة التفريق بين سميّتي العروبة، ذلك لأن الكثير من صلاتهما مشتركة. ويبدو أن عبد الناصر قد لجأ إلى العروبة أثناء هذه المرحلة لكي يعزز المناداة بالقومية العربية كحركة وكعقيدة، ودعا إلى الايمان بالعروبة من أجل التغلب على محنة الانفصال، («استجبنا إليها»، «إننا أشد إيمانا بها»). وفي ذات الوقت دعا عبد الناصر الشعب المصري إلى «التمسّك» بالهوية العربية، «عروبته»، و«عدم نسيانها» بالرغم من خيبة الامل التي تولّدت عن الانفصال وعودة ظهور إتجاهات لعزلة عن بقية الوطن العربي في مصر. ولكن وجه الشبه بين العروبة (كهوية وانتهاء) وسميّة القومية العربية كهوية يكمن في اقترانها المشترك بمفهوم «المصرية» وفي عطفهما المتكرّر الواحدة للأخرى.

- **المرحلة الثانية (١٩٥٨ - ١٩٦١)**: مع صعود حركة القومية العربية وتحقيق الوحدة السورية - المصرية ، إحتل حقل القومية العربية كل المجال الدلالي وغاب مفهوم العروبة عن المفردات القومية العربية في هذه المرحلة.

- **المرحلة الثالثة (١٩٦١ - ١٩٦٣)**: في هذه المرحلة غابت سميّتا الهوية والجماعة عن مفهوم القومية العربية، في حين أن سميّة العقيدة بلغت أوجها. ويبينّ حقل دلالة العروبة وجود سميّتين هما:

العروبة (كإيمان واندفاع)	**العروبة** (كهوية وانتماء)
«استجبنا إلى عروبتنا، استجبنا إلى	«عروبة الشعب المصري (١٩٦٣)»

---

(٥٢) «خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ ،» ص ١ .

ضميرنا وإلى روحنا» (١٩٦١).	«أرادوا أن يفصلوه عن عروبته»
«أرادوا أن يكفر بعروبته»	«لا يمكن ان ننسى عروبتنا»
	«أرادوا أن يكفر بعروبته»
«إننا أشد إيماناً بقوميتنا وبعروبتنا».	« إننا أشد إيماناً بقوميتنا وبعروبتنا»(تشرين الاول / أكتوبر ١٩٦١).

ـ المرحلة الرابعة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦): بما أن مفهوم «القومية العربية» غاب كليا عن المفردات الناصرية، فقد لجأ عبد الناصر إلى مفهوم «العروبة» الذي بلغ تطوره الأقصى أثناء هذه المرحلة. وقد يكون السبب في ذلك أنه أراد أن يكيف مفرداته مع ضرورات الوضع القائم: في هذه المرحلة من مؤتمرات القمة العربية التي حاول فيها عبد الناصر أن يجمع كل الحكومات العربية حول القضية الفلسطينية، بقطع النظر عن الاختلافات الأيديولوجية فيما بينها، فإن اللجوء إلى مفهوم «العروبة» القديم العهد لا يخيف الانظمة العربية المحافظة التي كانت تشعر دائما بأنها مهددة بالنداء الموجه من أجل القومية العربية. وبكون مفهوم «العروبة» مفهوماً جامداً وغامضاً بصورة أساسية فإنه يتميز عن مفهوم القومية العربية بعدم إنطواء حقل دلالته على أن أي عنصر يدل على النضال والكفاح القومي:

العروبة (كإيمان واندفاع)	العروبة (كهوية وانتماء)
«العرب والعروبة معناه: وحدة أمة، وحدة مصير، وحدة العرب في مواجهة الاستعمار وفي مواجهة الصهيونية».	«عروبة مصر ليست مسألة سياسية ولا تكتيكية، هي قدر، ووجود وحياة» (تموز / يوليو ١٩٦٥).
«المصريون لم يكفروا بالعروبة».	«العروبة معناه أن نحن اكتشفنا انفسنا»
	«عروبة الخليج». (تموز / يوليو ١٩٦٥)

ـ المرحلة الخامسة (١٩٦٦ ـ ١٩٦٧): إن اتباع سياسة جذرية على صعيد الجبهة العربية والمناداة بـ «وحدة القوى الثورية العربية»، هما سببان يفسّران عدم استعمال مفهوم العروبة في هذه المرحلة.

ـ المرحلة السادسة (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠): عاد مفهوما «العروبة» «والقومية العربية» إلى الظهور، ولكن على مستوى ضعيف في الخطاب الناصري. وقد سبق وأشرنا إلى

اختفاء سميّة العقيدة اختفاء شبه كامل من مفهوم القومية العربية: إن «تجربة» هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ و«الحقائق الجديدة» قد فرضت إعادة النظر في التصورات أو العقائد التي ثبت عدم جدواها. وقد سُدّ الفراغ العقائدي بصورة خاصة بالعودة إلى مفهوم العروبة، الذي تطورت سميته كإيمان واندفاع تطورا كبيرا أثناء هذه المرحلة: بالنظر لعدم وجود عقيدة قومية جديدة، لجأ عبد الناصر إلى الاعتقاد والايمان القوميين وأدى مفهوم «العروبة» هذا الدور على أفضل وجه:

العروبة (كإيمان واندفاع)	العروبة (كهوية وانتماء)
«ستبقى دمشق قلب العروبة النابض» (تموز / يوليو ١٩٧٠)	«خرج الشعب ليرفع رايات العروبة».
«خرج الشعب في ٩ و١٠ حزيران / يونيو ١٩٦٧ ليرفع رايات العروبة». (كانون الثاني / يناير ١٩٧٠).	«لم يتنكر الشعب الليبي لعروبته» (كانون الثاني / يناير ١٩٧٠).
«شعارات العمل من اجل العروبة» (كانون الثاني / يناير ١٩٧٠).	
«(كل واحد من أبناء القوات المسلحة) يهب دمه في سبيل العروبة». (نيسان / أبريل ١٩٦٨).	

(٢) مقارنة تزامنية بين المفهومين

سنحاول هنا تلخيص الخصائص الرئيسية لمفهوم «العروبة» بالمقارنة مع خصائص «القومية العربية»:

ـ إن المفهومين متعددا الدلالات، وهناك وجه شبه بين سميّاتهما. فسميّة العروبة (كهوية وانتماء) تشبه إلى حد ما سمية الجنسية في «القومية العربية»، ولكنها لا تشبه سميّة الاثنية أو الجنس فيها. أما السمية الأخرى للعروبة التي تنطوي على عنصر الاعتقاد والايمان بمثل أعلى وتنطوي كذلك على عنصر الاندفاع نحو العمل، تشبه إلى حد ما سميّتي العقيدة (الايمان والتصور والاعتقاد) والحركة لمفهوم القومية العربية.

ـ إن مفهوم «العروبة»، خلافا لمفهوم «القومية العربية»، مفهوم جامد لا ينسب إليه عمل: فالعروبة هي اندفاع نحو العمل، مثل أعلى، هوية، وهي موضوع انتساب، ولكنها ليست طريقا للعمل القومي. (لم تنسب لفظة «الطريق» أبدا إلى

العروبة، في حين أنها غالبا ما نسبت إلى القومية العربية). ولا تظهر فكرة الحركة أبدا في حقل دلالة العروبة في حين أن عبد الناصر حدّد القومية العربية بأنها «حركة قومية». وبالمقارنة مع القومية العربية فإن العروبة كهوية تتناول «الوجود القومي» و«المصير القومي» أكثر مما تتناول الهوية القومية بمعناها الحديث.

ـ لا شك أن فكرة العروبة هي أقدم عهداً في الكتابات السياسية العربية المعاصرة من فكرة القومية العربية. وقد يكون لذلك أثر في الخطاب الناصري حيث تبيّن أن كل الأفعال المنسوبة لمفهوم «العروبة» تعود إلى الماضي المنقضي في حين أن معظم الأفعال المنسوبة إلى «القومية العربية» تعود إلى الوقت الحاضر أو المستقبل.

ـ ينطوي حقل دلالة «العروبة» بقطع النظر عن ضعف تطوّره، على غموض أكبر في التعبير من حقل دلالة «القومية العربية». فمفهوم «العروبة» هو إذن أقل دقة وأكثر غموضا من مفهوم «القومية العربية»، وهو بذلك يتحمل أكثر من معنى. وهذا ما يفسر لجوء عبد الناصر إلى استعماله عندما كان يفرض عليه الوضع القومي عدم استعمال سمية محددة من مفهوم القومية العربية تترتب عليها آثار سياسية وخيمة، فكان مفهوم «العروبة» القديم العهد يلعب دور المفهوم الاحتياطي أو البديل. (أنظر المرحلتين الرابعة والسادسة، وبصورة غير مباشرة في المرحلتين الثانية والخامسة).

ج ـ القومية العربية والمصرية

لقد سبق أن نوقشت مسألة الهوية القومية للشعب المصري على نطاق واسع في مصر منذ عام ١٩٥٣ من قبل السياسيين والكتّاب. وقد افتتح النقاش السيد فتحي رضوان، الكاتب والوزير، في محاضرة ألقاها في نادي نقابة الصحافة بالقاهرة ونشرت في جريدة أخبار اليوم في ٢١ آذار / مارس ١٩٥٣ تحت العنوان التالي: «هل المصريون عرب، مسلمون أم أفارقة؟». وأعيد طرح السؤال في مجلة المصور التي نظّمت طاولة مستديرة في «دار الهلال» حول هذا الموضوع. ونشرت المناقشات التي اشترك فيها وزراء وكتاب وأساتذة جامعات في عدد «المصور» بتاريخ ١٧ نيسان / إبريل ١٩٥٣[٥٣]. ونعثر على صدى لهذا النقاش في «فلسفة الثورة» (القسم الثالث) عندما رد عبد الناصر بصورة غير مباشرة على هذا السؤال فحدد الدوائر الثلاث لتحرك الشعب المصري واختار «الدائرة العربية» كدائرة انتماء.

---

(٥٢) اورد ساطع الحصري تقريرا نقديا عن ذلك في: ساطع الحصري، العروبة اولا، ط ٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٥)، ص ١١٥ ـ ١٣٦.

فيا هي العلاقة بين «القومية العربية» و«المصرية» على مستوى الخطاب الناصري؟ يبين لنا حقل دلالة القومية العربية المشاركات التالية:

(١٩٥٦)	« القومية العربية »	« المصرية »
	« العروبة »	« الشخصية المستقلة لمصر »[٥٤]

على الرغم من أن مفهوم «الأمة» قبل عام ١٩٥٤ كان ما يزال يشير إلى مصر في الخطاب الناصري، فإن عبد الناصر لم ينسب أبدا مفهوم «القومية» إلى مصر. فهو لم يعتبر أنه توجد قومية مصرية. ولكنه اعترف بوجود «شخصية» خاصة للشعب المصري عبّر عنها بالقول:

«مصريتكم»؛ «شخصية مصر».

ومنذ عام ١٩٥٦، أعلن عبد الناصر بوضوح هوية مصر القومية العربية:

«سندافع عن قوميتنا، سندافع عن عروبتنا»؛ «أرادت مصر أن يكون لها قومية حقيقية»[٥٥].

وإذا كان عبد الناصر أثناء المراحل اللاحقة (بعد ١٩٥٢) لم يأتِ إلّا نادراً على ذكر «المصرية»، فذلك بسبب تركز اهتمامه على تأكيد هوية مصر العربية بالنضال دون هوادة ضد الاتجاهات الانعزالية في الداخل، وضد الحملات الخارجية التي أرادت فصل مصر عن بقية العالم العربي، عن طريق التشكيك في عروبتها. وقد أشار إلى ذلك مرارا عديدة:

المرحلة الثالثة: «كانت هناك محاولات من الرجعية والانفصال حتى يكفر الشعب المصري بعروبته (.) أرادوا أن يفصلوه عن العروبة»[٥٦].

المرحلة الرابعة: «إحنا عرب وحنفضل عرب. والعرب والعروبة مش موضوع تكتيكي ولا موضوع سياسي: معناه ان احنا اكتشفنا نفسنا، معناه وحدة أمة، معناه وحدة مصير، معناه وحدة العرب في مواجهة الاستعمار والصهيونية. الحملات النفسية وحملات الاستعمار وأعوان الاستعمار لن تؤثر فينا وان احنا عارفين أن مصر بتمثل أكبر شعب عربي ومصر تمثل أقوى وأكبر قوة عربية»[٥٧].

«فيه ناس كتير يتصوروا أن بعض ما يحدث في العالم العربي من شأنه أن يسعى بالتردد أو يقلل

(٥٤) « خطاب ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦ ، » ص ١ ـ ٢ .
(٥٥) المصدر نفسه ، ص ١ ـ ٢ .
(٥٦) « خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٣ ، » ص ٦٤٧ .
(٥٧) خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٥ ، ص ٢٩ .

من اندفاعنا العربي: إن عروبة مصر ليست مسألة سياسية ولا مسألة تكتيكية وإنما عروبة مصر قدر ووجود وحياة»[٥٨].

المرحلة السادسة: بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧، وللرد على الهجمات والمحاولات الخارجية الجديدة التي استهدفت دفع مصر إلى عقد صلح منفرد، عاد عبد الناصر ليؤكد هوية مصر القومية، بينما كان في المرحلتين السابقتين من السياسة الجذرية العربية (المرحلتان الثالثة والخامسة) كان قد اعطى الاولوية لقيم العمل الثوري والنضال القومي، ولم يركّز إلاّ قليلاً على قضايا الهوية:

«قوميتنا العربية» (١٥ نيسان / أبريل ١٩٦٨)
«الشعب العربي في مصر ظل مؤمنا بقوميته العربية»[٥٩].

د ـ القومية العربية والقوميات الاخرى

لم يظهر مفهوم القومية العربية بمعنى الاتنية أو الجنس في الخطاب الناصري إلا أثناء المرحلتين الاولى والثانية وفي هاتين المرحلتين أيضا أتى عبد الناصر على ذكر قوميات أخرى بمعنى إتنيات أو أجناس. فما هي هذه القوميات وما هي علاقاتها بالقومية العربية؟

ـ هناك أولا إسرائيل التي لا تشكل بالنسبة إلى عبد الناصر قومية واحدة بل تجتمع فيها إتنيات وأجناس متباينة من الناحية القومية، طالما أن أصولها الجغرافية مختلفة و«لغاتها مختلفة»:

«لم يشهد التاريخ مثل هذه المحاولة الفاجرة التي يقصد بها الصهيونيون إلى محو القومية العربية في فلسطين وإحلال إسرائيل وهي دولة ملفقة تضم أجناسا مختلفة يتكلمون لغات متباينة ويمثّلون لقارات مختلفة»[٦٠].

وإذا كانت إسرائيل لا تمثل برأي عبد الناصر قومية بل مجموعة إتنيات متباينة، لا يسعنا أن نفسّر لماذا يعتبر أن هناك «قومية صهيونية». هل السبب في ذلك هو واقع أنه يرى في ذلك مشروع قومية مُعدّ للحلول محل القومية العربية في فلسطين؟:

---

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٤.
(٥٩) «خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم»، ص ٢٦٩.
(٦٠) خطاب ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٥٥، ص ٦١.

«قضوا على القومية العربية في فلسطين وأقاموا مكانها القومية الصهيونية»[٦١].

ليست العلاقة مباشرة بين القومية العربية واسرائيل، الدولة «المتعددة الإتنيات» أو «القومية الصهيونية». إنها علاقة إحلال قومية محل قومية أخرى تقوم بها دولة إستعمارية كبرى. ولا يقر عبد الناصر باستقلالية المشروع الصهيوني ويعتبره من صنع الاستعمار وبريطانيا بصورة رئيسية. وقد رأى عبد الناصر في ثورة الجزائر أيضا مواجهة بين قوميتين ومحاولة لتصفية القومية العربية لاستبدالها بمواطنين من قومية أجنبية:

«في الجزائر هناك حرب: حرب إبادة شاملة بغرض القضاء على العرب في الجزائر: بغرض القضاء على القومية العربية في الجزائر وتوطين فرنسويين محل العرب اللي ساكنين في الجزائر ومقيمين فيها منذ آلاف السنين»[٦٢].

وهناك منطقة ثالثة علّق عليها عبد الناصر ذات القدر من الأهمية، هي منطقة الخليج العربي:

«إنكلترا بتمحو القومية العربية في عدن، ما تديش جنسية ابدا لاي عربي وتدي جنسيات لناس من دول الكومنولث علشان يكونوا العرب أقلية في عدن ويقيموا هناك قومية أخرى»[٦٣]

وهنا ايضا، كما في الجزائر وفلسطين، فإن الفاعل هو الاستعمار، وإن الهدف هو تصفية «الجنس» العربي أو تحويله إلى أقلية لإحلال قومية أخرى محله، قومية صهيونية في الحالة الاولى، وقومية فرنسية في الحالة الثانية، وقومية غير محددة بعد ولكن أجنبية في الحالة الثالثة.

ويعتبر عبد الناصر «القوميات الأخرى» كأدوات يلجأ إليها الاستعمار من أجل تصفية القومية العربية. فالمواجهة تقوم أولا بين الاستعمار والقومية العربية، ذلك أن القومية الاجنبية هي إما القوة المستعمرة نفسها (في الجزائر)، وأما صنيعة الاستعمار. وفي وقت لاحق، حينما يكون مفهوم الامة العربية قد حل كليا محل مفهوم الأتنية أو الجنس العربي، تقوم المواجهة عندئذ بين «الامة العربية» و«دولة إسرائيل» وليس مع القومية الصهيونية. وهكذا، فإن عبد الناصر يتصور قيام مواجهة بين القومية أو الامة

(٦١) «خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨»، ص ٦٠.
(٦٢) المصدر نفسه، ص ٦١.
(٦٣) المصدر نفسه، ص ٦٠.

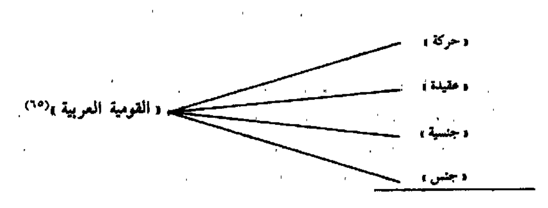
العربية وبين دولة أجنبية إستعمارية، ولا يتوقع قيام مواجهة بين القومية العربية وقوميات أو أمم أجنبية. وهو ينظر إلى القوة المعارضة كقوة سياسية وليس ككيان قومي. وعلى العكس من ذلك، يرى عبد الناصر أن عمل القوة الاستعمارية المعارضة هو في غاية المعاداة للقومية العربية، على الأقل أثناء المرحلتين الأوليين (قبل عام ١٩٦٠):

«هدف الاستعمار أن يقضي على القومية العربية ويفتتها ويقيم بينها قوميات أخرى»[٦٤].

«يريدوا (في فلسطين والجزائر وعدن والبحرين) أن يتخلصوا من القومية العربية»

وفي الختام، نلاحظ غياب قوميّات صديقة للقومية العربية، كالقومية الكردية والقومية الأرمنية أو القوميات الأخرى المجاورة. وإذا لم يظهر ذلك في خطب عبد الناصر التي تضمنتها العينة المختارة، فإن هذا لا يعني أن عبد الناصر قد تجاهلها، ولكنها لا تحتل مكانة رئيسية في إهتماماته (كفلسطين والجزائر وعدن أو الخليج) ربّما لأنها ليست في حالة مواجهة مع الاستعمار. غير أن عبد الناصر اعترف بوجود قومية كردية واهتمّ بإيجاد حل عادل للقضية الكردية في إطار الأمة العربية.

وفي نهاية التحليل لمفهوم «القومية العربية» في الخطاب الناصري، نبيّن في الشكل رقم (٨) تعدّد سميّات هذا المفهوم كما نبيّن في الشكل رقم (٩). التطوّر التعاقبي لمختلف سميّاته بالمقارنة مع مفهوم «العروبة».



(٦٤) المصدر نفسه، ص ٦٠ ـ ٦١.

(٦٥) اننا لا نعتزم تشبيه سميّتي « الحركة » و « العقيدة » بمفهوم الـ « ناسيوناليزم » (Nationalisme) المعروف في اللغات الاوروبية والسلافية وسميّتي « الجنسية » و « الجنس » بمفهوم الـ « ناسيونـاليتي » (Nationalité) باللغات الانكليزية والفرنسية والايطالية .. الخ . أو بمفاهيم « ناسيوناليتات » و « فولكستم » في الالمانية (Nationalitat and Volkstum) وباعتقادنا ان المعاني تختلف بين ثقافة قومية واخرى . وحده التحليل المقارن لحقول دلالة هذه المفاهيم في الخطب القومية العائدة لها من شانه ان يبيّن أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها .

شكل رقم (٩)

التطور التعاقبي لسميّات مفهوم « القومية العربية » في الخطاب الناصري

	المرحلة الأولى ١٩٥٣ـ ١٩٥٧ «وحدة الكفاح»	المرحلة الثانية ١٩٥٨ـ ١٩٦١ «وحدة دستورية» (الجمهورية العربية المتحدة)	المرحلة الثالثة ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ «وحدة النضال»	المرحلة الرابعة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ «وحدة العمل العربي من أجل فلسطين»	المرحلة الخامسة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ «وحدة القوى الثورية»	المرحلة السادسة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ «وحدة العمل»
«القومية العربية »:	١٩٥٦					
حركة	↖	↖	(ثورة عربية ↖)	↙	(ثورة عربية ↖)	↖
عقيدة	↖	↖	↖	↙	↖	↙
جنس جنسية	↖	↖	↙	↙	↙	↖
	(الاثنين)	(جنس)	(الاثنين)	(الاثنين)	(الاثنين)	(جنسية)
« العروبة »	١٩٥٦ ↖	↙	↖	↖	↙	↖

باء ـ أهداف القومية العربية ونضالاتها وأعمالها

سنتناول على الأخصّ أهداف ونضالات وأفعال القومية العربية كحركة.

١ ـ أهداف القومية العربية

تتوزّع الأهداف الرئيسية للقومية العربية، كما استخلصت من تحليل حقل دلالتها، بين أهداف الوحدة العربية والحرية ـ الاستقلال والتقدّم:

جدول رقم (٣٠)
أهداف «القومية العربية» في الخطاب الناصري.

الدلالة	الصلات
(+) الوحدة (المراحل الأولى والثانية والثالثة والخامسة)	«القومية العربية تمثل أن نكون يدا واحدة ضد الاستعمار» (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨). «هدف الوحدة العربية» (١٩٥٦). «وحدة العرب» (المرحلة الثانية). «الوحدة الثلاثية» (المرحلة الثالثة). «توحيد العالم العربي» (المرحلة الثالثة). «وحدة النضال العربي» (المرحلة الخامسة).
(=) حرية ـ استقلال	على المستوى المحلي (المراحل الأولى والثانية والثالثة): «استقلالنا» (١٩٥٦). «الاستقلال» (١٩٥٩). «الحرية» (١٩٦١). على المستوى الدولي: (المرحلة الثانية): «الحياد الايجابي» (١٩٦٠). «على المستوى العربي (المرحلتان الثالثة والخامسة): «الحرية العربية» (١٩٦١). «السيادة العربية» (شباط/ فبراير ١٩٦٧).

تابع / جدول رقم (٣٠)

(•) التطور	«التطور العربي» (١٩٦١).
(•) دوافع الحركة القومية العربية	محلية (المرحلتان الأولى والثانية) : «كرامتنا» (١٩٥٦). «عزة مصر الحقيقية» (١٩٥٦). «المصلحة الوطنية الكبرى »(تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨) عربية (المرحلة الثالثة) : «المصلحة العربية» (١٩٦٣).

إن الهدف الرئيسي الذي نسبه عبد الناصر إلى القومية العربية كحركة وكعقيدة هو هدف الوحدة العربية. وأكثر ما يظهر هذا الهدف بانتظام (+) في إطارها (المراحل الاولى والثانية والثالثة والخامسة). ولن تقتصر الوحدة على الوحدة السياسية بين الدول، بل تتعدّاها إلى التضامن العربي المعادي للاستعمار وإلى وحدة النضال. وسندرس هذا الهدف بالتفصيل في الفصل السابع المخصص لدراسة مفهوم الوحدة العربية في الخطاب الناصري. والهدف الآخر الذي يقترن بالقومية العربية هو هدف الحرية ـ الاستقلال. ويظهر هذا الهدف في تسميات متنوعة، بصورة شبه منتظمة (=) في إطارها (المراحل الاولى والثانية والثالثة والخامسة).

فكيف نفسر أن هدف «الحرية» بمعنى «الاستقلال» و«التحرر» يقترن بالقومية العربية؟ فالقومية العربية كحركة من أجل الوحدة العربية لا تستطيع تحقيق هذه الوحدة إلا إذا كان كل بلد عربي متحررا ومستقلا: تحرير البلدان العربية هو شرط مسبق لتوحيدها.

وهنا أيضا ينطلق عبد الناصر من مصر أولا، أي من المستوى المحلي ليتسّع بعد ذلك إلى المستوى العربي. وفي المرحلة الاولى يقرن عبد الناصر استقلال مصر («استقلالنا») بالقومية العربية ثم بـ «استقلال» وبـ «حرية» كل بلد عربي (المرحلتان الأولى والثانية). وفي المرحلة الثانية يقرن هدف أو عقيدة «الحياد الايجابي» بعقيدة

القومية العربية، إذ أن الحياد الايجابي يسمح بتعزيز استقلال مصر وكل بلد عربي على الصعيد الدولي. ولا يقوم عبد الناصر بالتعميم على المستوى القومي العربي إلا أثناء المرحلة الثالثة: تصبح الحرية، «الحرية العربية» هذف القومية العربية. ويعبر عبد الناصر عن هذه «الحرية العربية» مستخدما مفردات أكثر تخصيصا أثناء المرحلة الخامسة. وللمرة الاولى استخدم مفهوم «السيادة العربية» كهدف للقومية العربية، وهو مفهوم لم يستعمله أبدا على المستوى المحلي والوطني واحتفظ به اذن للمستوى القومي العربي: وهذا يعني أن «السيادة» في المفهوم الناصري، لا يمكن أن تكون الآ سيادة «الأمة» العربية بكاملها.

ويرتسم التطور التالي على مستوى دوافع «القومية العربية»: ينطلق عبد الناصر من دوافع تتصل بمصر (المرحلتان الاولى والثانية) إلى دوافع مشتركة بين كل العرب (المرحلة الثالثة)، وتكون نظرته إلى دوافع القومية العربية أولا عاطفية وأخلاقية («كرامتنا» «عزّة مصر»: المرحلة الأولى) ثم تصبح أكثر عقلانية ومتصلة بالمصالح الوطنية والقومية («المصلحة الوطنية الكبرى»: المرحلة الثانية، «المصلحة العربية»: المرحلة الثالثة).

٢ ـ نضالات القومية العربية وأعمالها

قمنا في القسم ألف ـ ١ بتحديد نضالات القومية العربية، من حركات وثورات منسوبة إليها، لكي نستخلص سمّة الحركة من مفهوم القومية العربية. سنقتصر هنا على إعادة تصنيف هذه الخاصيات والمشاركات العائدة للقومية العربية:

جدول رقم (٣١)

نضالات «القومية العربية» في الخطاب الناصري

الدلالة	الصلات
(٠) معركة (المرحلتان الثانية والثالثة)	«معارك القومية العربية» (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨). «معركة القومية العربية» (آب/ أغسطس ١٩٦٣). «معركة الشعب المصري» (آب/ أغسطس ١٩٦٣). «معركة الجيش» (آب/ أغسطس ١٩٦٣).
(٠) حركة تحرر	«حركة التحرر العربية» (١٩٥٦).

تابع / جدول رقم (٣١)

(المرحلتان الأولى والثانية)	«حركة التحرر في الوطن العربي» (تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٥٨).
(٠) ثورة (المراحل الثانية والخامسة والسادسة)	«الثورة العربية» (تموز / يوليو ١٩٦٠). «النضال العربي» (شباط/ فبراير ١٩٦٧). «الثورة الاجتماعية» (تموز / يوليو ١٩٦٠). «الثورات التقدمية» (تموز/ يوليو ١٩٧٠).

ولقد صنفنا الأفعال التي تقوم بها القومية العربية كحركة إنطلاقا من أكثر هذه الأعمال عمومية إلى أكثرها خصوصية، وميزنا بين الأعمال التي انتهت أو التي لم تنتهِ بعد، وكذلك بين الأعمال الايجابية والأعمال السلبية للقومية العربية:

جدول رقم (٣٢ ـ أ)

أعمال « القومية العربية » في الخطاب الناصري

الأعمال الايجابية	
التي انتهت	التي لم تنته بعد
(ـ) « ظهرت بعد تهديد مصر» (١٩٥٦)	(ـ) «تتحقق حقا اليوم» (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨)
«لم تكن ظاهرة ولم تكن موجودة سنة ١٩٥٢» (١٩٥٦)	«ترتفع علنا دعوتها في العراق» (شباط / فبراير ١٩٦٧)
«أصبحت حقيقة واقعة» (شباط/ فبراير ١٩٥٨)	«تشعر بوجودها » (١٩٥٦)
«اشتعلت من المحيط إلى الخليج» (١٩٥٦)	«تعرف طريقها» (١٩٥٦)
«استيقظت» (١٩٥٦)	(٠) «تسير إلى الامام »
«امنت بنفسها وبقوتها» (١٩٥٦)	«تتقدم»
(٠) «شقت مجرى ذلك التيار الوحدوي وحددت له خط سيره» (شباط/فبراير ١٩٥٨)	«تتم»

تابع / جدول رقم (٣٢ ـ أ)

«تنتصر» (١٩٥٦)	«دخلت معارك» (تشرين الثاني ١٩٥٨)

الأعمال السلبية	
التي لم تنته بعد	التي انتهت
(١) «تمرّ بأشد ظروفها ضراوة وقسوة» (آب ١٩٦٣)	(١) «منعتهم من ان يضمّوا إلى حلف بغداد أي دولة عربية» (١٩٥٦) «استطاعت أن تهزم فرنسا وحلفائها دول الأطلنطي أشد الهزائم» (١٩٥٦)

نستخلص من الجدول رقم(٣٢ ـ أ) الذي يمثّل تصوّر عبد الناصر لأعمال القومية العربية كحركة، الملاحظات التالية:

ـ أثناء المرحلتين الاولى والثانية (من عام ١٩٥٦ لغاية ١٩٦٠) كان حقل عمل القومية العربية الأكثر تطورا. وتتوافق هاتان المرحلتان مع التطور الاقصى لحقل دلالة القومية العربية في الخطاب الناصري. وفيما بعد، ابتداء من عام ١٩٦٠ ولغاية عام ١٩٦٧ حل محلها مفهوما «الثورة العربية» و«الامة العربية».

ـ إن معظم الأعمال المنسوبة إلى القومية العربية هي أعمال إيجابية. وأكثرها تكرارا لا تعتبر أعمالا بكل معنى الكلمة، بل أفعال حال تدلّ على ظهور ووجود ووعي الحركة القومية أثناء المرحلتين الأولى والثانية. أما الأعمال الحقيقية المنسوبة إلى القومية العربية فهي أعمال تُنسب عادة لأي حركة نضال سياسي: رسم الطريق (او المسار)، التقدم، النضال، تحقيق النصر.

أما الافعال المضادة الوحيدة المنسوبة إلى القومية العربية فهي أفعال مقاومة حصلت: إفشال حلف بغداد وإلحاق الهزيمة بفرنسا في الجزائر. وبامكاننا أن نرسم على مستوى أعمال «القومية العربية» الصورة التالية: إنطلاقا من أعمال مقاومة حسّية مكللة بالنجاح (المرحلة الاولى: حلف بغداد، وحرب الجزائر)، تظهر حركة القومية العربية وتوجد وتدرك نفسها وتتحقق وتتأكد (المرحلتان الاولى والثانية). ثم ترسم

طريق الاتجاه الوحدوي وتتقدم وتخوض المعارك وتنتصر (المرحلة الثانية) وتمر بأصعب الاوقات بعد انفصام الجمهورية العربية المتحدة (المرحلة الثالثة)

- إن الافعال التي أنجزتها حركة القومية العربية هي وحدها أعمال محددة وحسيّة (حلف بغداد، حرب الجزائر، الوحدة السورية المصرية). وكل الافعال الجارية في الحاضر هي غير محددة، وليس هناك أي عمل مرتقب للمستقبل. هذا يعني أن عبد الناصر لا يرتقب مسبقا أي فعل ينسبه إلى حركة القومية العربية، وحتى الافعال الجارية المنسوبة إليها هي غير محددة. وهذا يبين الطابع العفوي لتصوره لحركة القومية العربية: حركة قومية مستخلصة من نضالات الجماهير العربية، وهو لا يتدخل فيها إلا من أجل تحفيزها وتشجيعها والاسهام فيها، ولكنه لا يحاول تنظيمها ولا يحدد لها برنامج عمل. ونستنتج من ذلك أن تصوره للحركة القومية كان عفوياً في الفترة التي سبقت عام ١٩٦١. وقد حاول أن يعالج هذا الوضع بعد الانفصال بوضعه في أيار / مايو ١٩٦٢ برنامج عمل لمصر ولمجمل الوطن العربي في ميثاق العمل الوطني الصادر في ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢، وبتبني مفهوم «الثورة العربية» الذي حلّ تدريجيا محل «القومية العربية».

جيم - القوى والافعال المساعدة والمعاكسة للقومية العربية

تحتوي شبكة الأفعال في حقل دلالة القومية العربية أعمالاً إيجابية وسلبية تُمارَس على القومية العربية. وسنطلق اسم القوى المساعدة على القوى أو الكيانات المتصلة بالقومية العربية التي تقوم معها أو تمارس عليها تأثيرات إيجابية، أو التي تتلقى معها ذات الافعال. أما القوى المعاكسة فهي القوى أو الكيانات المناهضة للقومية التي تعمل ضدها أو على العكس، تتحمل نتائج عملها.

١ - القوى والأفعال المساعدة

أ - القوى المساعدة والكيانات المشاركة للقومية العربية: لقد صنفنا هذه القوى والكيانات في جماعات وفئات سياسية إجتماعية، وقوى فردية وشخصيات سياسية:

جماعات:

محلية:

(.) «شعب سورية طليعتها ورأس الحربة في اندفاعها» (شباط / فبراير ١٩٥٨).

«الشعب العربي في دمشق قاعدة لها» (١٩٦١).

(.) «هذه الجمهورية العربية المتحدة قلعة ودرع لها» (تشرين الاول / أكتوبر ١٩٦١)
«شعب الجمهورية العربية المتحدة» (تموز / يوليو ١٩٦٣).
«إحنا قاعدة القومية العربية» (تموز / يوليو ١٩٦٣).
(.) «الشعب في لبنان» (شباط / فبراير ١٩٥٨).
«الشعب السعودي» (شباط / فبراير ١٩٥٨).
«الجماهير الثائرة في ليبيا» (كانون الثاني / يناير ١٩٧٠).
قومية عربية:
(.) «الشعوب العربية» (١٩٥٦).
«العرب» (١٩٥٦).
(-) «الامة العربية كلها» (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، ١٩٦٨، كانون الثاني / يناير ١٩٧٠، تموز / يوليو ١٩٧٠).
(.) «المجتمع القومي» (١٩٦٨).

- فئات سياسية: مجموعات ومؤسسات وأحزاب.

(.) «المجاهدون في الجزائر» (١٩٥٦).
«هذه القوة القومية العربية (البعث)» (تموز / يوليو ١٩٦٣).
«قواتنا المسلحة» - «الجيش المصري» (تموز / يوليو ١٩٦٣).
(.) «الوطنيون العرب» (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨).

- قوى فردية:

المخاطِب:
(-) «نحن»
«أنفسنا» (المرحلتان الاولى والثانية)
المخاطَبون:
(.) «أنتم» (المرحلة الاولى).

وأثناء فترة نهوض مفهوم «القومية العربية» (المرحلتان الاولى والثانية)، فإن القوى الرئيسية المساعدة لها هي مجموع الجماعات القومية: «الشعوب العربية» و«العرب» و«الامة العربية». ومن بين الجماعات القومية يحتل شعبان عربيان مكانة خاصة: «شعب سورية» و«شعب الجمهورية العربية المتحدة» (مشيرا إلى الشعبين السوري والمصري مجتمعين) هما «قاعدة» و«طليعة» و«درع» و«قلعة» القومية العربية. وبعد انفصام الوحدة السورية - المصرية (١٩٦١)، تبدل الوضع ولم تعد الجماعات العربية في عداد القوى المساعدة للقومية العربية وأصيبت حركة القومية العربية بالارهاق وتراجعت على الصعيد العربي. ومن حينه أصبحت عبارة «نحن» أي الزعامة الثورية الناصرية، وعبارة «الشعب العربي» في دمشق لهما الدور الأساسي في القومية العربية. ويضاف اليهما «شعب الجمهورية العربية المتحدة» المنحصـر في مصر والقوات المسلحة المصرية، التي توجهت باسم القومية العربية لدعم ثورة اليمن (المرحلة الثالثة)..

فالدور الاساسي إذن موكول لمصر: زعامة وشعب وجيش. وقد برّر عبد الناصر هذا الدور بالقول:

«لان احنا عرب واحنا قاعدة القومية العربية وانطلاق القومية العربية»[٦٦].

والقوات المسلحة المصرية هي أداة هذه القاعدة:

«كنا نشعر أن واجبنا القومي يحتم علينا أن نساند الشعب اليمني (.) في تثبيت حقه في الثورة ضد العدوان الرجعي المؤيد بالاستعمار (...) ولم يتردد في هذا أبناء وأفراد القوات المسلحة (التي) شرفتنا... في الدفاع والتضحية عن القومية العربية في اليمن»[٦٦].

ومرّت القوى المساعدة «للقومية العربية» أثناء المرحلتين الرابعة والخامسة في فترة هبوط توافقت مع الهبوط الاجمالي لحقل دلالتها. وعندما لجأ عبد الناصر من جديد بعد هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ إلى مفهوم القومية العربية، تغيّرت طبيعة القوى المساعدة. لم تعد هذا الشعب العربي أو ذاك ولا حتى الزعامة المصرية بل أصبحت «الامة العربية» بكاملها هي الكيان الوحيد المشارك «للقومية العربية». وهذا ما يعكس جهود الحشد القومي الشامل الذي قام به عبد الناصر أثناء هذه المرحلة. وفي خطابه بتاريخ ٢٥ نيسان / أبريل ١٩٦٨ في جامعة القاهرة، عطف مفهوما جديدا هو

---

(٦٦) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٢ » ، ص ٥٩٤ .

«المجتمع القومي» الى «القومية العربية». ويدل هذا الاستعمال على نضوج جديد للتصور القومي عند عبد الناصر، لانه اثناء مخاطبته المثقفين دعاهم إلى تعميق المعرفة العلمية لـ «المجتمع القومي العربي» وندد بالمقاربات السطحية:

«وقلت أن المثقف ممكن ان يلتزم بالنسبة لمصلحة طبقته كالعامل النقابي، وقد يتسع التزام المثقف فيكون التزام اشمل وأعم إلى الحدود الوطنية والقومية». (. . .) «لما نتكلم عن المجتمع القومي نجد أيضا المجتمع القومي بالنسبة لقوميتنا العربية مليء بالتفاصيل المعقدة التي لا يمكن بدون تحليلها أن نخرج بصورة صحيحة للعمل الذي ينبغي أن نقوم به في مرحلة معينة (. . .) التفكير العلمي يسهل إيضاح واستيعاب هذه الامور، والاهتمام بالتفاصيل هو الذي يفرق النظرة العلمية للامور عن النظرة السطحية لها»[٦٧].

ب ـ الافعال المساعدة للقومية العربية

إن الافعال المساعدة التي تمارس تأثيرها على القومية العربية يمكن، بالنظر لعدم دقتها، أن تنطبق على سميّات «القومية العربية» الثلاث:

إن الفعل الرئيسي الذي يظهر في أغلب الاحيان في إطار القومية العربية هو «الدفاع عنها». ويدلل عبد الناصر بذلك على إدراكه لضعف القومية العربية كحركة أو كقومية أو عقيدة، مع أن الأفعال التي ينسبها إليها تدل بالأحرى على العكس (الحماس، التقدم، النضال النصر). وقد دعا في نفس الاتجاه إلى «العمل من أجل القومية العربية».

ومن المهم ان نشير، فضلا عن ذلك، إلى رؤيته غير الفئوية للقومية العربية، لأنه في معرض تذكيره بأحداث عام ١٩٥٨ في لبنان وضع عبد الناصر في صف واحد «أولئك الذين ماتوا وهم في صفوف الثورة» و«أولئك الذين ماتوا لانه غُرّر بهم»: «كلهم ضحوا بدمهم في سبيل لبنان وفي سبيل العروبة وفي سبيل القومية العربية»[٦٨].

---

(٦٧) « خطاب الى المثقفين بجامعة القاهرة لشرح بيان ٣٠ مارس ، ٢٥ ابريل ١٩٦٨ » ، وثائق عبد الناصر ١٩٦٧-١٩٦٨ ، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

(٦٨) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٥١ .

جدول رقم (٣٢ - ب)

الافعال المساعدة للقومية العربية

الدلالة	أفعال إنتهت	أفعال لم تنته بعد
الدفاع عنها (=)		«كلنا سندافع عنها» (١٩٥٦-٦١، تموز ١٩٦٣) «الدفاع عنها»(المرحلة الثانية) «الشعب يدافع عنها» (شباط ١٩٦٧) «من أجل أن يدافعوا ويضحوا عنها» (تموز ١٩٦٣)
العمل والنضال من أجلها (-)	«كافح من أجلها الأجداد» (المرحلة الثانية)	«كلنا نعمل من أجلها» (١٩٥٦، شباط ١٩٥٨، يوليو ١٩٦٣) «سنعمل دائماً من اجلها» (يناير ١٩٧٠)
الاستشهاد من أجلها (-)	«استشهد، وهب روحه من أجلها» (١٩٥٦) «كلهم استشهدوا في سبيل لبنان والقومية العربية»(نوفمبر ١٩٥٨) «بذلوا من أجلها الروح والدم» (آب ١٩٦٣) .	
تدعيمها (.)		«لنرسيها سوياً» (١٩٥٦) «لتثبيت أسسها» (شباط ١٩٥٨)
مساندتها (.)	«رفع رايتها» (١٩٦١)	«يعلن تأييده لها» (١٩٦١)

٢ ـ القوى والافعال المعاكسة للقومية العربية

أ ـ القوى والوسائل المعاكسة للقومية العربية

إن شبكة القوى المعاكسة للقومية العربيةهي أكثر تطورا من القوى المساعدة لها. وسنميّز بين القوى الخارجية والقوى الداخليه ووسائل المقاومة: أساليب وأدوات.

(١) القوى المعاكسة للقومية العربية:

جدول رقم (٣٣)

القوى المعاكسة «للقومية العربية» في الخطاب الناصري

داخلية:	خارجية:
(غير محدّدة)	
(=) «عملاء الاستعمار» (١٩٥٦) «صنائع الاستعمار» (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) «أعوان الاستعمار» (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، ١٩٦٢) «الرجعية» (تموز / يوليو ١٩٦٣) «الخائن» (تموز / يوليو ١٩٦٧)	«الاستعمار» «الدول الاستعمارية» «قوى الإستعمار» (المراحل الأولى والثانية والثالثة والسادسة)
(محدّدة)	
(٠) بعض الحكام العرب (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) بعض الأحزاب العربية (تموز / يوليو ١٩٦٣) «الانفصاليون» (تموز / يوليو ١٩٦٣)	(−) «إسرائيل» (١٩٥٥ ـ ٥٦ ـ ٦٨.) «الصهيونية» (١٩٦٨) «الصهاينة» (١٩٥٥) «قوى الصهيونية» (١٩٥٥) (٠) أمريكا» (١٩٥٦) «فرنسا» (١٩٥٦)

تابع / جدول رقم (٣٣)

« الحكومة الشعوبية في العراق » (شباط / فبراير ١٩٦٧)	« انكلترا » (تشرين ٢ / نوفمبر ١٩٥٨ »)
« حكم عبد الكريم قاسم » (شباط / فبراير ١٩٦٧)	« زعماء العالم الحر » (١٩٥٦) « دول الأطلنطي كلها » (١٩٥٦)

يتبين من الجدول رقم (٣٣) أن الأعداء الخارجيين لا يقلّون عددا عن الأعداء الداخليين، ولكن الأعداء الداخليين لا يتم تحديدهم إلا بالنسبة للأعداء الخارجيين.

(أ) **الأعداء الخارجيون**: إن الاستعمار، وليس إسرائيل، هو العدو الرئيسي للقومية العربية. ولا تظهر إسرائيل والصهيونية إلا أثناء المرحلتين الأولى والسادسة، في حين أن الاستعمار والقوى التي يتألف منها تظهر بانتظام في الفترات الاولى والثانية والثالثة والسادسة. وتظهر إسرائيل والصهيونية على أنهما خاضعتين للاستعمار : « إسرائيل صنيعة الاستعمار التي خلقها ليقضي على قوميتنا كما قضى على فلسطين »(تموز / يوليو ١٩٥٦ ، المرحلة الأولى) .

وأثناء المراحل الثانية والثالثة والرابعة والخامسة لم تعد إسرائيل تذكر في عداد أعداء القومية العربية، واحتل الاستعمار المجال بكامله. ولم تعد إسرائيل والصهيونية تظهران في عداد الأعداء إلا أثناء المواجهة الاسرائيلية ـ العربية في حزيران / يونيو ١٩٦٧ . وقد استخلص عبد الناصر العبر من حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ فوضع إسرائيل والصهيونية هذه المرة على قدم المساواة مع الاستعمار. ويبدو انه شدّد على دور إسرائيل بالنسبة إلى القومية العربية، فاستند في تحديده للأعداء الداخليين للقومية العربية على تصرف إسرائيل وليس على الارتباط بالاستعمار:

«حينما نتكلم عن الوطنية العربية أو القومية العربية يجب أن ننسى في هذه المرحلة مفاهيم أخرى كثيرة. الوطني اليميني كالوطني اليساري. لان اسرائيل حينما احتلت الضفة الغربية للاردن لم تفرق بين الوطني اليميني وبين الوطني اليساري طالما كان كل منهما وطنيا. وهناك فرق بين الوطني وبين الخائن الذي يسلم في بلده وفي أمور بلده»[٦٩].

فالاعداء الداخليون الوحيدون «للقومية العربية» أثناء هذه المرحلة هم إذن

---

(٦٩) « كلمة ١٥ نيسان / ابريل ١٩٦٨ ، » ص ٣٩٨ .

«الخائن» و«أعوان الاستعمار». وتجدر الاشارة أخيرا إلى أنه منذ المرحلة الاولى (١٩٥٦) وردت في عداد الدول الاستعمارية المضادة « للقومية العربية » ، « أمريكا » على قدم المساواة مع «فرنسا» و«إنكلترا» و«كل دول حلف الاطلنطي». ولم تصبح « الامبريالية الأمريكية » بين أعداء « الأمة العربية » إلا في المرحلة السادسة . فما هو سبب ذلك ؟ أراد عبد الناصر دائماً ـ برأينا ـ أن يبقى على علاقات ولو متوتّرة مَع الولايات المتحدة الأمريكية . وقد اعتبر إذن أن تصرفات هذه الدولة الكبرى ضد مصر والوطن العربي (الرفض المتكرر لبيع الأسلحة إلى مصر ، ومبدأ أيزنهاور ، وتسليح إسرائيل ، والتهديدات والضغوط السياسية والاقتصادية ضد مصر أثناء دورها في مساندة ثورة اليمن) لم تكن إلا أفعالاً معاكسة لحركة « القومية العربية » وليس « للأمة العربية » . ولو كانت معاكسة للأمة العربية لكانت أكثر خطورة ، وكان من الممكن أن تؤدي إلى القطيعة الكاملة معها . وقد اتخذ عبد الناصر الموقف نفسه من فرنسا وبريطانيا أيضاً . إلا أن عبد الناصر اعتبر إسرائيل والصهيونية وحدهما منذ المرحلة الثانية عدوين « للأمة العربية » .

(ب) **الاعداء الداخليون**: إن الشيء الملاحظ في هذا المجال هو عدم تحديد الاعداء الداخليين في اغلب الاحيان وخضوعهم للعدو الخارجي. وفي الواقع، فإن عبد الناصر لم يأتِ على ذكر هؤلاء إلا بالاشارة إلى الاستعمار: إنهم «أتباعه» و«عملاؤه أو صنائعه». ولم تطلق عليهم تسمية سياسية خاصة بهم ـ «الرجعية» ـ إلا أثناء المرحلة الثالثة: فترة اتباع السياسة الجذرية التي أعقبت إنفصام الوحدة في عام ١٩٦١. وليس «للقومية العربية» أعداء إجتماعيون داخليون، خلافا لمفهوم «الثورة العربية» الذي أعقبها. وحتى عندما يجري تحديد هؤلاء الأعداء صراحة، فإن هؤلاء الأعداء هم قوى أو شخصيات سياسية عربية. وإذا كان للقومية العربية كحركة وكعقيدة بُعْدٌ اجتماعي (كما رأينا في الفقرة (أ) من ١ـ)، فليس لها بالمقابل إلاّ أعداء سياسيين. وعندما تخلّى عبد الناصر عن استعمال القومية العربية ولجأ إلى استعمال مفهوم «الثورة العربية» أثناء المرحلة الثالثة، تجذّرت نظرته وأدخل الأعداء الاجتماعيين «الاستغلال وسيطرة رأس المال»، في عداد القوى المعاكسة للثورة القومية: (أنظر الفقرة ج من ١ ـ ، في المقطع ألف).

والاتهام الذي ساقه عبد الناصر ضد نظام عبد الكريم قاسم في العراق، الذي رفض في عام ١٩٥٨ الانضمام إلى الوحدة السورية ـ المصرية ، بأنه «شعوبي»، ينبغي

ان يفهم بمعناه الحديث أي معادٍ للوحدة القومية. وتحالف نظام عبد الكريم قاسم مع الشيوعيين العراقيين وحصنوله على دعم الاتحاد السوفياتي قد اعطى الاتهام «بالشعوبية» معنى إضافيا هو الخروج على الأمة العربية. وقد اعتمدنا من أجل تحديد معنى «شعوبي»، ليس على الخطاب الناصري لأنه لا يتضمن أية اشارة واضحة إلى هذا الموضوع، بل على دراسة وضعها س. حنا وج. غاردنر (S. Hanna and G. Gardner) حول المعاني القديمة والحديثة لمفهوم الشعوبية في قاموس المفردات السياسية العربية المعاصرة[٧٠]

جدول رقم (٣٤)

الوسائل المضادة لـ« القومية العربية » في الخطاب الناصري

الأساليب :	الأدوات
غير محدّدة	
(٠) « المؤامرات » (١٩٥٦) « حملات استعمارية » (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) « وسائل ضدها » (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨)	
محدّدة	
(٠) « حلف بغداد » (١٩٥٦) « الانفصال ، مؤامرة الانفصال الرجعية الاستعمارية » (تموز / يوليو ١٩٦٣) « ضغوط سياسية وإقتصادية من أمريكا » (١٩٦٥) « الضغط الاقتصادي والتهديد الأمريكي » (شباط / فبراير ١٩٦٧) .	« قوات حلف الأطلنطي » (١٩٥٦) « جيوش الدول الاستعمارية » (١٩٥٦) « جرائد الدول الاستعمارية » (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨)

(٧٠) S.Hanna and G. Gardner,«Al-Shu'ubiyya Up-Dated,AStudy of the 20'th Century Revival of an 8 th Century Concept,»**Middle East Journal**,vol.20,no.3 (Summer 1966) pp.335-338.

(٢) الوسائل المضادة للقومية العربية:

ولم يخلل عبد الناصر كثيراً الوسائل المستخدمة من قبل القوى المعاكسة ضد «القومية العربية». والفعل الوحيد المنسوب إلى الأعداء الداخليين الذين يعملون بالتنسيق مع الاستعمار، هو الانفصال في عام ١٩٦١. وهذه الاساءة إلى الوحدة القومية، الهدف الرئيسي للقومية العربية يعتبرها عبد الناصر من نوع «المؤامرة». أما كل الأساليب والادوات الأخرى فهي من فعل العدو الخارجي: مؤامرات وحملات غير محددة في معظمها، والأساليب الوحيدة التي وضّحها عبد الناصر هي حلف بغداد والضغوط والتهديدات الأمريكية ضد مصر. فهل نتوصل إلى قدر أكبر من الدقة في تحليل الأفعال التي تقترفها القوى المعاكسة ضد القومية العربية؟

ب ـ الافعال المعاكسة للقومية العربية

مع أن أعداء القومية العربية يتميّزون كما رأينا، بكثرتهم، فإن أعمالهم ضد القومية العربية ضئيلة إلى حد ما. فهي تتلخص في «محاربة» القومية العربية ماضيا

جدول رقم (٣٥)

الأفعال المضادة « القومية العربية » في الخطاب الناصري

الدلالة	أفعال لم تنته بعد	أفعال إنتهت
مكافحتها (٠)	«يحاربونها في الجزائر» (١٩٥٦)	«أراد أن يحاربها» (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٨) «حاربها» (شباط/ فبراير ١٩٦٧).
قول السوء فيها (٠) والانزعاج منها	«بدأ الاستعمار ينزعج منها» (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨) «يتكلموا ضدها» (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨)	
تصفيتها (٠)	«هدفه أن يقضي عليها» (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨)	

وحاضرا، والانزعاج منها وقول السوء فيها وإرادة تصفيتها. وبالنظر لعدم دقة هذه الأفعال فيمكن ان تطبق دون تمييز على السميّات الثلاث للقومية العربية.

وبنهاية هذا التحليل للقوى والافعال المساعدة والمعاكسة للقومية العربية نلاحظ ما يلي:

ـ إن مفهوم «القومية العربية» عند عبد الناصر هو مفهوم شعبي، لأن قواه المساعدة الرئيسية هي الشعوب العربية في مجملها أو على الوجه الأخص الشعبان المصري والسوري. ولكن هذه الحركة لا تقتصر في التصور الناصري على شعوب المشرق، لأن شعبي الجزائر وليبيا اشتركا في هذه الحركة في هذه المرحلة أو تلك، عندما انبثقت لديهما حركة التحرير الشعبية.

ـ إن «القومية العربية» بالنسبة لعبد الناصر هي حركة وتصوّر قومي معاد بالدرجة الأولى للاستعمار (وبالدرجة الثانية للصهيونية: المرحلتان الاولى والسادسه). ولا يحدد عبد الناصر الأعداء الداخليين للقومية العربية إلا نسبة إلى الاستعمار. وأعداؤ ها السياسيون هم قلة ضئيلة، وليس لهم أي عمل خاص ضدها سوى «مؤامرة» الانفصال.

ـ يعتبر عبد الناصر حركة القومية العربية كحركة قومية إيجابية ودفاعية بالدرجة الاولى. وأفعالها ضد الاستعمار هي أفعال دفاعية بصورة أساسية ولكنها «تمنع» العدو الخارجي من تحقيق مخططاته و«تحبط» مؤامراته. وفي المقابل يرى عبد الناصر أن الأفعال المعادية للقومية العربية هي أفعال هجومية للغاية لأنها ترمي إلى «تصفيتها».

ـ المفهوم العفوي للقومية العربية: بما أن عبد الناصر رأى في القومية العربية حركة شعبية غير منظمة، فإنه يحاول ضبطها بتحديد عقيدتها وإنشاء تنظيم لها: «الاتحاد القومي» (المقصور على الجمهورية العربية المتحدة وعلى مرحلة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١). ولكن حقل دلالة القومية العربية لا يعكس هذا الجهد، إذ أن الأهداف التي نسبها عبد الناصر إلى القومية العربية كعقيدة بقيت أهدافا عامة والأفعال المرتقبة منها لم تحدّد بوضوح. وحدها الأفعال الناجزة التي حققتها الحركة الشعبية العفوية هي أفعال محددة. وتبقى الافعال المطلوب من القوى المساعدة للقومية العربية القيام بها أفعالاً دفاعية وعامة («العمل من أجلها»).

ـ عدل عبد الناصر في نهاية الامر عن فكرة بلورة عقيدة القومية العربية. فطوّر عوضا عن ذلك مفهوم «الوحدة العربية» وبدأ التفكير بمفهوم «الثورة العربية» الجديد، الذي أدخله في نهاية المرحلة الثانية وطوّره على الأخص أثناء المرحلتين الثالثة والخامسة، عوضا عن مفهوم «القومية العربية» الذي طواه النسيان. وحاول أن يضع

لـ «الثورة العربية» استراتيجية مركّزة على «وحدة القوى الثورية» في الوطن العربي.

وبعد أن بحثنا ظهور مفهوم القومية العربية في الخطاب الناصري وحللنا هذا المفهوم بالتفصيل على الصعيدين التزامني والتعاقبي، بقي علينا أن ندرس الماضي التاريخي لمفهوم القومية العربية في الخطاب الناصري.

ثالثاً: الماضي التاريخي للقومية العربية في الخطاب الناصري

خلافاً لمفهوم «الامة العربية» فإن مفهوم «القومية العربية» لم يذكر سوى مرّات قليلة في التاريخ الماضي الذي سبق ثورة عام ١٩٥٢ (في خطابين من العينة المختارة، خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ وميثاق ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢) . فما هو الماضي التاريخي الذي ترد إليه « القومية العربية » ؟ وهل تتمتع القومية العربية المشار إليها في الماضي بخصائص القومية العربية بعد عام ١٩٥٢ ؟

ألف - الماضي التاريخي للقومية العربية

يرجع عبد الناصر «القومية العربية» إلى ماض بعيد للغاية، فيشير إليها في كل من القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر، أيام الصليبيين بالعبارات التالية:

«هدف الاستعمار أن يقضي على القومية العربية، هدف قديم منذ القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر ومنذ جاءت الحروب الصليبية تتنكر تحت اسم الدين ولم يكن هدفها إلاّ القضاء على القومية العربية»[٧١].

وفي الخطاب نفسه أشار عبد الناصر إلى القومية العربية في ماض أحدث عهداً، في نهاية القرن الثامن عشر، أيام حملة نابليون بونابرت على مصر،

«ولما جاء نابليون هنا أيضا ودخل مصر ووصل إلى عكا وهزم أمام عكا: كان ايضا يريد أن يقضي على القومية العربية ويخضعها..»[٧٢]. وفي مشروع الميثاق بتاريخ ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢، الذي قدمه عبد الناصر، تكرست علاقة القومية العربية بالماضي الذي يسبق عام ١٩٥٢، مع أن المقصود في هذه المرة هو الماضي الحديث، بداية القرن العشرين:

«إن أحد أسباب انتكاسة ثورة ١٩١٩ هو أن القيادات الثورية في ذلك الوقت لم تستطع أن تمدّ

(٧١) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، ص ٦٠ - ٦١.
(٧٢) المصدر نفسه، ص ٦١.

بصرها عبر سيناء، وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية. ولم تستطع أن تستشفّ من خلال التاريخ انه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية وبين القومية العربية(.) ومن هنا فإن قيادات الثورة لم تنتبه إلى خطورة وعد بلفور الذي أنشأ إسرائيل لتكون فاصلا يمزّق امتداد الأرض العربية»[73] .

وهكذا إذن يتحدث عبد الناصر عن القومية العربية في حقبة الصليبيين وأيام حملة نابليون على مصر وثورة عام ١٩١٩ في مصر وكذلك أيام وعد بلفور في عام ١٩١٧ الذي مهّد السبيل لانشاء دولة إسرائيل في فلسطين. ولكنه لا يتحدّث عن «القومية العربية» أو «العروبة» أيام الازمنة الاولى للاسلام، كما انه لا يأتي على ذكر القومية العربية أيام العثمانيين. فما هو اذن الرابط بين الاشارات الثلاث إلى القومية العربية في أوقات تاريخية متباينة ومتباعدة الواحدة عن الأخرى؟ إن ما يربط بين هذه اللحظات التاريخية الثلاث هو هجوم الغرب ضد القومية العربية: الهجوم الاول هو هجوم الغرب الاقطاعي مع الصليبيين من القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر، الذي كان هدفه القضاء على القومية العربية، والهجوم الثاني هو هجوم الغرب البورجوازي والاستعماري إبان الثورة الفرنسية مع حملة بونابرت إلى مصر، والهجوم الثالث هو هجوم الغرب الامبريالي الذي، من خلال وعد بلفور، سمح لاسرائيل بأن تستعمر فلسطين . ويرى عبد الناصر أن الهجمات الثلاث قد استهدفت أمراً واحداً : تصفية القومية العربية . وهذا ما يفسر ويؤكد الطابع المعادي للاستعمار والدفاعي بالدرجة الأولى لمفهومه للقومية العربية وهو مفهوم ذو مفعول رجعي ينطوي على إعادة قراءة إنتقائية للتاريخ العربي .

وكون عبد الناصر يرجع «القومية العربية» إلى ماض بعيد يتعارض، على ما يبدو، مع ما أكّده في نفس الخطاب (٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) أن «القومية العربية» لم تكن موجودة في عام ١٩٥٢:

«القومية العربية لم تكن ظاهرة ولم تكن موجودة سنة ١٩٥٢» (الخطاب : ص ٤٤) .
«أعلنّا القوميّة العربية من أول ثورة ٥٢، وايه رأينا في القومية العربية ووحدة العرب»[74]

ولا يسعنا الافتراض بأن في ذلك تناقضاً، بل انه يعود إلى تعدد سميّات مفهوم

---

(٧٣) مشروع الميثاق، ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٧٤) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، ص ٤٤ و ٤٦ .

«القومية العربية» في الخطاب الناصري: إن ما يُنسب إلى الماضي يختلف عن ما كان غائباً في عام ١٩٥٢ حتى إعلانه من جانب الثورة.

باء ـ ما هي «القومية العربية» التي يرجعها عبد الناصر إلى الماضي؟

عندما يؤكد عبد الناصر أن الصليبيين (في القرن الثاني عشر)، ومن بعدهم نابليون (في القرن الثامن عشر)، كانوا يهدفون إلى «تصفية القومية العربية» و«القضاء عليها» و«إخضاعها» فباعتقادنا أنه يعني تصفية «القومية العربية» والقضاء عليها كهوية قومية أو «جنسية» وإخضاعها كجامعة قومية أو «جنس». فالذي ينسبه عبد الناصر إلى الماضي إذن هو سميّي «الجنس و«الجنسية» في مفهوم «القومية العربية».

ويبدو أن إشارته إلى ثورة ١٩١٩ تؤكد هذه الفرضية، والواقع أننا نعثر فيها على الخطوط الموازية التالية:

«القيادات الثورية... عجزت عن تحديد الشخصية المصرية، لم تستطع أن تمدّ بصرها عبر سيناء»	//	«ليس هناك صدام على الإطلاق بين الوطنية المصرية والقومية العربية».

إن مفهوم «القومية العربية» هنا يدلّ على فكرة الشخصية العربية والهوية العربية التي تكمّل «الشخصية المصرية» و«تحدّدها». وتدلّ عبارة «لم تستطع أن تمدّ بصرها عبر سيناء» على عنصر الوعي العربي الذي كان غائبا في ذلك الوقت. وتمتّ الشخصية العربية والوعي العربي بصورة جزئية إلى سميّة الهوية القومية لمفهوم «القومية العربية».

ويظهر من النص أن «الجنس» والجنسية العربية موجودان منذ تاريخ بعيد يتعدّى القرن العاشر. فما هو قصد عبد الناصر اذن بالقومية العربية التي «لم تكن ظاهرة وموجودة سنة ١٩٥٢» والتي «اعلنها في أول ثورة ٥٢»؟ ربما يقصد بذلك «القومية العربية» كحركة جماهيرية عربية شاملة تنادي بالوحدة، إلتفّت حول دولة عربية مركزية هي مصر، وواكبت ظهور وصعود الثورة الناصرية. أمّا ما «أعلنه في أول ثورة ٥٢» فهو إنتماء مصر إلى القومية العربية.

وهكذا إذن بينما يعيد عبد الناصر «القومية العربية» كهوية وجنس إلى ماض تاريخي بعيد، فإنه يعتبر أن «القومية العربية» كحركة هي ظاهرة حديثة.

وحينما يدعي المستشرق ج. موزيكار (J. Muzikar) أن القومية العربية في المفهوم الناصري «ليست ظاهرة حديثة» بل قديمة لانها« توازي قدم الامة العربية والاسلام»(٧٥)، فإنه لا يقول سوى جزء من الحقيقة لأنه لا يأخذ بعين الاعتبار تعدد سميّات القومية العربية في الخطاب الناصري. ومن جهة أخرى، فإن «الامة العربية» التي يعتبرها موزيكار أيضاً على ما يبدو ظاهرة محض «قديمة»، هي، كما لاحظنا في الفصل السابق، مفهوم ذي بعدين قديم وحديث في الخطاب الناصري.

وبعد أن حللنا مفهوم القومية العربية في الخطاب الناصري تجدر الاشارة إلى أن مجموعة كبيرة من المثقفين العرب أخذوا به وذلك حتى قبل قيام الوحدة السورية - المصرية في عام ١٩٥٨. وفي الواقع، فإن تحديد القومية العربية الذي اعتمده مؤتمر الكتّاب العرب الذي عقد في القاهرة بين ٩ و١٥ كانون الاول / ديسمبر ١٩٥٧ قريب إلى حد بعيد من المفهوم الناصري للقومية العربية. ونورد فيما يلي هذا التحديد:

«القومية العربية هي حقيقة نابعة من عمق الضمير العربي، وهي أيضا فكر وشعور كل عربي حيثما وجد. إنها تعبّر عن شخصية الامة العربية في تطلعاتها وحاجاتها ومصالحها كما تعبر عن الروابط التي نشأت بين أبناء العروبة بفضل التاريخ والتضامن والتراث الثقافي ووحدة اللغة ووحدة المصير. وهي تعبّر أيضا عن إرادة النضال من أجل تحرير وتوحيد الامة العربية، لكي تتمكن من المشاركة بشكل نشيط في بناء العالم المتحرر من مصائب الامبريالية (...). وهدف القومية العربية هو بناء مجتمع تقدمي يجسّد الحرية والعدالة الاجتماعية ويعبّر فيه الشعب عن إرادته. وترفض القومية العربية كل أشكال التعصب الطائفي والعنصري. وهدفها هو تأمين استقلال وسيادة الامة العربية وسلامتها»(٧٦).

وقد أشار مقرر المؤتمر ج. مونسيه (J.Monset) إلى أن الاتجاه الديني الذي كان حاضرا في المؤتمر، والذي أراد أن ينسب القومية العربية إلى الوحدة الاولى بين العرب التي حققها النبي محمد (ص) تحت راية الاسلام، وكذلك الاتجاه العرقي الذي كان يريد أن يقصر مفهوم القومية العربية على واقع الانتساب إلى جنس أو إتنية واحدة، لم يعبّرا إلّا عن رأي الاقلية، ولم يظهر أي عنصر من عناصرهما في التحديد النهائي لمفهوم القومية العربية الذي أقرّته الأكثرية في المؤتمر.

---

(٧٥) Muzikar, «Arab Nationalism and Islam,»P.204.

(٧٦) لقد أوردنا ترجمة هذا التعريف كما نشرهامونسيه في:
J.Monset,Orient,vol.2,no.5 (1958).

الفصل السادس

تحليل مفهوم «الوحدة العربية» في الخطاب الناصري



أولاً : ظهور وتطوّر مفهوم «الوحدة العربية» في الخطاب الناصري

ألف ـ ظهور مفهوم «الوحدة العربية»

كانت الوحدة السورية ـ المصرية في شباط / فبراير ١٩٥٨ بداية الاهتمام المتزايد الذي أخذ يحظى به مفهوم «الوحدة العربية» في الخطاب الناصري. فخلال المرحلة الاولى (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧) لم يكن عبد الناصر يشير إلى هذا المفهوم إلا فيما ندر. وفي الحالات التي كان يأتي فيها على ذكره كان ينطوي على معنى يختلف عن المعنى الذي اتخذه في عام ١٩٥٨.

وهكذا في عام ١٩٥٣، وفي معرض حديثه في «فلسفة الثورة» عن مشاركته في حرب فلسطين، كشف عبد الناصر أنه عندما وجد نفسه محاصراً في الفالوغا، شعر ولأول مرة بضرورة توحيد المعركة في كل المنطقة العربية :

«ولقد بدأت (..) أومن بكفاح واحد مشترك وأقول لنفسي : ما دامت المنطقة واحدة، ومشاكلها واحدة، ومستقبلها واحداً. والعدو واحداً مهما حاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة فلماذا نشتت جهودنا ؟»[1].

وعمل عبد الناصر، إعتباراً من عام ١٩٥٣ على إجراء إتصالات من اجل توحيد الكفاح على الصعيد العربي:

---

(١) جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة (القاهرة : وزارة الاعلام، ١٩٥٣)، ص ٥٠.

«ثم زادتني تجربة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو إيماناً بهذا الكفاح الواحد وضرورته (..) ولقد بدأت أخيراً في اتصالات سياسية من أجل توحيد الكفاح مهما كانت وسيلته (..) ولست أشك دقيقة أن كفاحنا الواحد يمكن أن يعود علينا وعلى شعوبنا بكل الذي نريده لها ونتمناه»[٣]

وفي عام ١٩٥٥ أثار عبد الناصر، ولأول مرة، مسألة الوحدة على الصعيد العربي في إطار الصيغة التالية:

«وقد كان ميثاق الضمان الجماعي تكميلاً وتتويجاً وتدعيماً لميثاق جامعة الدول العربية، كما يؤدي إلى توحيد خطط جيوشنا وتنسيق العمل بينها ويتناول التعاون الاقتصادي فيما بيننا جميعاً. وكان أملنا جميعاً أن ينبثق من هذه الرقعة العظيمة الغنية من الأرض دفاع خالص لأهلها يقوم به العرب وحدهم وكنا ولا زلنا نعتقد أن ذلك سيؤدي حتماً إلى أن نتحرر من سيطرة الاستعمار (..) وننتظر أن نجني في القريب العاجل ثماره مستقبلاً عظيماً ووحدة كاملة وقوة عربية خالصة»[٤].

بعد «وحدة الكفاح» أشار عبد الناصر إلى الوحدة الاستراتيجية بمعنى توحيد الجيوش العربية، إقامة نظام دفاع عربي مشترك وتعاون إقتصادي. وكان قد وقّع قبل أربعة اشهر - أي. في السادس من آذار / مارس ١٩٥٥ - مشروع قيادة موحّدة للجيوش بين مصر وسوريا والسعودية -؛ وقد جاء ذلك كرد على حلف بغداد الذي وقع بين العراق وتركيا في كانون الثاني / يناير ١٩٥٥ والذي انضمت اليه بريطانيا. وعليه فإن المعنى الذي أضفاه عبد الناصر على مفهوم «الوحدة العربية» خلال المرحلة الاولى، كان يعني الوحدة العربية العسكرية ووحدة الدفاع إزاء الاستعمار.

لقد أكّد محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير جريدة الاهرام شبه الرسميّة، المنطلق الاستراتيجي والدفاعي لمفهوم «الوحدة العربية» لدى عبد الناصر:

«إن القول إن عبد الناصر إكتشف البعد العربي بعدما حارب على أرض فلسطين هو الأقرب إلى الواقع (..) وعلى أرض فلسطين اكتشف حقيقة أساسية هي: الدفاع عن مصر مرتبط بالوضع في سوريا، وفلسطين هي التي تربط هاتين الحلقتين أي مصر وسوريا. وعلى أرض فلسطين تكونت لديه القناعة أن العالم العربي وحدة»[٥]

---

(٢) ربما يشير عبد الناصر الى اجتماع رؤساء اركان الجيوش العربية الذي عقد في ٢٥ آب / اغسطس ١٩٥٣ في مدرسة الاركان في القاهرة.

(٣) عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٥٠ - ٥١.

(٤) خطاب سياستنا الداخلية والخارجية، في ٢٢ يوليو ١٩٥٥ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.])، ص ٦٣ - ٦٤.

(٥) فؤاد مطر، بصراحه عن عبد الناصر، مقابلة مع محمد حسنين هيكل (بيروت: دار القضايا، ١٩٧٥)، ص ٩٩.

وبعد مرور عام، واستجابة لمبادرة مجلس النواب السوري في ٥ تموز / يوليو ١٩٥٦[٦]، القاضية بتكليف لجنة تتولى مفاوضة مصر وسوريا، قام عبد الناصر بتوسيع مفهومه «للوحدة العربية» فأعطاه دلالة تضامن سياسي واقتصادي، وجاء ذلك على النحو التالي:

«وأنا اليوم أيها المواطنون اتجه لأخوان لكم في سوريا العزيزة. وقد قرروا وأعلنوا أن يتحدوا معكم إتحاداً حراً كريماً، سليماً. لندعم سويا مبادىء الحرية والعزة والكرامة ولنرسي سوياً القومية العربية والوحدة العربية أقول لهم باسمكم إننا نرحب بكم أيها الاخوة (. .) سنسير معاً متحدين يداً واحدة وقلباً واحداً ورجلاً واحداً لنرسي مبادىء العزة الحقيقة ولنقيم بين ربوع الامة العربية استقلالاً سياسياً حقيقياً واستقلالاً اقتصادياً حقيقياً»[٧]

لم تكن استجابة عبد الناصر لنداء المجلس النيابي السوري على شكل إنضمام دستوري للاتحاد الفيدرالي المقترح، وإنما باتجاه تضامن وتعاون سياسي واقتصادي من شأنه أن يعزز الاستقلال العربي إزاء الاستعمار. فعبد الناصر لم يقدم على خطوة إضافية إلا إستجابة لنداء سوريا المهددة في آب / أغسطس ١٩٥٧ من قبل حشود عسكرية تركية على حدودها. لقد أدى هذا الوضع الجديد الناتج عن «مشروع أيزنهاور» ، (شتاء ١٩٥٧) إلى تعجيل العملية التوحيدية ، وفعلاً، صوّت المجلس النيابي السوري بالاجماع في ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٧ على مشروع وحدة دستورية بين سوريا ومصر. وهكذا قبل عبد الناصر في أول شباط / فبراير ١٩٥٨ «بالوحدة الدستورية» وبإقامة دولة واحدة مع سوريا . وانطلاقاً مما تقدم، يمكن القول أن عبد الناصر بدأ ، ما بين ١٩٥٣ - ١٩٥٦، يتناول مسألة الوحدة العربية ضمن إطار عسكري واستراتيجي من أجل الدفاع العربي المشترك وتعزيز استقلال البلدان العربية إزاء الاستعمار. غير أن الرد على الهجمة الاستعمارية البريطانية (حلف بغداد، كانون الثاني / يناير ١٩٥٥) والامريكية (مشروع أيزنهاور، كانون الثاني / يناير ١٩٥٧) والاستجابة لنداءسوريا، حمله على الاتجاه تدريجيا نحو مفهوم أكثر شمولاً للوحدة العربية إتخذ طابعاً سياسياً ثم دستورياً.

---

(٦) في ٢٠ نيسان / ابريل ١٩٥٦ ، طرح حزب البعث رسميا في سوريا شعار الاتحاد بين سوريا ومصر : « تشكل وحدة سوريا ومصر نواة وطريق الوحدة العربية الشاملة » . « لقد اتخذ الشعب قرارا لا رجوع عنه لتحقيق هذه الوحدة وهو يريدها شاملة وفورية » . .

(٧) « خطاب اعلان الرئيس تاميم قناة السويس، ٢٦ يوليو ١٩٥٦»، الاهرام ، ٢٧ تموز / يوليو ١٩٥٦ ، ص ١ .

باء ـ تطور مفهوم «الوحدة العربية» بين ١٩٥٢ و١٩٧٠

سنتناول هنا، التطوّر الكمّي لحقول دلالة مفهوم الوحدة العربية في الخطاب الناصري بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠. إن تغيّر عدد صلات هذه الحقول حسب المرحلة، يمكننا من قياس تطوّر مفهوم «الوحدة العربية»

جدول رقم (٣٦)

تطور الصلات الدلالية «للوحدة العربية» في الخطاب الناصري

المرحلة	السنة	عدد الخطب والكتابات المحللة	العدد المرجّح لصلات «الوحدة العربية»
المرحلة الأولى	١٩٥٢ ـ ٥٧	٣	٧
المرحلة الثانية	١٩٥٨ ـ ٦١	٣	١٥٣
المرحلة الثالثة	١٩٦١ ـ ٦٣	٤	٢٤٢
المرحلة الرابعة	١٩٦٣ ـ ٦٦	٢	٦٣
المرحلة الخامسة	١٩٦٦ ـ ١٩٦٧	٢	٩٠
المرحلة السادسة	١٩٦٧ ـ ٧٠	٤	٢٥

كما أن رسماً بيانياً (رقم ١٠) لتغيرّ حقول دلالة مفهوم «الوحدة العربية» بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠، سيمكننا من تصوير أفضل لتطوره العام في الخطاب الناصري.

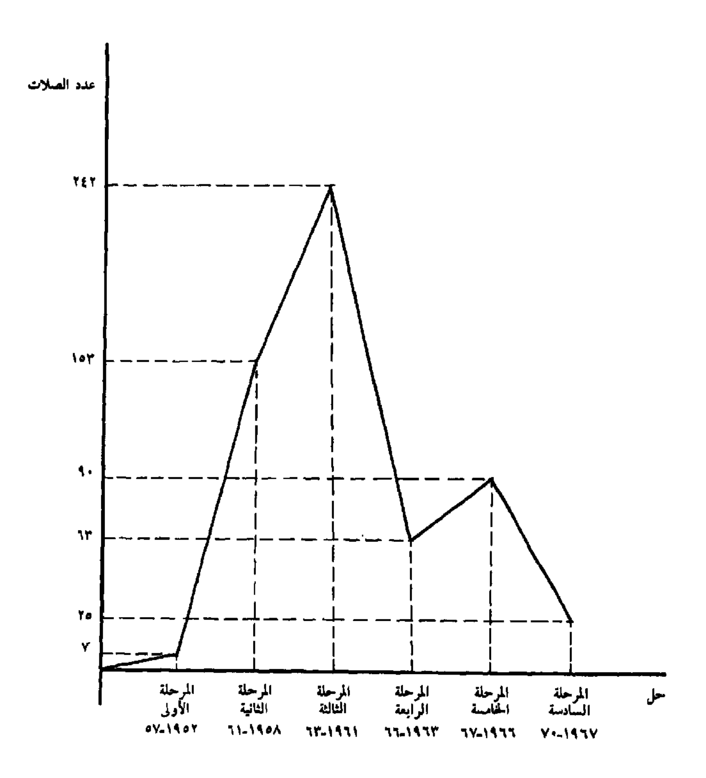
يتبين لنا أن مفهوم «الوحدة العربية» قد شهد مرحلة ازدهار في الخطاب الناصري بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٣ (المرحلتان الثانية والثالثة) أعقبتها مرحلة تراجع بين عامي ١٩٦٣ و١٩٧٠ (المراحل الرابعة والخامسة والسادسة).

إن منحنى تطور مفهوم «الوحدة العربية» يتخذ شكلاً مشابهاً لمنحنى تطوّر مفهوم «القومية العربية» (الفصل الخامس). إلا أنه أكثر بروزاً، بمعنى أن التغيرات فيه أكثر. ومن جهة أخرى، هناك فارق ابتعاد يساوي مرحلة كاملة بين مساري المفهومين، ذلك أن مفهوم «القومية العربية» إزدهر بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦١ ثم تراجع إعتباراً من ١٩٦١ (المرحلة الثالثة). في حين أن إزدهار مفهوم الوحدة يقع ما

شكل رقم (١٠)

(الوحدة العربية)

تطوّر حقلها الدلالي بين ١٩٥٢ و١٩٧٠



بين ١٩٥٨ ـ ٦١، وهي مرحلة الوحدة الدستورية بين سوريا ومصر، وبين ١٩٦١ ـ ٦٣ بعد أن انفصلت سوريا عن مصر، فانكب عبد الناصر على التأمل في مسألة الوحدة العربية وشروط نجاحها أو فشلها وعقباتها وسبل تحقيقها. وقد تبلور هذا التأمل في نظرية تضمنها ميثاق ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢. إن التراجع عن فكرة الوحدة العربية بمعنى الدولة الواحدة والدستور الواحد تمّ في المراحل الرابعة والخامسة والسادسة (١٩٦٣ ـ ١٩٧٠) حيث تبنّى عبد الناصر أنماط سياسية توحيدية أخرى على الصعيد العربي: «وحدة العمل العربي من أجل فلسطين» المرحلة الرابعة (١٩٦٣ ـ ٦٦) حيث حاول عبد الناصر تحقيق مساهمة كل الأنظمة العربية في سياسة عربية دفاعية مشتركة إزاء التوسّع الاسرائيلي، الذي تمثّل في حينه بتحويل مجرى مياه نهر الأردن. وكان ذلك بداية مؤتمرات القمة. وبعد فشل سياسة القمم العربية وتحوّل الأنظمة العربية المحافظة عن النظام الناصري ومناهضته، إتجه عبد الناصر في عام ١٩٦٦ نحو استراتيجية وحدوية جديدة أكثر جذرية من سابقتها وأخذ يدعو إلى وحدة القوى الثورية على الصعيد العربي. إلا أن نكسة حزيران / يونيو ١٩٦٧ أجبرته على العودة إلى سياسة عربية وحدوية أكثر إعتدالاً: دعوة الحكومات والجماهير العربية إلى «وحدة العمل» من أجل إزالة آثار عدوان حزيران / يونيو ١٩٦٧.

ثانياً: تحليل تزامني وتعاقبي لمفهوم الوحدة العربية في الخطاب الناصري

يحمل مفهوم «الوحدة العربية» في الخطاب الناصري دلالات عديدة: وقد ميّز عبد الناصر بنفسه، إعتباراً من المرحلة الثانية، بين دلالتين للوحدة العربية، وهو يقول بوضوح:

«الوحدة العربية تعبير بجمع الشمل ويمثل التضامن ويمثل السلامة. ويمثل أن نحن كعرب كل واحد فينا، يده في يد الثاني، وإن إحنا جميعاً لنا سياسة واحدة ضد أعدائنا (. .) الوحدة العربية، وحدة أو إتحاد بمعناها الدستوري»[٨].

(٨ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٤٧ ـ ٤٨ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨).

«ويوم كنت أتحدث عن الوحدة العربية فيما بين سنوات ١٩٥٨/٥٢، فإني لم أكن أتحدث عن الوحدة الدستورية»[٩].

ينبغي إذن التمييز بين «الوحدة العربية» بالمعنى الواسع للتضامن العربي و«الوحدة العربية» بمعنى الوحدة أو التوحيد الدستوري على صعيد الدولة الواحدة. كما يجب أن تضاف إلى هاتين الدلالتين، دلالة ثالثة وهي سياسات أو استراتيجيات عبد الناصر على الصعيد العربي، والتي كان يطلق عليها كذلك تعبير «الوحدة»: «وحدة الصف» «وحدة الهدف» «وحدة الكفاح» «وحدة العمل العربي من أجل فلسطين»، «وحدة القوى الثورية العربية» و«وحدة النضال العربي».

ومن نافلة القول، إن ما يخصّ مفهوم «الوحدة العربية» بمعناه العام للتضامن، ينطبق كذلك على مفهوم «الوحدة العربية الدستورية» وعلى مختلف السياسات العربية الوحدوية التي اتبعها عبد الناصر.

سنتناول المفهوم الناصري «للوحدة العربية» بمعناه العام (ألف) ومختلف السياسات العربية الوحدوية التي حددها عبد الناصر (باء) والوحدة العربية الدستورية أي الوحدة بين الدول(الدولتية) (جيم) وأخيراً نظام القوى والأعمال المضادة للوحدة العربية (دال).

ألف ـ المفهوم الناصري «للوحدة العربية» بمعناها العام

لقد استخلصنا من تحليل الخطب والكتابات المكونة للعينة، مفهوم عبد الناصر «للوحدة العربية» بمعنى التضامن بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠.

ـ إنه تضامن عربي مناهض للاستعمار: هناك مجموعة من الأوصاف والخصائص والأفعال في حقل دلالة «الوحدة العربية» تحدّدها على أساس أنها تضامن سياسي وتجمّع للعرب حول سياسة مشتركة مناهضة للاستعمار:

«الوحدة العربية كما نفهمها هي أن نتضامن مع إخواننا العرب في أي بلد إذا حلّ بها شيء»[١٠]

---

(٩) « حديث صحفي الى رئيس تحرير مجلة لوك الامريكية، ٤ مارس ١٩٦٨ »، **وثائق عبد الناصر: خطب، احاديث، تصريحات، يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨** (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٣)، ص ٢٤١ (سنشير الى الكتاب المذكور بـ **وثائق عبد الناصر، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨**).

(١٠) « خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو، القاهرة ٢٢ / ٧ / ١٩٦٣ »، **الوثائق العربية ١٩٦٣** (بيروت: الجامعة الاميركية في بيروت، دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة، [د. ت.])، ص ٥٩٥ (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ »).

«تعبير يمثّل التضامن (.) معناها الجميل اللي هو التكاتف، العرب كلهم يد واحدة ضد أعدائهم (..) وإن إحنا جميعاً لنا سياسة واحدة ضد أعدائنا»
«وحدة تجمع بين الأمة العربية وبين قوة الأمة العربية (..)»
«الوحدة العربية التي تمثّل ان نكون جميعا يد واحدة ضد الاستعمار»[11]

ـ **الوحدة العربية هي الحقيقة الاولى**: إن رفع الوحدة العربية إلى مصاف الحقيقة المطلقة، ليس خاصا فقط بخطب المرحلة الثانية حيث حققت التطلعات الوحدوية غايتها في الوحدة السورية ـ المصرية، إذ أن هذه الرؤية موجودة أيضاً في المرحلة الرابعة (١٩٦٤) عند زيارة خروتشوف لمصر ـ ولم تمنع واقعية عبد الناصر أن يعتبر، مرّة أخرى، إن الوحدة العربية هي «حقيقة لا تعلوها حقيقة غيرها». ولا سيما بعد مرور سنة على فشل الوحدة الثلاثية (آذار / مارس ١٩٦٣):

«الوحدة حقيقة نسعى إليها أو حقيقة قائمة بالفعل (..) هكذا كانت الوحدة هي الحقيقة وكل ما عدا الوحدة إصطناعاً»[12]

إن هذه الحقيقة شأنها شأن أي حقيقة أخرى، لا بد وأن تكون موضع إيمان واعتقاد.

« نؤمن بها » « ولم نكفر بها » . « كنا نحلم بها » . « كنا ننادي بها دائماً » (المرحلتان الثانية ـ والثالثة) .

ـ **الترابط بين الوحدة والقوة**: يمكن تلخيص العلاقة التي أقامها عبد الناصر بين «الوحدة العربية» والقوة على النحو التالي: الوحدة العربية تخلق القوة والقوة تخلق الوحدة العربية ـ وبتعبير آخر، إذا ما استعاد العرب قوتهم عن طريق التحرر من الاستعمار، فإنهم سيتجهون بصورة «طبيعية» نحو وحدتهم:

« الوحدة نتيجة طبيعية للقوة »[13]

---

(١١) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٤٧ ـ ٤٩ .

(١٢) خطاب السيد الرئيس في مجلس الامة بمناسبة اعلان اسس الوحدة بين مصر وسوريا في ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ٤ ـ ٥ (سنشير اليه بـ خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨) .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢ .

«هي مفتاحاً إلى القوة مفتاحاً إلى الحياة»[١٤].

«هي أعلى درجات الاستقلال العربي لأنها ضمان القوة الشاملة»[١٥].

يضع عبد الناصر جدليّة الوحدة والقوة هذه في تعابير مجرّدة. ففي خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٥٩ (خارج العينة) يقدّم عبد الناصر، في هذا المجال حججاً أكثر تفصيلاً، حيث يبدو أن الحرية السياسية والاجتماعية (التحرر من الاستعمار والتحرر من الاستغلال الداخلي) هي التي ستمكن الشعب المصري من استعادة قوته وإرادته. وهذه الارادة سوف تعبّر عن نفسها في تحقيق الوحدة. أما لماذا ستحقّق الارادة العربية المحررة الوحدة القومية؟ فالجواب هو أنها ـ وهذه خاصية أخرى من خصائصها ـ «أمر طبيعي»، « شيء طبيعي » في المفهوم الناصري.

ـ **الوحدة العربية ظاهرة طبيعية**: يعبّر عبد الناصر عن الوحدة العربية كظاهرة طبيعية بواسطة سلسلة من الأوصاف. وفي اعتقادنا أن عبد الناصر يريد بكلمة «طبيعية» الطبيعة البشرية وليس الطبيعة المادية:

«الوحدة نتيجة طبيعية للقوة»[١٦]

«تستمد مقومات وجودها من الطبيعة ذاتها»[١٧].

ومن هنا يأتي ميل عبد الناصر إلى اعتبار «الوحدة العربية» ظاهرة «حتمية»، لأن في ذلك عودة الامة العربية إلى «وضعها الطبيعي». وطالما أن حالة التجزئة هي من صنع أعدائها الخارجيين، فبمجرد تحررها من هذه الهيمنة تعود الامة «حتماً»، إلى «حالتها الطبيعية»، أي الوحدة. وبما أن عبد الناصر قد عبّر عن هذا التسلسل البرهاني في المرحلة الثالثة، فيمكن الاستنتاج أن فشل الوحدة السورية ـ المصرية في عام ١٩٦١ لم يؤد إلى تغيير في مفهومه «الطبيعي» للوحدة، والذي نجده حتى في ميثاق ١٩٦٢:

---

(١٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر العام للاتحاد القومي، ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ١٦ (سنشير اليه بـ خطاب ٩ تموز/يوليو ١٩٦٠).

(١٥) «خطاب في استاد الخرطوم الرياضي بمناسبة احتفالات السودان بعيد الاستقلال، اول يناير ١٩٧٠»، وثائق عبد الناصر: خطب، احاديث، تصريحات، يناير ١٩٦٩ ـ سبتمبر ١٩٧٠ (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ١٩٧٣)، ص ٢٦٨ (سنشير للخطاب بـ «خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم»، وللكتاب المذكور بـ وثائق عبد الناصر، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠).

(١٦) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨، ص ٢.

(١٧) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠، ص ١٤.

«طريق الوحدة هو الدعوة الجماهيرية لعودة الأمر الطبيعي لأمة واحدة مزّقها أعداؤها»[١٨]
«حتمية الوحدة على طبيعتها الأصيلة»[١٩]
«هذه الوحدة غاية حتمية لا بد أن يصل إليها كفاحنا من أجل القوة»[٢٠]
«إذا تركت المنطقة تستوحي طبيعتها وتستلهم مشاعرها وتستمع دقات قلبها فإن إتجاهها إلى الوحدة يصبح لا ريب فيه ولا مناص منه»[٢١]

تضامن مناهض للاستعمار، حقيقة مطلقة، شرط ونتيجة للقوة، تطور طبيعي وحتمي، هذه هي الخصائص الرئيسية التي نسبها عبد الناصر للوحدة العربية بمعناها العام.

باء ـ السياسات التوحيدية المختلفة في المفهوم الناصري

١ ـ التحليل التزامني

سنتناول في هذا الجزء من الدراسة السياسات المختلفة أو الاستراتيجيات التوحيدية التي طبّقها عبد الناصر على الصعيد العربي، والتي استخلصها بنفسه من تجاربه السابقة. لقد استخلص في مرحلة اولى مفهوماً ثنائيا لسياسته العربية التوحيدية، عندما ميّز بين «وحدة الصف» و«وحدة الهدف» (أ). وثمة تعبير ثان عن السياسة العربية الوحدوية استخلصه عبد الناصر في شباط / فبراير ١٩٦٧، عندما عرّف لاحقاً السياسات التوحيدية المختلفة التي اتبعها بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٧، فعندئذ لم يعد تصوره ثنائياً وإنما متنوعاً (ب).

أ ـ المفهوم الثنائي لسياسة عبد الناصر الوحدوية العربية

بعد فشل الوحدة الدستورية السورية ـ المصرية في عام ١٩٦١، أعاد عبد الناصر النظر بمجمل سياسته العربية الوحدوية، فميّز بين نموذجين للسياسة العربية الوحدوية: سياسة «وحدة الصف»، التي سادت قبل عام ١٩٦١، وسياسة «وحدة الهدف»، التي أخذ يدعو لها ويتبعها بعد عام ١٩٦١. وعرّف عبد الناصر «وحدة الصف» خلال فترة الوحدة السورية ـ المصرية (١٩٥٨ ـ ٦١) بأنها شكل لتضامن غير مشروط بين الدول العربية بغض النظر عن أنظمتها السياسية:

---

(١٨) مشروع الميثاق، ٢١ مايو ١٩٦٢ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات [د. ت.])، ص ١٥ (سنشير اليه بـ مشروع الميثاق).

(١٩) «خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣»، ص ٦٠٥.

(٢٠) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠، ص ١٥.

(٢١) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨، ص ٥.

«الوحدة العربية كما نفهمها وكما عبّرت عنها بالتضامن أو الوحدة أو الاتحاد، ما هي إلاّ وحدة الصف التي تجعلنا كلّنا يداً واحدة، نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا»[٢٢].

ان تعدد معاني أو دلالات مفهوم «الوحدة العربية » يجعل هذا المقطع غامضاً فنجد فيه الدلالات الثلاث التي يمكن أن يتخذها هذا المفهوم، والتي يمكن إبرازها وتوضيحها إذا أعدنا صياغة المقطع المذكور بالشكل التالي: إن حلّ رموز هذه اللغة يوصلنا إلى ما يلي:

(إن السياسة العربية الوحدوية، كما نفهمها، وكما عبرت عنها، سواء كانت وحدة عربية بالمعنى العام أي التضامن او وحدة عربية دستورية على شكل دولة موحّدة أو إتحادية تخضع لمبدأ «وحدة الصف» الذي يجعلنا كلنا يداً واحدة).

بعد انفصال عام ١٩٦١ تجاوز عبد الناصر سياسته السابقة «لوحدة الصف» باعتبارها «سطحية» واقترح شكلاً أكثر جذرية للسياسة الوحدوية أطلق عليه تسمية «وحدة الهدف»[٢٣]

«إن مفهوم الوحدة العربية تجاوز النطاق الذي كان يفرض إلتقاء حكّام الأمة العربية ليكوّن من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات. إن مرحلة الثورة الاجتماعية تقدّمت بهذا المفهوم السطحي للوحدة العربية ودفعت به خطوة إلى مرحلة أصبحت فيها وحدة الهدف هي صورة الوحدة»[٢٤]

«فوحدة الهدف» إذن، مرتبطة بالثورة الاجتماعية الداخلية في حين كانت «وحدة

---

(٢٢) ، خطاب السيد الرئيس بميدان الجمهورية في يوم ٢١ فبراير ١٩٥٩ ، ، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر . القسم الثاني : فبراير ١٩٥٨ - يناير ١٩٦٠(القاهرة : مصلحة الاستعلامات [د . ت .]) ، ص ٢٨٩ (خارج العينة) .

(٢٣) يرى محمد حسنين هيكل ، رئيس تحرير جريدة الأهرام (آنذاك) ان « هذا الشعار « وحدة الهدف قبل وحدة الصف » نشأ في المرحلة التي تلت حرب السويس وقيام الوحدة.اما قبل حرب السويس فكان شعار وحدة الصف هو المعمول به [...] بدات ممارسة شعار وحدة الهدف عمليا في الفترة من ١٩٥٧ الى ١٩٦١ ، ولقد أطلقه عبد الناصر يوم ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٢ بعدما اتضحت معالمه تماما من خلال الممارسة » .

اننا لا نشاطره هذا الراي لان عبد الناصر استمر في الفترة ١٩٥٦ - ١٩٦١ ، بالعمل على الصعيد العربي طبقا لمبدا وحدة الصف،ولم يغير في هذه الفترة سياسته العربية بشكل اساسي الا في الأشهر الاولى التي تلت الوحدة ، اي من شباط / فبراير الى تشرين الثاني/ اكتوبر ١٩٥٨، وعاد بعد ذلك الى سياسة معتدلة تجاه الأنظمة العربية حتى حدوث الانفصال . فالانظمة العربية المحافظة هي التي تكتلت لمجابهة الجمهورية العربية المتحدة ، خشية من عدوى الوحدة التي تحققت . أنظر :

A. Dawisha, **Egypt in the Arab World** (London: Macmillan, 1976), pp.142-145.

(٢٤) مشروع الميثاق ، ص ١٠٨ .

الصف» مرتبطة فقط بالثورة السياسية المناهضة للاستعمار. ففي «وحدة الهدف» لم يعد ممكناً من حيث المبدأ، أن تكون هناك سياسة وحدوية مشتركة مع الأنظمة العربية المحافظة التي لا تشارك الانظمة العربية التقدمية نفس الاهداف الاجتماعية إلاّ أن الميل الشعبوي (populiste) لدى عبد الناصر تغلب تدريجياً على ميله المؤسسي، فترك جانباً - في تحديده «لوحدة الهدف» - القوى السياسية والأنظمة التقدمية وأخذ مباشرة إلى القواعد الشعبية والقوى العاملة العربية:

«إن وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية في الأمة العربية كلّها»(٢٥)

«إن رفع شعار وحدة الهدف شرطاً أساسياً لقيام الوحدة لأن الوحدة على هذا النحو تصبح وحدة قوى الشعب العاملة»(٢٦).

إذاً، اكتسبت سياسة عبد الناصر مع وحدة الهدف بعداً إجتماعياً، وقد حدّد محتوى هذا البعد الاجتماعي، بأنه مناهض للرجعية ويسمح بتنسيق تطوّر ونمو مختلف البلاد العربية:

«لكن وحدة الهدف عند القواعد هي التي ستتكفّل بسدّ الفجوات الناشئة من اختلاف مراحل التطور»(٢٧)

«إن هذا التقدم الثوري السياسي والاجتماعي في مصر نقل شعار الوحدة العربية من مرحلة وحدة الصف إلى وحدة الهدف. وبذلك فإن قضية الوحدة (..) فتحت ذراعيها لاستقبال مضمونها الاجتماعي»(٢٨)

لم يأخذ مبدأ وحدة الهدف طريقه إلى التطبيق إلا بعد انفصال عام ١٩٦١.إلا أنه لم يكن دائماً على أساس وحدة القوى الشعبية، فقد شهدت المرحلة الرابعة (١٩٦٣-٦٦) تطبيقاً لمبدأ وحدة الهدف من أجل فلسطين بين كافة الأنظمة العربية بدون تمييز بين إتجاهاتها السياسية:

ولكن القوى الثورية كانت بدافع الامانة للمرحلة وللظروف هي التي حدّدت لنفسها إخطاها

---

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٢٦) «خطاب الرئيس عبد الناصر في حفل النقابات المهنية ٢٠ مايو ١٩٦٤»، الاهرام، ٢١ ايار، مايو ١٩٦٤، ص ١ (سنشير اليه بـ «خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤»).

(٢٧) مشروع الميثاق، ص ١٠٨.

(٢٨) «خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤»، ص ١.

وفرضت على تقدمها الثوري عدداً من القيود(. .) بنقول أن العمل العربي الموحد (. .) احنا نمشي فيه لغاية دلوقتي، لعل اللي غلط يتوب وعسى انه فعلاً يكون فيه وحدة هدف من أجل فلسطين»[٢٩].

ومن هنا استنتجنا عدم دقة تعبير «وحدة الهدف» من حيث تحديد للاهداف التي ترمي إليها هذه السياسة التي أرادها عبد الناصر أكثر جذرية من سابقتها. إن غموض هذا المبدأ مكّن عبد الناصر في الواقع من أن يعمل خلال المرحلة الرابعة (١٩٦٣ ـ ٦٦) على تجميع كل الأنظمة العربية في وحدة هدف من أجل فلسطين، الأمر الذي شكّل عودة مقنعة إلى «وحدة الصف». إن سياسة «وحدة الهدف» في معناها الأكثر جذرية لم تطبق فعلاً إلاّ خلال المرحلة الثالثة (١٩٦١ ـ ٦٣) والمرحلة الخامسة (١٩٦٦ ـ ٦٧). غير أن عدم وضوح مبدأي وحدة الهدف ووحدة الصف حمل عبد الناصر إلى العدول عنهما. وعندما قام في شباط / فبراير ١٩٦٧ بمراجعة سياسته العربية الوحدوية خلال الحقبة المنصرمة تخلى نهائياً عن التمييز بين «وحدة الصف» «ووحدة الهدف» وتبنّى تصنيفاً آخر أكثر تنوعاً ودقّة.

ب ـ المفهوم المتعدّد الأشكال لسياسة عبد الناصر العربية الوحدوية

لقد استخلص عبد الناصر في خطابه يوم ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧، بمناسبة عيد الوحدة، والذي راجع فيه أحداث الحقبة السابقة، نمطاً ثانياً أكثر تنوعاً لسياساته الوحدوية. فلدى استعراضه لسياسته الوحدوية الرئيسية التي اتبعها نظامه على الصعيد العربي، ميّز بين «وحدة النضال العربي» و«وحدة العمل العربي من أجل فلسطين» و«وحدة القوى الثورية» في الوطن العربي.

وسنجري تحليلاً مقارناً لموضوع هذه السياسات ومحركيها الرئيسيين والمشاركين فيها والأهداف التي حركتها والقوى المناهضة لها[٣٠]. . ثم نتناول في (ب) التحليل التعاقبي لهذه السياسات عبر الزمن، وكيفية الانتقال من سياسة إلى أخرى.

---

(٢٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي في السويس بمناسبة عيد المدينة، ٢٢ مارس ١٩٦٦ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات، [د .ت .])، ص ٤٣ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٦ في السويس).

(٣٠) تعتمد هذه المعلومات على التصنيف الذي قدمه عبد الناصر بنفسه في ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ للاشكال الثلاثة التي اتخذتها سياسته الوحدوية بين ١٩٥٢ و ١٩٦٧. انظر: «خطاب في الاحتفال بعيد الوحدة، ٢٢ فبراير ١٩٦٧،» وثائق عبد الناصر ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ص ٥٧ ـ ٨٢ (سنشير اليه بـ «خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧،»).

(١) أشكال وأهداف هذه السياسات العربية الوحدوية المختلفة

- «وحدة النضال العربي» التي أخذ بها عبد الناصر إعتباراً من انفصال عام ١٩٦١ والتي لم يحدّدها سوى بشموليتها:

« وحدة النضال العربي يمكن أن تكون في أي مكان من أرجاء الأمة العربية»[٣١].

لقد اتخذ عبد الناصر آنذاك موقفاً مبدئياً للمشاركة الفعّالة في كفاح وثورات مختلف الشعوب العربية من أجل تحرّرها من الاستعمار. وكان التطبيق العملي لهذه السياسة أن اشترك النظام الناصري عسكرياً في مساندة ثورة اليمن عام ١٩٦٢:

«الانفصال لم يخلّينا نتنكّر لمبادئنا في وحدة النضال العربي.. الانفصال لم يخلينا نتردد في أن نقوم بالواجب القومي (..) مساندة ثورة اليمن»[٣٢]

- « وحدة العمل العربي من أجل فلسطين » : لقد دشّن عبد الناصر هذه السياسة في نهاية عام ١٩٦٣ واعتبرها « تجربة » « وصيغة » عمل ناتجة عن مؤتمرات القمة . فهي صيغة تجمع كل الأنظمة العربية دون الأخذ بعين الاعتبار تباينها السياسي . لقد كان هدف هذه السياسة - التي استمرت من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ - إقامة نظام دفاع عربي مشترك إزاء إسرائيل ودعم القضية الفلسطينية . ويلخص عبد الناصر العوامل الضاغطة والحوافز التي دفعته إلى ذلك على النحو التالي :

«مقتضيات الدفاع العربي فرضت هذا العمل»
«جمعنا أنفسنا على نقطة واحدة وهي وحدة العمل من أجل فلسطين»
«وهي تساعد التطور التقدمي للجماهير العربية»[٣٣] ،

وعدّد الأهداف التي حققتها هذه السياسة:

حققت وحدة العمل من خلال مؤتمرات القمة حاجات:
منظمة تحرير فلسطين ،
جيش تحرير فلسطين ،

---

(٣١) المصدر نفسه، ص ٦٠ .
(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠.
(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢ ، ٦٣ و ٦٩ .

الكيان الفلسطيني،
القيادة العربية الموحدة،
التمويل للبلاد العربية»[٣٤]

- «وحدة القوى الثورية»: إنها سياسة وحدوية جديدة شرع بها عبد الناصر في آذار ١٩٦٦ بعد فشل مؤتمرات القمة:

« صيغة جديدة (..) الشكل الملائم للتعاون بين القوى الثورية »[٣٥]

لقد حدّد عبد الناصر خط نضال القوى الثورية على ثلاث جبهات:

«معركة وحدة القوى الثورية ، معركة ضارية متعددة الجبهات، جبهة تعمل فيها القوى الثورية في داخل أوطانها الصغيرة لكي تثبت وجودها، وجبهة تلتقي عليها القوى الثورية معاً وتنسق عملها معاً وتحدّد أهدافها ووسائلها . ثم جبهة الصراع مع العدو الأساسي للأمة العربية »[٣٦] .

ولم يكن هناك فرق بين أهداف القوى الثورية العربية والأهداف الثلاثة للثورة الناصرية، الحرية والاشتراكية (حرية إجتماعية) والوحدة:

«القوى الثورية نذرت عملها ومصيرها للحرية السياسية والحرية الاجتماعية والوحدة»[٣٧]

ويلاحظ أن هذه الأهداف لم تحدد بشكل كاف، فبرنامج عمل القوى الثورية العربية الذي اقترحه عبد الناصر بقي عاماً وكانت تنقصه الدقة. ولكن هل كان ذلك عائداً لقصور في تحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية، أم أن عبد الناصر أراد فقط إقتراح توصيات عامة للعمل؟. على أي حال، فإن عبد الناصر نفسه اعترف بهذا الغموض ودعا إلى تحديد أدق لسياسة « وحدة القوى الثورية » : « ما زال أمامنا أن نحدّد أكثر على طريق وحدة القوى الثورية » . (ص ٨٠) .

غير أن حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ لم تترك له وقتاً كي يحقق شيئاً في هذا المجال.

---

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

ويجمل القول أن الأهداف التي حدّدها عبد الناصر للسياسات العربية الوحدوية الثلاث لم تكن على قدر كبير من التحديد في خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ (ولا في بقية الخطب الملقاة في ١٩٦٧) . ويمكن تلخيصها بما يلي : تقديم المساعدة لثورات الشعوب العربية ومنها ثورة اليمن، الدفاع العربي المشترك إزاء إسرائيل، الوحدة العربية والحرية السياسية والاجتماعية.

إن هذه الأهداف تذكّر بالاهداف الرئيسية للثورة الناصرية. ولكن ماذا عن القوى المشاركة والمناهضة لهذه السياسات الوحدوية؟

(٢) القوى المشاركة والمناهضة لسياسات عبد الناصر الوحدوية وأعمالها.

- «وحدة النضال العربي»

حدّد عبد الناصر القوى الفاعلة لهذه السياسة« بالمناضلين العرب» و«الشعوب العربية » والقوى الوطنية في كل بلد عربي:

«وحدة النضال العربي:
بين المناضلين العرب في أي بلد عربي .
«من المناضلين الثوريين في السعودية»
«ومن الشعب الاردني المناضل».
بين مصر واليمن»[٣٨].

أما القوى المناهضة لهذه السياسة فهي:

«الاستعمار والرجعية»
«الحكم . . . العميل »
«الحكم . . . الرجعي »[٣٩]

لقد عينّ عبد الناصر العدو الداخلي لأول مرة بتسمية مستقلة ذات مدلول سياسي وهي «الرجعية». إلا أنه لم تظهر أية فئة إجتماعية ضمن الأعداء الداخليين لهذه السياسة القومية على الرغم من أن عبد الناصر تبنى هذه السياسة في مرحلة (١٩٦١ - ١٩٦٣) التي تميزت بتجذر نظامه على الصعيد الاجتماعي (القرارات

(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

الاشتراكية في حزيران /يونيو ١٩٦١) وعلى الصعيد العربي (الاشتراك في ثورة اليمن). فاتّهم عبد الناصر القوى المناهضة «لوحدة النضال العربي» بأنها انتقلت إلى موقع الهجوم وكانت وراء انفصال الوحدة السورية ـ المصرية في عام ١٩٦١ ولكنه لم يحدد طريقة عمل هذه القوى.

ـ «وحدة العمل العربي من أجل فلسطين»

لقد حجب عبد الناصر القوى الفاعلة في هذه السياسة واكتفى بالاشارة إليها بشكل غير مباشر عندما ذكر «الانظمة العربية المختلفة» على النحو التالي:

«كنا نعتقد أن النيّة ستكون سليمة وخالصة للعمل الموحّد وتكتّل جهودنا، ويكون هناك تعايش بين الأنظمة العربية المختلفة من أجل قضية فلسطين»[٤٠]

وقد يعود سبب إحجام عبد الناصر عن الحديث في هذا المجال، إلى إدانته لهذه السياسة التي إتبعها خلال المرحلة السابقة (١٩٦٣ ـ ٦٦) وخاصة لما أسماه «المصالحة» مع الرجعية بمهاجمته شركاء الأمس الذين أصبحوا في صفوف القوى المعادية.

وخلال المرحلة ٦٣ ـ ١٩٦٩ حيث طبّق عبد الناصر سياسة «وحدة العمل العربي من أجل فلسطين»، تقلصت القوى المناهضة لهذه السياسة وأصبحت تضمّ نقط الاستعمار وأعوانه. غير أن عبد الناصر بعد أن عدل في المرحلة التالية (٦٦ ـ ١٩٦٧) عن سياسته السابقة أقدم على كشف شبكة القوى التي ناهضت هذه السياسة وأدّت بها إلى الفشل:

أنظمة التحالف	القوى والمؤسسات السياسية	الحكومات
«تحالف ألاستعمار والرجعية»	«الرجعية العربية»	
«الحلف الإسلامي»	«الدول الرجعية العميلة»	بعض الحكام العرب
	«الأخوان المسلمون»	

لقد انصب اتهامه على «الاستعمار» و«الرجعية» باعتبارهما العدوين الرئيسيين المتحالفين واللذين كانا وراء فشل سياسة «وحدة العمل العربي»:

---

(٤٠) خطاب ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٦ في السويس، ص ٤٤.

لرجعية	الإستعمار
الرجعية انقلبت على	« محاولات أمريكا المستمرة لتصفية قضية فلسطين» (ص٦٢)
حدة العمل العربي »	«تصفية ثورة اليمن» (ص٦٤)
ضربوا وحدة العمل العربي»	«الدعوة إلى الحلف الإسلامي» (ص٦٤)
لم يقبلوا بها» :	« تركيز النفوذ الأمريكي والنفوذ الانكليزي » (ص٦٤)
	«كان يعتقد أنها تساعد على تكتيك لهجوم جديد » (ص٦٩)
	«الاستعمار لا يريد وحدة العمل ، ولكن لم يكن يمانعها لتخفيف الضغط عن أصدقائه » (ص٦٩)
	« الاستعمار صفّاها » (ص٦٩)[٤١] .

وإذا كان عامل الرجعية أكثر تفصيلاً، فإن لعامل «الاستعمار» الدور الرئيسي في مناهضة السياسة الوحدوية التي كان يدعو لها عبد الناصر، ويبقى دور الرجعية تابعاً له.

- «وحدة القوى الثورية»

بعد أن اقترح عبد الناصر هذا الشكل من العمل الوحدوي في آذار / مارس ١٩٦٦ ، على أثر فشل «وحدة العمل العربي من أجل فلسطين»، حدد القوى التي دعيت إلى المساهمة في هذه السياسة «بالقوى الثورية» أو «القوى التقدمية العربية»، تلك القوى التي « فرضت قيود على تحركها خلال الفترة السابقة بسبب مقتضيات سياسة وحدة العمل العربي» (خطاب ٢٢ مارس ١٩٦٦ . ص ٤٣) .

وقد شملت هذه القوى أيضاً، «جماهير الشعوب العربية» و«نحن في بلدنا» أي النظام والشعب في مصر وهكذا يبرز في تكوين هذه القوى الثورية، الثلاثي التالي: القوى الثورية العربية ـ الجماهير العربية ـ النظام الناصري. ويضع عبد الناصر في مواجهة هذا الثلاثي الذي ترتكز عليه السياسة الوحدوية الجديدة ثلاثي الأعداء الذي أطلق عليه «حلف الاستعمار والرجعية والعنصرية الاسرائيلية» واعتبره «العدو الرئيسي للأمة العربية» (شباط / فبراير ١٩٦٧) وعلى عكس المرحلة السابقة (٦٣ - ١٩٦٦) نظر عبد الناصر إلى هذا الحلف على أساس انه كان في البداية في موقع دفاعي

(٤١) « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ » ، ص ٦٢ ، ٦٤ و ٦٩ .

في مواجهة السياسة الوحدوية الجديدة ثم هيأ نفسه للانتقال إلى مرحلة الهجوم:

«تحشّ قوى الثورة العربية»

«تتكتّل ضد القوى الثورية»

«القوى الرجعية في العالم العربي.. تتحالف مع الاستعمار وتضرب القوى الثورية التقدمية في العالم العربي»[٤٢]

«لا تستطيع القوى الرجعية المتعاونة مع الاستعمار أن تضربها من الداخل، بل عليها أن تضربها من الخارج»[٤٣].

وعليه فقد توقّع عبد الناصر في شباط / فبراير ١٩٦٧ أن «قوى الرجعية العربية» ستنشط وتحاول ضرب وحدة القوى الثورية، الأمر الذي سيجرها إلى إزالة القناع الذي تتسترّ به. ولكنه على العكس مما كان قد توقّع، فإن العدو الخارجي (إسرائيل) هو الذي إنتقل إلى الهجوم في حزيران / يونيو ١٩٦٧ والذي وجه ضربة، ليس لوحدة القوى الثورية وإنما لقيادة الثلاثي (القوى الثورية - الجماهير - النظام الناصري) أي النظام الناصري، وذلك قبل ان تتشكل وتتنظم وحدة القوى الثورية.

وفي ختام هذا التحليل لتصور عبد الناصر لسياساته العربية الوحدوية، نلاحظ أنه بانتقاله من سياسة وحدوية إلى أخرى قد عمّق تدريجياً دور المشاركين في صنع هذه السياسة، وأيضاً دور أعداء هذه السياسة. لقد انتقل عبد الناصر تدريجياً من عدم توقّع لفعل أعداء «وحدة النضال العربي» خلال المرحلة الأولى، إلى الشعور، وإن بعد حدوث الأمر، بعمل هؤلاء الأعداء إزاء «وحدة العمل العربي من أجل فلسطين»، وانتهى إلى توقّع فعل الأعداء تجاه «وحدة القوى الثورية». كما تتميّز السياسة الوحدوية الثالثة عن الأثنتين الأوليين بما بذله عبد الناصر من جهد لتحديد استراتيجية ثورية على ثلاث جبهات، إلاّ أن برنامج العمل الذي طرحه في هذا الصدد بقي عامّا للغاية، باستثناء ما يتعلّق بالجبهة الداخلية حيث اقترح السياسة المتبعة في مصر كنموذج للعمل في الأقطار العربية الأخرى.

٢ - التحليل التعاقبي

يضم الجدول رقم (٣٧) التالي مختلف السياسات العربية الوحدوية التي اتبعها عبد الناصر بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠، وكما عرضها بنفسه:

---

(٤٢) خطاب ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٦ في السويس، ص ٤٣ - ٤٥.

(٤٣) «خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧»، ص ٧٣.

جدول رقم (٣٧)

السياسات العربية الوحدوية لعبد الناصر بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠

المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
«وحدة الكفاح» (وحدة صف)	(الوحدة الدستورية المصرية السورية). «وحدة الصف»	«وحدة النضال الثوري» «وحدة الهدف».
المرحلة الرابعة	**المرحلة الخامسة**	**المرحلة السادسة**
«وحدة العمل العربي من أجل فلسطين». (وحدة هدف مع كل الأنظمة العربية عودة ضمنية إلى وحدة الصف).	«وحدة القوى الثورية» (وحدة هدف).	«وحدة العمل العربي» (وحدة صف)

يُلاحظ أن هناك تاريخين رئيسيين يشكلّان مفترق طريق في سياسة عبد الناصر العربية الوحدوية: تاريخ إنفصام الوحدة المصرية - السورية في أيلول / سبتمبر ١٩٦١ وتاريخ النكسة بعد الحرب العربية الاسرائيلية في حزيران / يونيو ١٩٦٧ وعلى الرغم من إقامة الوحدة الدستورية السورية - المصرية فإن سياسة عبد الناصر العربية الوحدوية كانت قبيل ١٩٦١ هي الأكثر إعتدالاً: «فوحدة الصف» التي عمل بها خلال تلك الفترة لم تكن تعني أكثر من سياسة تضامن في مواجهة الاستعمار، بين كافة الأقطار العربية، بدون تمييز بسبب النظام. إلاّ أنه بعد عام ١٩٦١، وحتى عام ١٩٦٧، أدرك عبد الناصر تحت تأثير الانفصال، دور «القوى الرجعية» الداخلية في تقويض الوحدة المصرية - السورية، فأقدم على سياسة عربية وحدوية أكثر جذرية، وذلك عن طريق تبني استراتيجية «وحدة النضال» التي تجسّدت بمساندة النظام الناصري لثورة اليمن (١٩٦٢). وهكذا انتقد عبد الناصر سياسته السابقة، وقرر أن تكون من الآن فصاعداً، كل سياسة عربية وحدوية خاضعة لمبدأ «وحدة الهدف». غير أن ذلك لم يمنعه من العودة، خلال المرحلة اللاحقة بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٦ إلى سياسة تضامن بين كل الأنظمة العربية المحافظة والتقدمية من أجل تنظيم الدفاع العربي تجاه إسرائيل.

لقد عرض عبد الناصر في المرحلة الممتدة من آذار / مارس ١٩٦٦ إلى حزيران / يونيو في ١٩٦٧ سياسته الوحدوية الأكثر جذرية. فبعد أن خذلته «الأنظمة» العربية المحافظة وأقامت «الحلف الاسلامي» لمناهضة النظام الناصري، أقدم على تبنّي سياسة وحدوية ثورية، ودعا إلى «وحدة القوى الثورية» في الوطن العربي، واقترح لها، كما سبق وذكرنا، استراتيجية نضالية على ثلاث جبهات. لا شك أن الظروف السياسية العربية كانت مؤاتية لطرح مثل هذه السياسة. فقد حدثت عدة تغيرات ثورية في الوطن العربي بين عامي ١٩٦٢ و١٩٦٦: استقلال الجزائر، قيام جمهورية اليمن، مجيء نظام مؤيد لعبد الناصر في العراق، تشكيل الاتحاد الوطني للقوى الشعبية في المغرب، إنشاء منظمة وجيش تحرير فلسطين، وتغيرات السلطة في دمشق. لكن العدوان الاسرائيلي في حزيران / يونيو ١٩٦٧ لم يسمح بالاستفادة من هذه الظروف وبالتقدم على طريق «وحدة القوى الثورية».

وبعد حزيران ١٩٦٧، وجد عبد الناصر نفسه مجبراً على العودة إلى سياسة معتدلة تدعو إلى «تضامن» كل الأنظمة العربية. وقد كُرست هذه السياسة في مؤتمري الخرطوم (آب / أغسطس ١٩٦٧) والرباط (كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٩). وهكذا كانت العودة إلى سياسة «وحدة الصف» بدون تسميتها، والدعوة إلى «العمل العربي الموّحد» من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة، وتكريس كل الجهود ضد العدو الخارجي الرئيسي: إسرائيل. ولم يعد هناك تمييز بين «حكومات» و«جماهير» أو فرق بين «وطني يساري» و«وطني يميني» إزاء العدو المحتل.

جيم ـ الوحدة العربية الدستورية

لقد كان للوحدة بالمعنى الدستوري التي جرّبها عبد الناصر في عام ١٩٥٨، وحاول أن يطبقها مرة ثانية في عام ١٩٦٣، الحيّز الأكبر في خطابه حول الوحدة. وقد استخلصنا معنى الوحدة العربية الدستورية من خلال تحليل حقول دلالة هذا المفهوم والحجج الخاصة به وتطّرقنا إلى صانعيها وشروط تحقيقها والأهداف المتوخاة من ورائها.

١ ـ ماذا تعني الوحدة الدستورية في المفهوم الناصري؟

ما هي صفات وخصائص الوحدة العربية بالمعنى الدستوري، وما هي الأشكال التي يمكن أن تتخذها في التصور الناصري؟

أ ـ صفات وخصائص الوحدة العربية الدستورية

لقد سمحت دراسة صفات وخصائص ومشارِكات مفهوم الوحدة العربية بالمعنى الدستوري بتحديد مكانة هذه الوحدة ضمن الأهداف الأخرى للثورة الناصرية، ثم تعريفها على المستوى العربي والمصري، وأخيراً إثارة مشكلة تطبيقها العملي.

(١) إنها الهدف الثالث للثورة الناصرية:

(+) «هو الهدف النضالي الثوري القومي العربي»[٤٤]

«هي القضية الثالثة من قضايا النضال العربي الشامل»[٤٥]

«الوحدة (إحدى) الأهداف الثلاثة التي أعلنتها الثورة المصرية»

«لا يمكن أن تتحقق إلا إذا تحققت قبلها الحرية»[٤٦]

يقيم عبد الناصر بين هذه الأهداف الثلاثة علاقة ترابط ونظام أولويات فهو يعطي عدة أمثلة موضوعية عن ترابطها، أخذت عن تجارب حركة التحرر العربية بين ١٩٥٢ و١٩٦٠ سبق وذكرناها في الفصل الرابع (ثانياً ـ ألف ـ ج). وقد كُرِّس هذا الترابط بعد عام ١٩٦٠ في وثيقة رسمية نشرتها السلطات المصرية في جريدة «الأهرام» في ١١ حزيران / يونيو ١٩٦٢، ورد فيها حول هذا الموضوع ما يلي:

إن المضي في تحقيق الاشتراكية والديمقراطية والعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات في المجتمع العربي الجديد، سوف يساعد تدريجياً وبإرادة الشعوب إلى دفع الوعي الوحدوي»[٤٧]

وبعد أن أعلن عبد الناصر ، إبان زيارة خروتشوف في نيسان / أبريل ١٩٦٤ ، أن « الوحدة تشكل ثالث القضايا الكبرى للنضال العربي الشامل : الحرية ، الاشتراكية والوحدة » ، حدّد نظام أولويات لتحقيق هذه الأهداف الثلاثة في خطاب ٢٢ شباط ١٩٦٧ بمناسبة ذكرى الوحدة المصرية ـ السورية :

«إن الحرية السياسية والحرية الاجتماعية مقدّمات ضرورية للوحدة ليس معنى ذلك أنه يتعيّن علينا الأنتظار حتى يتحقق ذلك كله تماماً في كل أرض عربية ونبدأ العمل من أجل الوحدة، أهداف النضال تغطي لبعضها وتأخذ من بعضها وتعزز إحداها الأخرى وتتعزّز بها»[٤٨]

---

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٤٥) « خطاب ٢٠ أيار / مايو ١٩٦٤ » ، ص ١ .

(٤٦) « خطاب أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم » ، ص ٢٦٨ .

(٤٧) نشرت الوثيقة تحت عنوان : « رد القاهرة على جميع الذين ينادون بالوحدة في دمشق ، وتفاصيله وأسبابه » «الأهرام» ، ١١ حزيران /يونيو ١٩٦٢ (سنشير اليها بـ « رد القاهرة »).

(٤٨) « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ » ، ص ٦١ .

يفهم بشكل واضح من هذا المقطع أن الحرية بجانبيها السياسي والاجتماعي تشكّل شرطاً مسبقاً للوحدة. وسبق أن عرض عبد الناصر في شباط / فبراير ١٩٥٩ براهين عديدة من أجل تحديد علاقة الحرية بالوحدة، مفادها أنه بدون الحرية لا يستطيع الشعب العربي التعبير عن «إرادته» و«اختيار» الوحدة العربية ـ ويعود عبد الناصر ليكرّر نفس الحجة بشكل مقتضب في خطاب ألقاه في الخرطوم في أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠:

«الذي لا يحصل على الحرية، لا يستطيع أن يقرّر المصير وأن يتحمّل مسؤولية الوحدة، لا يمكن ان يتحمّل مسؤولية الوحدة غير الارادة المستقلة الحرّة»(٤٩)

رأينا في الفصل الرابع أن التعادل جزئي بين الحرية الاجتماعية والاشتراكية في المفهوم الناصري: فالحرية الاجتماعية لا تمثل إلاّ جانباً من الاشتراكية ومرحلتها الأولى. لم يجعل إذن عبد الناصر من التحقيق الكامل للاشتراكية شرطاً مسبقاً للوحدة الدستورية، وإنما يكفي تحقيق تقدّم أو البدء «بالسير» على هذه الطريق:

«يجب ان نحرّر أنفسنا من كل قيود الاستعمار، فإذا حرّرنا أنفسنا من كل قيد من قيود الاستعمار، علينا أن نسير في طريق الكفاية والعدل في طريق الاشتراكية، (..) ثم بعد هذا الوحدة»(٥٠).

ويمكن استخلاص نظام الأولوية التالي، فيما يختص بترتيب الأهداف الثلاثة الكبرى للثورة الناصرية: تحقيق الحرية السياسية ثم السير على طريق الاشتراكية ثم تحقيق الوحدة العربية الدستورية.

(٢) تعريف الوحدة العربية الدستورية

يتضح من الجدول رقم (٣٨) أن عبد الناصر يعطي الوحدة العربية الدستورية، بعداً ديموقراطياً وبعداً إجتماعياً وبعداً قومياً. فهو يؤكد على البعد «الديموقراطي» للوحدة خلال المرحلة الثالثة. ويأتي ذلك كردّ فعل لِما حصل في سوريا وإبعاد الناصريين من السلطة بعد اتفاق الوحدة الثلاثية مع مصر والعراق في آذار / مارس ١٩٦٤. وكان عبد الناصر يقصد بالبعد «الديموقراطي»، مساهمة كل القوى السياسية

---

(٤٩) «خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم،»ص ٢٦٨.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.

جدول رقم (٣٨)
تعريف الوحدة العربية الدستورية في الخطاب الناصري

<table>
<tr><th colspan="2">ما هي:</th></tr>
<tr><td>(مشاركات لها على الصعيد المصري) :
(-) «الحرية»
«الحرية السياسية»
(=) « حربنا طلبا للعدالة الاجتماعية»
«الثورة الاجتماعية »
«البناء الاشتراكي » .
(=) «حربنا من أجل الاستقلال» .
«معركة الكرامة الوطنية في بور سعيد » .</td><td>(مواصفات على الصعيد العربي) :
(٠) «وحدة إرادة الشعوب لا وحدة تسلط » (١٩٦٣)
«تقرير مصير » .
«الوحدة الديمقراطية » .
(٠) مضمونها الاجتماعي - مدلولها الاجتماعي »
«الوحدة الاشتراكية لا الاشتراكية بالعنف والدم » (١٩٦٣)
(٠) «هي أعلى مراحل الوطنية العربية وأعز غاياتها »[٥١]
« إن الوحدة العربية هي أعلى درجات الاستقلال العربي لأنها ضمان القوة الشاملة » (١٩٧٠)[٥٢]</td></tr>
<tr><th colspan="2">ما ليست عليه :</th></tr>
<tr><td colspan="2">(٠) «ليست دعوة عنصرية »
(-) « الوحدة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون مناورة سياسية أو عملية غدر وعملية خداع »[٥٣] .
«إن الوحدة ليست شعارات تطلق للاتجار بها »[٥٤] .</td></tr>
</table>

(٥١) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، ص ١٦ .
(٥٢) « خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم ، » ص ٢٦٨ .
(٥٣) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ ، »ص ٥٩٥ . وهو الخطاب الذي أعلن فيه الانسحاب من الوحدة الثلاثية .
(٥٤) «خطاب الرئيس عبد الناصر في القوات العائدة من اليمن ، الاسكندرية ١١ /٨ /١٩٦٣ ، الوثائق=

القومية الوحدوية في السلطة داخل الدولة الوحدوية في إطار جبهة واحدة. وهذا كان الشرط الذي وضعه في عام ١٩٦٣ لاقامة الاتحاد الثلاثي. فطالما أن الجماهير الشعبية في بلد عربي معيّن تريد بالاجماع الوحدة الدستورية، فإن القوى السياسية «الوحدوية» وحدها تستطيع تمثيل هذه الجماهير، وبالتالي الاشتراك في «الجبهة القومية». هذا ما كان يقصده عبد الناصر «بالوحدة الديموقراطية».

وإبان زيارة خروتشوف لمصر في نيسان / أبريل ١٩٦٤، أكد عبد الناصر على المحتوى الاجتماعي للوحدة وعلى أن الوحدة العربية هي «وحدة قوى الشعب العاملة»، ربما ذلك من أجل إقناع زائره بأن مفهومه للوحدة العربية لم يكن «قومياً برجوازياً» كما كانت تصفه الأحزاب الشيوعية العربية في ذلك الوقت.

وإذا كان عبد الناصر لم يؤكد ـ في المراحل الأخرى ـ على المحتوى الاجتماعي للوحدة العربية، فمرد ذلك إلى أن أي بعد اجتماعي في الأيديولوجية الناصرية، يرجع إلى مفهوم الاشتراكية في الخطاب الناصري لا إلى مفهوم قومي كالوحدة العربية. إن الغاية التي حدّدها عبد الناصر للوحدة العربية الدستورية، هي تحقيق «الاستقلال العربي الكامل»، أي حرية الأمة العربية إزاء القوى الخارجية. هذا هو المعنى الذي أعطاه عبد الناصر لمفهوم «الوطنية» على الصعيد العربي كما على الصعيد المصري. إلاّ أن « الوطنية العربية » لا تعني بالنسبة لعبد الناصر التعلّق بكيان أو مكان بقدر ما تعني له الحرية والاستقلال لكل العرب.

وأخيراً يلاحظ، أن كل خاصية من خصائص الوحدة العربية تجد ما يقابلها على الصعيد المصري. فالبعد الديموقراطي للوحدة العربية يقترن بـ« الحرية السياسية » لمصر. والبعد الاجتماعي للوحدة العربية يقابله النضال من أجل الاشتراكية في مصر. والبعد القومي للاستقلال العربي يقابله البعد الوطني للاستقلال المصري.. وبما أن المفردات الخاصة بمصر والمشاركة (المعطوفة) لمفهوم « الوحدة العربية » هي أكثر حضوراً من خصائص الوحدة العربية، التي تكاد تكون معدومة، يمكن أن نستلخص أن عبد الناصر ينقل الأهداف الرئيسية للنضال من المستوى المصري إلى المستوى العربي. فنهجه الأيديولوجي فيما يتعلق بالوحدة

العربية ١٩٦٣، ص ٦٤٨ (سنشير اليه بـ « خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٢ »).

العربية ، ينصبّ في توسيع مفاهيمه الخاصة بمصر لتطبيقها على المستوى القومي العربي ، وليس إنطلاقاً من المعطيات الخاصة بكل بلد عربي من أجل التوصل إلى مفهوم مشترك للوحدة القومية . إن وصفنا لهذا النهج هو أنه لا يهدف إلى التمحور حول مصر وإنما ينطلق من مصر نحو البلدان العربية الأخرى . وهناك أمثلة كثيرة تؤكد ذلك : يحيل عبد الناصر ـ مثلاً ـ التفصيلات العملية الخاصة بتطبيق الوحدة الدستورية العربية إلى ميثاق ٢١ أيار / مايو ١٩٦٢ الذي أعده عبد الناصر لمصر :

«وفيما يتعلق بتفاصيل العمل، فإن الجمهورية العربية المتحدة تطرح ميثاقها ليكون تحت تصرف الحركة الثورية للجماهير العربية»[٥٥].

كذلك فإن غياب مفهوم الدولة عن كل حقول دلالة الوحدة العربية معبّر أيضاً في هذا الصدد. لماذا لم يتكوّن لدى عبد الناصر تصور لما ينبغي أن تكون عليه الدولة القومية العربية، التي هي ثمرة الوحدة الدستورية الجامعة لعدة دول عربية؟ نعتقد أن عبد الناصر كان يرى هذه الدولة العربية على صورة الدولة المصرية أو إمتداداً لها على المستوى القومي.

وكانت المرة الوحيدة التي عبّر فيها عن تصوّره للدولة العربية الواحدة هي إبان إعلان الوحدة السورية ـ المصرية في شباط / فبراير ١٩٥٨ . فقد كانت في الواقع المرة الاولى في التاريخ العربي المعاصر التي يقيم فيها شعبان عربيان دولتهما القومية. وقد عبّر عبد الناصر عن دولة الوحدة العربية على النحو التالي:

«لقد بزغ أمل جديد على أفق هذا الشرق. إن الدولة جديدة تنبعث في قلبه، لقد قامت دولة كبرى في هذا الشرق ليست دخيلة فيه ولا غاصبة. ليست عادية عليه ولا مستعدية. دولة تحمي ولا تهدد، تصون ولا تبدد، تقوي ولا تضعف. لا تتحزب ولا تتعصب. لا تنحرف ولا تنحاز. تؤكد العدل وتدعم السلام، توفر الرخاء لها ولمن حولها، للبشر جميعاً بقدر ما تتحمل وتطيق»[٥٦]

ب ـ أشكال الوحدة العربية الدستورية

إن ميثاق أيار / مايو ١٩٦٢ ترك المجال مفتوحاً أمام أشكال تطبيقية مختلفة للوحدة الدستورية:

---

(٥٥) « رد القاهرة ، » ص ٢ .

(٥٦) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨ ، ص ١٢ .

«ليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها، لكن الوحدة العربية طريق طويل تتعدّد عليه الاشكال والمراحل وصولاً إلى الهدف الأخير»[٥٧].

تضمن الخطاب الناصري شكلين للوحدة الدستورية : الوحدة التي تأخذ شكل «الاندماج» الكامل، والوحدة التي تأخذ شكل «الاتحاد» «وحدة أو اتحاد بالمعنى الدستوري»[٥٨].

ولقد كان عبد الناصر قبل عام ١٩٦١، يرفض اللجوء إلى أي تمييز بين الوحدة والاتحاد. (أنظر خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٥٩). فبالنسبة له كانت التسميتان تعنيان ـ على الصعيد الدستوري ـ إندماجاً كاملا . وعندما أشار فيها بعد إلى الوحدة الدستورية السورية ـ المصرية لعام ١٩٥٨، إنصبّ كلامه على «الوحدة الدستورية الشاملة» والاندماج الكامل». ذلك أنه، لم يرَ قبل ١٩٦١ سوى إحتمالين: فإما «وحدة دستورية» تأخذ شكل الاندماج، أو «تضامن سياسي» بين البلدان العربية. ولم يذكر عبد الناصر ـ خلال تلك الفترة ـ إمكانية قيام إتحاد فيدرالي أو أشكال أخرى غير إندماجية للوحدة العربية.

لقد تغيّر موقف عبد الناصر بعد فشل الوحدة السورية ـ المصرية في عام ١٩٦١، تلك الوحدة التي كان شكلها الدستوري شكل «إندماج كامل»، وبدأ ينظر إلى عدة أشكال ممكنة للوحدة، واتجه تدريجياً نحو مفهوم فيدرالي وحتى كونفيدرالي . وقد كرسّ هذا الموقف في وثيقة نشرت في ١١ حزيران / يونيو ١٩٦٢ في الأهرام تحت عنوان «رد القاهرة على الذين ينادون بالوحدة في دمشق»:

«إن صورة الوحدة في أي محاولة جديدة لها، لا بد أن تختلف عن صورتها السابقة، ومن ذلك أنه لا بد أن تبقى الكيانات الوطنية محدّدة وواضحة داخل إطار الوحدة. إن كل كيان وطني يجب أن تكون له حكومته المحلية المسؤولة أمام السلطة الشعبية المنتخبة فيه. إن الوحدة يجب أن تكون شاملة في الدفاع والسياسة الخارجية وفي منهاج العمل الاجتماعي القائم على الاشتراكية والديمقراطية كذلك

(٥٧) مشروع الميثاق، ص ١١٠.

(٥٨) نجد في الخطاب الناصري تعبير الوحدة الشاملة الذي يعني، حسب السياق، اما الوحدة الكاملة بمعنى الاندماج او وحدة تشمل كل البلاد العربية. انظر: المصدر نفسه، ص ١١٠ ـ ١١١.

تمتد الوحدة الى برامج التعليم والثقافة فيكون للدولة المتحدة برلمان مركزي واحد تتمثل فيه الكيانات الوطنية بطريقة عادلة»[٥٩].

إن مختلف مشاريع الاتحاد العربي التي أعدت بمساهمة مصر بعد عام ١٩٦٢، اتخذت عملياً شكلاً فيدرالياً سواء فيها يتعلق بالاتحاد الثلاثي لعام ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق أو بمشروع الاتحاد بين مصر والعراق في عام ١٩٦٤، أو المشروع الأخير للاتحاد الثلاثي بين مصر وليبيا والسودان الذي أعد في كانون الاول / ديسمبر ١٩٦٩ بموجب إتفاق طرابلس.

٢ ـ تحقيق الوحدة العربية الدستورية

لقد كانت مصر محوراً لعدّة تجارب ومشاريع وحدوية. يحصي دويشه[٦٠] ١٤ طلباً للوحدة عرضت على مصر من قبل بلدان عربية أخرى. ومن بين أهم هذه التجارب والمشاريع كانت الوحدة السورية ـ المصرية في شباط / فبراير ١٩٥٨ ـ أيلول / سبتمبر ١٩٦١، الاتحاد الثلاثي في ١٧ نيسان / ابريل ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق، والذي انفصمت عراه في تموز / يوليو ١٩٦٣ بانسحاب مصر، ومشروع الاتحاد الفيدرالي في كانون الاول / ديسمبر ١٩٦٩ بين مصر وليبيا والسودان والذي توقفت عملية انجازه مع وفاة عبد الناصر في أيلول / سبتمبر ١٩٧٠.

إن دراسة هذه التجارب والمشاريع الوحدوية لا تدخل في اطار بحثنا هذا، ولكنه إنطلاقاً من هذه المحاولات وفشلها، خاصة تلك التي حدثت في عامي ١٩٥٨ و١٩٦٣[٦١]،أقبل عبد الناصر تدريجياً على تطوير مفهومه للوحدة العربية الدستورية.

وإذا كان عبد الناصر لم يحدّد بشكل منتظم صانعي الوحدة (أ)، فإنه بالمقابل طوّر تدريجياً تصوره لشروط وأساليب تحقيقها (ب).ومن اجل اقناع المشككين في مصر وغيرها أقدم عبد الناصر على توضيح دوافع الوحدة العربية وغاياتها (لماذا الوحدة: ٣-)

---

(٥٩) «رد القاهرة،» ص ٢.

(٦٠) Dawisha, Egypt in the Arab World, p.134

(٦١) اعترف عبد الناصر مرارا بانه استخلص دروسا كثيرة من تجربة الوحدة المصرية السورية في عام ١٩٥٨: «تجربة وحدوية سوف تبقى امام النضال العربي ذخيرة غنية تفيد وتعلم وتكشف، حتى عن طريق اخطائها، دروسا لا شك في قيمتها» انظر: «خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧،» ص ٥٨.

أ - من يستطيع تحقيق الوحدة العربية الدستورية

لم يُبلور عبد الناصر تصوراً شاملا لصانعي الوحدة ، انما توصلّنا إلى تحديدهم وإلى استخلاص القوى المساعدة للوحدة من خلال تحليل شبكتي المواصفات والمشاركات في حقول دلالة مفهوم «الوحدة العربية» في الخطاب الناصري :

جدول رقم (٣٩)

صانعي الوحدة العربية الدستورية وعملهم في الخطاب الناصري

الفئات الشعبية « أقامها الشعب » « ينادي بها الشعب العربي دائماً » . « هي مطلبا لشعوب الأمة العربية » . « وحدة الشعوب لا وحدة الاستعماريين والرجعيين » « وحدة للجماهير العربية » « بإرادة الجماهير » . « الشعب السوري والشعب المصري » .
الأقطار العربية « بين البلاد العربية » « مصر وسوريا » « جمهورية العراق والجمهورية العربية المتحدة » « وحدة مصر والسودان » .
«نحن» ومصر . « نحن » (المراحل الأولى والثانية والثالثة والخامسة والسادسة) . « في رسالة الجمهورية العربية المتحدة العمل من أجل الوحدة الشاملة » . (المرحلة الثالثة) . « الجمهورية العربية المتحدة هي الدولة النواة في طلب الوحدة والحرية والاشتراكية » (المرحلة الثالثة) .
القوى الاجتماعية « وحدة قوى الشعب العاملة » . « قوى الشعب العاملة في الوطن العربي » .

تابع / جدول رقم (٣٩)

« وحدة العاملين من أجل البناء » . باستثناء : « الاحتكارات » - « الرأسمال المستغل » . القوى السياسية (المراحل الثالثة والخامسة والسادسة) « صناعها القوميين الوحدويين » « أمل للمناضلين العرب ، للثوريين العرب » . « اتفاقية الوحدة الثلاثية لم تكن بين حكومات انها كانت بين قوى عربية ثورية وقومية » . « وحدة أحرار ، وحدة ثوار » . « الحركة القومية العربية الواحدة » (يوليو ١٩٦٣) .
عمل صانعي الوحدة الدستورية : منتهية . (-) « تحقيق - اقامها » . (الشعب السوري والمصري ، نحن) . (-) « كنا نادي بها - اعلانها - رفعتها » (نحن) (-) « عملنا من أجلها » (نحن ، القوى الثورية) . (-) « فرضهاالشعب ، املاها املاء » . غير منتهية (+) السعي إليها - حتى نحققها - نتجه إليها » (نحن ، أنا) (=) تنادي بها - تطالب بها - الدعوة إليها - » (الشعب العربي ، الجماهير ، نحن) . (-) « العمل من أجلها » (الجماهير ، نحن) . (-) « نؤمن بها - لم نكفر بها » .

يتضح من الجدول رقم (٣٩) السابق أن عبد الناصر لم يميّز بين الذين صنعوا الوحدة والذين طبّقت عليهم هذه الوحدة، فغالباً ما تختلط الفئتان في خطابه. إن أبرز عامل وحدوي في الخطاب الناصري هو العنصر الشعبي. فإرادة «الشعوب العربية» أو «الشعب العربي» أو «الجماهير العربية» هي العوامل الحاسمة في تحقيق الوحدة. وإذا كانت الشعوب العربية كلها «تريد» الوحدة، وهي دائماً مدعوة لتحقيقها في الخطاب الناصري، فإن عبد الناصر يرى في الشعبين السوري والمصري مركز العملية

الوحدوية. ومصر باعتبارها دولة وثورة ترى نفسها مكلّفة بالدور الرئيسي فإن «رسالة» مصر هي العمل من أجل الوحدة وهي «الدولة النواة» لذلك. ويظهر دورها المركزي في استخدام الفاعل «نحن» الذي يقصد به، في آنٍ واحد، مصر كدولة وحكومة وشعب وثورة، والذي ينسب له الدور الرئيسي في «تحقيق» الوحدة و«إعلانها» و«المطالبة بها» و«العمل من أجلها». ومن جهة أخرى فإن كل شركاء مصر من العرب قد أقروا بدورها المركزي هذا[٦٢].

ولم يخصص عبد الناصر أي فئة أو أي طبقة إجتماعية من بين صانعي الوحدة الدستورية، إلا أنه وجد خلال زيارة خروتشوف في نيسان / أبريل ١٩٦٤، أنه لا مناص من التطرق لهذه النقطة، لذا أكّد أن «كل قوى الشعب العاملة» مدعوة لتحقيق الوحدة. وهكذا اقترب عبد الناصر من مفهوم ضيفه الذي طالب في الكلمات التي ألقاها باستبدال شعار «أيها العرب اتحدوا» بشعار «ايها العمال العرب اتحدوا»[٦٣] وأن تصبح «الوحدة العربية» «وحدة العمال». وفي حين جعل عبد الناصر من الشعوب «العربية» أساساً للوحدة الدستورية أكّد خروتشوف على أن العنصر «القومي» لم يؤخذ بعين الاعتبار في المفهوم السوفياتي للوحدة:

«إننا الشعب السوفياتي نفهم قضية الوحدة بصورة أوسع لا على أساس قومية الشعوب بل على أساس قوى الشعب العاملة»[٦٤]

وتجدر الاشارة إلى أن المفهوم السوفياتي للوحدة العربية يقوم على أنهم يعتبرون « الظروف السياسية والاقتصادية وعادات وتقاليد هذه البلدان تختلف من بلد إلى آخر، غير أن ثمة عاطفة وطنية مشتركة تحرّك شعوبها»[٦٥]. ولهذا السبب فسّر السوفيات الحركة الوحدوية العربية على أساس أنها حركة وطنية للنضال ضد الاستعمار. وليست حركة من أجل تحقيق الدولة القومية العربية الواحدة.

---

(٦٢) P.Seale, The Struggle for Syria,1945-1958 (London : Oxford University Press,1965)P.311.

(٦٣) « خطاب الرئيس خروشوف في اسوان، ١٦ مايو ١٩٦٤ »، الأهرام، ١٧ أيار / مايو ١٩٦٤، ص ٢ و « خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤ »، ص ١، حيث يجيب الرئيس عبد الناصر على خروشوف.

(٦٤) « خطاب ٢٠ أيار / مايو ١٩٦٤ »، ص ٢.

(٦٥) V.Segesvary,Le Réalisme Kouchtchévien,1953-1960 (Genève:[n.p.]), 1968),p.131.

لم ينحصر إدخال فئات إجتماعية ضمن القوى المساعدة على تحقيق الوحدة العربية الدستورية في المرحلة الرابعة (إثر زيارة خروتشوف). فعبد الناصر يؤكد، خلال المرحلة السادسة ولدى زيارته للخرطوم في كانون الثاني / يناير ١٩٧٠، إن «الوحدة العربية هي وحدة قوى الشعب العاملة». ولكن ماذا عن الفئات الاجتماعية التي استبعدت من العملية الوحدوية؟..

إعتباراً من المرحلة الثالثة وفي خطاب ١٦ تشرين الاول / أكتوبر ١٩٦١ قام عبد الناصر بنقد ذاتي، ولا سيما بعد انفصال الوحدة السورية ـ المصرية، اعترف فيه «بوجود تناقضات بين مصالح وأهداف الرأسماليين والسياسيين السوريين» الذين طالبوا بالوحدة. غير أنه لم يستبعد آنذاك الرأسماليين من العملية الوحدوية واكتفى باستبعاد «الرجعية». ولم يحدّد عبد الناصر صراحة الفئات الاجتماعية المستبعدة من عملية الوحدة الدستورية إلا في المرحلة الرابعة. وقد انصب الاستبعاد اساساً على «الاقطاع» و«رأس المال المستغل» و«الاحتكارات» و«السلطة السياسية لهذه القوى»[٦٦] ورفض عبد الناصر «الوحدة بين الاقطاعيين» (كانون الثاني / يناير ١٩٧٠) وذلك في نقده للاشكال القديمة للوحدة التي نوديَ بها ـ فيما مضى ـ بين مصر والسودان، أي قبل القضاء على الاقطاع في السودان. وممّا تجدر ملاحظته أن عبد الناصر لم يخصّ القوّات المسلحة بأي دور في تحقيق الوحدة. ومرد ذلك ـ كما سنرى فيما بعد ـ في دراسة شروط الوحدة (ب) ـ إلى أن عبد الناصر يرفض اللجوء إلى القوة في تحقيق الوحدة الدستورية. كذلك لم يعط دوراً رئيسياً للتنظيمات السياسية العربية. فبعد فشل الاتحاد الثلاثي في تموز / يوليو ١٩٦٣ أكد على أن: «إتفاقية الوحدة الثلاثية لم تكن بين حكومات إنما كانت بين قوى عربية ثورية وقومية»[٦٧].

وفي مناسبات أخرى يرد ذكر «الوحدويين القوميين والثوريين» «والمناضلين العرب» كصانعي الوحدة الدستورية. وليس المقصود هنا تنظيمات سياسية محددة وإنما تيارات سياسية وحدوية في صفوف الجماهير العربية لم تأخذ بعد شكلاً تنظيمياً. ولم تُحدَّد هذه القوى في الخطاب الناصري سوى بطابعها «القومي العربي» و«الثوري» وبارادتها الوحدوية. وعليه فمن الصعب تمييزها عن حركة الجماهير.

ويلاحظ هـ. ديكمجيان (H. Dekmejian) أن دعوة عبد الناصر للوحدة

(٦٦) «خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤،» ص ١.

(٦٧) «خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣،» ص ٦٠٤.

العربية لم تكن موجهة للحكومات العربية وإنما لمواطنيها(٦٨). وأكد على ذلك ميثاق ١٩٦٢ حيث جاء أن «الجمهورية العربية المتحدة لا بد لها أن تنقل دعوتها (إلى الوحدة) والمبادىء التي تتضمنها لتكون تحت تصرّف كل مواطن عربي»(ص١١١)، إلا أن إدراك عبد الناصر لضرورة حركة وحدوية عربية منظمة جعلته في عدّة مرات يدعو إلى تشكيل «الحركة القومية العربية الواحدة» (المرحلة الثالثة) وإلى «وحدة القوى الثورية العربية» (المرحلة الخامسة) بحيث لا يقتصر هدفها على تحقيق «الوحدة» ولكن أيضاً «الحرية» و«الاشتراكية».

وكان قد أقدم النظام الناصري فيعامي١٩٦٥ و١٩٦٦ على تشجيع إنشاء تنظيم قومي في عدد من الأقطار العربية تطبيقاً لما دعا له بعد فشل الوحدة الثلاثية في عام ١٩٦٣، إلى ضرورة إنشاء «حركة عربية واحدة».

وفي عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ ركّز عبد الناصر كل جهده على تعبئة «وتوحيد القوى الثورية» العربية داخل جبهة واحدة: توحيد على مستوى محلي داخل كل بلد عربي وتوحيد على مستوى قومي - عربي. إن إقامة تنظيمات من نوع «الاتحاد الاشتراكي العربي» في عدة بلدان عربية إنطلاقاً من عام ١٩٦٥ كان يهدف إلى إيجاد إطار تنظيمي لمشروع «توحيد القوى الثورية العربية». ولكن هل نجحت هذه العملية؟. إن حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ لم تسمح لعبد الناصر أن يواصل هذه المحاولة، ولم تتحول التنظيمات المختلفة من نوع «الاتحاد الاشتراكي»، والتي شكلت في بعض البلدان العربية، إلى تنظيمات جماهيرية جامعة لكل القوى الوحدوية.

لم يكن الجيش ولا الحكومات ولا الدول ولا التنظيمات السياسية القائمة بالنسبة لعبد الناصر من بين صانعي الوحدة العربية الدستورية الاساسيين إنما «الشعوب العربية» وقوى «الشعب العاملة» و«القوى الثورية العربية» وخاصة «القوى العاملة» متحدة، هي القوى المرشحة من قبله لتحقيق الوحدة.

ب - شروط وأساليب تحقيق الوحدة العربية الدستورية

كيف تصوّر عبد الناصر تحقيق الوحدة الدستورية؟ لقد اعترف عبد الناصر مراراً بأنه لم يكن لديه قبل عام ١٩٥٨ تصور واضح للوحدة العربية الدستورية لسبب بسيط وهو أنه لم يقدم على مواجهة هذا الشكل من الوحدة قبل ١٩٥٨. ويبدو أن

(٦٨) Dekmejian, Egypt Under Nasir, (London: University of London Press,1972),pp.105-108.

الطلبات الملحة للوحدة من جانب سوريا عام ١٩٥٨ قد فاجأته. إن تحديد عبد الناصر لشروط (أ) وأساليب (ب) الوحدة العربية الدستورية قد تم خلال المرحلة الثانية والثالثة، بعد أزمتي لبنان والعراق عام ١٩٥٨ (حيث هددت وحدتهما الداخلية) وبعد فشل الوحدة السورية - المصرية (١٩٦١) وفي فترة الاعداد للوحدة الثلاثية (١٩٦٣) وبعد فشلها.

(أ) شروط الوحدة العربية الدستورية

«حرية - إشتراكية» (المرحلة الخامسة والسادسة)

«وحدة وطنية»: على الصعيد الاجتماعي والشعبي (المرحلة الثانية والثالثة)
على الصعيد الايديولوجي - السياسي (المرحلة الثالثة)

لقد أثار قيام الوحدة السورية - المصرية حركة شعبية عارمة في المشرق العربي، فطالبت حركات شعبية واسعة في العراق والأردن واليمن ولبنان الانضمام إلى دولة الجمهورية العربية المتحدة الجديدة. غير أن ثمة حركات إقليمية ذات قاعدة طائفية في لبنان (١٩٥٨) وشيوعية في العراق (١٩٥٩) ناهضت هذا الاتجاه مهددة هاتين الدولتين بانقسام داخلي وحرب أهلية، وكان على عبد الناصر أن يضع بوضوح، إعتبارا من عام ١٩٥٩، شروط الوحدة العربية بالمعنى الدستوري.

تحقيق «الحرية» و«الاشتراكية»، تحقيق «الوحدة الوطنية» في داخل كل بلد عربي، تلكم كانت الشروط التمهيدية التي وضعها عبد الناصر للوحدة والتي استخلصناها من تحليل حقول الدلالة ومسار البرهنة الخاصة بهذا المفهوم.

- **الشرط الاول: «تحقيق الحرية» و«الاشتراكية»** «إن مجتمع الوحدة العربية لا يبنى إلا بالحرية والاشتراكية. وهو تتويج لانتصاراتهما معاً على الارض العربية»

«مقدمات ضرورية لها: الحرية السياسية والحرية الاجتماعية» (المرحلة الخامسة) «لا يمكن ان تتحقق إلا إذا تحققت قبلها الحرية، الوحدة، بعد الحرية والاشتراكية[٦٩]» (المرحلة السادسة)

إن هذه الشروط التي وضعها عبد الناصر إعتباراً من المرحلة الرابعة، والتي قمنا بتحليلها في الفصل الرابع (ثانياً - ألف - ج)، كان قد بدأ يرسمها عند قيام الوحدة

(٦٩) «خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤»، ص ١.

السورية ـ المصرية في عام ١٩٥٨، خاصة فيما يتعلق بالشرط الخاص بـ «الحرية» بمعنى الاستقلال:

«لقد تهاوت الحواجز والسدود لما زال وجود الاستعمار من بلادنا»[٧٠].

«حين حصلت سورية على استقلالها الكامل تطّلعت إلى مصر وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت إلى سورية»[٧١]

لقد كُرّس شرط الاستقلال الوطني هذا بالنهاية، في ميثاق ١٩٦٢:

«إن أي حكومة وطنية في العالم العربي تمثل إرادة شعبها ونضاله في إطار من الاستقلال الوطني هي خطوة نحو الوحدة»[٧٢]

ـ **الشرط الثاني: تحقيق «الوحدة الوطنية» على الصعيد القطري**: إن الشرط الاساسي الذي فرضه عبد الناصر على أي بلد عربي يرغب في تحقيق الوحدة الدستورية مع بلدان عربية أخرى، هو إنجاز وحدته الوطنية الداخلية:

«وهكذا تحدد عملنا من أجل الوحدة بمبادىء تصونه وتحفظه (..) ثانيها: أن يكون هذا الشعب العربي قد استكمل مقومات وحدته الوطنية داخل حدوده القائمة قبل أن يدخل في ارتباط أوسع مدى من هذه الحدود»[٧٣].

«إن الوحدة الوطنية هي الضمان الوحيد لسلامة العمل القومي ونجاح أهدافه في كل المجالات، فيما نواجهه من ظروف»[٧٤]

«إن اشتراط الدعوة السلمية والاجماع الشعبي ليس مجرد تمسك بأسلوب مثالي في العمل الوطني إنما هو ضرورة لازمة للمحافظة على الوحدة الوطنية للشعب العربي في ظروف العمل من أجل الوحدة القومية للأمة العربية كلّها»[٧٥]

إن هذا الشرط الأساسي الذي وضعه عبد الناصر ليس عرضياً، بل يبدو على العكس دائماً. وفعلا بعد الاتفاق الذي وقّعه مع العراق (في فترة حكم الرئيس عبد

---

(٧٠) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨، ص ١١.
(٧١) المصدر نفسه، ص ٥.
(٧٢) مشروع الميثاق، ص ١١٠.
(٧٣) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠، ص ١٦.
(٧٤) المصدر نفسه، ص ٣٦.
(٧٥) مشروع الميثاق، ص ١٨.

السلام عارف) في أيلول / سبتمبر ١٩٦٤، والذي كان يهدف إلى قيام وحدة دستورية مع مصر خلال سنتين، ولم تظهر على عبد الناصر أية علامة استعجال في هذا المجال، وقد صرّح امام مجموعة من الاساتذة والطلبة العراقيين في شباط / فبراير ١٩٦٥ بما يلي: «لن نحقق ما التزمنا به إلّا بعد أن نكون قد أمّنا الوحدة الوطنية»(٧٦) ماذا يعني عبد الناصر بالوحدة الوطنية؟ إن تحليل حقول دلالة هذا المفهوم بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠ (في الخطب المكونة للعينة) قد مكننا من الاحاطة بمدلول الوحدة الوطنية لدى عبد الناصر، إن هذه الوحدة الوطنية تنطوي على مدلول مزدوج: أولها الوحدة المجتمعية الشعبية، وثانيها الوحدة السياسية ـ الايديولوجية.

(أ) الوحدة الوطنية كوحدة مجتمعية شعبية لكل شعب عربي

المواصفات : « فانه في إطار الوحدة الوطنية الداعمة يمكن أن يجري تفاعل الطبقات وتقاربها تجنبا للصراع الدامي المحتم ، إذا ما بقيت الفوارق الواسعة وإذا ما بقيت الفرقة العميقة »(٧٧)

«إن الوحدة الوطنية يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب (. .) قوى الشعب العاملة وهي الفلاحون، والعمال، والجنود، والمثقفون، والرأسمالية الوطنية»(٧٨)

«حل المتناقضات بين بقية طبقات الشعب سلمياً بوسائل العمل الديمقراطي»(٧٩)

«تذويب الفوارق بين الطبقات»(٨٠)

«الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب جميعاً»(٨١)

المناقضات: «المستغلّين »

«الرجعية »

« تحالف الاقطاع »

« والرأسمال المستغلّ »(٨٢).

يتبيّن مما تقدّم أن عبد الناصر عندما يدعو إلى «الوحدة الوطنية» يعني

---

(٧٦) P.Mansfield,**Nasser's Egypt** (London: Penguin Books,1969),p.74.

(٧٧) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، ص ٣٦ .

(٧٨) مشروع الميثاق ، ص ٥٣ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

(٨١) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ . » ص ٥٩٧ .

(٨٢) مشروع الميثاق ، ص ٥٣ .

بذلك «تحالف» الطبقات والقوى العاملة للشعب: «عمّال، فلاحين، جنود، مثقفين ورأسمالية وطنية». وهو يرى أن «التقارب» و«التفاعل» بين هذه الطبقات الاجتماعية الشعبية أمر ممكن برغم الخلافات والتناقضات المستمرة بين مصالحها، تلك التناقضات التي يمكن باعتقاده أن تحل «سلمياً». ولا يستبعد عبد الناصر من «الوحدة الوطنية» سوى «الرجعية»، التي يرى أنها تضم «الاقطاع» و«رأس المال المستغل» و«الاحتكارات». ولكنه لم يتوصل إلى استبعاد «الرجعية» من «الوحدة الوطنية» إلاّ تدريجياً. فقبل عام ١٩٦١، كان عبد الناصر يعتقد بأن التناقضات بين الطبقات المستغِلة من جهة والطبقات الشعبية من جهة أخرى، يمكن أن تحل «سلمياً». لكن الدور الحاسم «للرجعية» في سوريا (الممثلة بالاقطاع والاحتكارات الرأسمالية كالشركة الخماسية للقطن، والتي يشير إليها عبد الناصر في خطابي ٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٦١ و١٦ تشرين الاول / أكتوبر ١٩٦١) في انفصال أيلول / سبتمبر ١٩٦١، حمله على تغيير مفهومه. فاعتباراً من أيلول / سبتمبر ١٩٦١، أكّد عبد الناصر على أن المجابهة المسلّحة مع «الرجعية» لا يمكن تجنّبها، وأن «تحالف قوى الشعب العامل» وبتعبير آخر «الوحدة الوطنية» لا يمكن أن تقوم إلاّ على أنقاض «تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل»:

«ويتصل بهذا الوهم وهم تصور إمكان المصالحة مع الرجعية على أسس وطنية، ذلك إننا في الوقت الذي أعلنا فيه إيماننا بإمكان إزالة المتناقضات الطبقية سلمياً داخل إطار من الوحدة الوطنية كانت الرجعية تمشي في طريق آخر معاكس»[٨٣]

ومنذ ذلك الحين أقرّ عبد الناصر بأن التناقضات بين الفئات أو الطبقات الشعبية المتحالفة داخل «إتحاد قوى الشعب العاملة»، هي وحدها التي يمكن أن تحل «سلمياً» ورأى أن الشعب المصري هو أحد الشعوب العربية القليلة الذي حقّق وحدته الوطنية:

« استطاع الشعب المصري أن يحقق الوحدة الوطنية »[٨٤] « الشعب المصري فيه وحدة وطنية »[٨٥].

---

(٨٣) بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة في مساء يوم ١٦ اكتوبر ١٩٦١ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .])، ص ٢٤ (سنشير اليه بـ بيان ١٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦١).

(٨٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في عيد الثورة الثالث عشر ، ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٦٥ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ١٢ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٥).

(٨٥) « خطاب عيد الثورة الخامس عشر ، ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، » وثائق عبد الناصر ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ، ص ٢٥٦.

وقد ورد ذكر بلدان عربية أخرى في الخطاب الناصري، من حيث ضرورة تحقيق «وحدتها الوطنية» قبل الانخراط في عملية وحدوية على الصعيد القومي، هي بشكل رئيسي، لبنان (١٩٥٨) والعراق (١٩٥٨ - ١٩٦٤) واليمن (١٩٦٣ - ١٩٦٥) والسودان (١٩٧٠)، وبشكل ثانوي سوريا (١٩٦٣) والفلسطينيون (١٩٦٥).

ويلاحظ أن البلدان العربية التي يولي عبد الناصر ضرورة تحقيق الوحدة الوطنية فيها اهتمامه الاكبر هي تلك التي هزتها حروب أهلية داخلية بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٥ (لبنان - العراق - اليمن) أو تلك التي كانت تهدّدها حركات قومية إنفصالية (العراق والسودان). وفي كل هذه الحالات لم تكن المجابهات السياسية ترجع في الاساس إلى تناقضات طبقية فحسب، وإنما أيضاً إلى صدع ناتج عن الانقسام الطائفي في لبنان أو القبلي (اليمن) أو القومي (الحركة الكردية في العراق وحركة آنيانيا في جنوب السودان). ثمة سؤال يطرح نفسه هنا: لماذا لا نجد أثراً لهذه المجموعات التقليدية (طوائف، قبائل، إتنيّات) في المفهوم الناصري للوحدة الوطنية؟ لماذا يقتصر هذا المفهوم، كما رأينا، على وحدة الطبقات والقوى الشعبية فقط ولا يشدد على ضرورة دمج المجموعات الاجتماعية التقليدية أو بتعبير آخر، إزالة الانقسامات الطائفية والقبلية والعرقية، خاصة وأن انقسامات من هذا النوع موجودة في البلاد التي أشار إليها عبد الناصر؟

سنحاول الاجابة على هذا السؤال بدراسة ما يفكر به عبد الناصر عن التجمّعات الدينية والقبلية والطائفية والعرقية في الوطن العربي آخذين بنظر الاعتبار أنه لم يتعمق كثيراً في هذه المسائل، الأمر الذي أجبرنا مراراً على الاستعانة بمصادر خارج العينة.

- الجماعات الدينية: لقد استخلصنا تصور عبد الناصر للمجتمعات الدينية في الوطن العربي من بعض المقابلات اللاحقة لعام ١٩٦٧، والتي أجاب فيها عبد الناصر على أسئلة طرحت عليه حول هذا الموضوع:

«اليهود ساميون مثلنا (.) ونحن ننظر إلى اليهود في بلادنا على انهم مصريون واليهود الذين يعيشون في الدول العربية يشعرون دائما بأنه من الانسب لهم ان يبقوا في الدول العربية على أن يذهبوا إلى دول أخرى. لقد عاش آباؤهم وأجدادهم هنا آلاف السنين دون أي تفرقة»[٨٦]

---

(٨٦) «حديث مع سولز برغر رئيس تحرير النيويورك تايمز في ٢٦ فبراير ١٩٦٩»، وثائق عبد الناصر، ١٩٦٩ - ١٩٧٠، ص ٦٧.

«إن الأديان الثلاثة قامت في هذه المنطقة (..) ونحن لم نفرق في يوم من الأيام بين العربي المسلم والعربي المسيحي والعربي اليهودي، بل ان المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جنباً إلى جنب في هذه المنطقة من العالم قروناً طويلة بدون أي خلافات حتى أتت الخلافات الأخيرة بين اليهود من جانب والمسلمين والمسيحيين من جانب آخر في فلسطين بسبب إنشاء وطن قومي لإسرائيل»(٨٧)

«الاسرائيليون يصرون على التخلص من الفلسطينيين وعلى أن يقيموا دولتهم على أساس «اليهودية» وينظرون إلى اليهودية لا كعقيدة فحسب بل كقومية وهذا ما يعقد المشكلة. ولست أدري ما الذي سيحدث لو أننا قررنا أن نقيم دولتنا على الاسلام وقرر آخرون أن يقيموا دولتهم على المسيحية وقرر غيرهم أن يقيموا دولتهم على البوذية. لسوف تكون هناك في كل مكان أعمال تنم عن التعصّب»(٨٨)

يعتبر عبد الناصر إذن أن الجماعات الدينية الثلاث في الوطن العربي (المسلمون والمسيحيون واليهود) جماعات «عربية» أي أنها تنتمي إلى قومية واحدة. فهو يضع هذه الجماعات على مستوى واحد ولا يميز فيما بينها سوى في العقيدة: «إسلام» «يهودية» و«مسيحية». إن إقامة دولة على إحدى هذه «العقائد» (التي ترقّى إلى مصاف القومية كما هو الحال في إسرائيل) أمر ينبذه عبد الناصر ويعتبره مساعداً على «التعصب»، وكذلك يرفض عبد الناصر إقامة «أوطان» طائفية:

«لا نستطيع أن نتصور إقامة الاوطان على أساس الديانات فتصبح هناك أوطان لا يعيش فيها غير المسلمين، وأوطان لا يعيش فيها غير المسيحيين وأوطان لا يعيش فيها غير البوذيين وهكذا»(٨٩).

- **الانشطارات الطائفية والقبلية**: شهدت بعض البلدان العربية بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٥ مجابهات داخلية ارتكزت بدرجات متفاوتة على إنقسامات طائفية أو سياسية. ويمثل لبنان البلد الوحيد الذي أخذت فيه المجابهة منحى طائفيا مكشوفاً مع، أو ضد،الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة. أما في العراق فكانت الغلبة في النزاع الذي وقع بين قاسم والشيوعيين من جهة والقوميين العرب المؤيدين لعبد الناصر والوحدويين من جهة أخرى، للطابع السياسي. أما في اليمن فإن الانقسام خلال

---

(٨٧) «حديث الى شوفيل المعلق السياسي للتلفزيون الفرنسي، ٢٩ ابريل ١٩٦٩»، المصدر نفسه ص ١٢١.

(٨٨) «حديث الى مدير تحرير لوس انجلوس تايمز لشؤون الشرق الاوسط، ٣ فبراير ١٩٧٠»، المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

(٨٩) «حديث لمجلة تايم الامريكية، ١٢ مايو ١٩٦٩»، المصدر نفسه، ص ١٥٤.

الحرب الأهلية (١٩٦٢ - ١٩٦٥) بين الجمهوريين والملكيين لم يكن إنقساما سياسيا فقط بل أيضاً قبلياً ومذهبياً تمثل في المجابهة بين الزيدية والشافعية.

وبالرغم من ذلك، لم يتوقف عبد الناصر عند الجانب الطائفي للنزاع إلا في حالة لبنان، ربما لأنه كان الأكثر ظهوراً حيث تواجهت مجموعتان منتميتان لدينين مختلفين:

«ثار شعب لبنان ضد النفوذ الاجنبي وضد أعوان الاستعمار وحارب واستشهد عدد كبير. ناس استشهدوا وهم في الثورة وناس استشهدوا لأنهم غرر بهم، وكلهم ضحوا بدمهم في سبيل لبنان وفي سبيل العروبة وفي سبيل القومية العربية (..)»

«مين قال إن إحنا بنفرّق بين مسلمين وبين مسيحيين. مين قال إن إحنا بنفرق بين اللبناني المسيحي واللبناني المسلم. ولكن دسائس الاستعمار وأرادوا أنهم يثيروا فتنة طائفية بين ابناء الوطن الواحد ويقتلوا بعض»[٩٠]

يتبينّ من المقطع السابق أن عبد الناصر لا يميز بين الدوافع التي حرّكت اللبنانيين المسيحيين وتلك التي حرّكت اللبنانيين المسلمين («كلهم ضحوا بدمهم في سبيل لبنان وفي سبيل العروبة»). بل وضع الخلاف بين الاثنين على الصعيد السياسي: «مجموعة خُدعت وأخرى كانت في صفوف الثورة». لا يذكر عبد الناصر وجود الطوائف[٩١] وإنما يقر بالطابع «الطائفي» للحرب («فتنة طائفية») التي كان ينسبها في البداية إلى التدخل الخارجي فقط: «إنه الاستعمار بمساعدة عملائه» إلا أنه في تموز / يوليو ١٩٦١ وعشية الانفصال قام عبد الناصر بتحليل أعمق للعوامل الداخلية للطائفية:

«الطائفية لم تكن إلا وسيلة لخلق التعصّب الديني.. والتعصب يؤمن الاقطاع وسيطرة الاقطاع ويؤمن الرأسمالية المستقلة وسيطرتها الطائفية، نقتل الطبقة العاملة المظلومة ونخدعها بسلاح التعصّب الاعمى، لكي تحارب وتناضل لا في سبيل رفع الظلم أو إقامة عدالة اجتماعية أو في سبيل إنهاء الاقطاع أو الاستغلال أو سيطرة رأس المال، بل لتحارب بعضها البعض (.) وإذا حاولنا أن نعرف العلاقة بين زعماء الطائفية السياسية والدين. نجد لا علاقة. هل حد منهم بروح جامع أو بروح كنيسة. ما فيش طائفية وما فيش استخدام للدين إلا في السياسة ليه؟ لانهم بهذا يريدون أن يؤمنوا مصالح الطبقات الرجعية التي تستغل الطبقات العاملة»[٩٢]

---

(٩٠) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، ص ٥١ و ٥٣.

(٩١) لم يأت عبد الناصر ابدا على تسمية الطوائف والمذاهب العربية من قبطية او شيعية او مارونية او علوية او سنية، انه يكتفي بالاشارة اليها بانتمائها الى احدى الديانتين الموحّدتين: الاسلام والمسيحية. ويسجل بذلك تجنبه لاعارة اهمية الى التمايز الطائفي والمذهبي في المجتمع العربي.

(٩٢) «خطاب في عيد الثورة التاسع، القاهرة ٢٣ يوليو ١٩٦١»، الاهرام، ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦١، ص ٢ (خارج العينة).

إذن أرجع عبد الناصر النزاع الطائفي الى نزاع طبقات منحرف «فالطبقات المسيطرة» تستخدم الطائفية لإحداث انقسام في الطبقة العاملة وحملها على التقاتل، الامر الذي يمكنّها من الابقاء على استغلالها وسيطرتها. وإذا كان الخطاب الناصري لا يقرّ بوجود طوائف، فإن النظام الناصري طرح في بعض مواقفه الرسمية، الموضوع على أنه «مشكلة» طائفية يجب حلّها، وليس بنية مجتمع يجب تغييره أو صهره. ورأى على غرار النظرة الشيوعية للطائفية:

«إن تذويب الفوارق بين الطبقات في المجتمع العربي، يحلّ بالمساواة الحرّة مشاكل الأقليات والمشاكل الطائفية في بعض أجزاء الوطن العربي» (انظر الهامش (٤٧))

فالحلّ الطبقي هو الحل المرشّح لانهاء المشكلة الطائفية. ويمكن تلخيص مجمل نظرة عبد الناصر للطائفية كما يلي: الصراع الطائفي هو صراع طبقي منحرف لا يمكن حلّه إلا بإزالة الفوارق بين الطبقات وبناء الاشتراكية . ولا تختلف نظرته هذه عن النظرة الشيوعية للمشكلة الطائفية إلاّ بكيفية معالجة الصراع الطبقي. فالتحليل الشيوعي يرى حلّ المشكلة الطائفية بتكتل الطبقات المستغَلّة على اختلاف انتماءاتها الطائفية وتحررها من سيطرة الطبقات المستغِلّة، في حين أن التحليل الناصري يرى حلّ الصراع الطبقي عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات وحل نزاعها سلمياً.

أما فيما يختص بالانشطارات العمودية الأخرى التي تجزّىء المجتمع العربي، فقد اعترف عبد الناصر بوجود إنقسام قبلي في بعض المجتمعات العربية المشرقية، أمثال اليمن، إلا أنه لم يخصّص مكانة هامة لهذه الظاهرة في خطبه، ولم يتوقّف عند خلفياتها المذهبية، كالنزاع بين الزيدي والشافعي في حرب اليمن[٩٣].

بعد هذا التفحّص السريع، يمكننا أن نجيب على السؤال الذي طرحناه في البداية وهو لماذا يحصر عبد الناصر البعد المجتمعي للوحدة الوطنية بوحدة أو تحالف بين الطبقات والفئات العاملة للشعب ويهمل إدراج قضية إندماج التجمعات الدينية والطائفية والقبلية التي يتكوّن منها أيضاً المجتمع العربي. يرى عبد الناصر أن ما يميّز جماعة دينية عن أخرى في الوطن العربي هو «العقيدة» فقط، وأن الانتماء القومي (العربي) هو نفسه واحد بالنسبة للجميع.. وما الطائفية سوى وسيلة يستخدمها

---

(٩٣) خطاب في المؤتمر الشعبي بأسوان بمناسبة العيد الثالث لبدء بناء السد العالي، ٩ يناير ١٩٦٣ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٥٤ (خارج العينة).

الاستعمار والطبقات المسيطرة لإحداث إنقسام في الطبقات العاملة. وعلى هذا الاساس فإن هذه «المعتقدات» المختلفة والانقسامات الطائفية المفتعلة من الخارج لا يمكن أن تشكل بالنسبة لعبد الناصر، موضوعاً« للوحدة الوطنية». فهي تبقى في المجال الروحي أو الانتهاء الفردي أو الأداة الخارجية، وهي لا تخصّ البنيات والعلاقات الاجتماعية الاساسية. وإنما شدة إلحاح عبد الناصر على ضرورة «الوحدة الوطنية» عندما يأتي على ذكر بلدان عربية هزّتها نزاعات لم تكن سياسية بحت أو مجرد نزاعات طبقية (لبنان ؛ اليمن، السودان)، أمر محيّر يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه كان يدرك الأبعاد المجتمعية لهذه النزاعات الداخلية. وبما أن الشغل الشاغل لعبد الناصر كان التأكيد الدائم على وحدة الامة، فربما كان يخشى أن يعزز أو يقوّي هذه الحقائق الاجتماعية إذا ما سماها أو أفصح عنها. إن تفكير عبد الناصر في هذا المجال يشارك في المثالية الموجودة لدى معظم التيارات القومية العربية.

(ب) الوحدة الوطنية كوحدة ايديولوجية سياسية

تشير العناصر التالية في حقل دلالة مفهوم «الوحدة الوطنية» في الخطاب الناصري إلى أن لها بعداً سياسياً:

« الاتحاد القومي إطار الوحدة الوطنية»[٩٤]

« هي التي تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكي العربي »[٩٥]

« نعني قيام الاتحاد الاشتراكي العربي الذي يمثل تحالف قوى الشعب العاملة »[٩٦]

« الحكم لازم يقيم في سوريا وحدة وطنية قومية .ووحدة سياسية وإقامة جبهة واحدة وإقامة عمل سياسي واحد »[٩٧]

« أن يتجه إخواننا الفلسطينيين إلى الوحدة الوطنية ويتناسوا الخلافات والمنازعات »[٩٨] .

فوحدة الطبقات والفئات الشعبية إذن يجب أن تترجم بوحدة تنظيمية على صعيد سياسي - أيديولوجي في كل بلد عربي. إن التنظيم السياسي الموحّد يعبّر عن هذه الوحدة، وقد حمل على التوالي اسم «الاتحاد القومي» ثم «الاتحاد الاشتراكي العربي».

---

(٩٤) خطاب ٩ تموز/ يوليو ١٩٦٠ ، ص ٣٧ .

(٩٥) مشروع الميثاق ، ص ٥٣ .

(٩٦) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ ، » ص ٥٩٧ .

(٩٧) المصدر نفسه ، ص ٦٠٢ .

(٩٨) خطاب ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٦٥ ، ص ٣٤ .

فاعتباراً من عام ١٩٦٣، وخلال فترة الإعداد للاتحاد الثلاثي، أخذ عبد الناصر يضع هذا الشرط الجديد للوحدة العربية الدستورية، وقد بدأ بإدانة الممارسة السابقة:

«كنا نقول بالأول إن إحنا بنتعاون مع جميع الأجهزة وجميع الأحزاب القومية ولكن ثبت أن هذه كانت خاطئة بل ثبت أن تعدّد العمل القومي بهذا الشكل لا ينتج عنه إلا الصدام»[٩٩].

وأخذ يدعو إلى أن يقوم في كل بلد عربي مرشح للوحدة، تنظيم سياسي واحد يجمع كل القوى القومية:

«إن السبيل إلى إقامة الوحدة هو العمل السياسي الواحد والقيادة السياسية الواحدة وتوحيد كل القوى القومية».

«إشترط الميثاق لقيام الوحدة أولاً توحيد القيادة السياسية، توحيد العمل السياسي. الطريق لهذا أن تقوم جبهة قومية»[١٠٠]

إن تعبير «الوحدة الوطنية القومية» الذي صاغه عبد الناصر في عام ١٩٦٣ يأتي ليلخّص هذا الشرط الأخير الذي وضعه للوحدة العربية. وهو يعني وحدة على الصعيد الوطني للقوى ذات الاتجاه القومي. إن «الوحدة الوطنية» الطبقية والسياسية في كل بلد عربي هي إذن شرط أساسي وضعه عبد الناصر للوحدة العربية الدستورية.

(٢) أساليب تحقيق الوحدة العربية الدستورية

(أ) الأساليب المرفوضة

يرفض عبد الناصر بشكل قاطع، وانطلاقاً من ١٩٥٨ كل الأساليب الوحدوية التي تعتمد القوة أو الاكراه على أساس أن هذه الاساليب تهدد الوحدة الوطنية. وقد كرّس هذا الرفض للاكراه في ميثاق ١٩٦٢:

«إن الوحدة لا يمكن ولا ينبغي أن تكون فرضاً (..) فإن القسر بأي وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة. هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية ومن ثم بالتالي فهو خطر على وحدة الأمة العربية في تطورها الشامل»[١٠١]

(٩٩) «خطاب ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٦٣»، ص ٦٠٥.
(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٦٠٠ ـ ٦٠١.
(١٠١) مشروع الميثاق، ص ١١٠.

إنطلاقاً من هذا المبدأ أدان عبد الناصر تحقيق الوحدة عن طريق الانقلابات:

« لا يجب أن تتم (الوحدة) بالانقلاب »(١٠٢) « رفضت أن أقبل وحدة بانقلاب »(١٠٣) .

وباسم المبدأ نفسه أدان عبد الناصر الطريق العسكري إلى الوحدة أو اللجوء إلى السلاح في تحقيقها:

« لم أرض أن أحوّلها إلى عملية عسكرية »(١٠٤).
« ثورة الوحدة(٥٨) كانت ثورة لأنها أول وحدة قامت (..) بدون قوة وبدون سلاح »(١٠٥).

في لحظة انفصال سوريا عن مصر يوم ٢٩ أيلول / سبتمبر ١٩٦١ كان عبد الناصر قد أمر في مساء ذلك اليوم بارسال بعض الوحدات من الجيش المصري « لحماية » الجماهير الشعبية السورية التي كانت تتظاهر ضد الانفصال في دمشق وحلب وحمص وحماه واللاذقية . ولكنه ألغى هذه الاجراءات يوم ٣٠ عندما وجد أن هناك إحتمال حدوث مجابهة مسلحة بين القوات المصرية وقوّات من الجيش السوري ، ساندت الحركة الانفصالية . وقد برّر عبد الناصر موقفه هذا على النحو التالي :

«إن الوحدة هي إرادة شعبية، ولم أرض من جانبي بأي حال من الاحوال أن أحول الوحدة إلى عملية عسكرية. وهذا هو السبب في إصدار الاوامر بإلغاء العمليات العسكرية بالأمس»(١٠٦)

ولهذا رفض عبد الناصر أية وحدة مع اليمن طالما أن القوات المصرية لم تغادر هذا البلد(١٠٧). وقد رفض في الميثاق الاقتداء بتجربتي الوحدة الالمانية والوحدة الايطالية كنماذج للوحدة العربية.

---

(١٠٢) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، ص ١٦ .
(١٠٣) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ ، » ص ٥٩٣ .
(١٠٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ في المؤتمر الشعبي في ميدان الجمهورية بعد مرور ٢٤ ساعة على قيام حركة التمرد الانفصالية في دمشق (القاهرة : مصلحة الاستعلامات [د . ت .]) ، ص ٨ (سنشير اليه بـ خطاب ٣٠ ايلول / سبتمبر ١٩٦١) .
(١٠٥) « خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٣ ، » ص ٦٤٨ .
(١٠٦) خطاب ٣٠ ايلول / سبتمبر ١٩٦١ ، ص ٨ .
(١٠٧) N.Charrier ,«LeMondearabe et l'unitéarabe,» (Thèse pour le Doctorat d'Etat, Paris II, 1975),chap.3: «Le rapprochement de l'Egypte et de l'Irak après 1963,».

«فإن النماذج السابقة لها في القرن التاسع عشر وأبرزها تجربة الوحدة الالمانية وتجربة الوحدة الايطالية لم تعد تقبل التكرار»[108].

فقد اعتبر عبد الناصر لأسباب لم يذكرها، أن هذه الأمثلة لم تعد صالحة، وإن ظهور هذه المقولة في سياق نصي ورد فيه رفض الاكراه وضرورة «الدعوة السلمية» والاجماع الشعبي جعلنا نعتقد أن النموذجين الالماني والايطالي رُفِضا، لأنه في كلتا الحالتين تم اللجوء إلى القوة المسلحة لتحقيق الوحدة القومية.

(ب) الأساليب المحبّذة

ـ **فترة إعدادية طويلة**: بعد أن فشلت الوحدة السورية المصرية أدرك عبد الناصر أنها كانت متسرّعة، وطالب اعتباراً من عام ١٩٦١، بعدم الاستعجال في العملية، وأخذ الوقت اللازم للاعداد الذي يمكن ان يستغرق خمس سنوات أو أكثر، قبل الاقدام على أية وحدة دستورية:

«في سنة ٥٨ إتجهت كل الأحزاب السورية وكل الكتل في الجيش السوري وقابلتني وطلبوا مني أن أقبل بالوحدة وأنا في هذا الوقت لم أقبل (..) وقلت لهم في هذه الايام في يوم ١٥ يناير سنة ٥٨ بالذات، قلت لهم أن احنا يجب ان ننتظر خمس سنوات. ونجرب وحدة إقتصادية، ووحدة عسكرية ووحدة ثقافية، ثم نتجه بعد ذلك إلى الوحدة الدستورية»[109].

«لقد قبلت هذه الوحدة (١٩٥٨) برغمي، فلم أكن مقتنعاً بأن الوقت قد نضج للاتحاد. وقد قلت للسوريين إني لا أعرف دخائل الأمور في سوريا بما فيه الكفاية، ولا بد أن يعرف الساسة بعضهم حتى يكون هناك إتحاد. وكان من رأيي أننا نحتاج إلى خمس سنوات ولكنهم أصرّوا»[110].

لماذا هذا الالحاح المستمر من جانب عبد الناصر على ضرورة أخذ فترة طويلة للإعداد؟ هذا ما أقدم على تفسيره مرّات عديدة: التمكّن من تطبيق علمي للوحدة «وسد الفجوات الاقتصادية والاجتماعية» بين البلدان العربية الساعية للوحدة القومية. وقد تم تلخيص هذه الاسباب في ميثاق ١٩٦٢ على الشكل التالي:

«التطبيق العلمي لكل ما تتضمنه الدعوة من مفاهيم تقدمية للوحدة (..) إن تطور العمل

---

(١٠٨) مشروع الميثاق، ص ١٨.

(١٠٩) خطاب ٣٠ ايلول / سبتمبر ١٩٦١، ص ٥.

(١١٠) «حديث مع سولز برغر رئيس تحرير النيويورك تايمز في ٢٦ فبراير ١٩٦٩»، ص ٦٧.

للوحدة (..) إن تطور العمل الوحدوي نحو هدفه النهائي الشامل يجب أن تصحبه بكل وسيلة جهود علمية لملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الامة العربية». «إن استعمال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه كما اثبتت التجارب فجوات إقتصادية وإجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة»[111].

ـ **الاختيار الشعبي**: إنه الاسلوب الثاني للوحدة الدستورية. فتأكيد عبد الناصر على «حرية» و«استقلال» الخيار الشعبي هو نتيجة ملازمة لرفض الاكراه في تحقيق الوحدة:

«الاختيار الحر المستقل طريق أي شعب من شعوب الامة العربية إلى الوحدة»[112].

« وحدة بالارادة الشعبية » (تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١) .

« وحدة ديمقراطية » (تموز / يوليو ١٩٦٣) .

« وحدة يقيمها الشعب » (آب / أغسطس ١٩٦٣) .

« وحدة عربية بإرادة الجماهير» (أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠) .

« لا يمكن أن يتحمّل مسؤولية الوحدة غير الارادة الحرة المستقلة » (أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠) .

جاء تطبيق هذا الاسلوب باللجوء إلى التصويت الشعبي أو الاستفتاء في كل التجارب الوحدوية التي قام بها عبد الناصر.

ـ **الاجماع كشرط أساسي للوحدة العربية الدستورية**: لقد وضع الاجماع كشرط أساسي «للوحدة»منذ ظهور انشقاقات بين القوى السياسية والشعبية في لبنان والعراق على أثر الوحدة السورية المصرية لعام ١٩٥٨. وقد جاء جواب عبد الناصر للوفود اللبنانية التي قصدت دمشق للمطالبة بالانضمام إلى الوحدة السورية ـ المصرية واضحاً ولا لبس فيه:

«قلت لما جت الوفود اللبنانية إلى دمشق أن فيه وحدة عربية تجمعنا مع لبنان وأن احنا نساند

---

(١١١) **مشروع الميثاق ، ص ١١١.**

(١١٢) **خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، ص ١٥ .**

لبنان ويدنا في يد لبنان ولكن شرط اساسي زي ما اعلنا لأي وحدة أو اتحاد دستوري مع أي بلد إجماع كامل لا يرقى إليه الشك، وفصّلت هذا الكلام بوضوح»[١١٣].

إن شرط الاجماع هذا هو نتيجة مباشرة لضرورة «الوحدة الوطنية» وتعبير سياسي عنها. وقد أكد عبد الناصر مراراً على هذا الشرط خلال المرحلتين الثانية والثالثة:

« أن يكون هذا الشعب قد عقد إجماعه على طلب الوحدة »[١١٤].

« إشتراط الاجماع الشعبي (..) ضرورة لازمة للحفاظ على الوحدة الوطنية للشعب العربي »[١١٥] .

« وحدة مع الشعب العربي كله في سوريا مش مع جزء من الشعب العربي »[١١٦] .

إن مفهوم الاجماع لا يعني أن كل الافراد بدون استثناء يجب أن يختاروا الوحدة. إنه يعني أن كل القوى الشعبية يجب ان تختار الوحدة، وأنه ينبغي ألاّ تحدث إنقسامات «عمودية» داخل شعب عربي معين بشأن الوحدة. وفي نهاية هذا التحليل يتبينّ أن المفهوم الناصري للوحدة العربية الدستورية كان متطرفاً في ديموقراطيته: رفض لأي لجوء إلى القوة المسلحة أو إلى مجرد الاكراه، خيار شعبي حرّ ومستقل، إجماع، ووقت طويل للاعداد. إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذه الحالة هو: الا تجعل هذه الشروط والاساليب تحقيق الوحدة العربية الدستورية عسيراً؟ لا، إذا تحققت الوحدة الوطنية على الصعيد المجتمعي الشعبي، وإذا أطيح بتحالف «الطبقات الرجعية» ذلك أن كل الشروط المطلوبة ترتكز على وجود «وحدة وطنية» وعلى حصول الشعوب المعنية على «الحرية بمعنى الاستقلال».

إنه مفهوم ديموقراطي ولكنه ليس ليبرالياً، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار الشروط الخاصة بتنظيم القوى السياسية داخل البلدان المرشحة للوحدة. إن النزاعات بين القوى الناصرية والبعثية في سوريا في عامي ١٩٦٠ و١٩٦٣، التي أدت إلى فشل الوحدة، حملت عبد الناصر على المطالبة بتجميع كل القوى القومية العربية في تنظيم سياسي واحد. هل كان هذا يعني إذابة الأحزاب القومية الوحدوية في التنظيم المشترك

---

(١١٣) « خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ »، ص ٥١ .

(١١٤) « خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ »، ص ١٦ .

(١١٥) مشروع الميثاق، ص ١٨ .

(١١٦) « خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٢ »، ص ٦٤٩ .

أم مجرد تجميع أحزاب تحتفظ ببنياتها الخاصة في جبهة مشتركة؟ لم يحسم عبد الناصر هذه النقطة، ولكننا نعتقد أنه يميل إلى الحلّ الأول لانه لا يتكلم عن «أحزاب» وإنما عن «قوى».

ومن جهة أخرى يمكن التساؤ ل عن مصير الأحزاب والقوى غير الوحدوية في المفهوم الناصري. هنا أيضاً لا توجد إجابة على صعيد الخطاب. ولكن إذا ما رجعنا إلى الممارسة الناصرية، نجد أن الأحزاب الأخرى (غير الوحدوية) قد حلّت. غير أن هذه الممارسة تطورت من الحل مع العزل والسجن وحظر أي نشاط (الأحزاب الشيوعية في مصر وسوريا بين ١٩٥٨ - ١٩٦١) إلى الحلّ مع إقتراح بالاندماج والنشاط داخل التنظيم السياسي الوحيد الذي يمثل وحدة القوى الشعبية. وتطبيقاً لهذا الأسلوب الأخير اقترح النظام الناصري في ١٩٦٥ على الشيوعيين المصريين الاندماج «بالاتحاد الاشتراكي العربي».

يبدو إذن أن السياسة الوحدوية والمشروع القومي الوحدوي يقتضي بالنسبة لعبد الناصر ضرورة إيجاد أداة سياسية (جبهة أو إتحاد) ذات بنية مرنة .

٣ - لماذا الوحدة العربية الدستورية؟

نتساءل في هذا الجزء عن أهداف ودوافع عبد الناصر في بحثه عن الوحدة العربية الدستورية أو ببساطة أكثر عن الآثار التي يعزوها عبد الناصر إلى هذه الوحدة. إن تحليل العلاقات الدلالية (المواصفات والمشاركات بشكل خاص) لمفهوم «الوحدة العربية» أوصلنا إلى تحديد هذه الدوافع.

تلتقي دوافع وغايات الوحدة حول فكرتين أساسيتين: الدفاع عن الشعب العربي والوطن العربي وحمايتها، وتطور وتقدم شعوب الوطن العربي.

أ - الوحدة العربية من أجل الدفاع عن الشعوب والأوطان العربية

إن الأثر الذي يترتب على الوحدة العربية الدستورية طبقاً لما يراه عبد الناصر، هو تأمين حماية الشعوب والأوطان العربية والدفاع عنها ضد أي خطر خارجي أو داخلي يمكن أن يهددها وتسمح بصورة خاصة تدعيم حماية الشعوب العربية إزاء الخطر الاسرائيلي، وبالتالي التقدم على طريق تحرير فلسطين.

ـ **الدفاع عن الشعوب العربية وحمايتها**: وهي بشكل عام الآثار المرتقبة للوحدة العربية والتي وردت أكثر من غيرها في الخطاب الناصري:

بالنسبة للخارج:

« هي مفتاح إلى القوة » (شباط / فبراير ١٩٥٨) .

« حتى ندفع عنّا أطماع الطامعين » (١ شباط / فبراير ١٩٥٨) .

« تتمثل في سلامة وطمأنينة وحماية الشعب العربي » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) .

« حتى نستطيع أن نحافظ على الوطن العربي » (١ شباط / فبراير ١٩٥٨)

« فيها حمايتنا » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) .

« لحماية بلدنا » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨) .

« ليدافع الشعب السوري عن وطنه » ١٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١) .

« هي أملنا لحماية الوطن العربي » (٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣) .

« لها القدرة الهائلة لتوفير الحماية لشعوبنا » (٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧) .

على الصعيد الداخلي:

« ليدافع الشعب السوري عن وحدته (الوطنية) وحرّيته ومبادئه وحقوقه » (١٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦١) .

ـ **الدفاع في مواجهة إسرائيل والطريق إلى تحرير فلسطين**: يرى عبد الناصر أن الوحدة العربية الدستورية تمكن من تحسين الوضع الاستراتيجي الدفاعي للبلدان العربية إزاء إسرائيل وتمكن بالتالي من التقدم على طريق تحرير فلسطين:

«وكنا نشعر أنه لا بد أن نتضامن ولا بد أن نتحد (. .) حتى لا تتكرّر مأساة فلسطين»[١١٧]

«الوحدة العربية هي أملنا في تحرير فلسطين وفي عودة حقوق شعب فلسطين لشعب فلسطين؛ الوحدة العربية نوع من أنواع الاستعداد. تستعد بشرياً وتستعد قومياً وتستعد وطنياً وتستعد بالأسلحة (. .) ما عندنا خطة مباشرة لتحرير فلسطين. . لكن عندنا خطة إذا هجمت على أي بلد عربي»[١١٨] .

---

(١١٧) خطاب السيد الرئيس في اليوم التاريخي لاعلان الجمهورية العربية المتحدة، في اول فبراير ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ٢ (سنشير اليه بـ خطاب اول شباط / فبراير ١٩٥٨) .

(١١٨) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ ، » ص ٦٠٥ .

ويتضّح هنا أن الوحدة الدستورية بين مصر وسوريا بنظر عبد الناصر تؤمن أكثر من أية وحدة أخرى بين بلدين عربيين، موقعاً استراتيجياً مثاليا إزاء إسرائيل لانها تسمح بتطويق الدولة الاسرائيلية:

«إن هذه الوحدة (٥٨) بين الشعبين أكثر من أي تجربة أخرى خلقت وضعاً استراتيجياً وتكتيكياً ممتازاً لمواجهة قاعدة العدوان الاستعماري في المنطقة وهي إسرائيل»[١١٩].

إذا كانت الوحدة العربية الدستورية تسمح بشكل عام بتحسين الموقع الدفاعي للبلاد العربية إزاء إسرائيل فإن عبد الناصر يرى أن وحدة سوريا ومصر «أكثر من أية تجربة وحدوية أخرى» تؤدي إلى وضع يسمح بمواجهة إسرائيل.

في معرض الخلاف الذي نشب بين الناصريين والبعثيين حول إذا ما كان «تحرير فلسطين هو الطريق إلى الوحدة العربية» أو «الوحدة العربية هي الطريق إلى تحرير فلسطين» يتبين من خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣، ان الوحدة العربية هي ـ بالنسبة لعبد الناصر ـ التي تهيىء الطريق إلى تحرير فلسطين: «ففي الوحدة العربية يكمن أملنا في تحرير فلسطين» وليس العكس. وعندما اشار رياض طه الصحفي اللبناني في ٤ شباط / فبراير ١٩٦٧ إلى أنه: «لا شك أن قضية فلسطين هي قضية العرب الأولى ومحور القضايا العربية الأخرى».

أجاب عبد الناصر: «إن القضية الفلسطينية هي قضية إسرائيل ومن وراءها.. أو هي بوضوح أكثر قضية أمريكا (..) (ووجه الرئيس إلى السيد رياض طه قائلاً:) لقد رفعت يوماً ما شعار «فلسطين اليوم وليس غداً» إننا لا يمكن ولا نستطيع أن نعالج قضية فلسطين بالشعارات.. نعالج القضية بالعمل العلمي، بالقوة، وبتخطيط مستمر متصل المراحل. المرحلة اللي فاتت مرحلة قيام وتنظيم الشعب والكيان الفلسطيني، وهذا أول نجاح تحققه القضية منذ ١٨ سنة»[١٢٠]

إن اعتبار عبد الناصر إذن بأن الوحدة العربية هي الطريق نحو تحرير فلسطين لم يحمله على إبعاد مسألة إعداد ومساعدة الشعب الفلسطيني للنضال من أجل استعادة وطنه وحقوقه. إنه يحدد فقط سلم أولويات ومساراً استراتيجياً يمكن تلخيصهما كالآتي: إن الوحدة العربية في اشكالها العسكرية والاقتصادية وخاصة الدستورية تمكّن الشعوب

---

(١١٩) «رد القاهرة»، ص ٢.

(١٢٠) «حديث صحفي للرئيس والرئيس عبد الرحمن عارف مع الصحفيين العرب في ٤ فبراير ١٩٦٧»، وثائق عبد الناصر ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ص ٣١ ـ ٣٢.

العربية من أن تدافع عن نفسها بشكل أفضل تجاه إسرائيل وان تنتقل في ظروف معينة إلى المواجهة وتسمح الوحدة بالتالي بالتقدم على طريق تحرير فلسطين.

ب ـ الوحدة العربية من أجل تطوّر وتقدّم الشعوب العربية

لم يتوسع عبد الناصر في مسألة الآثار الاقتصادية للوحدة العربية الدستورية. ومرد ذلك أن عبد الناصر كان يعطي أهمية أكبر للآثار الاستراتيجية والسياسية للوحدة العربية، هذا من جهة، ولأنه من جهة ثانية لم يشأ أن يعطي ممسكا لأعداء الوحدة الذين كانوا يتهمّون مصر بأنها تنوي السيطرة الاقتصادية على البلدان العربية الأخرى وتحاول وضع يدها على النفط العربي. ولم يذكر في عام ١٩٥٨ الأهداف الاقتصادية المتوخاة من الوحدة السورية ـ المصرية إلاّ بشكل مختصر وعام:

« لنبني ونشيّد ولنرفع بمستوانا »(١٢١).

لقد اتهم مناهضو وحدة ١٩٥٨ مصر بأن فائدتها من الاتحاد كانت أكبر من تلك التي حققتها سوريا على الصعيد الاقتصادي وأنها حاولت تقليص دور سوريا في دولة الاتحاد إلى مجرد دور المنتج الزراعي في حين أن مصر احتفظت بدور المنتج الصناعي(١٢٢). وقد أسهب عبد الناصر في تفنيد هذه الادعاءات في خطاب ٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٦١ الذي شجب فيه الانفصال؛ فقد عدّد فيه المزايا الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت للشعب السوري، وكذلك الانجازات الزراعية والصناعية في سوريا خلال الوحدة مقارنة بالفترة السابقة(١٢٣). وقد عبّر عبد الناصر منذ بداية العملية الوحدوية في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، عن إرادته لتحويل البلدين إلى بلدين صناعيين: « سنحوّل البلد بأقليميها الشمالي والجنوبي إلى دولة صناعية فيها كفاية ذاتية وتستطيع أن تخدم نفسها وباقي الدول العربية والآسيوية »(١٢٤).

إن العلاقة الايجابية بين الوحدة الدستورية وتطور كل من الأطراف المشاركة في الوحدة قد أُعلن بوضوح في الوثيقة الرسمية التي نشرت في القاهرة في ١١ حزيران /

---

(١٢١) خطاب اول شباط / فبراير ١٩٥٨، ص ٢.

(١٢٢) يجد القارىء عرضا ونقاشا لهذه الاطروحة في كتاب:
Dawisha, Egypt in the Arab World, p.154-155.

(١٢٣) خطاب ٣٠ ايلول / سبتمبر ١٩٦١، ص ٨ ـ ١١.

(١٢٤) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، ص ١٣ و ٢٠ حيث ذكر عبد الناصر انه كان هناك ٤٣ مشروعا للتصنيع في سوريا وخطة خمسية تتوقع استثمار ٥٦٠ مليون ليرة في سوريا.

يونيو ١٩٦٢ حيث لخّص النظام الناصري موقفه الجديد في ضوء الدروس المستخلصة من الانفصال: «إن وحدة الشعوب العربية لا تتصادم مع التقدم الذاتي لكل منها، بل إن احتمالات الوحدة تعزز احتمالات التقدم وتدفع خطاه»[١٢٥].

ولم تكن هناك محاولة للبرهنة على هذه العلاقة، وإنما جاء ذكرها بصيغة التأكيد. ما هو الحال بالنسبة للعلاقة بين الوحدة العربية وتطور مجمل الامة العربية؟ لم تتم إقامة هذه العلاقة على مستوى الخطاب الا في المرحلة الخامسة: «إن أمل الوحدة حين يتحقق.. هو الاطار السليم لتطور الامة العربية ونموها المتكامل وفرصتها الحقيقية لبلوغ مستوى التقدم المنشود في عصر تتسابق الامم فيه إلى التقدم بسرعة مدهشة»[١٢٦].

وهنا أيضاً أكد عبد الناصر العلاقة دون البرهنة على وجودها، واكتفى بالقول إن الوحدة العربية ستسمح بتطوير الامة العربية تطوراً متكاملاً، لكنه لم يوضح كيف سيتم ذلك؟ وبعد أن حلّلنا مواصفات الوحدة العربية الدستورية وصانعيها وشروطها وغاياتها، بقي أن نحلّل رؤية عبد الناصر للقوى والأعمال المناهضة للوحدة العربية بدلالتيها التضامنية والدستورية.

دال ـ القوى والعوامل المناهضة «للوحدة العربية»

ما هي في تصوّر عبد الناصر القوى والعوامل المناهضة للوحدة العربية، وما هي العقبات الموضوعية التي تحول دون تحقيق هذه الوحدة؟ هذا ما سنبحثه في هذا الجزء من دراستنا.

١ ـ القوى المضادة «للوحدة العربية» وأفعالها

لقد تمّ استخلاص القوى والأساليب والأعمال المناهضة «للوحدة العربية» من كافة حقول دلالة هذا المفهوم في خطب العينة، ثم قمنا بعد ذلك بتصنيفها حسب درجة تمثيليتها وحسب ما إذا كانت ناتجة عن عوامل داخلية أو خارجية.

---

(١٢٥) «رد القاهرة،» ص ٢.

(١٢٦) «خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧،» ص ٥٨.

جدول رقم (٤٠)
القوى المضادة « للوحدة العربية » وأفعالها في الخطاب الناصري

القوى المضادة		
(محددة)		
خارجية	داخلية	
(+) «الاستعمار»	الرجعية	«أعوان الاستعمار»
«الاستعماريون»		«الذين تربطهم مصالحهم به»
«الحكم الاستعماري »		«الرجعية ـ الرجعيون»
«قوى العزلة الاستعمارية»		«الرجعية المتحالفة مع الاستعمار».
«تحالف الاستعمار والرجعية»		
«الاحتكارات»	قوى غير محددة	«قوى العزلة الرجعية»
(=) «اسرائيل»		«الاقطاع والرأسمال المستغل»
«اسرائيل حاجز أمام		«القوى الانفصالية»
تحقيق الوحدة »« الصهيونية »		«القوى اللاقومية»
« اليهود »		
(٠) «فرنسا»	أحزاب	بعض الأحزاب العربية
«بريطانيا»		
«النفوذ البريطاني في المنطقة».	أنظمة وحكومات	أنظمة وحكومات، وحكام عرب

(غير محددة)	
خارجية	داخلية
(-) «أعدائنا» ـ «أعداء الشعب»	
«أعداء العرب»	
«كل أعداء الأمة العربية»	
«العناصر المعادية».	

تابع / جدول رقم (٤٠)

الوسائل المضادة	
خارجية	داخلية
(٠) «حملات الاستعمار» «دور اسرائيل» «الحملات النفسية»	(=) «الحركة الانفصالية الرجعية» «مؤامرة الانفصال» «انفصال بانقلاب» (-) «دسائس» «الخداع» «مناورات سياسية» «التزييف والضلال » «العوامل اللاأخلاقية والانتهازية»

	الأفعال المناهضة للوحدة	
	غير منتهية	منتهية
(-) الإستعمار	«القضاء عليها» «يحاولون طعنها» «ستتكتل ضدها»	(الخوف من الوحدة) «دبّروا مؤامرة الانفصال»
(٠) إسرائيل والصهيونية	«حاجز أمام الوحدة» «فصل المشرق العربي عن المغرب العربي».	(الخوف من الوحدة)
(٠) الرجعية	«ستتكتّل ضدها» «لمجابهتها»	«دبّروا مؤامرة الانفصال» «تآمر ضد وحدة ١٩٥٨» « ضرب تجربة الوحدة » .

من هم إذاً أعداء الوحدة العربية؟ كيف يعملون ضد الوحدة؟ متى ولماذا؟ ما الذي يميزهم عن القوى المناهضة «للأمة العربية» و«القومية العربية»؟ سنحاول الاجابة على هذه الأسئلة إنطلاقاً من القوى المناهضة الأكثر تمثيلاً وصولاً إلى القوى النادرة التمثيل.

أ ـ الاستعمار (+) (المراحل من الثانية إلى السادسة)

«الاستعمار»، تحت مختلف التسميات، هو العدو الأكثر إنتظاماً من حيث الورود في النص، والأكثر تمثيلاً بين القوى المناهضة «للوحدة العربية». وبالرغم من كونه يشكّل نظام قوى وتحالفات، فنادراً ما ورد في الخطاب الناصري ذكر القوى التي يتكوّن منها في حقول دلالة «الوحدة العربية» (ذكرت مرة فرنسا ومرتان بريطانيا). فلم تظهر مثلاً الولايات المتحدة في صف البلدان المناهضة مباشرة «للوحدة العربية»، على الرغم من أن تدخلها في لبنان عام ١٩٥٨ يشكل، باعتقادنا، مؤشراً كافياً على عدائها المباشر للوحدة.

يتهم عبد الناصر «الاستعمار» بأنه وراء الأعمال الأكثر عدوانية ضد «الوحدة». فهو مدان «بضرب» الوحدة و«تصفيتها» والعمل من أجل «الانفصال» ويرى عبد الناصر أن الاستعمار يعمل ضد «الوحدة» عن طريق «الحملات» السياسية والنفسية وبواسطة «أعوانه» و«الرجعية» وعلى الرغم من ان الاستعمار دائم المناهضة للوحدة فإن نوعية عمله ضدها لم تحدد بما فيه الكفاية من قبل عبد الناصر.

كيف يفسّر عبد الناصر هذا العداء الشديد من جانب الاستعمار إزاء «الوحدة العربية»؟ التفسير الأكثر ترويجاً من قبله هو أنه يسهل أكثر على الاستعمار أن يسيطر سياسياً واقتصادياً على أمة عربية مجزأة:

« الاستعمار يريد دائما أمة عربية ممزقة يسهل مواجهة شعوبها »(١٢٧).

لم يفسّر عبد الناصر أكثر من ذلك خلفيات عداء الاستعمار للوحدة العربية، ربما لأنه اعتبر هذه النقطة بديهية لا تحتاج لتعليل أو تفصيل أوسع.

ب ـ إسرائيل والصهيونية (=) (المراحل من الثانية إلى السادسة)

«إسرائيل»، ذلك العدو الخارجي الدائم الحضور بين القوى المناهضة للوحدة،

---

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(والتي يتردّد ذكرها أكثر من «الصهيونية») يعتبرها عبد الناصر «عقبة أمام تحقيق الوحدة»، عقبة من النوع الجغرافي «تفصل»، بمجرد موقعها في فلسطين، «بين المشرق العربي والمغرب العربي» (آب / أغسطس ١٩٦٣).

وعلى الرغم من أن عبد الناصر يعزو «لإسرائيل «دوراً» ضد الوحدة، فإنه لا يعطي أي تحديد لهذا الدور ولا يذكر في خطبه أعمالاً محددة قامت بها إسرائيل ضد الوحدة. ويبدو، طبقاً لمجموعة الخطب المحللة في العينة، إن عبد الناصر لا يخصّ إسرائيل بدور مستقل ضد «الوجدة العربية» وإنما يمزج عملها بعمل الاستعمار. وبالمقابل، فإنه يوضح مراراً الأسباب التي تدفع إسرائيل إلى مناهضة الوحدة العربية: الخوف من التطويق الاستراتيجي، الخشية من تعزيز إمكانيات الشعوب العربية الاقتصادية والعسكرية الناجمة عن توحيدها.

ج - أعوان الاستعمار، الرجعية (=) (المراحل من الثانية إلى الخامسة)

يظهر أعداء الوحدة الداخليون بنسبة مرتفعة في الخطاب الناصري، تارة بتسمية «أعوان الاستعمار» (المراحل الثانية والثالثة والرابعة: ١٩٥٨ - ١٩٦٦)وطوراً بتسمية خاصة بهم «الرجعية» (المراحل الثالثة والرابعة والخامسة: ١٩٦١ - ١٩٦٧) إلا أن عبد الناصر لم ينسب لهم دوراً وعملاً خاصاً إلا بعد إنهيار الوحدة المصرية - السورية في عام ١٩٦١. واعترف في خطاب ألقاه بعد الانفصال بأنه أخطأ عندما استهان بدور «الرجعية»:

«لقد وقعنا ضحية وهم خطير (..) وهم تصوّر إمكان المصالحة مع الرجعية على أسس وطنية (..) ولقد رأينا في سوريا كيف تكتلت الراسمالية والاقطاع والانتهازية مع الاستعمار للقضاء على مكاسب الجماهير ولضرب الثورة الاشتراكية ولاسترداد جميع إمتيازاتها ولو بالقوة المسلحة، ولو بإراقة الدماء[١٢٨].

وحدّد عبد الناصر، فيما بعد، بدقة أكبر، الطبيعة الاجتماعية - الاقتصادية للرجعية، عن طريق إستبعاد الطبقات المستغلة من «المجتمع القومي» الذي هو ثمرة الوحدة العربية:

«فإن المجتمع القومي الذي يتطلّع إليه العمل الوحدوي ويستهدفه هو الآخر لا يتسع لهذه

(١٢٨) بيان ١٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦١، ص ٢٤ - ٢٥.

القوى المعادية للجماهير: الاقطاع ورأس المال المستغل. هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا ركائز للاستعمار واحتكاراته»[129]

ويعود وعي مناهضة هاتين القوتين الاجتماعيتين (الاقطاع والرأسمال المستغل) للوحدة، إلى الانفصال في عام ١٩٦١[130].

ويحدد عبد الناصر كذلك دوراً خاصا «للرجعية» على الصعيد المحلي عندما يصف بعد إنفصال ١٩٦١، كيفية عملها في سوريا من أجل ضرب الوحدة:

«إن الرجعية قعدت تتسلل وتدخل في الاتحاد القومي وتدخل في كل الهيئات لغاية ما وجدت الفرصة لتطعن ثورة الشعب. . ما أقلش إنها تطعن الوحدة لأن الهدف كان من طعن الوحدة سو شن الشعب بإلغاء القرارات الاشتراكية»[131].

وكما أن عبد الناصر لم يفصّل كيفية عمل «الاستعمار» ضد الوحدة، كذلك لم يحلّل بصورة كافية، في إطار خطبه، كيفية عمل «الرجعية» ضد الوحدة: إن أساليب العمل الوحيدة التي يرى إنها تستعملها هي «المؤامرة» و«الانقلاب» و«التسلل» في التنظيمات والهيئات السياسية. أما لماذا تعادي «الرجعية» الوحدة العربية؟ فيبين عبد الناصر بأن السبب الرئيسي الذي يدفعها إلى هذا الموقف هو الحفاظ على الامتيازات التي جمعتها وراء حدودها، بفضل انقسام الوطن العربي. فالرجعية تحوّلت في سوريا الى مناهضة الوحدة في عامي ١٩٦٠ و١٩٦١، لأن الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي حققها النظام الوحدوي والقرارات الاشتراكية في حزيران / يونيو ١٩٦١ كانت تهدد مباشرة إمتيازاتها الطبقية. لقد اعتمد عبد الناصر هذا التفسير المبني على المصالح المادية مباشرة بعد الانفصال، ثم عاد إليه ووضعه في شكل نظرية في عام ١٩٦٧:

«الرجعية المتحالفة مع الاستعمار، وهما معاً أكبر العوائق أمام الوحدة (. . .) إن الرجعية وراء الحدود المصنوعة قد استطاعت أن تبني لنفسها إمتيازات طبقية شرهة»[132].

---

(١٢٩) «خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤،» ص ١.

(١٣٠) «خطاب في الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني، ٢٥ نوفمبر ١٩٦١،» الاهرام، ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦١، ص ٢ (خارج العينة).

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٢.

(١٣٢) «خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧،» ص ٥٨.

وثمة تطور هام طرأ خلال المرحلة السادسة لشبكة أعداء الوحدة. فنكسة حزيران ١٩٦٧ أجبرت عبد الناصر على تركيز كل جهوده ضد العدو الخارجي المحتل، إسرائيل،وقد خفّت حدّة مهاجمته لأعداء الوحدة الداخليين، وغاب ذكرهم من بين القوى المناهضة للوحدة، ودعا عبد الناصر إلى وحدة كل القوى الداخلية ضد المحتل.

٢ ـ الأوضاع المناهضة والعقبات الموضوعية امام « الوحدة العربية »

تحتل الأوضاع والعقبات الموضوعية حيزاً صغيراً بين العوامل المناهضة للوحدة العربية. والمقصود هنا العقبات الاجتماعية ـ الاقتصادية والاجتماعية ـ التاريخية:

«الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الامة العربية الذي فرضته قوى العزلة الرجعية الاستعمارية (. . .) فجوات إقتصادية واجتماعية تستغلّها العناصر المعادية للوحدة»[١٣٣].

«أمل الوحدة يشعر به كل واحد ولكنه يرتبط بالأوضاع الطبقية في العالم العربي. . يرتبط بالرواسب التي تركتها التجزئة. . يرتبط بالدور الذي تقوم به إسرائيل. يرتبط بالتركة التي ورثناها نتيجة قرون طويلة من الحكم الاستعماري»[١٣٤].

يمكن أن نتساءل هنا لماذا جعل عبد الناصر«إختلاف مراحل التطور» بين «شعوب» عربية وليس بين مناطق أو مجموعات تقليدية عربية، خاصة وأنه كان قد أشار مراراً إلى حداثة الحدود السياسية بين «الشعوب العربية»؟ ويبدو في هذا المضمار أن عبد الناصر يرجع «إختلاف مراحل التطور» إلى تاريخ لا يتعدى السيطرة الاستعمارية الحديثة. فعندما يتكلّم عن «قرون طويلة من الحكم الاستعماري» فإنه يشمل ايضاً، وبدون شك، ما نعته في أماكن أخرى من خطبه «بالاستعمار» العثماني. ومما تجدر الاشارة إليه غياب العوامل المرتبطة بالبنى الاجتماعية التقليدية في الوطن العربي، كالانقسامات الاقليمية والقبلية والطائفية من بين العقبات الموضوعية أمام الوحدة. وربمّا لم تكن هذه العوامل غائبة عن اهتمامات عبد الناصر، ولكنه قلّما أثارها في خطبه، وقد يعود السبب في ذلك إلى ميله لتعميم رؤيته لمصر على بقية الوطن

---

(١٣٣) مشروع الميثاق، ص ١١١.

(١٣٤) «خطاب الى المثقفين بجامعة القاهرة لشرح بيان ٣٠ مارس، ٢٥ ابريل ١٩٦٨»، وثائق عبد الناصر، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ص ٤٢٥.

العربي، أو لاعتقاده بأن الانقسامات التقليدية في المجتمع العربي في طريقها إلى الزوال. إلا أن محمد حسنين هيكل المعبر شبه الرسمي عن آراء عبد الناصر، أثار دور العامل الاقليمي في سوريا، في انفصال أيلول / سبتمبر ١٩٦١:

«بالاضافة إلى العنصر الوطني في سوريا، كان أيضاً العنصر الاقليمي. وهذا العنصر عزّز مشاعر العصبية المحلية ولعب دوراً أساسياً في الانفصال. والمقصود بالعنصر الاقليمي هو أنهم في سوريا يتمسكون بالانتماءات الى المناطق: جماعة دمشق، جماعة حلب، جماعة الجزيرة، جماعة حماه، جماعة حوران، وهكذا»[١٣٥].

وخلاصة التحليل، يبدو أن عبد الناصر يعطي أعداء الوحدة دوراً يفوق من حيث الأهمية تأثير العوامل الموضوعية (كالوضع الطبقي والمصالح الاقتصادية والانشطارات الاقليمية والمحلية والمجتمعية). إن الأعداء الخارجيين هم الأعداء الدائمون «للوحدة العربية»، في حين أن الدور المنسوب إلى «الرجعية» الداخلية في مناهضة الوحدة، على أهميته، يتقلّب بتقلب المراحل والظروف ويبقى وثيق الارتباط بعمل العدو الخارجي المستعمر. إن التحديد السياسي هو التحديد الغالب لأعداء الوحدة، كما ان الطابع السياسي هو الطابع الغالب لعملهم الذي يتراوح بين خيانة الوحدة ومحاولات تصفيتها، إلاّ أنه، إنطلاقاً من المرحلة الثالثة (١٩٦١) بدأ عبد الناصر يخصّص حيّزاً هاماً للقوى الاجتماعية الداخلية وللعوامل الاجتماعية ـ الاقتصادية التي تعترض الوحدة.

ثالثاً: «الوحدة العربية» في الماضي التاريخي

رغبة منه في إعطاء دفع أكبر لفكرة الوحدة العربية وفي تبيان أن هذه الوحدة هي ثمرة عملية تاريخية طويلة، غرف عبد الناصر من تاريخ المنطقة العربية الأحداث والأوضاع ذات الجانب الوحدوي، وربطها بالهدف الحالي للوحدة العربية. لقد أراد إعطاء هذا الهدف بعداً تاريخياً ليبينّ أنه ليس سوى خطوة متقدمة في مسار شعوب المنطقة العربية الطويل على طريق الوحدة:

«إن محاولات الوحدة في المنطقة لم تتوقف منذ أربعة آلاف سنة. لقد كان أسلوب السعي يتشكل بالعنصر الذي قد تعيش فيه كل محاولة لتحقيقها، ولكن الهدف ظلّ دائماً لا يتغير»[١٣٦].

---

(١٣٥) مطر، بصراحة عن عبد الناصر، مقابلة مع محمد حسنين هيكل، ص ١٤٢.

(١٣٦) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨، ص ٣.

ما هي نماذج الوحدة التي استخلصها عبد الناصر من تاريخ المنطقة؟ وما هي الفترات التاريخية التي أشار إليها أكثر من غيرها؟ أين حصلت هذه المحاولات والتجارب الوحدوية، ومن هم المشاركون فيها والمناهضون لها؟ سنحاول الاجابة على هـذه الأسئلة معتمدين على الشواهد التي تتضمنها مجموع الخطب الممثلة في العينة.

إن نماذج الوحدة التي توقّف عندها عبد الناصر في التاريخ العربي، هي بصورة خاصة النضالات المشتركة التي قامت بها كل الشعوب العربية أو البعض منها، ضد الأعداء الخارجيين. فهو يلاحظ أوضاعاً متشابهة أو مشتركة لشعوب عربية خضعت لنفس الاضطهاد، فأصبح بينها «وحدة حال». كذلك يشدد عبد الناصر على الوحدة الدينية للمنطقة التي تعود إلى عهود سحيقة. كما أنه يأخذ بنظر الاعتبار تيّارات وعي مشتركة أو متشابهة في هذه الفترة أو تلك من تاريخ المنطقة العربية.

ألف ـ وحدة كفاح في الماضي

يشمل النموذج الأول للوحدة التي تحققت في الماضي النضالات المشتركة أو المتماثلة التي قامت بها المنطقة بأكملها أو التي اقتصرت على مصر وسوريا.

١ ـ المشاركون في الكفاح الواحد

ـ كافحت «المنطقة العربية» منذ فجر التاريخ:

«لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح هو وسيلة التعبير في الطفولة الأولى للبشرية»[١٣٧] .

كافحت ضد الصليبية الأوروبية:

«واتحدت المنطقة تحت قوة السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار أوروبا يتقدم منها محاولاً أن يرفع الصليب ليستر أطماعه تحت قناع من المسيحية، وكان معنى الوحدة قاطعاً في دلالته حين اشتركت المسيحية في المشرق العربي في مقاومة الصليبيين جنباً إلى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر»[١٣٨] .

وكافحت المنطقة ضد السيطرة الاستعمارية الحديثة:

---

(١٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢ .

(١٣٨) المصدر نفسه ، ص ٢ .

«كان اتحاد المنطقة في الثورة على الاستعمار بكل أشكاله ومقاومته في تعدد صوره»[139] .

كما أن غياب وحدة الكفاح العربي في ١٩٤٨ أدّى إلى ضياع فلسطين:

«ولو كانت فيه وحدة عربية في سنة ٤٨، ما كانتش ضاعت فلسطين»[140] .

- التشابه والتضامن بين كفاحات مصر وسوريا:

تضامنت مصر وسوريا في الكفاح ضد العثمانيين:

«ولكن لما بدا في بعض الأحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية (. .) وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ثم تحت حكم أسرة محمد علي، لم يكن الأمر في باطنه يمثل ما يبدو في ظاهره (. .) إن جيش الفلاحين سار تحت قيادة إبراهيم باشا ليحرر سوريا من الظلم العثماني وكان يسمي نفسه بالجيش العربي»[141] .

«إن القاهرة تحولّت في مطلع القرن العشرين فأصبحت هي ودمشق المركز الرئيسي للجمعيات السرّية التي راحت تناضل ضد جبروت سلاطين إستانبول، من أجل تحرير الأمة العربية»[142].

نفس النضالات في البلدين من أجل التحرر من السيطرة الاستعمارية:

«لقد كان التقارب بل التوافق والتماثل كاملاً بين مصر وسوريا (. .) لقد كان في سورية رد فعل لكل حدث في القاهرة، في مصر وسورية ذلك الفوران الذي اعقب الحرب العالمية الثانية وبدأت على أثره حركات التحرير الهائلة في أفريقيا وفي آسيا»[143] .

الكفاح الواحد في فلسطين:

«في مصر وفي سوريا ذلك الاندفاع إلى حرب فلسطين بالفروسية والايمان ولكن من غير سلاح»[144].

إعتبر عبد الناصر إذن أن «المنطقة العربية» بأكملها اتحدت منذ فجر التاريخ في كفاح واحد ضد السيطرة الأجنبية. ومنح مكانة خاصة مميزة لكفاح مصر وسوريا

---

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٤ .

(١٤٠) خطاب ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨، ص ٤٦ .

(١٤١) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨، ص ٥٠٤ .

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٥ .

(١٤٣) المصدر نفسه، ص ٦ .

(١٤٤) المصدر نفسه ، ص ٦ .

المشترك في التاريخ العربي الحديث، ليبيّن أن الوحدة المصرية ـ السورية في عام ١٩٥٨ ليست إلاّ خطوة متقدّمة في مسيرة طويلة ابتدأت في العصر الحديث مع محمد علي.

٢ ـ أهداف الكفاح الواحد

إذا ما صنّفنا حسب الأهمية الأعداء الذين قام الكفاح الواحد ضدهم في الماضي، نجد أن «الاستعمار» يأتي في المقدمة ثم يليه في الأهمية «العثمانيون» ثم الصليبيون وأخيراً إسرائيل (دون أن تُسمى) في الماضي كما في الحاضر (بعد ثورة ١٩٥٢) يعتبر عبد الناصر أن «الاستعمار» هو العدو الأول للوحدة، وهو يرجع وجوده إلى الصليبيين الذين وصفهم «بأول موجة للاستعمار الغربي». وبذلك يبدو أن عبد الناصر لا يميّز من حيث التسمية بين الأشكال القديمة والأشكال الحديثة للسيطرة الأجنبية. ويبدو أنه يرى في مفهوم «الاستعمار» مجرد معنى الاستيطان أو الاحتلال لبلد معيّن من قبل قوة أجنبية، الأمر الذي يفسر أنه يطلق نفس التسمية على ظواهر مختلفة إلى حد ما كالغزو الصليبي، والسيطرة العثمانية والاستعمار الأوروبي والاحتلال الصهيوني لفلسطين.

إن أعداء الوحدة العربية في الماضي كانوا جميعاً من القوى الخارجية ولا يذكر عبد الناصر أعداء داخليين للوحدة في الماضي. وعلى عكس بعض الاتجاهات القومية المشرقية التي تعتبر أن السيطرة العثمانية سمحت بالمحافظة على وحدة الوطن العربي خلال أربعة قرون، فإن عبد الناصر يضع السيطرة العثمانية على نفس مستوى سيطرة القوى الاجنبية الاستعمارية الأخرى. إن المرّات النادرة التي ذكر فيها عبد الناصر عهد محمد علي في مصر بشكل إيجابي هي عندما ذهب الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا ليحرر سوريا من النير العثماني. وعلى عكس الكثيرين من الكتاب القوميين وحتى الناصريين، ذهب تقييمه السلبي لعهد محمد علي، إلى حدّ الصمت حيال مشروع محمد علي لتوحيد مصر وبلاد الشام أو اعتباره «مغامرة توسّعية». ولم يذكر أبداً دور القوى الاستعمارية في إفشال هذا المشروع في ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠.

باء ـ وحدة حال في الماضي

إلى جانب وحدة الكفاح الايجابية إعتبر عبد الناصر أن وحدة الحال السلبية تحت نير نفس السيطرة، كانت أيضاً مؤشراً إلى وحدة المنطقة العربية في الماضي، وبصورة خاصة وحدة مصر وسوريا:

«واتحدت المنطقة بالمشاركة في العذاب يوم حلّت عليها غارات الغزو العثماني واسدلت من حولها استار الجهل تعوق تقدّمها وتمنعها من الوصول إلى عصر النهضة في نفس الوقت الذي بدأ فيه عصر النهضة في أوروبا»

«اتحدت المنطقة فيما تعرضت عليه في كل نواحيها من سيطرة الاستعمار عليها»

«فإن المشانق التي نصبها جمال باشا في دمشق لم تكن تختلف كثيراً عن المشانق التي نصبها اللورد في دنشواي هنا في مصر»(١٤٥) .

جيم ـ وحدة عن طريق الأديان السماوية

لقد سبق وأثبتنا أن عبد الناصر لا يأخذ بعين الاعتبار العنصر الديني أي وحدة المعتقد من بين براهين وحدانية «الأمة العربية» (الفصل الرابع ، ثانيا، ألف)، في حين انه يستعين بالعامل الديني، كحدث تاريخي لا كظاهرة لازمنية: «فالمنطقة العربية» واحدة لأنها مهد الاديان السماوية ولأنها، في فترة مميزة من تاريخها توحدت بفضل العقيدة الاسلامية:

«واتحدت المنطقة بتعيين النبوات حين بدأت رسالات السماءتنزل الى الأرض لتهدي الناس، واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الأخيرة في دعوة عباده إلى الحق»(١٤٦) .

نلاحظ ان عبد الناصر يركّز فيما يختص بالديانات السماوية، والاسلام بشكل خاص، على عنصر المعتقد الديني، والرسالة الالهية. ولا يهتم بالجانب السياسي أو الدولتي للدين: فهو مثلاً لا يذكر الخلافة العربية لا في هذا الاطار ولا في غيره من الاطر القومية.

دال ـ وحدة الضمير واللغة

«واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان»(١٤٧) .

«إن القاهرة التي سارعت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر إلى فتح النوافذ لتيارات النهضة تحوّلت الى قلعة للفكر الحر في الشرق العربي، وما لبث روّاد الحرية في سوريا وفي المنطقة

---

(١٤٥) المصدر نفسه ، ص ٣ ـ ٤ .
(١٤٦) المصدر نفسه ، ص ٣ .
(١٤٧) المصدر نفسه ، ص ٣ .

العربية كلها أن وفدوا إليها يتحصّنون بأسوارها المنيعة ويبعثون منها إشعاعات الفكر لتعبّيء وتلهم»[148] .

«ثم كانت في القاهرة ودمشق تلك الآثار التي ترتبت على حرب فلسطين والتي كان أولها تلك اليقظة التي تشبه إنتفاضة من لسعة النار»[149] .

وحدة نضال، وحدة حال، وحدة عن طريق الديانات السماوية، وحدة بانتشار العقيدة الاسلامية، وحدة اللغة والضمير، تلكم هي العناصر التي ميّزها عبد الناصر في ماضي «المنطقة» العربية لإعطاء أساس تاريخي لهدف الوحدة العربية في الحاضر. ويلاحظ انه لم يأخذ أي مثال تاريخي لقيام دولة عربية واحدة، حتى أنه لا يذكر في سياق الخطاب القومي، قيام الدولة العربية الاسلامية الأولى أو الخلافة الأموية التي كان مركزها دمشق، ولا حتى مشروع الدولة الموحدة التي حاول إقامتها محمد علي في القرن الثامن عشر.

فكما أن الامة العربية في التصور الناصري هي كيان ذات بعدين قديم وحديث (الفصل الرابع ، ثالثا) كذلك الوحدة لها أشكال قديمة وحديثة. فالأشكال القديمة للوحدة، كما يتجلّى ذلك من إشارات الخطاب الناصري إلى الماضي، هي «وحدة الكفاح» ضد السيطرة الاجنبية بكل انواعها، هذه الوحدة هي الأقدم بدأت منذ «آلاف السنين» حسب التعبير الناصري، واستمرت تظهر في الخطاب الناصري تحت تسميات مختلفة، حتى ١٩٧٠. كذلك وحدة اللغة هي من الأشكال القديمة والدائمة. أما الوحدة بالأديان السماوية، والوحدة بالعقيدة الاسلامية فقد ظهرت في فترات محدّدة من التاريخ العربي. وبما أن عبد الناصر لم يعطِ أي مثل، في إشاراته إلى التاريخ، عن قيام دولة عربية موحدة في الماضي، نستنتج من ذلك أنه احتفظ بمفهوم الوحدة القومية الدستورية أي الوحدة على مستوى الدولة لينعت به التجربة الوحدوية العربية المعاصرة التي أسفرت عام ١٩٥٨ عن قيام دولة قومية عربية حديثة بقيادة مصر الناصرية.

---

(١٤٨) المصدر نفسه ، ص ٥ .

(١٤٩) المصدر نفسه ، ص ٦ .

الفَصلُ السَابع

الصِلاتُ الدِينيّةِ والحَديثة والثقافيّة في الخِطابِ القَومي الناصِري[1]



يحتوي الحقل الذي يغطيه الخطاب القومي الناصري عدداً من الاسماء والأفعال أو المواصفات التي ترجع دلالتها إما إلى حقل إيديولوجي ديني أو إلى حقل إيديولوجي حديث أو الى حقل إيديولوجي ثقافي ـ قيمي. سننعت الأولى بالصلات* الدينية، والثانية بالصلات الحديثة، والثالثة بالصلات الثقافية القيمية. وسنحاول تقدير أهمية كل منها في المعجم القومي العربي الناصري وكذلك في علاقة الخطاب القومي الناصري [1] بالماضي التاريخي. إن هذا العمل والمسعى يسمحان بتحديد أفضل لموقع الخطاب القومي الناصري حيال الإنظمة الأيديولوجية الكبرى التي تؤثر في الفكر السياسي العربي المعاصر.

وسننعت «بالديني» كل ما هو الهي ومقدّس بشكل عام وكل ما يتعلّق بالديانات الموحدة بصفة خاصة. وسنسمي «حديثاً» ما يرجع إلى تصور العالم ونظام القيم والمقاييس، والذي أصبح سائداً في الغرب إعتباراً من القرن الثامن عشر (إيديولوجية «عصر التنوير») والثورة الفرنسية والثورات البورجوازية والديموقراطية ثم صعود الحركة العمالية والاشتراكية. إن هذا النظام، الذي انبثق أصلاً من التجربة التاريخية للغرب، قد انتشر في معظم أنحاء العالم بدرجات متفاوتة من خلال التوسع الاوروبي من جهة وظهور حركات ودول اشتراكية من جهة أخرى.

---

* ذات الدلالة.

(١) سنختصر العبارات صلات ذات دلالة دينية أو ... حديثة أو ... ثقافية بـ« صلات دينية »، « صلات حديثة » و « صلات ثقافية ».

سنحاول، على الرغم من صعوبة توخي الدقة في هذا المجال، أن نميّز بين اتجاهين في هذا الحقل الأيديولوجي الحديث: إتجاه نسميه إتجاها ديموقراطياً حرّا وآخر نسميه اشتراكيا. وبين الاتجاهين الايديولوجيين الديني و«الحديث» توجد مجموعة من القيم والمثل ترتكز على أحد هذين النظامين أو كليهما، ولكن أيضاً على التراث الثقافي الخاص بالمجتمعات العربية. وسنسمي هذا النموذج الوسطي صلات ثقافية قيمية.

أولا: الصلات الدينية والثقافية والحديثة في حقول دلالة المفاهيم القومية الناصرية

ستفحص في المرحلة الاولى صلات المفاهيم القومية المركزية الثلاثة في الخطاب الناصري: «أمة عربية» ـ «قومية عربية» و«وحدة عربية» (ألف) ثم نطبّق هذا التحليل على مجمل المعجم القومي العربي (باء).

ألف ـ تصنيف المفاهيم القومية المركزية الثلاثة في الخطاب الناصري

١ ـ الصلات الدينية

أ ـ الأمة العربية

ليس لمفهوم «الامة الاسلامية» الخاص بأدبيات الاخوان المسلمين وبالتيارات الاسلامية الأصولية الأخرى وجود في الخطاب الناصري. يلجأ عبد الناصر في إشارته لكل المسلمين إلى استخدام كلمة «مسلمين» أو تعبير «العالم الإسلامي». وتتبين دراسة الحقول الدلالية «للعالم الاسلامي» و«للمسلمين» في أول كتاب لعبد الناصر «فلسفة الثورة» بأنه لا يوجد فيها أي صلة ذات دلالة قومية عربية. وهذا مؤشر على الاتجاه الى التمييز بين المجالين القومي العربي والاسلامي منذ بداية الثورة في الخطاب الناصري:

«الدائرة الاسلامية، دائرة إخوان العقيدة الذين يتجهون معنا إلى قبلة واحدة وتهمس شفاههم بنفس الصلوات»[٢]

دعوة إلى «تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعاً، تعاون لا يخرج من حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع»[٣]

«أيمكن ان نتجاهل أن هناك عالماً إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية فحسب،

---

(٢) جمال عبد الناصر، **فلسفة الثورة** (القاهرة: وزارة الاعلام، ١٩٥٣)، ص ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦.

وإنما تشدّها حقائق التاريخ؟»[4].

إن علاقة «نحن»(«الشعب المصري»، «الامة العربية»، «العرب») «بالدائرة الاسلامية» أو «المسلمين» أو «العالم الاسلامي» هي علاقة« تاريخية »من «التعاون» و«التضامن» السياسي وعلاقة «أخوة في العقيدة» لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية» في حين أن العلاقة القومية التي يقيمها عبد الناصر بين «المواطنين العرب» و«الشعوب العربية» وعلاقة مصر «بالأمة العربية» هي علاقة«إنتماء» و«اندماج» («هي منا ونحن منها»)[5] «وحدة عضوية فوق اي فرد وبعد اي مرحلة»[6].

وعلى الرغم من ذلك فإن تحقيقاً خارج العينة المختارة، مكننا أن نجد في كلمة قصيرة ألقاها عبد الناصر بمناسبة زيارة الرئيس الموريتاني مختار ولد داده في ٢٧ آذار / مارس ١٩٦٧ استخداماً لتعبير «الامم الاسلامية» في سياق أكّد فيه عبد الناصر على العلاقة اللاتناقضية بين الانتماء «القومي العربي» و«التضامن القلبي والاخوي الاسلامي»:

«إن الامة العربية لا ترى أي تعارض بين قوميّتها العربية المحددة وبين تضامنها القلبي والاخوي مع الأمم الاسلامية»[7]

هل ينبغي أن نستنتج إذن بأن مفهوم «الامة العربية» قد حلّ بكل بساطة محل مفهوم «الامة الاسلامية» لمجرد استبدال صفة «الاسلامي» بصفة «العربي»، في حين تبقى الدلالة كما هي؟ إن هذا ما ادعاه بعض المستشرقين غير القادرين على التمييز بين ما هو «عربي» وما هو «إسلامي». غير أن تحليل ظهور مفهوم «الامة العربية» في الخطاب الناصري كشف بوضوح أن هذا المفهوم حلّ تدريجياً بين ١٩٥٤ و١٩٥٥ محل مفهوم «الأمة» الذي كان يشير إلى مصر («أمة كمصر») لا إلى الأمة الاسلامية (أنظر الفصل الرابع) ومن جهة أخرى فإذا تفحّصنا الصلات ذات الدلالة الدينية في حقول «الأمة العربية» في الخطاب الناصري، بين عامي ١٩٥٢ و١٩٧٠ نجد أنها،

---

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٦) بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٢٥.

(٧) «كلمة تكريما للرئيس مختار ولد داده رئيس جمهورية موريتانيا، ٢٧ مارس ١٩٦٧»، وثائق عبد الناصر: خطب، احاديث، تصريحات، يناير ١٩٦٧ - ديسمبر ١٩٦٨ (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ١٩٧٣)، ص ١٣٠ (سنشير اليها بـ« كلمة ٢٧ آذار / مارس ١٩٦٧»، وللكتاب المذكور بـ وثائق عبد الناصر ١٩٦٧ - ١٩٦٨).

بالاضافة إلى قلّتها، تقتصر بشكل أساسي على علاقة الأمة العربية «بالله» إلى جانب علاقتها بتراثها الاسلامي». ونورد فيما يلي كل السياقات التي تظهر فيها علاقة الامة «بالله» في العينة المحلّلة:

«إرادة الله توجّه خطاها، تلهمها» (١٩٦١)
«الأمة العربية المؤمنة بالله» (١٩٧٠)
«أكرم الله الأمة العربية» (١٩٧٠)
«يريد الله لهذه الأمة النصر» (١٩٧٠)
«أراد الله أن يمدّها بمدد جديد» (١٩٧٠)[٨] .

نلاحظ أولا أن العلاقة التي يقيمها عبد الناصر بين «الامة العربية» و«الله» هي علاقة متبادلة: علاقة «إيمان» الامة «بالله»، وعلاقة «دعم» و«إلهام» و«توجيه» لها من قبل «الله». إن هذه العلاقة الدينية هي العلاقة السائدة في حقول دلالة «الامة العربية» وتكاد تكون الوحيدة. ونلاحظ أيضاً أن عبد الناصر لا يقيم علاقة بين «الامة العربية» والعقيدة الدينية بشكل عام أو أي عقيدة دينية محددة بشكل خاص، على الأقل في الخطب المكوّنة للعينة.

فقد رفض عبد الناصر علناً إعتبار العقيدة الدينية، أيا ما كانت، أساساً للدولة وعبّر عن الرفض بالشكل التالي:

«ينظر الاسرائيليون إلى «اليهودية» لا كعقيدة فحسب بل كقومية، وهذا ما يعقد المشكلة. ولست ادري ما الذي يحدث لو أننا قررنا أن نقيم دولتنا على الاسلام وقرر آخرون أن يقيموا دولتهم على المسيحية، وقرّر غيرهم أن يقيموا دولتهم على البوذية، لسوف تكون هناك في كل مكان أعمال تنم عن التعصب»[٩] .

---

(٨) حسب الترتيب الذي وردت فيه اعلاه : بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة في مساء يوم ١٦ اكتوبر ١٩٦١ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ص ٣ ، و « خطاب في استاد الخرطوم الرياضي بمناسبة احتفالات السودان بعيد الاستقلال ، اول يناير ١٩٧٠ ، » وثائق عبد الناصر : خطب . احاديث . تصريحات . يناير ١٩٦٩ ـ سبتمبر ١٩٧٠ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣) ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ (ستشير للكتاب المذكور بـ وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) .

(٩) « حديث الى مدير تحرير لوس انجلوس تايمز لشؤون الشرق الأوسط، ٣ فبراير ١٩٧٠ ، » وثائق عبد الناصر، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ص ٢٩٥ .

أما إذا كان قد جاء في دستور الدولة المصرية أن «دين الدولة الاسلام» مراعاة لبعض الأوساط الدينية، فالجدير بالاشارة أنه لم يحدّد أي دين للدولة في وثيقة اقامة الدولة القومية الأولى، دولة الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٥٨.

وللمزيد من التأكد، خرجنا من إطار العينة ودققنا في كل خطب وكلمات ومقابلات عبد الناصر بعد ١٩٦٧، فوجدنا في مكان واحد علاقة أقامها عبد الناصر بين «الأمة العربية» و«تراثها الاسلامي» وسنورد النص هنا كاملا لأهميته وندرته:

«إن الأمة العربية تعتز بتراثها الاسلامي وتعتبره من أعظم مصادر طاقاتها النضالية، وهي في تطلعها إلى التقدم ترفض منطق هؤلاء الذين يريدون تصوير روح الاسلام على أنها قيد يشد إلى الماضي وهي ترى أن روح الاسلام حافز يدفع إلى اقتحام المستقبل على توافق وانسجام كاملين مع مطالب الحرية السياسية والحرية الاجتماعية والحرية الثقافية»[١٠].

يمكن الملاحظة هنا أن عبد الناصر ينظر إلى «التراث الاسلامي» «كطاقة نضالية» يفسرها استنادا إلى «روح الاسلام» باتجاه مستقبلي وتقدمي وهو يدين التفسيرات الماضوية لهذه «الروح» ولهذا «التراث». يمكن أيضاً الاستنتاج من النص أنه يرفض تفسيرات روح الاسلام المناهضة للحرية السياسية والاجتماعية والثقافية. وإذا نظرنا، من ناحية أخرى، إلى الدلائل التي يقدمها عبد الناصر لاثبات «وحدة» (وحدانية) «الأمة العربية»، بمعنى «أن العرب أمة واحدة»، نجد أن عنصر الانتماء الديني لا يدخل ضمن العناصر الاساسية التي يقدّمها لاثبات هذه الوحدة، والتي تقتصر على «وحدة اللغة» و«وحدة التاريخ» و«وحدة الأمل»[١١].

لا يسعنا إلا أن نقرّب بين هذا التصور وتصور ساطع الحصري الذي لا يدخل الدين في أسس تكوين الأمة:

«إن أس الاساس في تكون الامة وبناء القومية هو وحدة اللغة ووحدة التاريخ (. . .) ولكن لا وحدة الدين ولا وحدة الدولة ولا وحدة الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الامة الاساسية»[١٢]

---

(١٠) «كلمة ٢٧ آذار/ مارس ١٩٦٧،» ص ١٣٠.

(١١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت])، ص ١٥ ومشروع الميثاق، ٢١ مايو ١٩٦٢ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ١٠٧ (سنشير للكتاب الاخير بـ مشروع الميثاق).

(١٢) ساطع الحصري، ابحاث مختارة في القومية العربية ١٩٢٣ - ١٩٦٣ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤)، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

ويستشهد الحصري لتدعيم تصوره بالأفغاني. ويلاحظ أن الأفغاني أيضاً يرجح العامل اللغوي على العامل الديني، ويستشهد به في المقطع التالي:

«إن الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس اثنتان: وحدة اللغة ووحدة الدين. وحدة اللغة هي الأساس الذي تقوم عليه الجنسية، اللغة أشد ثباتا وأكثر دواما من الدين. نعرف أمما غيّرت دينها خلال ألف عام مرتين إلى ثلاث مرات دون أن يطرأ خلل على وحدتها اللغوية القومية. فنستطيع أن نقول أن تأثير سلطة اللغة في هذه الدنيا أقوى من تأثير رابطة الدين»[١٣].

ويبدو أن الأفغاني يذهب إلى حد استبعاد العامل الديني فيما يتعلّق بقومية الأمة العربية بالذات:

«إن الأمة العربية، عربية بغض النظر عن أي دين أو مذهب، فالأمر لا يحتاج إلى إثبات»[١٤].

ويظهر في الختام أنه لم يكن للامة العربية في المفهوم الناصري سوى القليل من الصلات الدينية والاسلامية البحتة. إن الانتماء للامة العربية مستقل عن أي انتماء ديني. إن الصلات الدينية الوحيدة التي ينسبها عبد الناصر إلى «الامة العربية» هي العلاقة التي تقيمها هذه الأمة «بالله»، وتعلّقها «بتراثها الاسلامي» الذي دعا عبد الناصر إلى تفسيره على نحو تقدمي وديموقراطي.

ب - القومية العربية

لم تظهر أي صلة ذات دلالة دينية في حقول مفهوم القومية العربية في الخطاب الناصري، وبما أنه تبين بعد التحليل أن هذا المفهوم له دلالات عديدة، أي أنه يشير في الوقت نفسه وحسب السياق إلى «حركة» و«عقيدة» و«جنس» و«جنسية»، سنقدم بعض الايضاحات حول مفهوم «القومية العربية» كعقيدة. هل يقصد به عبد الناصر عقيدة من نوع العقائد الدينية؟ يمكن الملاحظة أولاً أن «عقيدة القومية العربية» مشاركة (أو معطوفة) «لعقيدة عدم الانحياز» و«لعقيدة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية»،

---

(١٣) جمال الدين الافغاني في احدى مقالاته الفارسية ، نقلا عن : المصدر نفسه ، ص ٣٦٣ . ويضيف الحصري معلقا : « اعرف ان العبارات التي نقلتها هنا عن الافغاني ستصدم الكثيرين من القراء .ان كتّابنا ومؤرخينا كانوا قد اشاعوا بين الناس ان الافغاني كان من دعاة الوحدة الاسلامية حتى ان عددا غير قليل منهم استندوا اليه لاستنكار فكرة القومية بوجه عام وفكرة القومية العربية بوجه خاص » .

(١٤) م . ب . المخزومي، خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني (بيروت : [د . ن .]، ١٩٣١) ، ص ٢٣٧ .

والثلاث نبعن من «التجربة» الثورية، ذلك أن المسار الذي اتبعه عبد الناصر لاستخلاص هذه «العقائد» هو التالي:

« تجربة ثورية » ← « عقيدة » ← « هدف »

«فعقيدة القومية العربية» نابعة من «تجربة الثورة العربية» («هدفها الوحدة») كما أن «عقيدة عدم الانحياز» تنبع من «تجربة الثورة الوطنية» («هدفها الاستقلال») وكذلك «عقيدة الاشتراكية الديمقراطية التعاونية» تنبع من «تجربة الثورة الاجتماعية» («هدفها العدالة»)(١٥).

في حين أن العقيدة حسب المسار الديني تنبع من كلام الله، الذي يحدد للمؤمنين الأهداف أو الواجبات التي يجب أن يتجهوا نحوها ويحققوها، فيقوموا حينئذ بالتجربة أو التجارب الدينية. ويتم هذا المسار حسب التسلسل التالي:

(كلام الله) ← عقيدة ← هدف ← تجربة

ج - الوحدة العربية

لم تظهر أي صلة ذات دلالة دينية في حقول مفهوم «الوحدة العربية» في الخطاب الناصري، وذلك في كافة معاني أو دلالات الوحدة العربية: الوحدة بمعنى التضامن العربي ووحدة العمل ووحدة الهدف أو الصف والوحدة بمعنى الاتحاد السياسي الدستوري.

لم يظهر مفهوم «الوحدة الاسلامية» في الخطاب الناصري إلا مرة واحدة قبل ١٩٥٦ في السياق التالي:

«إنما أرى فيكم (الجنود) وحدة قومية،
بل أرى أيضاً وحدة عربية،
بل أرى أيضاً وحدة إسلامية،
بل أرى أيضاً وحدة اسيوية أفريقية»(١٦)

---

(١٥) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر العام للاتحاد القومي، ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٨ - ٩. «ان تجاربنا الثورية العظيمة وصلت بنا الى عقائد واضحة تحتاج منا الآن الى ان نضع في خدمتها كل قوة الدفع الثوري لدينا لكي تصبح هذه العقائد هي حركتنا الدائمة الى أهدافنا».

(١٦) كلمة ألقيت بنادي ضباط القوات المسلحة، في يوم ٢٣ تموز / يوليو سنة ١٩٥٥ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت])، ص ١ (خارج العينة).

والجدير بالذكر أن هذا الاستعمال لم يعد يظهر في الخطاب الناصري، بعد ١٩٥٦ أي بعد أن حسم عبد الناصر نهائيا قضية التوجه القومي العربي واختار طريق الوحدة العربية. فحصر العلاقة القومية الوحدوية بالعرب دون سواهم، وحدد، كما رأينا، العلاقة بين جميع المسلمين بصيغة «التضامن» و«التعاون» السياسي و«الاخوة في العقيدة». ولا يمكن الاستنتاج من خطبه وخاصة من كتاب «فلسفة الثورة» كما يفعل البعض أنه «اعتبر المسيرة القومية مرحلة نحو الوحدة الاسلامية»[١٧].

وهنا يمكن أن يقرب المفهوم الناصري «للوحدة العربية» من مفهوم ساطع الحصري الذي يعرّف العلاقة بين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية كما يلي:

«إنني مع عدد كبير من المفكّرين القوميين أنظر إلى قضية «الوحدة العربية» كقضية مستقلة عن قضايا «الوحدة الاسلامية» و«الخلافة الاسلامية» كل الاستقلال، وبقدر ما أقول بوجوب السعي وراء تحقيقها، أعتقد باستحالة «الوحدة الاسلامية»، وأقول إن «إثارة فكرة الخلافة» مضرّة بـ «قضية الوحدة العربية» و«بفكرة التضامن الاسلامي» في وقت واحد»[١٨].

إن ساطع الحصري شأنه في ذلك شأن عبد الناصر، يعتقد بأشكال من «التضامن الاسلامي» لكنه لا يعتقد «بوحدة سياسية» دولتية إسلامية. وعلى عكس الاخوان المسلمين، فإن عبد الناصر لا يعتبر الوحدة العربية مرحلة تمهيدية للوحدة الاسلامية، إنما تشكّل بالنسبة له هدفاً قومياً نهائياً وتتويجا لنضال الشعوب العربية من أجل الحرية والاشتراكية.

٢ ـ الصلات الثقافية القيمية للمفاهيم الثلاثة

سنقوم في هذا الجزء بتحليل مشترك للصلات الثقافية للمفاهيم القومية الثلاثة المركزية في الخطاب الناصري، يبيّن الجدول التالي رقم (٤١) الصلات المشتركة للمفاهيم الثلاثة والصلات الخاصة بكل واحد منها. وسنشير بواسطة العلامات المعتادة إلى درجة تمثيل كل من الصلات الثقافية لهذه المفاهيم:

يتبيّن من قراءة الجدول أن كل الصلات الخلقية هي صلات مجردة وغير محددة. إن الموقف الخلقي الأكثر تمثيلا بين الصلات الخلقية المشتركة للمفاهيم الثلاثة هو

---

(١٧) آية حسن ، « حزب الجمهورية الايراني » ، مقابلة في النهار (بيروت) ، ٢٥ كانون الثاني / يناير ١٩٧٩ ، ص ٩ .

(١٨) الحصري ، ابحاث مختارة في القومية العربية ، ١٩٢٣ ـ ١٩٦٣ ، ص٢١٥ ـ ٢١٦ .

جدول رقم (٤١)

الصلات الثقافية لمفاهيم «الأمة العربية» و«القومية العربية» و«الوحدة العربية»

	مبادىء، مثل، مواقف اخلاقية	قيم اجتماعية ـ ثقافية
الصلات المشتركة بين المفاهيم الثلاثة: «الأمة العربية» «الوحدة» «القومية العربية»	(-) «المبادىء العليا». (-) «المثل» (٠) «المثل الأعلى» (-) «عقائدها» (=) «الايمان بها» «عدم الكفر بها» (٠) «التضحية من أجلها» ـ «إنكار الذات».	(-) «الكرامة» (٠) «الأصالة».
الصلات الخاصة: «بالأمة العربية»	(-) «الرسالة الكبرى» (٠) «قدست معاني».	(٠) «الشرف» (-) «قدرها»
«بالقومية العربية»	(=) «هي عقيدة عند كل عربي» (٠) «دعوة».	(-)«هي طريق العزة» (٠) «تراثها المجيد»
«بالوحدة العربية»	(-) «هي حقيقة تعلو أي حقيقة أخرى» «كل ما عدا الوحدة اصطناعا» (-) «حتمية» (٠) «الطبيعة» (٠) «المثل الصالح» (٠) «هي في الخير». (٠) «العوامل اللاأخلاقية الانتهازية» (٠) «انانيات».	

موقف «الايمان» بالامة العربية «وعدم الكفر بها». أما الصلات المشتركة الاخرى فهي نادرة أو قليلة التمثيل وتقتصر على «المثل» و«المبادىء» المجردة (غير المحددة).

وينبغي أن نلاحظ فيما يتعلق بمفهوم «الوحدة العربية» أن وضع صلاته الخلقية في صيغة مطلقة ومجردة ربما يهدف إلى إعطائه قوة إقناع أكبر. ولكن نظراً لندرة الصلات الدينية في حقول دلالة «الامة العربية» و«القومية العربية» و«الوحدة العربية» هل يمكننا الافتراض بأن الصلات الثقافية ـ القيمية تحل محل الصلات الدينية، أم أنها تشكل نوعاً من الانتقال نحو نظام قيم خلقية تقوم إلى حدٍ بعيد على مرتكز ديني؟

إن القيم الاجتماعية ـ الثقافية مثل «الشرف» و«الكرامة» و«العزة» و«التراث» و«الاصالة» ليست ذات مدلول ديني. فهي خاصة بالتقاليد الثقافية العربية، ويرجع أصلها إلى عهود بعيدة وتنتمي إلى قيم مرتبطة بنمط الحياة القبلية. أما المواقف والقيم الخلقية، «كالحقيقة» و«الخير» و«المثل الصالح» و«إنكار الذات» و«الانانيات» و«اللاأخلاقية» و«التضحية» و«الرسالة الكبرى» قد ترجع إلى أصل ديني بعيد. ولكن هنا أيضاً يمكن أن نبين بسهولة أن هذه المواقف والقيم الخلقية مشتركة بين معظم خطب التعبئة القومية. إن «المبادىء» و«المثل» او «العقائد» وردت في الخطاب الناصري بصيغة مجرّدة وعامة . فهي مفاهيم مفتوحة جاهزة لتطبيق محتمل على موضوع محدد .

وهكذا فإن المفهوم ـ الاحتياط « العقائد » قد تمخض عن « عقيدة » القومية العربية » و« عقيدة عدم الانحياز » و« عقيدة الاشتراكية » . كما أن المفهوم ـ الاحتياط « المبادىء » ذات الدلالة الخلقية قد اقترن بمواضيع محددة : « مبدأ الحرية » و« مبدأ العدالة » . ويمكن ان نلاحظ أخيراً أنه في كل المرات التي اقترنت فيها المفاهيم المجردة بموضوع محدد كان ذلك الموضوع ذا دلالة «حديثة» («كالاشتراكية» أو «العدالة» أو عدم «الانحياز» أو «القومية» أو «الحرية»). وهذا يعني أن «المبادىء» و«المثل المجردة» و«العقائد المفتوحة» مرشحة لتطبيق ذي طابع حديث لا لتطبيق ذي طابع ديني.

وقد يكون للصلات الثقافية القيمية أصل في نظام (أو نظم) القيم التي اكتسبها عبد الناصر في محيطه العائلي وتربيته الدراسية وتكوينه العسكري وكذلك من بيئته السكنية في ضواحي المدن المصرية الكبيرة. إن هذه الخلقية ذات الطابع المثالي الشديد منفتحة على «الحداثة». وهل يشكّل هذا النوع من المثالية الميزة الغالبة للتصوّر القومي العربي الناصري؟ للاجابة على هذا السؤال يجب أولاً تفحص الصلات «الحديثة» للمفاهيم المركزية الثلاثة، ثم مقارنة الأهمية النسبية لنماذج الصلات الثلاثة: الدينية والثقافية والحديثة.

٣ ـ الصلات «الحديثة» للمفاهيم الثلاثة

ترجع الصلات «الحديثة» للمفاهيم القومية المركزية الثلاثة في الخطاب الناصري إما إلى أصل ديموقراطي حر، أو إلى أصل إشتراكي، سبق وأن عرفناها في بداية هذا الفصل. ويتمثل هذا التوزيع في الجدول رقم (٤٢) التالي:

جدول رقم (٤٢)
الصلات الحديثة لمفاهيم «الأمة العربية» و«القومية العربية» و«الوحدة العربية»

	اتجاه ديمقراطي ـ حرّ	اتجاه اشتراكي
الصلات المشتركة بين المفاهيم الثلاثة: «الأمة العربية» «الوحدة العربية» «القومية العربية»	(=) «التساوي في الحقوق والواجبات» «حقوق الشعب» «حقوق الجماهير الاجتماعية المشروعة» «المسؤولية» (=) «الحرية السياسية والحرية الاجتماعية» «الارادة الحرة». «الاختيار الحر» «الاستقلال». (٠) «حق تقرير المصير». «حرية الشعوب» (٠) «السيادة العربية» (٠) «الوطنية العربية» (٠) «العدل» (٠) «التجربة» (٠) «التقدم» ـ «التطور (العربي)»	(=) «الثورة الاجتماعية» «العدل الاجتماعي» «الاشتراكية» «البناء الاشتراكي» (-) «الاقطاع ـ الرأسمال المستغّل» (-) «قوى الشعب العاملة». (-) «اختلاف مراحل التطور بين شعوبها». « الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناشئة من إختلاف مراحل التطور» (٠) «النمو المتكامل» (٠) «التنمية الاقتصادية والاجتماعية» (٠) «المصلحة ـ المصلحة العربية»
الصلات الخاصة بـ:	اتجاه ديمقراطي حر	إتجاه اشتراكي
«الأمة العربية»	(-) «العالم الخارجي	(-) «الطاقات المادية لها»

تابع / جدول رقم (٤٢)

	«العالم أجمع»	(−) «قوى العمال والفلاحين» «المثقفين» (٠) «المصانع الضخمة» (٠) «التخلف» (٠) «الاستغلال»
«القومية العربية»	(٠) «عقيدة عدم الانحياز»	(٠) «الثورات التقدمية» (٠) «الوعي العربي»
«الوحدة العربية»	(−) «وجودها من الطبيعة نفسها» (−) «تقرير مصير الأمم» (٠) «العمل، البناء»	(٠) «الأوضاع الطبقية في العالم العربي» (٠) «الوحدة شيء مادي»

لم تظهر الصلات «الحديثة» كلها في وقت واحد في الخطاب القومي الناصري. فالصلات ذات الأصل الديموقراطي الحر موجودة منذ عام ١٩٥٢ وترجع إلى تأثيرات تعرض لها عبد الناصر في وسطه الاجتماعي والتربوي (المدرسي والسياسي والعسكري). ألم يكتب في جريدة مدرسته مقالا عن «فولتير رجل الحرية»؟ وإذا ما رجعنا إلى قراءاته في المرحلة الثانوية (أنظر الجدول رقم (٧) ، الفصل الثاني) ويمكن أن نلاحظ بأنه قرأ عدة مؤلفات حول الثورة الفرنسية حول فولتير وروسو وهيغو وبونابرت .

وإذا كان المضمون الاجتماعي لفكر عبد الناصر القومي موجوداً في أول خطبه منذ بداية الثورة، فإن الصلات ذات الأصل الاشتراكي للمفاهيم القومية، لم تظهر في هذا الخطاب، إلّا إنطلاقاً من عام ١٩٥٩، وقد اتسع وتعمق استعمالها فيها بعد، وهي على سبيل المثال مفاهيم «الصراع الطبقي» و«النمو المتكامل» و«اختلاف مراحل التطور» وفكرة تحليل «الظروف الموضوعية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العربي».

إلا أن هذا التطور لم يؤدّ بعبد الناصر إلى الاحاطة العلمية بالبنى التقليدية لما قبل الرأسمالية في المجتمع العربي. وبما أن المعرفة العلمية للبنية الاجتماعية العربية كانت (ولا تزال) محدودة في الفترة المعاصرة لعبد الناصر، والتحليل الوحيد الذي كان متوفراً هو ذلك الذي كان يطبّق على المجتمع العربي نمطاً وصفياً مسبقاً من النوع الطبقي السطحي وبطريقة ميكانيكية .

فإن الصلات « الحديثة » لمفاهيم « الأمة العربية » و« القومية العربية » و« الوحدة العربية » تتوزع بشكل متساوٍ بين الصلات ذات الأصل الديموقراطي ـ الحر والصلات ذات الأصل الاشتراكي .

إن «عصرية» عبد الناصر إذن ذات أصل ديموقراطي حر إقترن، منذ البداية، باتجاه شعبوي مع تأثير ازداد تدريجياً لمفاهيم وتحليلات إشتراكية.

ما هي بالنهاية، الأهمية النسبية للصلات الدينية والثقافية و«الحديثة» في حقول دلالة المفاهيم القومية المركزية؟ إن الصلات «الحديثة» متفوّقة على الصلات الأخرى في حقل مفهوم «الأمة العربية» ومقارنة الجداول (رقم ٤١ و٤٢) تبيّن ذلك جيداً، والصلات الثقافية ـ القيمية ممثلة بشكل جيد، خاصة فيما يتعلق بالمبادىء والمثل المجردة والقيم الاجتماعية الثقافية. وإذا كان لمفهوم «الامة العربية» صلات دينية على عكس المفهومين الآخرين، فإن هذه الصلات تقتصر على علاقة مميّزة «بالله» و«بالتراث الاسلامي».

يتبين مما تقدم أن مفهوم «الامة العربية» في الخطاب الناصري، على الرغم من المثالية- التي تكتنفه ، هو مفهوم يغلب عليه الطابع الديمقراطي ـ الحر والاشتراكي .

لا تقتصر خاصية مفهوم الامة العربية هذه على الخطاب الناصري، طالما أنها توجد حتى في كتب التعليم الديني في مصر حيث كان من المتوقع أن نرى مفهوماً للامة أكثر التصاقاً بالدين . فالواقع أن الدراسة التي قام بها (O. Carré) أ. كاري حول كتب التعليم الديني في عهد عبد الناصر تبين أن « الاعتبار الاكثر رعاية ينصب على موضوع القيم الخلقية ، أما موضوع القيم الاسلامية فهو ثانوي وكذلك بالنسبة للقيم الانتروبولوجية » . ويصل كاري إلى الاستنتاج التالي : « هكذا تظهر الأمة كنموذج والهام سياسي واجتماعي واقتصادي »[١٩] وينبغي التوضيح أن أ. كاري يصنّف بين القيم التي يدعوها خلقية مفاهيماً « كالثورة » و« الامبريالية » و« الحقوق » و« الواجبات » و« المساواة » و« الاخوة » و« القوة » ، تلك المفاهيم التي يرجع معظمها في تصنيفنا إلى الايديولوجية « الحديثة » ذات الأصل الديموقراطي ـ الحر التي تمخض عنها عصر الأنوار والأفكار التي نشرتها الثورة الفرنسية في كل أنحاء العالم .

إن مفهوم «الوحدة العربية» في الخطاب القومي الناصري يتخذ شكلاً مشابهاً لمفهوم «الامة العربية» فيما يختص بنظام صلاته، مع اختلاف واحد وهو أنه ليس

---

(١٩) O. Carré, Enseignement islamique et idéal socialiste (Beirut: Dar al Mashreq, 1974) .

لمفهوم «الوحدة العربية» أية صلة دينية في الخطاب الناصري، وأن صلاته «الحديثة» تفوق بكثير صلاته الخلقية. وعليه فالمفهوم الناصري «للوحدة القومية» يغلب عليه الطابع «الحديث» ويمثّل توازناً بين صلاته ذات الاصل الديموقراطي الحر وصلاته ذات الأصل الاشتراكي.

أما مفهوم القومية العربية فهو يأخذ بالمقابل هيئة مختلفة، لا صلات دينية له وإنما صلاته الخلقية أكثر أهمية من صلاته «الحديثة» وهذا ما يؤكد نتيجة تحليلنا لمفهوم «القومية العربية» في الفصل السادس حيث ظهر الطابع المثالي لهذا المفهوم في الخطاب الناصري. وقد رأينا أن عبد الناصر تخلّى في وقت مبكّر، (المرحلة الثالثة ١٩٦١ - ١٩٦٣) عن استخدام هذا المفهوم ليستعيض عنه بمفهوم جديد «الثورة العربية» الذي لا يقترن إلّا بصلات «حديثة» يطغى عليها الطابع الاشتراكي (انظر باء).

ولا يسعنا الاتفاق في هذا الصدد، مع ج. موزيكار J. Muzikar الذي يعتبر أن «المفهوم الناصري للامة مثالي» وهو يستند لاثبات ذلك إلى مقاطع من الخطاب الناصري تتناول «القومية العربية» وليس «الامة العربية»، والتي تبين فعلا كما سبق وبيّنا، ان المفهوم الناصري «للقومية العربية» هو مفهوم مثالي وأخلاقي[٢٠] وقد يأتي خطأ موزيكار من أنه لا يميّز بين مفهوم عبد الناصر «للامة العربية» ومفهومه «للقومية العربية».

وفي ختام هذا التحليل لصلات المفاهيم القومية الثلاثة المركزية في الخطاب الناصري («أمة عربية»، «قومية عربية»، «وحدة عربية») ينبغي أن نعرف إذا كان شكل التوزيع العام لصلات هذه المفاهيم مشترك أم لا، مع المفاهيم الاخرى في المعجم القومي العربي الناصري.

باء - تصنيف صلات المفاهيم الاخرى في المعجم القومي العربي الناصري

سنعالج في هذا الجزء صلات المفاهيم القومية الاخرى في المعجم القومي العربي الناصري استخلصت إنطلاقاً من حقول دلالتها في كل خطب العينة. والمقصود هنا

---

(٢٠) J. Muzikar, «Arab Nationalism and Islam,» Archiv Orientalni (Prague), vol. 43, no. 3 (1975), p. 204.

« القومية العربية هي عقيدة وايمان [...] انها خالدة خلود الشعب العربي » . لم نعثر على خطاب ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٨ الذي استخرج منه موزيكار هذا المقطع ، انما نستغرب ورود فكرة « الخلود » (immortality) في الخطاب الناصري .

هي المفاهيم التالية: «المنطقة العربية»، «الوطن العربي» و«الارض العربية» و«العرب» و«الشعب العربي» و«الثورة العربية» و«المجتمع القومي»، «الانسان العربي» و«الجماهير العربية».

ستصنّف صلات هذه المفاهيم الدينية والثقافية، المشتركة بينها والخاصة بكل منها، في الجدول رقم(٤٣)وتصنّف صلاتها الحديثة في الجدول رقم (٤٤) :

جدول رقم (٤٣)

الصلات الدينية والثقافية للمفاهيم القومية الأخرى

	صلات دينية	صلات ثقافية	
		قيم إجتماعية ثقافية	مبادىء، مثل، مواقف أخلاقية
صلات مشتركة بين المفاهيم القومية الأخرى	(٠) «العقيدة: الاسلام» (٠) «يؤمن بالاسلام» (الشعب العربي المسلم) (٠) «الانسان العربي انسان مؤمن» (٠) «الجماهير المؤمنة» (٠) «الرب» (٠) «المسلمون وغير المسلمين في العالم العربي».	(٠) «مجد» (٠) «الأصالة»	(٠) «ايمان» (٠) «رسالة كبيرة»
الصلات الخاصة بـ: «المنطقة العربية»	«التحدث» (٠) «بالنبوات» (في الماضي)«بالعقيدة:الاسلام»		
«الأرض العربية»			(٠)«البقاع المقدسة»
«الشعب العربي»	(٠) «متعلق بالدين»		
«العرب»		(٠)«أسرة واحدة»	

جدول رقم (٤٤)

الصلات الحديثة «للمفاهيم القومية الأخرى»

	إتجاه ديمقراطي - حر	إتجاه إشتراكي
صلات مشتركة بين المفاهيم القومية الأخرى	(=) «الحرية» - «مبادىء الحرّية». «الحرية الاجتماعية» (-) «السيادة» «السيادة العربية» (-) «حقوق الشعوب» «مسؤولية تجاه الوطن» (٠) «التجربة» (-) «الارادة» «التصميم» (-) «العمل» (٠) «الطبيعة» (٠) «الدفاع الذاتي» (٠) «تقرير المصير» (٠) «الانسان العربي»، «الانسان»، «العنصر البشري» (٠) «كل مواطن» (٠) «الرجعية» (٠) «التقدم»	(=) «الثورة الاجتماعية» «الثورة الاشتراكية» (=) «القلة المستغلة» (=) «التاريخ»، «التأثير فيه» (-) «الاستعمار العالمي وإحتكاراته» (-) «رأس المال المستغل» «سيطرة رأس المال» (-) «مصالح»، «مصالح الرجعية» (-) «الثورة العربية»، «التجربة الثورية العربية»، «قوى النضال الثورية». (-) «قوى الشعب العاملة»، «قوى العمال والفلاحين والمثقفين» (-) «الوعي»، «الجماهير الواعية» «الاقتناع العلمي» (٠) «قوة التحرر الوطني العربية» (٠) «اختلاف مراحل التطور» (٠) «التخلف»
الصلات الخاصة بـ: «المنطقة العربية»	(٠) «عصر النهضة». «الجهل العثماني»	(٠) «يدها العاملة»
«الأرض العربية»	(٠) «ثرواتها» (البترول)	

تابع / جدول رقم (٤٤)

«المجتمع القومي»		(٠) «تحليل تفاصيله المعقدة»
«العرب»	(-) «قومية واحدة»، «جنسية». «لغة واحدة»	
«الشعوب العربية»	(٠) «وحدها مالكة قدرها» (٠) «قادرة أن تعيد كتابة تاريخها» «وإعادة رسم خريطة منطقتها».	(٠) «اختلاف مراحل التطور الثوري»
«الانسان العربي»	(٠) «الانسان المتحضر» (٠) «يبني الرخاء والسلام» (٠) «في هذا العصر».	
«الجماهير العربية»	(٠) «الصمود» «جهودها» ـ «تعمل»	(٠) «تكافح» ـ «تناضل»
«الثورة العربية»	(٠) «العدل» ـ «المساواة» (٠) «فكر جديد، لا نظريات مغلقة، تواجه به العالم.»	(٠) «التحالف مع قوى الثورة العالمية» (٠) «أداة وصورة النضال العربي» المعاصرة «الاقتناع العلمي» «توجيه التاريخ»

يتبيّن من الجدولين السابقين أن الصلات ذات الدلالة «الحديثة» طاغية بوضوح بجانبيها الديموقراطي الحر والاشتراكي. وتؤكد هذه الخاصية للمفردات القومية العربية الناصرية المدروسة هنا، خاصية المفاهيم القومية العربية الثلاثة التي جرى تحليلها أعلاه.

يتبين أيضاً من الجدولين إن الصلات الدينية قليلة وإن العلاقة الاساسية التي يقيمها عبد الناصر بين الجماعة القومية («الشعب العربي»، «الجماهير العربية») أو الفرد القومي («الانسان العربي») من جهة، والدين بشكل عام والاسلام بشكل خاص من جهة أخرى، هي علاقة إيمان. ويظهر أيضاً أن عبد الناصر استعمل الصلات الدينية المشتركة بين الأديان السماوية: «الرب»، «الدين» «الايمان»، وخصّص الايمان «بالاسلام» «بالشعب العربي المسلم». وأعطي مكانة خاصة لظهور «الاسلام-

العقيدة»، فاعتبرها، «كالنبوّات»، مؤشراً على اتحاد «المنطقة العربية» في الماضي[٢١].

إن الفرق الوحيد المهم يظهر على صعيد الصلات الثقافية الخلقية شبه الغائبة هنا، في حين أنها كانت ممثلة بشكل متوسط في حالة المفاهيم المركزية الثلاثة. ويمكن أخيراً، وفيما يتعلّق بالصلات الدينية والثقافية و«الحديثة» لمجموعة المفاهيم القومية في الخطاب الناصري، أن نستخلص الخصائص التالية:

١ - إن انتماء هذه المفاهيم إلى الايديولوجية «الحديثة» طاغ بوضوح. هناك عموما، توزيع متساو لهذا النوع من الصلات بين الاتجاه الديموقراطي - الحر والاتجاه الاشتراكي، باستثناء مفاهيم «الوحدة العربية» و«الوطن العربي» و«الانسان العربي» حيث يتغلّب الاتجاه الديموقراطي - الحر على الاتجاه الاشتراكي خاصة فيما يتعلق بالمفهومين الأخيرين.

٢ - باستثناء مفهوم «القومية العربية» فإن الصلات الثقافية - القيمية أقل تطوراً من الصلات «الحديثة». ولكن فيما عدا مفاهيم «الوحدة العربية» و«الامة العربية»، حيث بلغت الصلات الثقافية، بالرغم من أنها أقل نمواً من الصلات الأخرى، ثلث الصلات الحديثة، فإن حقول دلالة المفاهيم الاخرى للمعجم القومي العربي الناصري مثل «الثورة العربية» و«الانسان العربي» و«المجتمع القومي» و«الجماهير العربية»، خالية من الصلات الثقافية - القيمية. ومن الملاحظ أيضاً أن الصلات الثقافية للمفاهيم القومية المركزية الثلاثة أخذت بالتراجع إنطلاقاً من المرحلة الرابعة، خاصة فيما يتعلّق بالمثل والمبادىء المجردة التي انتقلت بشكل نهائي إلى المجال «الحديث».

٣ - لا شك أن الصلات الدينية للمفاهيم القومية العربية قليلة في الخطاب الناصري، خاصة إذا قارناها بالصلات الحديثة (ديمقراطية واشتراكية) وبصلاتها الثقافية - القيمية (أخلاقية واجتماعية).

تقتصر هذه الصلات على مفاهيم عامة ومشتركة بين كل الأديان السماوية:

- «الله»، «الرب» (علاقة متبادلة من «الايمان» والدّعم و«الالهام»)

(٢١) « اتحدت المنطقة بتعيين النبوات حين بدأت رسالات السماء تنزل الى الارض ، واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات » في: خطاب السيد الرئيس في مجلس الامة بمناسبة اعلان أسس الوحدة بين مصر وسوريا في ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة :مصلحة الاستعلامات ،[د . ت .])، ص ٢ (سنشير اليه بـ خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨) .

- «الدين» (علاقة «إيمان»)
- «النبوات» (في المنطقة العربية)
- «الايمان»

أما فيما يختص «بالاسلام» فيحدد عبد الناصر علاقة خاصة بين «الشعب العربي المسلم» و«الاسلام» هي علاقة «إيمان» قبل كل شيء، ويرفض أن تكون «العقيدة» الاسلامية أو المسيحية أو اليهودية أو أي عقيدة دينية أخرى أساساً لأية دولة.

ويخصص عبد الناصر مكانة خاصة متميزة «للتراث الاسلامي»، تراث الامة العربية معتبره بمثابة «طاقة نضالية» ولكن يدعو في هذا المجال إلى تفسير «روح الاسلام» باتجاه مستقبلي، تقدمي متوافق مع «الحرية»، ويشجب التفسيرات الماضوية «لروح الاسلام».

ويكون عبد الناصر بطرحه هذا قد حدد العلاقة بين القومية والدين وميز بين الاثنين بدقة. فالعلاقة الغالبة في تصوره هي علاقة «إيمان» «بالله» و«بالدين». وعلاقة «الأمة العربية» بالاسلام هي علاقة غرف من «تراثها الاسلامي» باتجاه مستقبلي وتقدمي ويجمع عبد الناصر بطرحه هذا بين كل «مؤمني» الوطن العربي عامة، ومؤمني قاعدته، قاعدة الانطلاق القومي مصر، خاصة. ويتجلى في هذا المجال أيضا هاجسه الوحدوي الدائم: فمهما اختلفت الانتماءات الدينية والمذهبية والطائفية، «الله» «واحد ولا يمكن «للمؤمنين» به حقا أن يختلفوا.

يتميز الطرح القومي العربي الناصري من حيث العلاقة بالدين، عن بعض الاطروحات القومية العربية المشرقية، كون موقع عبد الناصر السياسي والاجتماعي والجغرافي يتميز عن المواقع الأخرى. ينطلق عبد الناصر في طرحه القومي من موقع قيادي مركزي وأكثري:

فهو من حيث المكان ينطلق من القاعدة المركزية للأمة العربية، مصر، وموقعه أكثري كونه ينتمي للأكثرية الدينية والمذهبية الاسلامية في الوطن العربي. فانطلاقا من هذين الموقعين المتميزين يطرح التصور القومي الأكثر تجميعا وتوحيدا وشمولية من حيث العلاقة بالدين، والتصور الأقل تجزيئية لقاعدته بالذات قاعدة الانطلاق مصر، وللشعوب العربية المستهدفة بدعوته القومية مشرقا ومغربا.

إن هاجس الاجماع هو برأينا المفسّر الرئيسي لطرح عبد الناصر القومي من

حيث العلاقة بالدين، ولا نجد أي أثر في خطبه لخوف ما من تشكيك بشرعيته أو من مزايدة على مواقفه كونه في موقع القيادة ويعبر عن تطلعات الأمة العربية نحو التحرر والتقدم.

ويتضح في نهاية التحليل أن المرجع الايديولوجي «الحديث» هو المرجع المهيمن في حقول دلالة مجمل المفردات القومية العربية الناصرية، وبشقيه الديموقراطي الحر والاشتراكي. فالصلات ذات الدلالة «الحديثة» لهذه المفردات تتوزع بشكل متساوٍ بين هاتين المرحلتين من الايديولوجية الحديثة. ولكن هل نجد هذا التوزيع نفسه فيما يختص باشارات الخطاب القومي الناصري إلى الماضي؟.

ثانياً: الفترات واللحظات والمواضيع المميزة في إشارات الخطاب القومي الناصري إلى الماضي

درسنا في الفصول السابقة الاشارات إلى الماضي لكل من مفاهيم «الامة العربية» و«القومية العربية» و«الوحدة العربية». أما موضوع هذا الفصل فسينصب على دراسة الاشارات إلى الماضي لمجمل «الخطاب القومي العربي» لعبد الناصر (١٩٥٢ ـ ١٩٧٠) في إطار العينة، بدون الاخذ بنظر الاعتبار ما هو خاص بهذا المفهوم أو ذاك، بهدف تحديد الفترات والأحداث والمواضيع المميزة من قبل عبد الناصر وإلقاء بعض الضوء على تصوره للتاريخ المصري والعربي في إطار طرحه القومي.

إن هذه الاشارات إلى الماضي قد وزّعت بين ست «فترات تاريخية»: ما قبل الاسلام، الفتح الاسلامي، الحملات الصليبية، فترة المماليك، الفترة العثمانية (بما في ذلك حكم محمد علي) وأخيراً فترة الاستعمار الغربي. وعند احتساب عدد الأشارات حسب «الفترة التاريخية» حصلنا على النتائج التالية:

الاشارات الى	عدد الاشارات	
فترة الاستعمار الغربي	٢٨	٨ (القرن التاسع عشر) ٢٠ (القرن العشرين)
الفترة العثمانية (+ فترة محمد علي)	٩	
المماليك (+ المغول)	٤	
الحملات الصليبية	٦	
ظهور الاسلام	٣	
فترة ما قبل الاسلام (فراعنة، يونان، رومان)	٦	

إن الاشارات إلى فترة الاستعمار الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين هي الأكثر تكراراً. ويذكر عبد الناصر فترة ما قبل الاسلام والفترة الاسلامية بمنتهى الأيجابية وينظر بسلبية شديدة إلى فترات الحملات الصليبية والمماليك، والمغول، وكذلك فترة العثمانيين بما في ذلك حكم محمد علي ، رغم أنه كان يقر له بفضل إنشاء «الدولة المصرية الحديثة». ثم يصف فترة الإستعمار الاوروبي كفترة شديدة السلبية، ولكنه يقرّ أيضاً « بتدفق أفكار جديدة وبداية الاتصال بأوروبا والعالم كله من جديد وبداية اليقظة الجديدة » بعد حملة بونابرت الفرنسية على مصر .

سنجيب، فيما يختص بعلاقة الخطاب القومي الناصري بالماضي، على الأسئلة التالية: كيف عالج الفتح الاسلامي؟ كيف حلّل حركة الصليبيين؟ هل لديه إشارات أخرى إلى أحداث ذات بعد «ديني»؟ ما هي أهم المضار التي نسبها عبد الناصر للمماليك والعثمانيين ولمحمد علي وللسيطرة الاستعمارية الاوروبية؟ وسنجيب على هذه الاسئلة في جزءين. يتناول الاول العلاقة بالماضي في معالجة أحداث ذات بعد ديني، أما الثاني فينصب على العلاقة بالماضي ومشكلة التأخر، والجهل والتقدم والنهضة.

ألف ـ العلاقة بالماضي والاحداث ذات البعد الديني

١ ـ كيف نظر عبد الناصر إلى الفترة الاسلامية؟

سنستعيد فيما يلي كل اشارات عبد الناصر إلى الفترة الاسلامية في سياق خطابه القومي ضمن العينة المحلّلة:

« وفي رأيي أنه لا يمكن إغفال تاريخ مصر الفرعوني، ثم تفاعل الروح اليوناني مع روحنا، ثم الغزو الروماني والفتح الاسلامي، وموجات الهجرة العربية التي أعقبته»[٢٢] .

إتحدّت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسلام تحمل رسالة السماء الجديدة وتؤكد ما سبقها من رسالات»[٢٣] .

«كان الفتح الاسلامي ضوءاً أبرز هذه الحقيقة وأنار معالمها. . (أي انه) منذ زمان بعيد في الماضي . لم تكن هناك سدود بين بلاد المنطقة التي تعيش فيها الأمة العربية الآن . وفي إطار التاريخ

---

(٢٢) عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، ص ٢٩ .

(٢٣) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨ ، ص ٣ .

الاسلامي، وعلى هدي من رسالة محمد (ص) قام الشعب المصري بأهم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية»[٢٤] .

ومن الفتح الاسلامي يحتفظ عبد الناصر بجانب «العقيدة» و«كلمة الله في دعوة عباده إلى الحق». ويعتبر إنتشار الاسلام السريع برهاناً على عدم انقسام «المنطقة العربية». كما يشدد على الجانب العالمي والانساني للاسلام وعلى اعتباره استمراراً للديانات التوحيدية التي سبقته. ولا يشير عبد الناصر إلى الخلافة الاولى من جانب السلطة السياسية أو النظام التشريعي المبني على الشريعة الأسلامية، كما أنه لا يشير إلى العصر الذهبي للحضارة العربية الاسلامية، ولا يتوقف عند منجزاتها في سياق خطابه القومي.

إن تصور عبد الناصر للدين (أي دين) كإيمان وعقيدة، وليس كإيديولوجية سياسية وتشريع سياسي، يجعل أيديولوجيته القومية شبيهة بالأيديولوجيات القومية الحديثة.

٢ ـ الاشارات الاخرى إلى الدين في علاقة عبد الناصر بالماضي

ثمة نقطة أولى تثير الانتباه وهي تفسير عبد الناصر للحملات الصليبية:

«واتحدت المنطقة يوم واجهت استعمار أوروبا يستر مطامع وراء قناع من المسيحية، وكان معنى الوحدة قاطعاً في دلالته، حين اشتركت المسيحية في المشرق العربي في مقاومة الصليبيين جنباً إلى جنب مع جحافل الاسلام»[٢٥] .

«جاءت أول موجات الاستعمار الأوروبي مستترة وراء صليب المسيح وهي أبعد ما تكون عن دعوة هذا المعلّم العظيم»[٢٦] .

«الغارة الاستعمارية الأولى ضد الشرق العربي، وهي الغارة التي تسترّت وراء الصليبية وحاولت أن تستخدم رسالة السماء التي حملها عيسى عليه السلام اخاء وسلاماً بين البشر، إلى سيطرة وعدوان واغتصاب واحتلال»[٢٧]

---

(٢٤) مشروع الميثاق، ص ٣ .

(٢٥) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨ ، ص ٢ .

(٢٦) مشروع الميثاق، ص ٢٢ .

(٢٧) « في المؤتمر الشعبي بالمنصورة لشرح بيان ٣٠ مارس ، ١٨ ابريل ١٩٦٨ ، » وثائق عبد الناصر ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ، ص ٤٠٣ .

لا ينظر عبد الناصر إلى الحملات الصليبية كحرب «مقدسة» قام بها الغرب المسيحي ضد الشرق المسلم «لانقاذ قبر المسيح» وهو تفسير ظهر في بعض الكتب المدرسية ذات الالهام الغربي. فعبد الناصر يشدد على الدوافع السياسية والاقتصادية التي حركت الحملات الصليبية، وعلى الرغبة في السيطرة على الشرق ونهب ثرواته واستخدام الدين كقناع لاخفاء هذه الدوافع. إن رغبة عبد الناصر في فصل الحملات الصليبية عن المسيحية تذهب إلى حد التأكيد على مشاركة مسيحيي المشرق العربي للمسلمين في محاربة الصليبيين. إن تفسيره هذا للحملات الصليبية يوضح جيداً الفصل الذي يقيمه بين ظاهرة سياسية وظاهرة دينية، وبين تعاليم أي دين واستخدام هذا الدين لأغراض الأضطهاد السياسي. لكن هذا لا يعني أن عبد الناصر ينكر على المؤسسات الدينية أي دور سياسي. فهو يقر، على سبيل المثال، الدور الايجابي الذي لعبه الأزهر في الحفاظ على وحدة مصر وفي مقاومة الاضطهاد خلال العهد العثماني. كما يشدد على دور الازهر التحديثي في نشر «الأفكار الجديدة» في بداية القرن التاسع عشر:

«وجعل شعب مصر من أزهره الشريف حصناً للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتيت التي فرضتها الخلافة العثمانية إستعماراً ورجعية باسم الدين والدين منها براء..»

«ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هي التي صنعت اليقظة في ذلك الوقت، فإنها عندما جاءت إلى مصر وجدت الأزهر يموج بتيارات جديدة تتعدّى جدرانه إلى الحياة في مصر كلها. كما وجدت ان الشعب المصري يرفض الاستعمار العثماني»[٢٨].

باء ـ العلاقة بالماضي ومشكلة التأخر والنهضة

ينظر عبد الناصر مراراً ـ في إشاراته إلى الماضي ـ إلى مشكلة التأخر والجهل والتخلف في الوطن العربي من جهة وبدايات «اليقظة» في العصر الحديث و«نهضة» الشعوب العربية من جهة أخرى. إلى أي من العوامل التاريخية يعزو عبد الناصر التأخر والانحطاط وبداية اليقظة والنهضة في مصر وفي بقية الوطن العربي؟

١ ـ العوامل التاريخية للتأخر والتخلف العربي

يعزو عبد الناصر أسباب «التأخر» و«الجهل»، إلى انعزال مصر والوطن العربي

(٢٨) مشروع الميثاق، ص ٢٢.

عن بقية العالم، وخاصة العالم المتحضّر الذي تمثله أوروبا، ويعتبر أن العوامل الرئيسية التي أنتجت هذه العزلة وهذا التأخر هي ذات طابع سياسي. والمقصود هنا موجات السيطرة الاجنبية التي تعاقبت على مصر وبقية الوطن العربي إنطلاقاً من القرن العاشر: الحملات الصليبية، المماليك، المغول والعثمانيون:

«إذا كانت الحروب الصليبية بداية فجر النهضة في أوروبا، فقد كانت بداية عهود الظلام على وطننا. فلقد تحمّل شعبنا وحده معظم أعباء الحروب الصليبية وخرج بعدها فقيراً معدماً منهوك القوى».

«وعاشت مصر في مجاهل عهد المماليك (طغيان وظلم وخراب) قروناً طويلة»[29]

«واتحدت المنطقة في العذاب يوم الغزو العثماني: استار الجهل تعوق تقدّمها وتمنعها من الوصول إلى عصر النهضة في نفس الوقت الذي بدأ فيه عصر النهضة في أوروبا»[30]

كذلك يعزو عبد الناصر عزلة وتأخر مصر وبقية الوطن العربي إلى عامل إقتصادي ليس داخلياً وإنما دولي:

«كنا قد انقطعنا عن العالم واعتزلنا أحواله، خصوصا بعد تحوّل التجارة مع الشرق إلى طريق رأس الرجاء الصالح، فإذا نحن نصبح مطمع دول أوروبا ومعبراً إلى مستعمراتها في الشرق والجنوب»[31] .

إن كل أسباب التأخر التي يذكرها عبد الناصر هي عوامل خارجية، سواء على الصعيد السياسي أو على الصعيد الاقتصادي: سيطرة أو غزو من قبل الاجنبي، تغيّر إقتصادي دولي. إلا أنه يتجاهل أو يقلّل من دور العوامل الداخلية في المجتمع العربي أو المصري التي مكّنت العوامل الخارجية من أن تكون فاعلة، أو التي ساهمت بشكل مباشر في التأخر والجهل.

٢ ـ العوامل التاريخية لليقظة والنهضة العربية

يعتبر عبد الناصر أن النهضة هي عملية أخذ وخلق: أخذ من الحضارات الأخرى الأكثر تقدّماً وخلق حضارة جديدة. ويرى أن أوروبا إتبعت هذا المسار بالذات:

---

(٢٩) عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٢٩ .

(٣٠) خطاب ٥ شباط/ فبراير ١٩٥٨ ، ص ٣

(٣١) عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٣٢ .

«طوّرت الحضارة الأوروبية العلوم الحديثة بعد أن أخذتها من غيرها من الحضارات والحضارة الفرعونية والعربية في مقدمتها»[٣٢] .

وقد حدّد العوامل الخارجية التي انهت في القرن التاسع عشر عزلة مصر والوطن العربي وسمحت لهما بالتعرف على حضارات أكثر تقدماً والأخذ منها. وذكر على وجه الخصوص الحضارة الأوروبية :

«بعد عهد المماليك جاءت الحملة الفرنسية وتحطّم الستار الحديدي الذي فرضه المغول علينا وتدفقت علينا أفكار جديدة. . . وتفتحت لنا آفاق لم يكن لنا بها عهد (. .) وبدأ اتصالنا بأوروبا والعالم كله من جديد بدأت اليقظة الحديثة»[٣٣].

«إلا أن الحملة الفرنسية جاءت معها بزاد جديد لطاقة الشعب الثورية في مصر في ذلك الوقت، جاءت ومعها لمحات عن العلوم الحديثة التي طوّرتها الحضارة الأوروبية. .»[٣٤]

واقترن الأخذ عن الحضارة الاوروبية وبالأخص عن أفكار الثورة الفرنسية ، اقترن بقدرة داخلية على الاستيعاب والابداع وعلى عكس عوامل التأخر التي يعزوها عبد الناصر الى أسباب خارجية ، فهو فيما يختص بالنهضة ، يعطي العوامل الداخلية دورا أساسيا :

« فلقد كان الكتّاب والمؤلفون وأهل الفكر، منذ مطلع القرن الثامن عشر هم الذين فتحوا الطريق لثورة يوليو ، مهّدوا السبيل أمامها بما بذروا من عقائد وما نشروا من أفكار وما جاهدوا من ظلم وكافحوا من طغيان . . ولقد كانت بلادنا وستكون أبداً بلاد علم وحضارة ستعلّم الناس وستنقل شعلة النور التي تلقتها من الأجداد إلى الأبناء والأحفاد ، بل ستنقلها إلى الانسانية كلها »[٣٥] .

وهكذا نسب عبد الناصر للكتّاب والمثقّفين وظيفة هامة في الاعداد للنهضة. كما أنه أكّد على أهمية الأخذ المباشر من أوروبا نفسها، ويشير في هذا الصدد بإيجابية إلى البعثات الطلابية التي أُرسلت إلى أوروبا في عهد محمد علي للتعرّف على العلوم والفنون الحديثة. ويقيم علاقة مباشرة بين القدرات الثورية المتراكمة لدى الشعب

---

(٣٢) مشروع الميثاق ، ص ٢٣ .

(٣٣) عبد الناصر ، فلسفة الثورة ، ص ٣١ .

(٣٤) مشروع الميثاق ، ص ٢٣ .

(٣٥) خطاب سياستنا الداخلية والخارجية ، في ٢٢ يوليو ١٩٥٥(القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ص ١٦ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٥٥).

المصري في تلك الفترة وثمار المعارف التي حصلت عليها البعثات الطلابية التي أرسلت إلى أوروبا:

«إن روح هذا الشعب لم تستسلم وإنما استطاعت تحت المحن العصيبة في هذه الفترة (بداية الاستعمار البريطاني) أن تختزن طاقات تحفّزت لاطلاقها في اللحظة المناسبة. وكانت هذه الطاقة هي العلم الذي حصل عليه آلاف من شباب مصر الرواد ممن أرسلوا أيام الصحوة التي سبقت النكسة من حكم محمد علي إلى أوروبا ليتمكنوا من العلم الحديث»[٣٦].

«جلبوا معهم بذورا صالحة جعلت من مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر منبراً للفكر العربي كله وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحدود المصطنعة والموهومة»[٣٧]

ويرى عبد الناصر أن بداية «النهضة» في مصر تتوافق مع بداية «النهضة» في المشرق العربي وإن مكان التقاء التيارين كان القاهرة، بمنأى عن السيطرة العثمانية:

«إن القاهرة سارعت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر إلى فتح النوافذ لتيارات النهضة وتحوّلت إلى قلعة للفكر الحر في الشرق العربي. وما لبث روّاد الحرية في سوريا وروّاد الحرية في المنطقة العربية كلها أن وفدوا إليها يتحصّنون بأسوارها ويبعثون منها إشعاعات الفكر»[٣٨].

٣ - التحليل الاشتراكي للظاهرة الاستعمارية

تظهر تأثيرات الأيديولوجية الاشتراكية على الخطاب الناصري بشكل خاص في تحليله للظاهرة الاستعمارية. وعلى الرغم من أنه يطلق تسمية الاستعمار على كل أشكال السيطرة والاحتلال الأجنبي، كالحملات الصليبية والعثمانيين والاستعمار الغربي الأوروبي فإن عبد الناصر لا يخلط من حيث المعنى بين كل أشكال «الاستعمار». ويتبينّ فعلاً من خطبه أنه ينظر إلى الاستعمار الغربي الحديث كظاهرة مختلفة عن الظواهر الأخرى. ونجد في الخطاب الناصري بعض خصائص التحليل المادي للاستعمار والامبريالية:

«ولقد علّمنا تاريخنا الحديث إن الاستعمار حين أراد أن يثب على استقلالنا أحدث ثغرة فيه بالديون، التي أغرقتنا فيها، الملكية، فتسلّل منها المرابون ومن خلفهم الجيوش والأساطيل»[٣٩]

---

(٣٦) مشروع الميثاق ، ص ٢٤ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٢٤ - ٢٥ .
(٣٨) خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨ ، ص ٥ .
(٣٩) خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٥٥ ، ص ٥ .

«كان الاحتلال البريطاني العسكري لمصر سنة ١٨٨٢ ضماناً لمصالح الاحتكارات المالية الأجنبية وتأييداً لسلطة الخديوي ضد الشعب»[٤٠]

يظهر إذن أن الاحتلال الاستعماري المباشر هو نتيجة لعملية السيطرة المالية والربوية، فهدف الاحتلال العسكري هو حماية مصالح احتكارات الدولة المستعمِرة في البلد المستعمَر. ويميز عبد الناصر بين مرحلتين لتطور الاستعمار: مرحلة قديمة قبل بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر تمثلت باحتلال المستعمرات واستغلال مواردها ومرحلة ثانية حديثة واكبت السيطرة العالمية للاحتكارات المالية الكبرى:

«نكسة محمد علي فتحت الباب للتدخل الأجنبي في مصر (لانها) وقعت في مرحلة هامة من مراحل تطور الاستعمار: فإن الاستعمار كان قد تطوّر في ذلك الوقت من مجرد احتلال المستعمرات واستنزاف مواردها إلى مرحلة الاحتكارات المالية لاستثمار رؤوس الأموال المنهوبة من المستعمرات»[٤١].

يلاحظ هنا التمييز بين الاستعمار والامبريالية إذ ربط ظهور الامبريالية بتطور الاحتكارات المالية العالمية الكبرى وحدد تاريخها بنهاية القرن التاسع عشر.

في نهاية هذا التحليل للعلاقة بالماضي في خطاب عبد الناصر القومي العربي يمكننا إبداء الملاحظات التالية:

- تمثل الاشارات إلى الفترة الاستعمارية الحديثة التي تعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أكثر من نصف الاشارات إلى الماضي التاريخي.

- يرى عبد الناصر أن تاريخ المنطقة العربية وتاريخ مصر بالذات يمتد إلى فترة ما قبل الاسلام الذي يبدأ بالنسبة لمصر بالفراعنة. وتقتصر العلاقة التي يقيمها بالفترة الاسلامية على ظهور الاسلام الذي يعطيه أهمية كبيرة على صعيد المعتقد وكرمز لوحدة المنطقة العربية. غير انه لا يتوقّف عند هذه الفترة أكثر مما يفعل بالنسبة للفترات الأخرى ما قبل الحديثة.

- إن تمييز عبد الناصر بين الظواهر السياسية والدينية يظهر أيضاً في تحليله للحملات الصليبية حيث يشيد برسالة المسيح ويندّد باستخدام الدين لأغراض الاضطهاد السياسي.

---

(٤٠) مشروع الميثاق، ص ٢٥.
(٤١) المصدر نفسه، ص ٢٤.

وسيلة للأمة لتأمين بقائها وتقدمها، وراح يحتلّ مركزاً أكثر فعالية باعتباره القاعدة

- ينظر عبد الناصر إلى العلاقة بالماضي التاريخي من زاوية إشكالية التأخر والنهضة، الجهل واليقظة، العزلة والانفتاح على العالم. ولكن في حين أنه يعزو كل أسباب التأخر إلى عوامل سياسية واقتصادية خارجية، فهو يرجع اليقظة والنهضة في مصر وبقية الوطن العربي إلى عوامل خارجية (الحملة الفرنسية، البعثات الطلابية التي أرسلت في عهد محمد علي إلى فرنسا) وداخلية (الكتّاب، المفكّرون ودور الأزهر على حد سواء) حيث كان العامل الحاسم هو الانفتاح على «العلم الحديث».

- لقد حلل عبد الناصر الظاهرة الاستعمارية الأوروبية كظاهرة إقتصادية وسياسية. وميّز بوضوح بين المرحلة الاستعمارية القديمة ومرحلة الاستعمار الجديد (أو الامبريالية حسب المفهوم العصري) على الرغم من أنه استمر في إطلاق نفس التسمية على الظاهرتين. ويظهر هنا بوضوح تأثّره بالايديولوجية الاشتراكية الحديثة.

يتبين من تحليل علاقة الخطاب القومي العربي الناصري بالايديولوجية الدينية وبالايديولوجية «الحديثة» الديموقراطية والاشتراكية أن:

١ - صلاته الدينية تقتصر من حيث المحتوى على العلاقة «بالله» و«بالدين» بشكل عام وبالاسلام بشكل خاص، باعتباره «عقيدة» و«تراثا» ولا توجد في خطابه القومي إشارات إلى الشريعة الاسلامية أو إلى النصوص القرآنية (فلم يستشهد مثلاً بآيات قرآنية في نطاق خطابه القومي) أو إلى النظام السياسي الاسلامي المتجسّد بالخلافة. والصلات الدينية محدودة أيضاً من حيث العلاقة بالماضي، فإشارات عبد الناصر إلى الفترة الاسلامية نادرة وهي لا ترتبط إلّا بجانب ظهور وانتشار العقيدة الاسلامية كدليل على «وحدة المنطقة العربية». ولا يتوقّف عبد الناصر في سياق خطابه القومي عند العصر الذهبي للحضارة العربية الاسلامية ولا عند الامجاد الغابرة. وهكذا يظهر الاهتمام المستمر لديه في عدم مزج المجال القومي بالمجال الديني وبإدانة اللجوء إلى الدين لتغطية سياسات رجعية وظالمة.

٢ - تظهر الصلات الثقافية - القيمية في الخطاب القومي العربي الناصري أكثر من الصلات الدينية، إلّا أنها تبقى أقل أهمية من الصلات الحديثة. فهي تتخذ أهمية بارزة في حقول دلالة بعض المفاهيم القومية مثل «القومية العربية» و«الوحدة العربية»، ولكنها غائبة تماماً من مجال مفاهيم أخرى مثل «الشعب» العربي أو «الشعوب» العربية و«الثورة العربية» و«الوطن العربي»، «المجتمع العربي».

إن القيم الاجتماعية الثقافية كـ «الاصالة» و«التراث» التي نجدها بين الصلات الثقافية لبعض مفاهيم المعجم القومي الناصري، لا تحمل معنى دينيا. كذلك تتّجه «المبادىء» و«المثل» المجردة التي تظهر بين الصلات الخلقية إلى التقلص تدريجياً بصفتها صلات مستقلة ومجردة، وإلى الاقتران تدريجياً بمفردات ذات الدلالة «الحديثة» مثل «مبدأ الحرية» و«مبدأ العدل» و«مبدأ عدم الانحياز».

٣ ـ أما فيما يختص بالصلات الحديثة، فهي طاغية بوضوح في الخطاب القومي الناصري الذي يحقّق توازناً في هذا المجال بين دلالاته الديموقراطية ـ الحرة ودلالاته الاشتراكية. وأما العلاقة بالماضي التاريخي فيتناولها عبد الناصر من زاوية إشكالية التأخر والنهضة، الجهل والعلم، الانعزال والانفتاح.

ولكن هل يمكن تعميم ما استنتجناه من تحليل الخطاب القومي الناصري من حيث علاقته بالأيديولوجية الدينية والحديثة، على مجمل الخطاب الناصري ؟.

لقد أوصلتنا قراءة متأنية لقسم كبير من الخطب الناصرية، والتي تتجاوز نطاق العينة والبحث، إلى الفرضية التالية: لا يلجأ عبد الناصر إلى حجج دينية إلا عندما يهاجمه أعداؤه على أرضية دينية. والمقصود هنا بشكل خاص هي الحملات «الدينية» التي شنّتها بعض الانظمة العربية المحافظة ضد الاشتراكية الناصرية متهمة إياها بالالحاد (أنظر خطاب ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٦ و٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧) فكان ردّ عبد الناصر دفاعاً عن مفهومه للاشتراكية، بتفسير بعض الآيات القرآنية على نحو يتوافق مع الاشتراكية. وأتت الهجمات في بعض الاحيان من قبل أنظمة تقدمية اتهمت عبد الناصر بالغرق في الايديولوجية الدينية (أنظر خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ حيث يرد عبد الناصر على مهاجمة راديو دمشق الذي انتقد كتابه «فلسفة الثورة» بحجة أنه يرتكز على أفكار دينية) .

فعندما كان عبد الناصر يتعرّض لهجوم قائم على حجج دينية ضد تصوّره الاشتراكي كان يستخدم نفس الاسلوب في الاجابة على أعدائه مبيناً ببساطة التوافق بين هذه الخيارات الاشتراكية مع تفسير تقدمي للنصوص والتقاليد الاسلامية. وفيما عدا هذه الأحوال، فإن عبد الناصر لا يضع نفسه تلقائياً على ارضية دينية لتبرير أو إضفاء صبغة شرعية على خياراته السياسية والاجتماعية، إلا إننا لم نتعمّق في هذا الموضوع لكون دراستنا تقتصر على الجانب القومي من الفكر الناصري، فلم نتطرق إلى الجانب الاشتراكي من هذا الفكر إلا بقدر تعلّقه بالفكر القومي.

الفصل الثامن

تشخيص إجمالي لتصور عبد الناصر القومي



نسعى في هذا الفصل الختامي إلى إعادة بناء تصور عبد الناصر القومي العربي بمظاهره واتجاهاته الرئيسية، كما يبرز أو ينبثق من تحليل حقول دلالة المفاهيم القومية العربية في خطابه القومي. إن عملية إعادة البناء هذه ـ مثل كل محاولة لابراز بنى ضمنية وتنظيمها ـ قد تكسب التصور القومي الناصري شمولية، وربما جمودا (غريبا عنه بالطبع).

فالخطاب الناصري هو بناء تدريجي، حيث تعمل في آن واحد عمليات نضوج بطيئة وتحولات نهائية. ويبقى هذا البناء، طوال المسيرة الناصرية، شديد الارتباط بتجربة تاريخية وبممارسة سياسية تسبقانه وتحكمان عليه.

بديهي أننا لسنا هنا أمام خطاب لأحد المنظرين أو الايديولوجيين الذين يهتمون أولاً ببناء نظرية شاملة، ولا أمام خطاب لأحد المجادلين الذين تحرّكهم بنوع خاص الرغبة في الرد على الحجج المناوئة ودحضها، أو في نشر مجموعة من المفاهيم والتصورات الرنانة. نحن أمام رجل دولة وقائد قومي أصبح زعيم الحركة العربية المعاصرة. وخطابه يحاول أن يعبّر بشكل مترابط عن طموحات إنتفاضة جماهيرية للشعوب العربية وعالمها الرمزي، وعن بروز العرب كعامل تاريخي مستقل. مع ذلك يبدو أن إعادة بناء التصور القومي الناصري المركّز حول تصوير «الأمة العربية»، عملها ومحيطها ومراجعها، هو خير ما يكشف لنا سمات الايديولوجية القومية العربية في خطب وكتابات عبد الناصر.

أولاً : « الأمة العربية » جوهر ووجود : جماعة تاريخية ـ ثقافية

في الخطاب الناصري، تتواجد «الأمة العربية» وتتأكد كحقيقة بديهية، وكتجربة يومية وكمشاركة معاشة من جميع أبنائها. ولا يوجد أثر كبير في هذا الخطاب لأي جهد منظم من أجل إقامة الأدلة على وجود الأمة العربية ووحدانيتها، وهو جهد بذلته مجموعة كاملة من المنظرين والمفكرين، من ساطع الحصري إلى إلياس مرقص، ووجهته في آن واحد ضد إنكار الاقليميين في الداخل، وأكثرية المحللين والصحافيين في الغرب، وضد التقليدية الماركسية ـ الستالينية في داخل الوطن العربي وخارجه.

وبهذا المعنى، يرمي الخطاب الناصري بوضوح إلى أن يكون توكيديا أكثر منه برهانيا: إنه ينادي بالأمة العربية ويعبر عنها أكثر مما يحللها في جذورها وبنيانها وعناصر ديمومتها. إنه يؤكدها أولاً في وحدتها ووحدانيتها «أمة واحدة، أمة متحدة» هذه هي الصفة الرئيسية والخاصة الكبرى التي تذكر شدة تكرارها بالهاجس الوحدوي ـ الواحدي القديم للشرق السامي.

إن أسس هذه الوحدانية، المقدمة كأبعاد مدركة وجوديا وعفويا أكثر منها كأدلة، هي ثلاثة: أساس تاريخي لماض ومستقبل مشتركين، وأساس لغوي واحد لعقلية جماعية وأساس نفسي إجتماعي «لوجدان وأمل مشترك»[1]. كما ينبغي أن نضيف إلى هذه الأسس، لفرط ما يكمن الاحساس بالخطر في الخطاب الناصري، أساس المقاومة المشتركة لمشاريع الهيمنة والعدوان الخارجية. وهكذا، فإن «الأمة العربية» في الخطاب الناصري هي، بصورة أساسية، رابطة تاريخية ـ ثقافية في بعدها الموضوعي ورابطة نضال وأمل في بعدها الذاتي. إن «الأمة» الناصرية هي جماعة ثابتة، جماعة تدخل تاريخي.

غير أن وحدانية «الامة العربية» (أمة واحدة وقومية واحدة)، الجليَّة بلا غموض ولا تراجع طوال الخطاب الناصري ـ خلافا لما يدّعيه بعض المحللين السطحيين ـ لا

---

(1) مشروع الميثاق ، ٢١ مايو ١٩٦٢ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ (سنشير اليه بـ مشروع الميثاق) ؛ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر العام للاتحاد القومي ، ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ٥ (سنشير اليه بـ خطاب ٩ تموز /يوليو ١٩٦٠) و « خطاب الرئيس عبد الناصر في حفل النقابات المهنية ٢٠ مايو ١٩٦٣ ، » الاهرام ، ٢١ ايار / مايو ١٩٦٤ ، ص ٣ (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤ ، ») . لا بد من الاشارة الى ان ساطع الحصري يرتكز ايضا على نفس عاملي اللغة الواحدة والتاريخ الواحد لاثبات وحدانية الامة العربية . انظر : ساطع الحصري ، ابحاث مختارة في القومية العربية ١٩٢٣ ـ ١٩٦٣ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٣) ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

تمنع على الاطلاق من تمييز وتقييم «الأوطان» و«الشعوب» التي تتألف منها هذه «الأمة». وإذا لم يكن الخطاب قد استخدم عبارة «القومية المصرية» أو «الأمة المصرية» للتدليل على مصر، وبالأحرى على كل قطر عربي آخر، فإنه يقرّ مع ذلك «بشخصية» خاصة لمصر ولبقية الأوطان التي بها تغتني «الأمة العربية» وتتغذى.

هنا أيضا، وبخلاف أكثرية الخطب القومية المشرقية، لا يُنكر المستوى «الوطني»[٢] أو يُصطنع، بل يصبح متمما وملتقيا في «الأمة العربية» الموحدة. بلا ريب، ينبغي أن تكشف في هذه الصفة التأثير التبايني على الخطب لمجتمع (مصر) متجانس نسبيا، ومندمج، وذي جذور تاريخية عميقة، ولمجتمع (المشرق العربي) منقسم عضويا ومفكك و«مُبلقن» حديثا في مجموعة من الدول تشكل شرعيتها موضوع نزاع قوي.

إن الخطاب القومي الناصري ينطوي إذاً على مستوى وطني ـ محلي ثانوي، إنما معترف به، بينما يبذل الخطاب القومي المشرقي جهودا كبيرة لانكار كل كيان أو خاصية وطنية أو لمعارضته جذريا. هذا لا يعني أن الخطاب الناصري ليس بدوره في صراع مع الثنائية الأساسية للوطن العربي المعاصر: فتأكيده وإعلانه للوحدة التاريخية ـ الثقافة و«لوحدة الكفاح»، لا يمنعان قط من ملاحظة واقع الانقسام السياسي ـ الدولتي: «فالأمة الواحدة» هي في الوقت نفسه، «الأمة الممزقة» و«المجزأة». كل «الحركة القومية العربية» في الخطاب الناصري هي نزوع نحو إعادة إمتصاص هذا التمزق ونحو عودة إلى «الوحدة الشاملة» والعضوية والمتعددة الأبعاد، تلك الوحدة المعتبرة «كطبيعة حقيقية»، وكرابطة أصلية تُعزى إنقساماتها إلى العمل والتدخل الخارجيين. على هذا المستوى، لا يذكر الخطاب الناصري العوامل الاجتماعية ـ التاريخية لانقسام المجتمعات العربية وانفصالها التقليدي (مناطق، قبائل، طوائف)، ويساهم بهذا في القاع المشترك لجميع الايديولوجيات العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر: عدم الاهتمام بالوقائع المجتمعية وبديناميتها.

فالخطاب الناصري يقع، على المستوى الوطني، في منتصف الطريق بين واقعية اجتماعية ـ تاريخية ، ومثالية غير مدركة للحيّز المجتمعي.. إن الخطاب الناصري، خطاب «المركز» يتمحور حول استقلالية كيان قومي عصري وقوي، وهو قلّما يهتم بفقدان جوهر مزعوم للأمة، إنه مهتم بتأكيد وجودها وتوطيده.

---

(٢) « وطني » وهو الاستعمال السائد في الخطاب الناصري للتدليل على المستوى ما دون القومي اي القطري.

ثانياً : «أمة عربية» متحركة : تحرير وتوحيد وبناء اشتراكي

«الأمة العربية» الناصرية هي «أمة متحركة. ولدينا انطباع بأنها في الخطاب، تتحدد بتحركها وبنزوعها نحو أهدافها أكثر مما تتحدد بوجودها وخصائصها. فأهم الصفات التي تميّزها، على هذا المستوى، هي صفات «القوة» و«الارادة» و«الطاقة» التي تثمر في عمل تاريخي. إن الأمة العربية، المتخلّية عن الأيديولوجية التقليدية للتوجيه الالهي والمصير المحتوم، مدعوة في الخطاب الناصري إلى أن «تبني نفسها»[٣] و«تختار طريقها» وحتى إلى أن «تصنع قدرها بنفسها»[٤]. إنها لنظرة إرادوية ومؤمنة بالانسان، ترفع الجماعة التاريخية ـ الثقافية إلى مصاف الفاعل السياسي الواعي والحازم.

فهذه «الأمة» التي «تنهض» و«تسير» هي «حركة القومية العربية» التي يعتبرها الخطاب الناصري، بصورة رئيسية، حركة عفوية جدا و«وحدة كفاح» الشعوب العربية وتضافرها ضد الاستعمار، من حلف بغداد إلى النضال الجزائري، ومن السويس إلى فلسطين، ومن الثورة اليمنية إلى الثورة الليبية، نجد الخطاب الناصري يسجل ويتلقى ما يعتبره تظاهرات أو شبه أدلة على حيوية هذه القومية العربية. لكن كلما زادت المعارك كلما تكاثرت المقاومات والعقبات، وتحطم إجماع «الأمة» الظاهر أو المنشود، وانتصب الأعداء الداخليون وتنظموا. حينئذ تتجذّر الحركة القومية في عملها وتوجهاتها، ويتبنّاها الخطاب الناصري بتحول من «القومية العربية» إلى «الثورة العربية»، إبتداء من ٦٣ ـ ١٩٦٤ أصبحت «الثورة العربية» تجسيد «الأمة» المتحركة وأياً تكن التراجعات الاستراتيجية والتكتيكية، التي اقتضتها هزيمة ١٩٦٧، فإن لهجة الخطاب قد استمرت في التعبير عن هذه «الناصرية الثانية» الأكثر جذرية والأكثر وعياً للتحولات الداخلية العميقة، السياسية والاجتماعية، الضرورية لتقدم «الأمة العربية» ولخلاصها.

إلامَ تنزع الأمة، والحركة القومية، والثورة العربية؟ في الحال، يبرز الثالوث

---

(٣) « خطاب في استاد الخرطوم الرياضي بمناسبة احتفالات السودان بعيد الاستقلال، اول يناير ١٩٧٠، » وثائق عبد الناصر : خطب ، احاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٩ ـ سبتمبر ١٩٧٠ (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٧٣) ، ص ٥٩ (سنشير الى الخطاب بـ « خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم ، » والكتاب المذكور بـ وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) .

(٤) « خطاب الرئيس عبد الناصر في مجلس الأمة ، ١١ مايو ١٩٦٤ ، » الاهرام ، ١٢ ايار / مايو ١٩٦٤ ، ص ٣ .

التقليدي للفكر السياسي العربي للعقود الثلاثة الأخيرة: وحدة ـ حرية ـ اشتراكية/ حرية ـ اشتراكية ـ وحدة. إن ترتيب الشعارات ـ الأهداف الثلاثة هذه ومعانيها ومضامينها الواقعية ليست على الاطلاق أموراً ثانوية. فهي تشكل جوهر الجدل الداخلي الذي خاضته مختلف التيارات السياسية للحركة العربية بين حرب فلسطين (١٩٤٨) وحرب تشرين الأول / أكتوبر (١٩٧٣). هنا أيضاً، تكوّن الخطاب الناصري تدريجياً، وحاول أن يرجح نظرته الخاصة «للثورات الثلاث» أو للمهمات الثلاث الموضوعة على جدول أعمال «الأمة العربية».

إن «الحرية ـ التحرير» هي في صلب النظرة الناصرية. فهي الشرط الأول الضروري، لا بل مصدر «الثورتين» الأخريين: «التحرير السياسي» «للأوطان العربية» من هيمنة أجنبية طويلة اتخذت أكثر الأشكال تنوعا (إستعمار إستيطاني، قواعد واحتلالات عسكرية، وصايات، أنظمة وسلالات حاكمة صورية، محاولة إزالة الجنسية العربية واللغة العربية الخ...). «الحرية السياسية» للمواطن، الذي استعبدته وأخرسته وشلته زمنا طويلا سلطات استبدادية حيال شعوبها وعبدة حيال الأجنبي. وأيضاً «التحرير الاجتماعي» للأوطان باستعادة الثروات والتجهيزات الوطنية (كانت قناة السويس الرمز الأكثر وضوحا)، والتحرير الاجتماعي للمواطن بإقصاء «القلة المستغلة» و«الاحتكارات» التي تستأثر بأفضل الأراضي وبأهم الموارد[٥].

وحده هذا التحرير المنجز، إنطلاقاً من القاعدة، وبالتدرج من وطن إلى آخر، في حركة التقائية وتضامنية، يمكن أن يفسح المجال نحو التوحيد السياسي «للأمة

(٥) حول مفهوم الحرية السياسية والحرية الاجتماعية في الخطاب الناصري، ارتكزنا الى: **بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية في مساء يوم ١٦ اكتوبر ١٩٦١** (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.]) (سنشير اليه بـ بيان ١٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦١)؛ **مشروع الميثاق**، ص ٤٢؛ «خطاب الرئيس عبد الناصر في القوات العائدة من اليمن، الاسكندرية ١١ /٨ /١٩٦٣،» **الوثائق العربية ١٩٦٣** (بيروت: الجامعة الاميركية في بيروت، دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة، [د.ت.])، ص ٦٤٩ (سنشير اليه بـ «خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٣.»)؛ **بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨** (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.])؛ «خطاب الى ضباط وجنود القوات المسلحة في احدى القواعد العسكرية لشرح بيان ٣٠ مارس، ٢٩ ابريل ١٩٦٨،» **وثائق عبد الناصر: خطب، احاديث، تصريحات، يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨** (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ١٩٧٣)، ص ٤٥٠ (سنشير اليه بـ «خطاب ٢٩ نيسان / ابريل لشرح بيان ٣٠ مارس،» وللكتاب المذكور بـ وثائق عبد الناصر، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨)؛ خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم،» ص ٢٦٨، و«خطاب عيد الثورة الثامن عشر في افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومي، ٢٣ يوليو ١٩٧٠،» **وثائق عبد الناصر ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠**، ص ٤٨٠ (سنشير اليه بـ «خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٧٠.»).

العربية» و«بناء مجتمع اشتراكي» .

على المسلّمة القائلة : « إن وحدة النضال التي نحاول تحقيقها لا تكون ممكنة إلا بنضال الوحدة»[٦] ، يجيب الاستنتاج الناصري : الشعوب المحرّرة وحدها ، والارادات الشعبية الحرة من كل عبودية خارجية وداخلية ، يمكن أن تنزع «حتميا» و«طبيعيا» نحو وحدة « الأمة العربية » .

على الوحدة أولاً، والبقية تأتي فيما بعد، يجيب: التحرير أولا والبقية تأتي فيما بعد. هنا أيضا لا يسعنا إلا أن نستشفّ من خلال هاتين الأولويتين المختلفتين الفوارق الاجتماعية ـ التاريخية بين مصر، التي خضعت لخمس وسبعين سنة من الاحتلال والهيمنة السياسية ـ العسكرية البريطانية، القوية والماكرة، وبين المشرق الذي لم يعرف سوى خمس وعشرين سنة من الانتدابات، لكنه صُدم بعمليات بلقنة وبَتْر (إسكندرونة، فلسطين. .) عاشها كتفتيت لوحدة مفقودة. غير أن الخطاب الناصري تحمل كليا وباكرا جدا (١٩٥٤)[٧] مسؤولية السعي التوحيدي: على «الأمة» «الواحدة» أصلا في أسسها وطموحاتها أن تحقق وحدتها السياسية ـ الدولتية.

لكن أية وحدة، مع من، وكيف؟ هنا، يستعيد الخطاب ويعقلن تجارب وأخطاء ممارسة واجهت مشكلة سياسية جديدة ومعقّدة جدا، في الواقع. إذا كان من السهل، نسبيا، الافصاح عن مناهضة القمع والهيمنة الخارجية، فقد كان من الأصعب بكثير تحديد الأشكال المثلى والسياقات المنشودة للتوحيد السياسي العربي. حول جميع هذه النقاط، يحدّد الخطاب الناصري تدريجيا استقامة المعتقد: فقد انتقل من وحدة الاندماج العضوي، المقبولة تحت تأثير الانتفاضة الكبرى لفترة ٥٦ ـ ١٩٥٨ والضغط السوري الملحّ، إلى القاعدة التي لم يتراجع عنها بعد ١٩٦٢ : وحدة «إتحادية» (فدرالية) تدمج الأساس (الدفاع، السياسة الخارجية، التعليم والثقافة) وتحافظ على الشخصيات الوطنية الخاصة[٨] وتهتم «بملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة

---

(٦) ميشيل عفلق ، البعث والوحدة (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥) ، ص ١٤ .

(٧) « خطاب ٢٢ يوليو ١٩٥٤ ،» الاهرام، ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٤، ص ٣ ـ هو اول خطاب لعبد الناصر وردت فيه عبارة« امة متحدة » : ان هدف حكومة الثورة ان يكون العرب امة متحدة يتعاون ابناؤها في الخير المشترك ، » (خارج العينة) .

(٨) الاهرام ، ١١ حزيران / يونيو ١٩٦٢ ، موقف الجمهورية العربية المتحدة من كل الدعوات المنادية بالوحدة . وثيقة نشرت تحت عنوان «رد القاهرة على جميع الذين ينادون بالوحدة في دمشق، وتفاصيله وأسبابه » جاء فيها : « ومن الدروس المستفادة من هذه التجربة [١٩٥٨] فان صورة الوحدة في اي محاولة جديدة لها ، ـ

من اختلاف مراحل التطور بين شعوب الأمة العربية»[9] . إن جميع المحاولات والمشاريع والدساتير بين ١٩٦٣ و١٩٧٠ تجسّد هذه النظرة الفدرالية للوحدة، التي تريد التوفيق بين فعالية نوع من المركزية وواقعية تراعي معطيات تاريخ «الأمة العربية» وجغرافيتها ووضعها الاجتماعي.

بعد صدمة الانفصال السوري عام ١٩٦١، طرح الخطاب الناصري شروطا صارمة لهذه الوحدة: فقد استبعد اللجوء إلى «القوة العسكرية» «الانقلاب»[10]. وصار على القوى التوحيدية والثورية، في بقية البلدان العربية، أن تخضع لفترة تحضير طويلة، وتؤمن «إختياراً شعبياً حراً» يتجلى على شكل اتفاق شبه إجماعي «الاجماع»[11]. فلا وحدة عربية بدون وحدة مجتمعية لقوى الشعب العاملة، ووحدة سياسية للقوى التوحيدية في جبهة قوية داخل البلد المرشح لدخول الاتحاد[12]. هنا، وبمعزل عن القيمة السامية للوحدة العربية، يوحي الخطاب الناصري بأن المقصود أولاً هو الحفاظ على «الوحدة الوطنية» والمجتمعية الداخلية لكل بلد عربي وتعزيزها[13]. فما أن يبدي قسم مهم من الشعب المعني تحفظات وتردّدات حيال المشروع الاتحادي (كما في لبنان والعراق أو السودان) حتى يردّد الخطاب الناصري دون كلل: «وحدة وطنية» داخلية و«إجماع» أولاً. وبالرغم من أن الخطاب لا يسمّي الوقائع الاجتماعية بأسمائها، يمكننا أن نكشف وراء هذا الهاجس الدائم وعيا ضمنيا لهشاشة المجتمعات العربية ولأولوية إندماجها.

إذاً الوحدة هي وحدة فدرالية، محضّر لها، مختارة بحرّية، ومرتكزة على اتفاق شبه إجماعي، تحمل لواءها جبهة متينة من جميع التيارات التوحيدية. لكن المقصود من خلال الوحدة، بالنسبة للخطاب الناصري، هو تأمين مهمتين ملحّتين للأمة العربية: دفاع وحماية أكثر فعالية ضد العدوان الخارجي المتربص بها دوماً وضد التوسعية الصهيونية الكامنة دوما: ثم «النمو المتكامل» والتقدم الأسرع والأشمل، عن طريق

= لا بد ان تختلف عن صورتها السابقة، ومن ذلك: انه لا بد ان تبقى الكيانات الوطنية محددة وواضحة داخل اطار الوحدة، ان كل كيان وطني يجب ان تكون له حكومته المحلية، المسؤولة امام السلطة الشعبية المنتخبة فيه».

(٩) مشروع الميثاق، ص ١١١.
(١٠) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
(١١) المصدر نفسه، ص ١٨ و ١٠٨ ـ ١٠٩.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٥٣، و«خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو، القاهرة، ٢٢ / ٧ / ١٩٦٣، «الوثائق العربية ١٩٦٣ (بيروت الجامعة الاميركية في بيروت، دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة، [د.ت.]، ص ٦٠١ (سنشير اليه بـ خطاب تموز / يوليو ١٩٦٣»).
(١٣) مشروع الميثاق، ص ١٨ و ١١٠.

توحيد الامكانيات والطاقات. وإن كانت الوحدة تظهر، في الخطاب الناصري، كسياق محتم وكغاية سامية، غير أنها لا تظهر أبداً كهدف نهائي بحدّ ذاتها أو كحل لجميع مشكلات الأمة العربية. إن ما قبل وما بعد الوحدة دائما موجودان . وفي هذا الصدد، تَعْبُر هموم التنمية والبناء الاشتراكي الخطاب الناصري من جهة إلى أخرى. إن لموضوع «البناء الاشتراكي»، الذي هو ثانوي نسبيا في عيّنتنا المختارة لكنه مفصّل جدا في نصوص أخرى من الخطاب الناصري، مساراً غنياً ومعقدا: «إشتراكية تعاونية وديمقراطية » و« علمية » ، تكشف عن تحولات الخطاب . وفي إطار إهتمامنا هنا سوف نشير إلى نقطتين :

١ - إن الخطاب الناصري الذي اقترح الإشتراكية كأحد الأهداف الثلاثة للأمة العربية لم يقترح تحقيق الاشتراكية على مستوى «الأمة العربية» بكاملها في آن واحد، وإنما اقترح تحقيقها في كل بلد عربي على حده. كما بنى تصوره للاشتراكية إنطلاقاً من تحليل الاوضاع المصرية، التي قد لا تختلف كثيراً عن الاوضاع في أقطار عربية أخرى، ومتطلبات الدول النامية والرأسمالية العالمية، ثم اقترحه كمثل للاقطار العربية الأخرى.

٢ - إن مفاهيم البناء الاشتراكي تدور حول فكرتين : « الكفاية » و« العدل » والمقصود في إطار الكفاية هو « توسيع قاعدة الثروة الوطنية » و« تنمية الاقتصاد القومي والانتاج عبر التصنيع وإصلاح الأراضي » و« تأمين العمل لكل فرد » . أما « الطريق الرأسمالي » فمستبعد « لأنه لم يعد ممكناً في البلدان النامية » . ولأنه لم يتمكن من النشوء تاريخياً إلا « باستغلال موارد الثروة في المستعمرات » ولأنه يفترض « الاستغلال الداخلي من قبل الرأسمال الخاص » . إن الوجود الحالي « للاحتكارات الرأسمالية العالمية الكبرى » سيؤدي إلى « تبعية » البلدان المتخلفة التي اختارت السبيل الرأسمالي (١٩٦٢) . فالسبيل الوحيد إذاً هو التنمية الاقتصادية المخططة والموجهة من الدولة . أما « العدل » فهو يعني أولاً ، بالنسبة للخطاب الناصري ، « إعادة توزيع الثروة الوطنية بين المواطنين » حسب « جهد كل فرد في تحقيق الدخل القومي » ، وتأمين « سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج » « وتوجيه فائضها طبقاً لخطة محدّدة » ، كما يعني « نهاية استغلال » الطبقات والأفراد . ويستدعي هذا ضرورة بناء « قطاع عام مهيمن في الصناعة والخدمات الكبرى » ، مع إبقاء حصة « للرأسمال الخاص غير المستغل » . إن مبدأ العدل يعني في القطاع الزراعي « توزيع الأرض الزراعية » بشكل يؤمن « الملكية الخاصة لكل فلاح »[١٤] .

(١٤) مشروع الميثاق ، الباب الخامس ، ص ٤١ - ٤٥ و٥٢ -٥٣ ، الباب السادس، ص ٥٦ - ٧٠ ، =

«إشتراكية» تنموية تقودها الدولة، و«اشتراكية» إعادة توزيع في الريف، إنما أيضاً «إشتراكية» حريصة على تهيئة سيطرة الشعب على جميع وسائل الانتاج. وإذا كانت هذه الاشتراكية تفسح المجال لتغيير علاقات الانتاج في الزراعة من نمط إقطاعي إلى نمط الملكية الخاصة الصغيرة والمتوسطة، فإننا لا نفقه جيدا كيف يتصور تغيير علاقات الانتاج في الصناعة. غير أن هذه مسألة أخرى لا تدخل في صلب موضوعنا الراهن. باختصار، تبرز أمامنا صورة أمة سائرة نحو تحررها أولاً، ثم نحو وحدتها، فيما هي تبني في مختلف أجزائها الشروط الاجتماعية والمادية لقوتها وتقدّمها.

ثالثاً: مركز «الأمة العربية»: مصر والدولة الحاضرة/ الغائبة

للأمة العربية مركز، أو محور تتنظّم حوله: إنه مصر، الشعب والبلد والدولة والجيش والقيادة. فالخطاب الناصري يؤكد ذلك بوضوح ومرارا عديدة: مصر هي «القاعدة» و«القلعة» و«طليعة النضال العربي»[(١٥)]. الجيش المصري هو «درع للأمة العربية» وقوتها الرادعة[(١٦)]. الدولة المصرية هي «الدولة النواة» للوحدة العربية. إن الخطاب القومي الناصري هو خطاب مرتكز على مصر، وتنصبّ نظرته على عالم تجد فيه كثرة من الشعوب والجماهير والقوى السياسية والتيارات العربية أن مرجعها ومرتكزها هو في الصخرة الصلبة للكيان السياسي - الدولتي المصري. العلاقة بين مصر والأمة العربية، هي علاقة الرأس بالجسد، والطليعة بالجماهير والقيادة بالقاعدة.

- الباب السابع، ص ٨٢ - ٩٢ والباب الثامن، ص ٩٥ - ١٠٥، خطاب ٩ تموز/ يوليو ١٩٦٠، ص ٢٢ - ٣١؛ بيان ١٦ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٦٣، ص ٤٣، وخطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي في السويس بمناسبة عيد المدينة، ٢٢ مارس ١٩٦٦ (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د. ت.])، ص ٢٢ (سنشير اليه بـ خطاب ٢٢ آذار/ مارس ١٩٦٦ في السويس).

(١٥) «علينا ان نذكر دائما ان دورنا كطليعة للنضال العربي ومسؤوليتنا هي تجاه الامة العربية كلها» خطاب ٩ تموز/ يوليو ١٩٦٠، ص ٤٠ .. «الجمهورية العربية المتحدة، وطننا الذي هو في نفس الوقت طليعة للنضال العربي الحر وقاعدته وقلعته من المحيط الى الخليج». المصدر نفسه، ص ٤٣.

«الثورة هي التحول فعلا الى قاعدة ثورية وطليعة ثورية لامة بأكملها مش لحفنة قليلة من الناس»، «خطاب ٢٢ تموز/ يوليو ١٩٦٣»، ص ٥٩٧.

(١٦) «تقع مسؤولية سلامة المنطقة العربية في الدرجة الاولى على القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة» .... «ان الجمهورية العربية المتحدة بالتاريخ وبالواقع هي الدولة العربية الوحيدة في الظروف الحالية التي تستطيع تحمل مسؤولية بناء جيش وطني يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانية الاستعمارية والصهيونية» مشروع الميثاق، ص ٩١ و ٩٣ على التوالي. «ان مسؤوليتنا ليست محصورة داخل حدودنا المصطنعة ولكنها مسؤولية لا حدود لها في داخل الامة العربية كلها» .. «الجيش الوطني القوي هو درع للامة» «خطاب ١١ آب/ اغسطس ١٩٦٣»، ص ٦٤٧ و ٦٥١ على التوالي.

ولكن هذه العلاقة لا تتنافى مع التفاعل المتبادل والمتكافىء، فإذا كانت الشعوب والقوى العربية قد ثارت لدعم مصر في أعوام ١٩٥٦ و١٩٦٣ و١٩٦٧ (يرى الخطاب في ذلك تجليات للقومية العربية)، فإن مصر «تدافع عن الأمة العربية»، وهي، من خلال جيشها، «تموت في سبيل هذه الامة» و«تساعد الثورات العربية التي تطلب المساعدة».

وإذا كانت الدولة المصرية وحدها هي التي يمكن أن تشكل «الدولة ـ النواة» للوحدة العربية، فإن الدولة المصرية ـ السورية أو المصرية ـ المشرقية هي وحدها التي يمكن أن تشكل «دولة ـ طوق» حقيقية تحتوي إسرائيل وتلجمها وتعيد حقوق الفلسطينيين وتردع قوى العدوان الخارجي. وهكذا، إذا كانت مصر هي القاعدة الصلبة للدفاع العربي، فإن الدولة ـ الطوق هي وحدها التي تمكّن من الانتقال إلى الهجوم المضاد.

إذاً، المحورية والتكامل والدعم المتبادل هي التي تميّز العلاقة بين مصر والأمة العربية. والخطاب الناصري يلحّ على ذلك أياً كان موضوع العلاقة. إذا كان الأمر يتعلق بالاشتراكية، فإن النموذج والتجربة المصريين يُقترحان على الأمة العربية، لكن مع التأكيد في الوقت نفسه على أن النمو المتكامل ومشاركة الامكانيات العربية، يشكلان مصدر التقدم لكل الأمة. وإذا كان المقصود هو النموذج السياسي فإن «إتحاد قوى الشعب العاملة» و«الاتحاد الاشتراكي العربي» يُقترحان كصيغ مثلى، لكن مع التأكيد في الوقت نفسه على أن التراضي العام (consensus) ووحدة جميع القوى التوحيدية والثورية يشكلان شرطين يلازمان الوحدة مع مصر، وليس إستئثار القوى «الناصرية» المحلية وحدها.

في ضوء هذه العلاقة، يمكن أن نفهم ما يبدو للوهلة الأولى، في الخطاب الناصري، مثيراً للدهشة: الغياب شبه التام للاشارة إلى الدولة العربية، دولة الوحدة أي الدولة القومية. فبمقدار ما تكون الأمة كلية الوجود بمقدار ما تبدو دولتها غائبة عن الخطاب وتُفسِّر هذه الخاصية جزئياً بثغرة يشارك الخطاب الناصري فيها كل الفكر السياسي العربي، ألا وهي: عدم وجود نظرية للدولة ونظرة مفصّلة عنها. لكنها تفسّر خاصةً بتأكيد ضمني مستمر طوال الخطاب، وهو: إن الدولة العربية، ودولة الوحدة هي الدولة المصرية الموسّعة على بُعد الأمة العربية. فقد كان من الطبيعي والمحتّم، في محيط من المجتمعات ذات الدول الضعيفة وغير الشرعية، أن ينتشر إشعاع أحد أعرق التقاليد الدولتية في الانسانية (مصر) وأن تمارس قوتها الجاذبة.

رابعاً : القوى الحية للأمة العربية : الشعوب ، القوى العاملة ، القوى الثورية

في الخطاب الناصري، تقع القوى الحية «للأمة العربية» على ثلاثة أنواع: قوى فاعلة إجمالية ولا متميزة، قوى فاعلة سياسية مميّزة نوعاً ما، وقوى فاعلة إجتماعية، عامة إنما متميّزة. إن أهميتها ووزنها في الخطاب الناصري يأتيان بالضبط حسب الترتيب المذكور آنفاً.

أ) القوى الفاعلة الاجمالية ، وهي الأكثف وجوداً. إنها كلها تصويرات لكائن جماعي عربي، أصبح فاعل تاريخه وسيّده. ويقدم تطور هذه القوى وتغيّرها في الخطاب الناصري صورة مثيرة للاهتمام.

التصوير	عدد الصلات الأقصى	مرحلة التطور الأقصى
نحن	مرتفع جداً	جميع المراحل
الأمة العربية	٢١٨	المرحلة الثالثة (١٩٦١ ـ ١٩٦٣)
	٢٥٦	المرحلة السادسة (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠)
الشعوب العربية	١١٢	المرحلة الرابعة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٦)
العرب	٧١	المرحلة الأولى (١٩٥٢ ـ ١٩٥٧)
الجماهير العربية	٥٠	المرحلة السادسة (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠)
الانسان العربي	٣٧	المرحلة السادسة (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠)

«نحن» هي بالطبع الصيغة الأعم، صيغة التطابق التام، والاندماج بين المخاطِب ومخاطَبيه. على هذا المستوى، لم تعد الأمة موضوع الخطاب الناصري بل فاعله، إنها تتكلم عبره، ويُلغى كل فارق وتمييز. بالطبع، إن هذه الصيغة النموذجية لكل خطاب قومي تُستخدم في أخطر الأوقات حيث لا يعود المطلوب هو الايضاح والاثبات والتحليل أو الاشعار، إنما إيجاد التلاحم الأكمل بين الخطاب والقوة الجماعية. أما الصيغ الأخرى فهي جميعها عمليات تموضع تُحدث نوعاً من البعد بين المخاطِب والمخاطَب والواقع المصور.

والأمة العربية هي الشكل الدلالي (sémantique) الأكثر تطوراً والذي يظلّ كثير الحضور في جميع المراحل. بالفعل، إن هذا الشكل الأكثر شمولية هو أيضاً الأكثر ملاءمة للجهد المبذول في الخطاب لتصوير الكائن الجماعي العربي كجسم موحّد

ومتجانس: ولكن قُدِّمت قبله وبعده أشكال أخرى. فالشكل الأكثر بدائية - الذي بلغ ذروة تطوره في غضون المرحلة الأولى (١٩٥٢ - ١٩٥٧) حيث كان الشكل المهيمن - هو: العرب. إنه شكل محايد، وشبه وصفي، وما قبل قومي، وواقع جمعي. في أولى مراحل الخطاب الناصري كان «العرب» يوصفون خاصة بأعمال ماضية أو يهيّأون لأعمال مستقبلية. فالخطاب يذكر مثلاً «أمجادهم» و«حريتهم» و«أراضيهم الغنية بالثروات» ووجودهم في شرق العالم القديم وغربه. كما يحدِّد لهم أهدافاً مشتركة مطروحة للمستقبل: أن يكونوا «أسرة واحدة» و«يداً واحدة»، وأن تكون لهم «كلمة واحدة». إن الخطاب الناصري يكتشف، في هذه المرحلة الأولى، بشائر تحول قريب: «لا بد أن نفهم أن العرب اليوم عيرهم بالأمس»[17] «قيمتهم في المجال الدولي كبرت وعظمت»[18].

لكن سرعان ما تراجع هذا الشكل البدائي نوعاً ما، بحيث أن «العرب» تحوّلوا، في الواقع وفي الخطاب الناصري، إلى كتلة تاريخية منبنية وفعّالة. وهكذا، برزت «الشعوب العربية»، التي بلغ حقلها الدلالي مستواه الأقصى في غضون المرحلة الرابعة (١٩٦٣ - ١٩٦٦) بعد أن شهد تطوراً قوياً منذ المرحلة الثانية (١٩٥٨ - ١٩٦١). حينئذ، استطاع الخطاب الناصري أن يعلن «بأن شعوب الأمة العربية عاشت تاريخاً واحداً»... الأمر الذي «جعل من كيانها وحدة واحدة»[19]. ففي الخطاب الناصري، أتيحت للشعوب، التي اصبحت القوى الفاعلة للواقع القومي العربي، إمكانية التغيير الجذري لهذا الواقع إذ أصبحت «قادرة على أن تعيد كتابة تاريخها»، بل إنها «قادرة على أن تعيد رسم خريطة أرضها»[20]. نحن هنا في ذروة نهوض «حركة القومية العربية» وفي قلب التجربة الوحدوية الأولى. والخطاب الناصري يجاري أمل «الشعوب العربية» الكبير.

لكن، سرعان ما نضج هذا الشكل بدوره. لقد حدث هذا النضج في تركيب المفهوم بالذات، وانتقل الخطاب من هيمنة الجمع - «الشعوب العربية» - إلى تأكيد المفرد - «الشعب العربي» -. وهو تحول تدريجي اتبّع التطور التالي:

---

(١٧) « بيان للرأي العام العربي القي في مساء الاحد ١٢ اغسطس ١٩٥٦ » ، « الأهرام ، ١٣ آب / اغسطس ١٩٥٦ ، ص ٣ (خارج العينة).

(١٨) « خطاب اعلان الرئيس تاميم قناة السويس، ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٦، » الاهرام ، ٢٧ تموز / يوليو١٩٥٦ ، ص ٣.

(١٩) « خطاب ٢٠ ايار / مايو١٩٦٤ ، » الاهرام ، ٢١ ايار / مايو ١٩٦٤ ، ص ٢.

(٢٠) خطاب ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، ص ٧.

المرحلة	نسبة استعمال عبارة «الشعب العربي» في مجموع استعمالات «الشعوب العربية»
الثانية (٥٨ ١٩٦١)	٣٥٪
الثالثة (٦١- ١٩٦٣)	٤٥٪
الرابعة (٦٤ - ١٩٦٦)	٤٩٪
الخامسة (٦٦ - ١٩٦٧)	٦٦٪
السادسة (٦٧ - ١٩٧٠)	٣٢٪

يكشف هذا التحول عن توجه جذري في السلوك والخطاب الناصريين. «فالشعب العربي» سوف «يفضح عملاء الاستعمار المحليّين»، و«يحارب الرجعية العربية» و«يصفّي الاستغلال والاحتكارات». إن مجرّد ترداد استعمال هذه العبارة بصيغة المفرد، محمّل وحده بالتهديدات للكيانات والبنى السياسية التي تديم انقسام «الأمة العربية». في الواقع، إن مجرد التأكيد بأن «الشعب العربي» «شعب واحد»، ينتج عنه التشكيك الضمني في شرعية معظم الأقطار العربية القائمة. فالخطاب الناصري، في سنوات التوجّه الجذري هذه (٦٦ - ١٩٦٧)، يعلن ذلك دون تردّد: الشعب العربي يحارب « الرجعية التي وراء الحدود المصنوعة استطاعت أن تبقي لنفسها إمتيازات طبقية شرهة»[٢١] .

وإذا كانت مرحلة ما بعد ١٩٦٧ قد شهدت مجدداً تراجع استخدام صيغة المفرد بنسبة ٣٢٪ لضرورات تكتيكية واضحة، فإن الخطاب الناصري قد أدخل تصويرين جديدين للواقع القومي العربي: «الجماهير العربية» و«الانسان العربي». هنا أيضاً تستجيب عملية تحوّل ونضج المفاهيم لاحتياجات مرحلة التعبئة المكثفةُ التي تلت الهزيمة - الكارثة في حزيران / يونيو ١٩٦٧. فالشعب العربي المستعدّ للدفاع، المجروح والمهدّد في سلامته، يتصرّف على شكل انتفاضة عنيفة في التاريخ. وفي الخطاب الناصري: إن «الجماهير العربية» (جماهير ٩ و١٠ حزيران / يونيو ١٩٦٧ وبقية «أيام» السنوات الثلاث الأخيرة من عمر عبد الناصر) «رفضت الهزيمة»[٢٢]، وهي «أقوى من الحرب النفسية»[٢٣]، و«ستعبىء جهودها للدفاع عن الأمة العربية»

(٢١) « خطاب في الاحتفال بعيد الوحدة، ٢٢ فبراير ١٩٦٧ »، وثائق عبد الناصر، ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ص ٥٨ (سنشير اليه بـ « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ »).

(٢٢) « في المؤتمر الشعبي بالمنصورة لشرح بيان ٣٠ مارس، ١٨ ابريل ١٩٦٨ »، المصدر نفسه(سنشير اليه بـ« خطاب ١٨ نيسان / ابريل لشرح بيان ٣٠ مارس »).

(٢٣) « خطاب ٢٣ تموز / يوليو ١٩٧٠ »، ص ٤٧٥ .

و«عقدت إرادتها على أن تصمد وتكافح وتضحي وأن تعمل حتى النصر»[٢٤]. إن هذه «الجماهير العربية» التي يعتبرها الخطاب «مؤمنة» و«واعية» و«صامدة» تشكل في آن واحد قوة ضغط على «الحكومات العربية» المدعوة في الخطاب الناصري إلى التضامن في سبيل الجوهر، ووعداً بتجديد «الثورة العربية» التي يرى الخطاب تباشيرها في تحرير عدن (١٩٦٧)، وفي الثورتين الليبية والسودانية (١٩٦٩)، وفي المشاريع الوحدوية الجديدة (١٩٧٠).

لكن هذا التجديد يتطلب نقداً ذاتياً وتعميقاً لصورة الانسان التي يجب على الأمة أن تكوّنها لنفسها. وها هو الخطاب الناصري لما بعد ١٩٦٧ يوسّع لأول مرة موضوع «الانسان العربي».

هذا «الانسان العربي» هو «العنصر الحاسم في تحقيق النصر»[٢٥]. فهو «لن يستسلم»[٢٦]، إنه «قادر على دفع التحدي»[٢٧] وهو «دائماً أثّر في التاريخ»[٢٨]. لكن خارج فعل الايمان هذا وخارج هذا الاهتمام الجديد بضرورة تغيير العقلية العربية، لم تُتح للخطاب الناصري فرصة تطوير هذه الصورة الجديدة «للانسان العربي»، التي نشعر بأنه يميل إليها بينما هو يقترب من نهايته.

وهكذا، فإن القوى القومية ـ باعتبارها قوى فاعلة إجمالية لا متميزة ـ مشدودة في الخطاب بين قطبين: قطب جماعي وحيد ـ «الأمة العربية» ـ وهو حاضر دائماً لكنه مهيمن في غضون مرحلة أولى (١٩٥٨ ـ ١٩٦٣) ثم في مرحلة ما بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧، وقطب شعبي ـ شعبوي ـ «الشعوب، والشعب، والجماهير العربية» ـ ويشكل القطبان النتيجة الطبيعية لتجذّر الرؤية القومية في الخطاب ولنضجها التدريجي. بين «الأمة» و«الشعب» ينبسط حقل التطور السياسي الناصري.

ب) إن الفئة الثانية من قوى الأمة العربية هي فئة القوى الفاعلة السياسية المميّزة نوعاً ما. هذه الفئة هي أقل وروداً في الخطاب من الأولى لكنها مع ذلك غالباً ما تُستخدم. وتشقّ هذه الفئة في الخطاب الناصري ثنائية جوهرية، تميّز بين القوى

(٢٤) «خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم،» ص ٢٦٢.
(٢٥) «خطاب ٢٩ نيسان / ابريل ١٩٦٨ لشرح بيان ٣٠ مارس،» ص ٤٤٩.
(٢٦) المصدر نفسه، ص ٤٤٥.
(٢٧) المصدر نفسه، ص ٤٤٥.
(٢٨) المصدر نفسه، ص ٤٤٩.

«القومية» و«الوحدوية» والقوى الموصوفة «باللاقومية» و«اللاوحدوية». الأولى ترفع راية المشروع القومي، أما الثانية فهي حيادية هامشية، معادية أو مُستبعدة.

لا يعطي الخطاب الناصري سوى أهمية نسبية جداً للبنى والأشكال المؤسسية المتعلقة بالقوى الفاعلة السياسية: فهو يطلق عليها بلا تمييز وبصورة متعاوضة الأسماء التالية:

«الحركات» ـ «القوى» ـ «الأحزاب» ـ «الأجهزة».

حتى أنه يلجأ أحياناً إلى استعمال الصيغة العامة جداً بقوله «جميع الـ» (مثلاً: «جميع الوحدويين . . . جميع القوميين»). فضلاً عن ذلك، فإن هذه القوى الفاعلة القليلة التميّز مؤسسياً، توصف بمجموعة من الصفات السياسية نجدها بكافة التركيبات الممكنة في الخطاب:

«الحركات»	ـ «القومية» ،	«القوميون»
«القوى»	ـ «الوطنية» ،	«الوطنيون»
«الاحزاب»	ـ «الوحدوية» ،	«الوحدويون»
«جميع الـ»	ـ «الشعبية» ،	«الشعبيون»
	ـ «التقدمية» ،	التقدميون»
	ـ «الثورية» ،	«الثوريون»
	ـ «المقاومة» ،	

وهكذا، فإن إمكانية التركيب واسعة جداً، مثل: «الحركات الشعبية الوحدوية»، و«الأحزاب القومية الوحدو ·، و«القوى القومية التقدمية» و«كل الثوريين الوحدويين».

يبدو إذاً أنه ليس للقوى الفاعلة السياسية في الخطاب الناصري ذاتية معينة أو هوية ثابتة يمكن أن تُنسب إلى بنية هذه القوى ونوعها التنظيمي وإنشائها وعقيدتها أو اتجاهاتها الايديولوجية الثابتة. فهذه القوى تحدّد ويُعاد تفصيلها باستمرار من قبل الخطاب نفسه، تبعاً لمقتضيات الفترة التاريخية، وللصفات السياسية التي يتطلبها الوضع: صفات الوحدوية (مثلاً بين ١٩٥٨ و١٩٦١ أو في ١٩٦٣) والشعبية (بعد ١٩٦١ وبخاصة في ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧) والمقاومة (بعد ١٩٦٧)، وصفة «القومية» الأكثر وروداً في جميع المراحل. وهكذا، فإن القوى الفاعلة السياسية (وبالأخص التنظيمات الحزبية) لا تلقى سوى اعترافاً باستقلالية محدودة، ولا تنال شرعيتها إلا إذا جسّدت في

وقت معين أحد أبعاد أو صفات الحركة القومية والثورية العربية، التي تشملها وتتجاوزها. إن الدليل العكسي على هذا الوضع الثانوي للقوى السياسية المنظمة، يُقدِّم بعدم ورود تسميات مباشرة لها: فالخطاب الناصري لا يسمّي القوى المعنية (لهذا البلد أو ذاك) إلاّ في الحالات التي يهاجمها فيها ويتهمها بالانتهازية والمزايدة والعداء «للقوى القومية الحقيقية. أما عودتها إلى داخل هذه الأخيرة فتترجم دائماً باختفاء تسميتها باسمها. إن القوى السياسية البنّاءة التي يفضّلها الخطاب الناصري على هذا النحو، تجد نفسها مدعوّة من قبله لتحقيق أولوية مطلقة: التوحّد. فالخطاب الناصري يقدّم تشكيلة غنية جداً من المفاهيم التي تدور كلها حول ضرورة التوحد:

بين هذه «القوى» ينبغي:

«التعاون»
«التجمع»
«الحشد»
«التكتل»
«الالتحام»
«التوحيد»

هنا أيضاً، قلّما يهم الشكل المؤسسي والأشكال التنظيمية. لقد قدّم الخطاب الناصري تباعاً أشكالاً مثل «المجلس الأعلى لقوى التحرر القومية العربية»، و«جبهة القوى الشعبية الوطنية والتقدمية» وفكرة «حركة قومية عربية واحدة» أو تعميم النموذج المصري «للاتحاد الاشتراكي العربي». تجمّع جبهوي أو تنظيم أوحد، قلّما يهم الأمر، شرط تلافي ذلك الشرط المطلق بالنسبة للفكر السياسي الناصري، الا وهو: الفئوية، وصراع الأحزاب والإتجاهات، وتنافس التنظيمات، والمطامع المتناقضة للقادة والكوادر السياسيين، التي تشكل كلها مصدر «الأخطاء» و«الانحرافات» و«الانتهازية» وحتى مصدر «شلل» داخل الحركة القومية العربية كما في داخل كل وطن.

هنا أيضاً، نلاحظ مجدداً من خلال الخطاب، الهاجس الواحدي ـ التوحيدي للفكر الناصري، والخوف شبه الواعي من الانقسام والانشقاقات العقيمة داخل مجتمعات هشة وقليلة الانسجام. بلا ريب، يقود هذا الهاجس وهذا الخوف عملياً إلى رفض التعددية السياسية الحقيقية وينجم عنها خيار صارم معروض على «القوى اللاقومية»: الانحلال (كما في حالة الأحزاب الشيوعية في مصر وسوريا عام ١٩٥٨) أو الاندماج (كما اندمجت القوى والتيارات اليسارية المصرية في الاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦٥).

لكن هل التعددية السياسية، مثلما عرفتها التجربة التاريخية لغرب ما بعد التكوّن القومي وللغرب المصنّع، هل هذه التعددية معقولة حقاً في إطار جهد مكثف للتعبئة والتحرر الوطني يبذله مجتمع مهدّد من العدوان الغربي وتحدّي الاحتلال الصهيوني والقوى النابذة الداخلية، في وقت واحد؟ وفي المقابل أو ليست هذه التعدّدية ضرورية للتسييس الحقيقي لقوى الأمة الحية وتعبئتها ومشاركتها الفعّالة في النضال؟ إننا هنا وسط جدل حول معاني الديمقراطية لم يخرج منه بعد الفكر السياسي العربي المعاصر.

ج) إن الفئة الثالثة، الأقل وروداً، من فئات قوى «الأمة العربية» المستخدمة في الخطاب الناصري هي القوى الاجتماعية العامة المتميّزة نوعاً ما.

ينظر الخطاب إلى القوى الاجتماعية «للأمة العربية» تبعاً للفئتين الوظائفيتين اللتين شكلتا جوهر الرؤى المجتمعية في جميع النظريات الاجتماعية ما قبل الحديثة: المنتجون والمدافعون. في الواقع، إن القوتين الاجتماعيتين الرئيسيتين اللتين يشير إليهما الخطاب هما «قوى الشعب العاملة» أو «القوى العاملة» من جهة، و«الجيوش العربية» من جهة أخرى. إلى الجيوش تؤول مهمة «الدفاع عن الأمة العربية»[٢٩] و«الموت من أجلها»[٣٠] إذا اقتضى الامر، بينما «تتطلب الأمة العربية من العمال جهداً كبيراً وعملاً في جميع الاتجاهات»[٣١]

في أغلب الاستعمالات، تسمى القوى الاجتماعية إذاً بصيغتها الأعم، والأقل تميّزاً، أي بالصيغة التي تشكل تجسيداً للمهمتين الاساسيتين من أجل بقاء الامة وتقدمها.

لكن ابتداء من ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ بنوع خاص، بدأ الخطاب بتسمية قوى أكثر تحديداً، عاكساً في ذلك تجذّر النظرة الاجتماعية الناصرية. في البدء، ظهر «العامل»، الذي كان لا يزال نموذجاً إجتماعياً أكثر منه فئة واقعية، لكن الخطاب رفعه إلى المركز المرموق لـ «أساس الأمة العربية»[٣٢]. وهكذا، تحرّر «العامل» تدريجياً من كونه مجرد

---

(٢٩) «خطاب أول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم،» ص ٢٦٠.

(٣٠) «خطاب ٢٩ نيسان / ابريل ١٩٦٨ لشرح بيان ٣٠ مارس،» ص ٤٥٠.

(٣١) «كلمة في اعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب، ١٥ ابريل ١٩٦٨،» وثائق عبد الناصر ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨، ص ٣٩٧ (سنشير اليه بـ «كلمة ١٥ نيسان / ابريل ١٩٦٨،»).

(٣٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٦١ في المؤتمر الشعبي في ميدان الجمهورية بعد مرور ٢٤ ساعة على قيام حركة التمرد الانفصالية في دمشق (القاهرة: مصلحة الاستعلامات، [د.ت.])، ص ١٠.

نفسها لبناء الأمة. وتمّ اجتياز مرحلة جديدة، إبتداء من ١٩٦٤-١٩٦٥ عندما انتقل الخطاب إلى تسمية «قوى الشعب العاملة». إنطلاقاً من هنا، تكوّن الفاعل الاجتماعي الشعبي. إنهم يشكّلون رأس حربة «الثورة العربية»[٣٣] ولهم مصلحة أساسية في «الوحدة العربية» التي يجب أن تتحقق بتدخلهم الفعّال[٣٤].

إن «العمال والفلاحين» الذين تمّ تعريفهم إيجابياً في مقابل الفئات السلبية («الاقطاع»، «كبار ملاكي الأراضي»، «الاحتكارات»، الرأسمال المستغِل») قد أصبحوا بعد ١٩٦٧ مواطنين كاملي الحقوق في «الامة العربية»[٣٥]: على التنظيم الاجتماعي ـ الاقتصادي أن يؤمن مصالحهم بالدرجة الأولى، وعلى التمثيل السياسي أن يمنحهم هيمنة شرعية.

على هذا المستوى، يجب أن نضيف بأن النظرة القومية الناصرية للقوى الاجتماعية لم تعترف، حتى في طورها النهائي، بواقع طبقات إجتماعية مستقلة ومفرّدة. فالتسميات أمثال «الطبقة العاملة» أو «طبقة الفلاحين» أو «الطبقة البورجوازية» لا تظهر، على الأقل في حقول مفاهيم الأيديولوجية القومية العربية. ذلك أن الاعتراف بطبقات ككيانات متميّزة، يعني الاعتراف بوجودها كقوى سياسية ممكنة، وكمراكز تقرير، وكفئات داخلية مناوئة إحتمالياً، كل ذلك في فترة تاريخية تنصبّ فيها كل قوة القول والعمل في اتجاه اندماج الامة العربية وتوحيدها وتأكيدها كفاعل تاريخي مستقل في عالم من الأمم تنافسي أو معادٍ.

إن قوة الخطاب هذه تفسّر الغياب شبه التام للفئات الاجتماعية «العمودية»، ما قبل الحديثة (القبائل، الطوائف، التضامن الاقليمي أو القبلي..) في عداد العناصر الاجتماعية المكوّنة للأمة العربية. فالخطاب الناصري لا يمنح هذه الفئات بالطبع أية

---

(٣٣) « ان قوى الشعب العاملة في الوطن العربي كله تقود الآن معركة مقدسة من اجل اهدافها الثورية في الحرية والاشتراكية والوحدة . » « خطاب ٢٠ ايار / مايو ١٩٦٤ » ، ص ٢ .

(٣٤) « ان الثورة العربية بقوى الشعب العاملة تزداد كل يوم قوة واندفاع . » . المصدر نفسه ، ص ٣ .

(٣٥) « الامة العربية ، هذا التعبير يشمل عناصرا كثيرة ، الحكومات العربية ، القوى الشعبية ، قوى الجماهير العربية ، قوى العمال والفلاحين والمثقفين ، ثم القوات المسلحة العربية ، ثم الجيوش الشعبية العربية ، » . « كلمة ١٥ نيسان / ابريل ١٩٦٨ » ، ص ٢٩٨ .

صفة شرعية أو حتى واقعية باعتبارها قوى إجتماعية مستقلة. إنه يميل مثلاً إلى حل الطوائف الدينية بتحويلها إلى إنتماء روحي صرف يحدّده إنتساب فردي وشخصي[٣٦]. فالعرب في الخطاب الناصري هم إما مسلمون وإما مسيحيون وإما يهود[٣٧]. إن اختلاف معتقداتهم (مع أنها من مصدر إلهي واحد) لا يعيق إطلاقاً إنتماءهم المشترك ـ الذي يكرّر الخطاب الناصري تأكيده ـ إلى الثقافة العربية والقومية العربية. وهو لا يبرّر إطلاقاً العمل أو التحالف القومي أو التنظيم الدولتي المبني على هذا الاختلاف في المعتقدات[٣٨]. فالخطاب الناصري مثلاً لا يعترف، حتى في المشرق، بوجود طوائف كجماعات إجتماعية ـ سياسية، وليس هناك برأيه سوى «فتن طائفية» يثيرها العدو الخارجي، وهي ليست غالباً سوى صراعات إجتماعية تضلّلها وتحرّكها الطبقات الداخلية المهيمنة[٣٩].

على هذا المستوى، يكشف الخطاب الناصري في آن واحد عن اتجاهه الواقعي العميق والحديث وعن مثالية منعته من أن يرى أشكال التجمع والتضامن التقليدي، ما قبل الحديث، ومن أن يعي بأن معرفة هذه الأشكال وتحليلها كفيلان وحدهما بفتح الطريق إلى حلها واندماجها الحقيقي في المشروع القومي.

---

(٣٦) « خطاب في عيد الثورة التاسع ، القاهرة ٢٢ يوليو ١٩٦١ ، » الاهرام ، ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦١، (خارج العينة وسنشير اليه بـ « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦١ ، ») .

(٣٧) « نحن لم نفرق في يوم من الايام بين العربي المسلم والعربي المسيحي والعربي اليهودي، بل ان المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جنبا الى جنب في هذه المنطقة من العالم قرونا طويلة بدون اي خلافات، » انظر: «حديث الى شوفيل المعلق السياسي للتلفزيون الفرنسي في ٢٩ ابريل ١٩٦٩ ، » وثائق عبد الناصر، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ص ١٢١ (خارج العينة) .

(٣٨) « لكن الاسرائيليين يصرون على التخلص من الفلسطينيين وعلى ان يقيموا دولتهم على أساس « اليهودية » وينظرون الى اليهودية لا كعقيدة فحسب بل كقومية، وهذا يعقد المشكلة. ولست ادري ما الذي يحدث لو اننا قررنا ان نقيم دولتنا على الاسلام وقرر آخرون ان يقيموا دولتهم على المسيحية وقرر غيرهم ان يقيموا دولتهم على البوذية . لسوف تكون هناك في كل مكان اعمال تنم عن التعصب، » انظر «حديث الى مدير تحرير لوس انجلوس تايمز لشؤون الشرق الاوسط ، ٣ فبراير ١٩٧٠ ، » وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ص ١٩٥ . « لا نستطيع ان نتصور اقامة الاوطان على اساس الديانات فتصبح هناك اوطان لا يعيش فيها غير المسلمين ، واوطان لا يعيش فيها غير المسيحيين ، واوطان لا يعيش فيها غير البوذيين، أنظر: «حديث لمجلة تايم الاميركية، ١٢ مايو ١٩٦٩ ، » وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ص ١٥٤ .

(٣٩) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦١ ، » (خارج العينة)، وخطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٨ (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، د . ت.) ص ٥١

خامساً : أعداء « الأمة العربية » : الاستعمار وعملاؤه وحلفاؤه

لقد شكّل تصوير العدو دائماً أحد العناصر الأكثر تعبيراً وكشفاً عن البنية الداخلية للأيديولوجية القومية وعن توازناتها واتجاهاتها الاساسية. فالتصوير الناصري لأعداء الامة يتمفصل، مثل تصوير الأهداف القومية (حرية ـ اشتراكية ـ وحدة)، حول ثالوث جهنمي بالطبع، يضم «الاستعمار والصهيونية (إسرائيل) والرجعية العربية»[٤٠]

لكن، يجب أن نضيف على الفور بأن العلاقات بين أعضاء هذا الثالوث المعادي هي علاقات متفاوتة جدا. فالاستعمار هو بلا منازع القوة الحاسمة والمصدر الأول الذي لا يشكل العنصران الآخران، في النهاية، سوى إمتداداً له. وتعتبر إسرائيل بصورة خاصة كمظهر وكشكل خاص من أشكال الحركة الاستعمارية، وكتكوين أسهمت القوى الاستعمارية بشدة في خلقه. ويجمع الخطاب، أحياناً كثيرة، بين إسرائيل و«الذين يقفون وراء إسرائيل» ويشدّد على المبادلة بين دعم الاستعمار المستمر لاسرائيل والخدمات التي تؤديها هذه الأخيرة لمصالح الاستعمار في محاربتها «لحركة القومية العربية». وتعتبر «الرجعية العربية» بصورة خاصة كتحالف بين «عملاء» الاستعمار و«أعوانه» الذين يعطيهم الخطاب في مرحلة أولى (قبل ١٩٦١) قدراً محدوداً جداً من الاستقلالية والكيان الخاص. ثم يميل الخطاب في مرحلة ثانية (بعد ١٩٦١) إلى تحديد أكبر لميزات كل من العناصر الثلاثة ولمصالحها الخاصة. لكن التصور الغالب يظلّ المتعلّق بعدو أساسي كلّي الوجود، يحاول الاعتماد في عمله، إلى جانب التدخل المباشر، على عنصرين محليين: واحد في قلب المنطقة العربية (إسرائيل) وآخر في وسط المجتمعات العربية (الرجعية).

وتختلف تحديدات الاستعمار بين مرحلتي الخطاب: قبل ١٩٦٥، كان المقصود بخاصة بريطانيا وفرنسا، وبعد ١٩٦٥ صارت الولايات المتحدة هي المقصود اساساً.

إن الخطاب القومي الناصري يحدّد للاستعمار ثلاثة مطامع دائمة ومحاولة قصوى: فالاستعمار يطمح أولاً إلى «السيطرة على الأمة العربية» إلى «تحديد أو تقرير مصيرها»[٤١]. كما يطمح أيضاً إلى إدامة «إنقسامها» أو حتى إلى «تفتيتها» أكثر ما يمكن

---

(٤٠) « التحالف المعادي لآمال الامة العربية، التحالف الثلاثي: الاستعمار والرجعية على يمينه واسرائيل على يساره » : « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ » ، ص ٨١ .

(٤١) مشروع الميثاق ، ص ٧١ .

من أجل شلّها[٤٢]. وهو يطمح أخيرا إلى «نهب ثرواتها» و«إرغامها على التخلف»[٤٣] الاجتماعي ـ الاقتصادي. وهكذا يعتبر الاستعمار في آن واحد كاستعباد للأمة وكعائق لوحدتها وكمصدر لتأخرها الاقتصادي. أما الأمة فتتكوّن كفاعل تاريخي بفضل حركة مقاومتها بالذات ومواجهتها الظافرة تدريجياً لمطامع العدو الدائمة.

إن « حركة القومية العربيه » هي مقاومة الإستعمار الفعلية . ولكي يحاول الإستعمار إيقاف هذه الحركة ، يلجأ إلى التطرف : إنه لا يسعى فقط إلى « ضرب » الحركة « وتصفيتها » ، بل حتى إلى ضرب «الجنسية العربية » وتصفيتها (من الجزائر إلى فلسطين ، ومن الخليج العربي إلى حرب ١٩٦٧) . إذا ، الخطاب الناصري يعتبر الإستعمار ليس فقط كارتهان لحرية الأمة إنما أيضاً كخطر على بقائها بالذات .

لكن للحركة الصهيونية (وإسرائيل) ، في الخطاب القومي الناصري ، مطامع أكثر تركيزاً : الحفاظ على كيان « عنصري » وتقويته ، تأمين الهيمنة على جزء من الأمة العربية ، المساهمة بكل الوسائل الممكنة في إدامة إنقسام الأمة العربية .

اذا كان الإستعمار في آن خطراً على حرية الأمة العربية وتقدمها ووحدتها وحتى بقائها ، فإن إسرائيل هي بنوع خاص خطر على وحدتها . لأن الخطاب الناصري يعتبر أن إسرائيل عائق من النوع الجغرافي أمام تحقيق الوحدة فهي تريد أن « تفصل المشرق العربي عن المغرب العربي »[٤٤]، لأنه يسكنها الخوف من التطويق الاستراتيجي ومن تعزيز القوة الاقتصادية والعسكرية للأمة العربية . فدولة الوحدة هي أيضاً « دولة ـ الطوق » ، ولذلك يهدف العدو الاسرائيلي بالدرجة الأولى إلى ضرب المشروع التوحيدي .

العنصر الأخير في هذا الثالوث هو العدو الداخلي الذي كان في البدء هامشيا جداً في الخطاب الناصري : فالأمر يتعلق ، كما يذكّر الخطاب ، « بقلّة ضئيلة » يحرّكها العدو الخارجي ، وهي تشكل «عملاءه » أو « أعوانه » . يصف الخطاب هذه « القلة » وكأنها استبعدت نفسها عن الأمة . إنهم «منحرفون » و« خارجون » :

---

(٤٢) « ارادوا دائما ان يقسموها الى امم صغرى، » انظر: خطاب السيد الرئيس في اليوم التاريخي لاعلان الجمهورية العربية المتحدة في اول فبراير ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، ت .]) ، ص ١ . « الاستعمار يريد دائما أمة عربية ممزقة يسهل مواجهة شعوبها . » انظر : « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ ، » ص ٥٨ .

(٤٣) مشروع الميثاق ، ص ١٢ .

(٤٤) « خطاب ١١ آب / اغسطس ١٩٦٢ ، » ص ٦٤٨ .

وأخيراً ، ليس لهذه الأقلية سوى القليل من العمل المستقل ، وبالتالي ليس لها مطامع خاصة .

في مرحلة ثانية ، ومع تجذير القول والفعل الناصريين بعد الانفصال السوري عام ١٩٦١ (الذي لعبت فيه الرجعية السورية دوراً مهما) ، يعيد الخطاب الناصري ، في محاولة من النقد الذاتي ، تقييم العدو الداخلي . حينئذ ، إعترف له بكيان خاص وبنوع من الوحدة . « فالعملاء » و« الأعوان » أصبحوا تدريجياً « القوى الرجعية » ثم « الرجعية العربية » ، الشريكة الكاملة لثالوث الأعداء . حتى إن الرجعية العربية قد تحددت في المرحلة الرابعة (٦٤ ـ ١٩٦٥) بعناصرها الاجتماعية الرئيسية (« كبار الملاكين : الاقطاع » ، « الرأسمال المستغِلّ » ؛ « الاحتكارات الصناعية والتجارية »)[٤٥] .

إن الرجعية تعارض وحدة الأمة لأنها تهدف إلى الحفاظ على « الإمتيازات الطبقة الشرهة التي استطاعت أن تبنيها وراء الحدود المصنوعة »[٤٦] . والرجعيون هم عقبة أمام تقدم الأمة لأنهم « نهبوا أموال العرب »[٤٧] . إن الرجعية في خدمة أعداء الأمة لأن «الإستعمار ينسّق العمل معها»[٤٨] ، فهو الذي « يسلّحها » وهي «تسير في نفس مخطط الاستعمار وإسرائيل »[٤٩] . وفي عودة إلى المنهج الأصلي ، يؤكد الخطاب وهو يلاحظ هذه التبعية الشديدة بأن : «الرجعية العربية ، لا يمكن أن نفصلها عن الاستعمار»[٥٠] . إن التراجع الاستراتيجي الذي أوجبته هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ قد ظهر في محاولة تحويل العدو الداخلي مجدداً إلى « قلة ضئيلة » من « العملاء » للخارج ، لكن في نهاية المرحلة ، يذكّر الخطاب الناصري أو يلاحظ بأن « عداءها (الرجعية) لأهداف النضال العربي أقوى من عدائها للاستعمار »[٥١] .

---

(٤٥) « فان المجتمع القومي الذي يتطلع اليه العمل الوحدوي لا يتسع لهذه القوى المعادية للجماهير : الاقطاع ورأس المال المستغل ركائز الاستعمار واحتكاراته » انظر « خطاب ٢ ايار / مايو ١٩٦٤ » ، الاهرام ، ٢١ ايار/مايو ، ١٩٦٤ ، ص ٢ .

(٤٦) « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ » ، ص ٥٨ .

(٤٧) خطاب ٢٢ آذار / مارس ١٩٦٦ في السويس ، ص ٤١ .

(٤٨) « خطاب ٢٢ شباط / فبراير ١٩٦٧ » ، ص ٦٩ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

وإن كانت الرجعية العربية هي عدو داخلي دائم ، فإن الخطاب الناصري قد حدّد ، في أحوال عديدة ، خصوماً ظرفيين . إنهم خصوم ظرفيون ، لكن عندما ينفجر النزاع ، يصبحون أعداء مطلقين إلى حدّ أنهم يعتبرون « أعداء الأمة العربية » . ويرافق هذا التصعيد ضد القوى المتهمة بطعن المشروع القومي والتوحيدي ، تأكيد مزدوج : أولاً : نفي كل خلاف أيديولوجي حقيقي مع هذه القوى ، مع التشديد على الطموحات الشخصية والمصالح الحزبية لقادتها[٥٢] . ثانياً : إتهام هذه القوى خصوصاً بالخداع والمزايدة[٥٣] .

إن أعداء الأمة العربية ـ في الخطاب الناصري ـ سواء كانوا خارجيين أم داخليين ، دائمين أم ظرفيين ، يتصرفون وفقاً لأربعة أشكال رئيسية : التدخل المباشر (إحتلال ، قواعد عسكرية ، إعتداءات . . .) والمؤامرة ، وحملات الدعاية والضغوط الاقتصادية . إن « المؤامرة » هي في آن واحد شكل خاص وبعدٌ لكل الأشكال الأخرى . فالعدو متآمر بطبيعته ، وبالتحديد تقريباً . أما العمل الاقتصادي (تمويل العدو وضغط على الأمة) والعمل النفساني (تضليل بواسطة وسائل الاعلام والحملات السياسية) والعمل العسكري (إعتداءات وتهديدات بالاعتداء) فيعتبرها الخطاب الناصري بمثابة أبعاد متكاملة ومتنوعة الاستخدام لتلك الحرب الشاملة التي يستمر الأعداء في شنّها على الأمة العربية .

على أي حال ، تبرز من تصوير الأعداء ، في الخطاب الناصري ، صورة مؤثّرة جداً : إن القوى المعارضة للأمة العربية تبدو أكثر حسماً ، بالنسبة لمستقبل هذه الأمة وديناميكيتها ، من العقبات الداخلية والعوامل الموضوعية والعوائق الاجتماعية ـ التاريخية . فدحر الأعداء يبدو أهم من التغلّب على النقائص الذاتية ، كما لو لم تكن المهمة الثانية الشرط الضروري للمهمة الأولى .

سادساً : « الأمة العربية » بين المقدّس والماضي والتقدم

ما هي العلاقات التي تقيمها الأمة العربية ، حسب الخطاب الناصري ، مع المقدس ومع ماضيها الخاص ومستقبلها ؟ ما هي المراجع الأخيرة التي تستند إليها الصورة الناصرية عن الأمة العربية ؟

إن « الأمة العربية » في الخطاب الناصري ، لم تعد أمة متمحورة حول الله

---

(٥٢) « خطاب ٢٢ تموز / يوليو ١٩٦٣ ، » ص ٥٩٢ .

(٥٣) المصدر نفسه ، ص ٥٩٤ .

وموحَّدة بأنظمة الشريعة «فالأمة العربية مؤمنة بالله وبنفسها »[٥٤] و« ارادة الله » ، في المقابل ، « تلهمها وتوجِّه خطاها »[٥٥] و(بعد ١٩٦٧) « الله يريد لها النصر »[٥٦] ، لكنه لا يفرض عليها قط أهدافها ولا جوهر أخلاقها ولا نماذج تنظيمها السياسي والاجتماعي .

على صعيد آخر ، يفضِّل الخطاب الناصري العلاقة بالله على العلاقة بدين معيَّن وبتقاليده الخاصة . فإن كانت الأمة العربية طبيعياً « تعتزّ بتراثها الاسلامي »[٥٧] ، وإن كان الاسلام هو « آخر رسالات السماء الالهية »[٥٨] ، في أرض النبوة هذه ، وإن كان انتشاره السريع قد كشف الوحدة العميقة « للمنطقة العربية »[٥٩] ، مع ذلك فإن الخطاب القومي الناصري لا يشير إلى « قيم إسلامية » و« تعليم إسلامي » وأنظمة إسلامية أخلاقية وقانونية واجتماعية صالحة للأمة العربية . بالعكس ، إن « روح الاسلام » هي « حافز يدفع إلى اقتحام المستقبل »[٦٠] ، ويكتفي الخطاب الناصري بالإشارة إلى تلاؤم « روح الاسلام » مع أهداف الأمة :
« إنه على توافق وانسجام كاملين مع مطالب الحرية السياسية والحرية الاجتماعية والحرية الثقافية »[٦١] .

في نزوعه إلى « روحنة » الدين ، يبذل الخطاب الناصري جهداً كبيراً للفصل بين المسيحية كرسالة للمسيح وبين الغرب المعتدي والتوسعي[٦٢] . فالحملات الصليبية والاستعمار مجرَّدان من حوافزهما الدينية المزعومة ومركّزان حول دوافع سياسية

(٥٤) « خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم ، » ص ٢٦٤ .
(٥٥) « بيان ١٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦١ ، » ص ٣ .
(٥٦) « خطاب اول كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ في الخرطوم ، » ص ٢٦٥ .
(٥٧) « كلمة تكريما للرئيس مختار ولد داده رئيس جمهورية موريتانيا ، ٢٧ آذار / مارس ١٩٦٧ ، » وثائق عبد الناصر ، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ ، ص ١٣٠ (خارج العينة وسنشير اليها بـ « كلمة ٢٧ آذار / مارس ١٩٦٧ ») .
(٥٨) خطاب السيد الرئيس في مجلس الامة بمناسبة اعلان اسس الوحدة بين مصر وسوريا في ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ بالقاهرة (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .]) ، ص ٦ (سنشير اليه بـ ، خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨) .
(٥٩) مشروع الميثاق ، ص ٢١ .
(٦٠) « ان الامة العربية في تطلعها الى المستقبل ترفض منطق هؤلاء الذين يريدون تصوير روح الاسلام على انها قيد يشد الى الماضي ، وهي ترى ان روح الاسلام حافز يدفع الى اقتحام المستقبل ... » ، « كلمة ٢٧ آذار / مارس ١٩٦٧ ، » ص ١٣٠ .
(٦١) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
(٦٢) مشروع الميثاق ، ص ٢٢ .

واقتصادية بحتة[٦٣] . ويؤكّد رجحان القومي على الديني بتشديد الخطاب على مساهمة « مسيحية المشرق العربي في مقاومة الصليبيين » ، ثم « في النضال المناهض للاستعمار »[٦٤] . إنها نظرة روحانية للاسلام والمسيحية ، نظرة تعطي استقلالية واسعة للمستوى الدنيوي بالنسبة إلى المستوى الديني الذي نذكّر بأن وروده في مجموع العينة محدود جداً .

إذا كانت الأمة العربية ، لم تعد أمة قدسية ، فهي ليست أيضاً أمة ماضويّة يحرّكها طموح للعودة إلى العصر الذهبي . فقد تبينّ من التحليل أن للمفاهيم القومية المركزية في الخطاب الناصري بعداً قديماً وبعداً حديثاً في آن واحد . فمن جهة تبدو « الأمة العربية » كياناً قديماً يعيد عبد الناصر وجوده إلى « آلاف السنين » و« القومية العربية » كهوية وجماعة (« جنسية » و« جنس ») موجودة منذ زمن بعيد ، و« الوحده » اتّخذت في « المنطقة العربية » أشكالاً قديمة ، من وحدة كفاح ضد السيطرة الأجنبية بدأت منذ آلاف السنين وهي مستمرة حتى الآن (آن الخطاب الناصري) بتسميات مختلفة ، ووحدة اللغة ، ووحدة بالدين عند ظهور وانتشار الاسلام . ومن جهة أخرى ، وفي آن واحد ، يتبينّ أن « للأمة العربية » بعداً حديثاً ظهر في نهاية القرن التاسع عشر عندما انبعثت كفاعل تاريخي في صراعها ضد الاستعمار الغربي . و« القومية العربية » « كحركة » بشكلها المتميز الجديد ظاهرة معاصرة بلغت أوجها وشملت كل الشعوب العربية مع الثورة الناصرية . و« الوحدة القومية » أي الوحدة التي أسفرت عن قيام أول دولة قومية عربية بقيادة مصر ، هي أيضاً بهذا المعنى ظاهرة حديثة .

إن الماضي العربي الذي ترثه الأمة ليس موضوع تمجيد مفرط في الخطاب الناصري . بالطبع ، يمكن لهذا الخطاب أن يعرب عن فخر مبرّر بالانتماء إلى مركز « الحضارات العريقة » (« المصرية » و« العربية ») ، إلى مقر « الديانات السماوية » الثلاث ، وإلى كيانات لعبت « دوراً تاريخياً كبيراً » . لكنه لا يحاول أن يبحث في الماضي عن عصر ذهبي ، وعن عهد تأسيسي ينبغي تجديده ، أو عن نموذج سياسي ينبغي استرجاعه . فليست هناك إشارات - في الخطاب القومي على الأقل - إلى « الخلفاء الراشدين » ولا إلى المجتمع العربي - الاسلامي الأول ولا إلى الدول الخليفية الكبرى . إن ماضي الأمة ، في الخطاب الناصري ، هو بالأحرى زمن الاضطهاد

---

(٦٣) « خطاب ١٨ نيسان / ابريل ١٩٦٨ لشرح بيان ٣٠ مارس ، ص ٤.٢ .
(٦٤) « خطاب ٥ شباط / فبراير ١٩٥٨ ، ص ٣ .

والجهل والكفاح من أجل البقاء . فالعبودية الاستبدادية والظلامية للمماليك والعثمانيين وهجمات الغرب المتعاقبة (الحروب الصليبية ـ حملة بونابرت ـ بلقنة المشرق ووعد بلفور) هي الأسباب الرئيسية لتأخر الأمة . إن أبطال الماضي الحقيقيين الذين يقدّرهم الخطاب الناصري هم أولئك الذين حاربوا هذين الخطرين المميتين : «صلاح الدين بطل أمتنا العظيم »[٦٥] ومنظّم الهجوم المعاكس لشرق القرون الوسطى ، ومثقفو النهضة (أهل الفكر) أبطال محاربة الجهل والانفتاح على « العالم المتحضر »[٦٦] .

إذاً ، إن ماضي الأمة هو الزمن الذي نخرج منه أكثر مما هو الزمن الذي نعود إليه ولئن كان الأكثر بعداً . وإذا لم تكن الأمة العربية في الخطاب الناصري أمة ماضوية ، فهي ليست أيضاً أمة ـ جوهر ، متّجهة نحو جوهرها السامي اللازمني وطامحة إلى إحيائه أو إلى إبطال ارتهانه . فالعلاقة بالماضي تُبنى على أسباب التفاوت النسبي بين العرب والأمم المتقدمة ، وليس على التمايز المطلق للأمة العربية . إن اختيار الخطاب الناصري لمقولات « التأخر » و« الجهل » بدلاً من مقولة **الانحطاط** يكشف عن هذه النظرة إلى الماضي . كما يقاس الماضي العربي الأقرب بالنسبة إلى التفاوت الحالي بين الأمم ، إلى « العالم المتحضّر » ونواقص الحضارة العربية ، وليس بالنسبة إلى ماضٍ أكثر بعداً ومجداً ، كما تفعل في أكثر الأحيان الخطابات القومية المشرقية .

إن الخطاب الناصري المركّز على مقولة « التأخر » يقدّر الأمة إذاً بالنسبة إلى مهماتها وعصريتها . أما الخطاب المشرقي ، المركّز على مقولة « الانحطاط » ، فإنه يقدّر الأمة بالنسبة إلى مجدها السابق وإلى جوهرها السامي ، المنحطّ مؤقتاً .

ينعكس هذان الاتجاهان المتباعدان على علاقة الأمة العربية بالغرب . فالخطاب القومي المشرقي يرى في هذه العلاقة تناقضاً جوهرياً ، روحانياً وثقافياً بمقدار ما هو سياسي واقتصادي ـ إن لم يكن أكثر . فالغرب كان ويبقى تهديداً قاتلاً « لروح الأمة » و« أصالتها » و« تراثها » . والمطلوب أولاً هو إعادة تأكيد الغيرية المطلقة بالنضال ضد « التغرّب » . في المقابل ، يرفض الخطاب الناصري النظرة الأحادية لغرب مغاير وسلبي تماماً . إن الخطاب الناصري يشجب بتصلب الإستعمار الغربي ، العدو الأساسي للأمة وللحركة القومية وللوحدة العربية ، والسند الأساسي لاسرائيل وللرجعية العربية ،ولكنه لا يتخلف عن التشديد على الطابع المتقدّم للحضارة

(٦٥) « خطاب ١٨ نيسان / ابريل ١٩٦٨ لشرح بيان ٣٠ مارس » ، ص ٤٠٤ .
(٦٦) مشروع الميثاق ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

الأوروبية وعلى ضرورة الغرف من « زاد » كل حضارة متقدمة[٦٧] ، ذلك لأن كل حضارة هي وليدة اقتباس وخلق جديد[٦٨] . وعلى العرب الذين أحسنوا في الماضي تجسيد هذا التوفيق بين الاقتباس والخلق ، أن يجدّدوا هذا الجهد الخلّاق . ولا يتردّد الخطاب الناصري ، على هذا الصعيد ، في اعتبار « الانعزال » تجاه « العالم المتحضر » كأحد الأسباب (التاريخية) الأساسية للتأخر العربي[٦٩] . فهو يذكّر بالدور الايجابي الذي لعبته البعثات الطلابية الموفدة من قبل محمد علي ، وحتى « بالأفكار الجديدة » و« الآفاق الجديدة » التي جاءت بها حملة بونابرت ، بالرغم من طابعها الاستعماري ، إلى مصر والوطن العربي[٧٠] . إذا كان الغرب ولا يزال تهديداً « لوجود » الأمة ، فإن امتلاك الحضارة العصرية هو شرط أساسي « لتقدم » الأمة العربية . إذاً ، ليست « الأمة العربية » في الخطاب الناصري أمة قدسية ولا مرمّمة للماضي ولا أمة ـ جوهر ، بل هي أمة ـ مشروع ، تتوق إلى صورة لمستقبلها وإلى صورة للانسان .

ويقتبس الخطاب الناصري صورة المستقبل والانسان هذه من العنصرين الكبيرين المكوِّنين للنظرة إلى العالم واللذين تُبنى عليهما حقاً الحضارة العصرية : العنصر الديموقراطي والعقلاني والعلماني ، والعنصر التقدمي والاشتراكي المتحدّر من العنصر الأول . إن الأمة الناصرية هي أساساً مشروع تحديث وتنمية واستقلالية لكيان يصنع مصيره بنفسه . ونعود مراجعه الرئيسية إلى « حقوق الشعوب » وإلى « الحرية » و« السيادة العربية » و« العمل والبناء » و« الثورة الاجتماعية » و« قوى الشعب العاملة » و« البناء الاشتراكي » و« إزالة الاستغلال » . . . العصر الذهبي لا يكون وراء الأمة بل أمامها . إنه الأمة ذاتها كمشروع « لمجتمع الكفاية والعدل » وكطموح الكائن الجماعي العربي إلى التحرر والتطور . إن « الأمة العربية » الناصرية تتلوّن بلا ريب ككل أيديولوجية قومية ، بشكل من أشكال الطوباوية ، لكن بدلاً من أن تكون طوباوية مركّزة على المقدّس وعلى الهوية الضائعة أو المستردّة ، وعلى الأمجاد الماضية الواجب إحياؤها ، فهي طوباوية دنيوية ، منفتحة على العالم وعلى مشروع شرعي لتقدّم وتحرّر العرب ، باعتبارهم أحد كبار مجتمعات الانسانية المعاصرة.

---

(٦٧) جمال عبد الناصر ، **فلسفة الثورة** (القاهرة : وزارة الاعلام ، ١٩٥٣) ، ص ٣٢ .
(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٣١ .
(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

المــــراجــع

١٠ ـ وثائق عبد الناصر : العينة المحللة في الدراسة :

المرحلة الأولى : ١٩٥٢ ـ ١٩٥٧

١ ـ عبد الناصر ، جمال . فلسفة الثورة . القاهرة : وزارة الاعلام ، ١٩٥٣ . ٥٦ ص .

٢ ـ خطاب سياستنا الداخلية والخارجية ، في ٢٢ يوليو ١٩٥٥ . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

٣ ـ خطاب اعلان الرئيس تأميم قناة السويس ، ٢٦ يوليو ١٩٥٦ . الاهرام : ٢٧ تموز/ يوليو ١٩٥٦ .

المرحلة الثانية : ١٩٥٨ ـ ١٩٦١

٤ ـ أ) خطاب السيد الرئيس في اليوم التاريخي لاعلان الجمهورية العربية المتحدة ، في أول فبراير ١٩٥٨ بالقاهرة . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] ، ٣ ص .

ب) خطاب السيد الرئيس في مجلس الأمة بمناسبة اعلان أسس الوحدة بين مصر وسوريا في ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ بالقاهرة . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

٥ ـ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني في ٢٦ نوفمبر . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

٦ ـ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر العام للاتحاد القومي ، ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٠ . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

المرحلة الثالثة : ١٩٦١ ـ ١٩٦٣

٧ ـ أ) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ في المؤتمر الشعبي في ميدان الجمهورية بعد مرور ٢٤ ساعة على قيام حركة التمرد الانفصالية في دمشق .

القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

ب) بيان الرئيس جمال عبد الناصر الى شعب الجمهورية العربية المتحدة في مساء يوم ١٦ اكتوبر ١٩٦١ . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

٨ ـ مشروع الميثاق ، ٢١ مايو ١٩٦٢ . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] . ١٢٤ ص .

٩ ـ « خطاب الرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ يوليو ، في القاهرة ١٩٦٣/٧/٢٢» . الوثائق العربية ١٩٦٣ . بيروت : الجامعة الاميركية ، دائرة الدراسات السياسية والادارة العامة ، ١٩٦٤ . ص ٥٩٠ ـ ٦٠٥ .

١٠ ـ « خطاب الرئيس عبد الناصر في القوات العائدة من اليمن ، الاسكندرية ، ١٩٦٣/٨/١١ . » الوثائق العربية ١٩٦٣ . المصدر السابق . ص ٦٤٦ ـ ٦٥٢ .

المرحلة الرابعة : ١٩٦٣ ـ شباط/ فبراير ١٩٦٦

١١ ـ أ) « خطاب الرئيس عبد الناصر في مجلس الأمة ، ١١ مايو ١٩٦٤ . » [بمناسبة زيارة خروشوف الى مصر من ١١ الى ٢١ أيار (مايو) ١٩٦٤] . الاهرام : ١٢ أيار/ مايو ١٩٦٤ .

ب) « خطاب الرئيس عبد الناصر في بور سعيد ، ١٩ مايو (أيار) ١٩٦٤ . » الاهرام : ١٢ أيار/ مايو ١٩٦٤ .

ج) « خطاب الرئيس عبد الناصر في حفل النقابات المهنية ، ٢٠ مايو ١٩٦٤ . » الاهرام : ٢١ أيار/ مايو ١٩٦٤ .

١٢ ـ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في عيد الثورة الثالث عشر ، ٢٣ يوليو ١٩٦٥ . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

المرحلة الخامسة : شباط/ فبراير ١٩٦٦ ـ حزيران/ يونيو ١٩٦٧

١٣ ـ خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الشعبي في السويس بمناسبة عيد المدينة ٢٢ مارس ١٩٦٦ . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د . ت .] .

١٤ ـ « خطاب في الاحتفال بعيد الوحدة ، ٢٢ فبراير ١٩٦٧ . » وثائق عبد الناصر : خطب احاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨ . القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٢ .

المرحلة السادسة : حزيران/ يونيو ١٩٦٧ ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠

١٥ ـ « خطاب عيد الثورة الخامس عشر ، ٢٣ يوليو ١٩٦٧ . » وثائق عبد الناصر . المصدر السابق . ص ٢٣٩ ـ ٢٦٢ .

١٦ ـ أ) « حديث الى الأمة قدم فيه الرئيس بيان ٣٠ مارس ، ٣٠ مارس ١٩٦٨ . » وثائق عبد

الناصر . المصدر السابق . ص ٣٧١ - ٣٨٠ .

ب) « كلمة في أعضاء المجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، ١٥ ابريل ١٩٦٨ . » وثائق عبد الناصر . المصدر السابق . ص ٣٩٧ - ٣٩٩ .

ج) « في المؤتمر الشعبي بالمنصورة لشرح بيان ٣٠ مارس ، ١٨ ابريل ١٩٦٨ » وثائق عبد الناصر . المصدر السابق . ص ٤٠٣ - ٤١٧ .

د) « خطاب الى المثقفين بجامعة القاهرة لشرح بيان ٣٠ مارس ، ٢٥ ابريل ١٩٦٨ . وثائق عبد الناصر . المصدر السابق . ص ٤٢١ - ٤٣٥ .

هـ) « خطاب الى ضباط وجنود القوات المسلحة في احدى القواعد العسكرية لشرح بيان ٣٠ مارس ، ٢٩ ابريل ١٩٦٨ . » وثائق عبد الناصر . المصدر السابق . ص ٤٣٩ - ٤٥٠ .

١٧ - « خطاب في استاد الخرطوم الرياضي بمناسبة احتفالات السودان بعيد الاستقلال ، اول يناير ١٩٧٠ . » وثائق عبد الناصر : خطب ، احاديث ، تصريحات ، يناير ١٩٦٩ - سبتمبر ١٩٧٠ . القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣ . ص ٢٥٧ - ٢٧١ .

١٨ - « خطاب عيد الثورة الثامن عشر في افتتاح الدورة الرابعة للمؤتمر القومي ، ٢٣ يوليو ١٩٧٠ . » وثائق عبد الناصر . المصدر السابق . ص ٤٧١ - ٥٠٠ .

٢ - مناهج تحليل الخطاب

- Althusser, L. «Idéologies et appareils idéologiques d'état.» **La Pensée**: no. 151, Juin 1970.
- Ansart, P. **Idéologies, conflits et pouvoir.** Paris: P. U. F., 1977.
- Benveniste, E. «L'Appareil formel de l'énonciation.» **Langage:** no. 17, Mars 1970.
  — —. **Problèmes de linguistique générale.** Paris: Gallimard, 1966.
- Dubois, J. **Le Vocabulaire politique et social en France de 1869 a 1872.** Paris: Larousse, 1962.
- Geffroy, A. «Le Peuple selon Saint-Just.» **Annales Historiques de la Révolution Française:** Janvier-Mars 1968.
  — —. «Vocabulaire politique: Saint-Just: discours et rapports à la Convention (1792-1794),» Etude Statistique et Sémantique. D. E. S., 1966. (Mimeo).
- Guilhaumou, J. «L'Idéologie du «Père Duchèsne,» 14 Juillet 1793-6 Septembre 1793.» Maîtrise, Université de Nanterre.
- Harris, Z. H. «Discourse Analysis,» Translated by F. Dubois-Charlier. **Langage:** no. 13, Mars 1969.
- Henry, P. et Moscovici. «Problèmes de l'analyse de contenu.» **Langage:** no. II, 1968.

- Maldidier, D. «Analyse linguistique du vocabulaire de la guerred'Algérie d'après six quotidiens parisiens.» Thèse pour le doctorat 3eme cycle, Université de Nanterre, 1971.
- Maldidier, D. Normand, C. et Robin, R. «Discours et idéologies: quelques bases pour une recherche.» **Langue Francaise:** no. 15.
Robin, R. «Le Champ sémantique de «Féodalité» dans les cahiers de doléances généraux de 1789.» **Bulletin du Centre d'Analyse du Discours de l'Université de Lille III:** no. 2, 1975.

٣ ـ المسألة القومية : حركات وأيديولوجيات

- Albertini, M. Chevallier J. et al. **L'Idée de nation.** Paris: P. U. F., 1965.
- Bourque, G. **L'Etat capitaliste et la question nationale.** Montreal: Presses de L'Université de Montreal, 1977.
- Boyd, Sh. **Le Nationalisme, mythe et réalité.** Paris: Payot, 1964.
- Godechot, J. «Nation, patrie, nationalisme et patriotisme en France au 18eme siècle.» **Actes du Colloque, Patriotisme et Nationalisme en Europe à L'Epoque de la Révolution Francaise et de Napoléon.** 13eme Congrès International des Sciences Historiques, Moscou, 19 Août, 1970. Paris: [n. p.] 1973.
- Guiomar, J. Y. **L'Idéologie nationale: nation, représentation, propriété.** Paris: Editions Champ Libre, 1974.
- Kohn, Hans. **The Idea of Nationalism, A study of Its Origins and Background.** New York: Macmillan, 1957.
—— —. **Prelude to Nation States: The French and German Experience, 1785-1815.** Princeton: Princeton University Press, 1967.
—— —. **Le Panslavisme, son histoire et son idéologie.** Paris: Payot, 1963.
- Lenine, V. I. **Le Mouvement de Libération nationale des peuples d'Orient.** Moscou: Editions en Langue Etrangère, [n. d.].
—— —. **Mouvements nationaux d'indépendance et classes populaires au XIXeme et XXeme siecles,** en Occident et en Orient. 2 vols. Paris: A. Colin, 1971.
- Smith, A. D. **Theories of Nationalism.** New York: Harper Torch Books, 1972.
- Suratteau, J. R. **L'Idée nationale de la révolution à nos jours.** Paris: P. U. F., 1972.
- Vergnaud, P. **L'Idée de nationalité et de la libre disposition des peuples dans ses rapports avec l'idée de l'état.** Genève: Droz, 1955.
- Vilar, P. «Patrie et nation dans le vocabulaire de la guerre d'indépendance espagnole.» **Annales Historiques de la Révolution Française:** Octobre-Décembre 1971.

٤ ـ العالم العربي المعاصر
الحافظ ، ياسين . حول بعض قضايا الثورة العربية . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٥ .
- Agwani, M. S. **Communism in the Arab East.** London: Asia Publishing House, 1969.
- **A Bibliography of Works Dealing with Arab Struggle for Freedom and Unity.** Cairo: National Library Press, 1959.
- Charrier, N. «Le Monde arabe et l'unité arabe.» Thèse d'état, Université de Paris II, 1975.
- Colombe, M. **Orient arabe et non- engagement.** 2 vols. Paris: Publications Orientalistes de France, 1973.
- Dandachli, M. «Le Parti Baas Socialiste, 1940- 1963.» Thèse pour le doctorat IIIeme cycle, Paris I, 1975.
Laqueur, W. **Communism and Nationalism in the Middle East.** London: Routledge and Kegan Paul, 1956.
- Seale, P. The Struggle for Syria, 1945-58. [n. p.]: Oxford University Press, 1965.
- Segesvary, V. **Le Réalisme Krouchtchévien, 1953-1960.** Geneve, 1968.
- Shimoni, Y. et Levine, E. **Political Dictionary of the Middle East in the 20th century.** Jerusalem: Jerusalem Publishing House, 1974.

٥ ـ مصر المعاصرة وعبد الناصر
ـ بكداش ، عبد الحميد . جمال عبد الناصر ، رجل امة . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ .
ـ الجندي ، انور . هذا هو جمال . بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٦٠ .
ـ الحوفي ، أحمد محمد . البطولة والأبطال . القاهرة : المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٣ .
ـ العقاد ، عامر . جمال عبد الناصر ، حياته وجهاده . القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٠ .
ـ مطر ، ف . بصراحة عن عبد الناصر ، مقابلة مع محمد حسنين هيكل . بيروت : دار القضايا ، ١٩٧٥
- Abdel-Malek, A. **Egypte société militaire.** Paris: Seuil, 1962.
— —. «La Participation des classes populaires au mouvement national d'independance en Egypte (19eme et 20eme siecle.)» **Mouvements Nationaux d'Indépendance et Classes Populaires aux XIVeme et XXeme siecles, en Occident et en Orient.** Vol. I. Paris: A. Colin, 1971.
- Abdulrazak, Fawzi. «Nasir, Documents et Sources in Arabic.» **Middle East Journal:** Automne 1976.
— — Beeri, E. «Social Origin and Family Background of Egyptian Army Officier Class.» **Asian and African Studies:** Vol. 2, 1966.
- Bowie, L. «The Copts, the Wafd and Religious Issues in Egyptian Politics.» **Muslim World:** Vol. 67, no. 2, April 1977.
- Colombe, M. «L'Egypte et le nationalisme arabe: de la ligue des Etats Arabes à la République Arabe Unie, (1945-1958).» **Orient:** vol. 2, no. 5, 1958.

——. **L'Evolution de l'Egypte, 1924-1950.** Paris: Maisonneuve, 1951.
- Crabbs. J. «Politics, History and Culture in Nasser's Egypt.» **International Journal of Middle Eastern Studies:** vol. 6, 1973.
- Cremeans.C **The Arabs and the World Nasser's Arab Nationalist Policy.** London: Praeger, 1963.
- Dawisha, A. I. **Egypt in the Arab World.** London: Macmillan, 1976.
- Dekmejian, H. **Egypt Under Nasir.** London: University of London Press, 1972.
- Goneid, A. M. **La République Arabe Unie «Egypte», dans l'unité africaine.** Cairo: Dar al-Katib al-Arabi, 1968.
- El-kosheri, Mahfouz. **Socialisme et pouvoir en Egypte.** Paris: librairie Generale de Droit et de Jurisprudence, 1972.
- Landau, J. M. **Parliaments and Parties in Egypt.** New York: Praeger, 1954.
- Mansfield, P. **Nasser's Egypt.** London: Penguin Books, 1969.
- Mitchell, R. P. **The Society of the Muslim Brothers.** London: Oxford University Press 1969.
- Stephens, R. **Nasser: A Political Biography.** Manchester (England): Penguin, 1971
- Vatikiotis, P. J. **The Egyptian Army in Politics.** Indiana University Press, 1961.
  —. **Nasser and his Generation.** London: Croom Helm, 1978.
- Vaucher, G. **Gamal Abdel-Nasser et son équipe.** 2vols. Paris: Julliard, 1959.

٦ - الايديولوجية العربية المعاصرة

أ) متنوعات :

- بكداش ، خالد . **الشيوعية والقومية** . دمشق : [د . ن .] ، ١٩٤٤ .
  —— . **دور سوريا التاريخي في العالم العربي** . دمشق : [د . ن .] .
  —— . **حركة النضال الوطني والنضال في سبيل الاشتراكية** . دمشق : [د . ن .] ، ١٩٧٢ .
  —— . **التجربة التاريخية الفيتنامية** . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٦ .
  —— . **اللاعقلانية في السياسة** . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٥ .
  —— . **الهزيمة والايديولوجية المهزومة** . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٩ .
- الخدوري ، م . **الاتجاهات السياسية في العالم العربي** . بيروت : الدار المتحدة ، ١٩٧٢ .
- السباعي ، مصطفى . **اشتراكية الاسلام** . دمشق : [د . ن .] ، ١٩٥٩ .
- قطب ، سيد . **معالم في الطريق** . القاهرة : [د . ن .] ، ١٩٦٤ .

- Binder, L. **The Ideological Revolution in the Middle East.** New York: John Wiley, 1964.
- Djait, H. **La Personnalité et le devenir arabo-islamique.** Paris: Seuil, 1974.
- Hourani, A. **Arabic Thought in the Liberal Age 1798- 1939.** London; New York: Oxford University Press, 1962.
- Kerr, M. **The Arab Cold War, 1958-1964. A Study of Ideology in Politics.** London:

Oxford University Press, 1965.

- Laroui, A. **L'Ideologie arabe contemporaine.** Paris: Maspero, 1967.

ب) الايديولوجيا القومية العربية

ـ الحافظ ، ياسين . نحو منظورات وحدوية جديدة . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٩ .

ـ الحصري ، ساطع . أبحاث مختارة في القومية العربية ، ١٩٢٣ ـ ١٩٦٣ . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤ .

ـــ ـــ . ثورة ١٤ تموز وحقيقة الشيوعيين في العراق . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٠ .

ـــ ـــ . العروبة اولا . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦١ .

ـــ ـــ . العروبة بين دعاتها ومعارضيها . بيروت : دار العلم للملايين ، [د . ت .] .

ـــ ـــ . ما هي القومية ؟ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٩ .

ـــ ـــ . محاضرة في نشوء الفكرة القومية من القرن التاسع عشر الى الجامعة العربية . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٦ .

ـ الخربوطلي ، علي حسني . محمد والقومية العربية . القاهرة : [د . ن .] ، ١٩٦٣ .

ـ عفلق ، ميشال . البعث والوحدة . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ .

ـــ ـــ . في سبيل البعث . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٥٩ .

ـــ ـــ . معركة المصير الواحد . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٤ .

ـ مرقص ، الياس . الماركسية والمسألة القومية . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٠ .

- Babikian, S. «A Partial Reconstruction of Michel ʿAflaq's Thought.» **Muslim World:** vol, 67, no. 4, October 1977.
- Colombe, M. «Islam et nationalisme arabe à la veille de la première guerre mondiale.» **Revue Historique:** vol. 223, 1960.
- Dandachli, M. «Le Parti Baas Arabe Socialiste, 1940-1963.» Thèse pour le doctorat 3eme cycle, Paris I, 1975.
- Hanna, S. and Gardner, G. «Al-shuʿubiyya Up-dated, a study of the 20'th Century Revival of an 8'th Century Concept.» **Middle East Journal:** vol, 20, no. 3, summer 1966.
- Hawydi, yehia. «Autour du nationalisme arabe.» **Correspondances d'Orient Etudes:** vol. 5/6, 1964.
- Al-Husri, Satiʿ. «l'Idée de nation dans les pays arabes du début du 19eme siècle à la ligue Arabe.» **Orient:** vol. 21, 1962.
- Kenny, L. M. «Satiʿ al Husri's Views on Arab Nationalism.» **Middle East Journal:** vol. 17, Summer 1963.
- Qubain, F. **Inside the Arab Mind- Bibliographical Survey of Literature in Arabic on Arab Nationalism and Unity.** Arlington, Virginia: Middle East Research Associates, 1960.
- Shamir, S. «The Question of National Philosophy in Contemporary Arab Thought.» **Asian and African Studies:** vol. I, 1965.

٧ ـ الايديولوجية القومية العربية في مصر ولدى عبد الناصر .
- امام ، عبد الله . الناصرية ، دراسة بالوثائق في الفكر الناصري . القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧١ .
- بحيري ، م . أ . ز . الناصرية. القاهرة : مكتبة الانجلو۔ مصرية ، ١٩٧٠ .
- بشميل ، محمد أحمد . نحن وعبد الناصر . بيروت : [د . ن .] ، ١٩٦١ .
- بلال ، عبد الله . تأملات في الناصرية . القاهرة : المكتبة الانجلو۔ مصرية ، ١٩٧١ .
على طريق الناصرية . طرابلس : مكتبة العرفان ، ١٩٧٣ .
- البيطار ، صلاح الدين . ماذا بعد جمال عبد الناصر . بيروت : مؤسسة الحوادث ، ١٩٧٢ .
- الجندي ، أ . أحمد زكي ، شيخ العروبة ١٨٦٧ - ١٩٣٤ . القاهرة : وزارة الثقافة والتوجيه الوطني ، ١٩٦٣ .
- حداد ، س . المبررات التاريخية للعقيدة الناصرية . بيروت : دار المعلمين ، ١٩٧١ - ١٩٧٢ .
- حمدي ، بشير . الكتاب الأخضر حول مؤتمر القمة الاسلامي . بيروت : [د . ن .] ، ١٩٦٦ .
- حروش ، أحمد . « فكرة القومية العربية في ثورة يوليو . » المستقبل العربي : السنة ٢ ، العدد ٧ أيار/ مايو ، ١٩٧٩ . ص ٣٩ - ٤٧ .
- دجاني ، أحمد صدقي . عبد الناصر والثورة العربية . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٠ .
- دندشلي ، مصطفى . « مصر الناصرية والتجربة الوحدوية . » الفكر العربي : العددان ٤ و٥ ايلول/ سبتمبر۔ تشرين الأول/ نوفمبر ١٩٧٨ ، ص ٣٩ - ٤٧ .
- السعيد ، رفعت . تأملات في الناصرية . الطبعة ٢ . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٩ .
- شاكر ، ط . ت . [ميشال كامل] . قضايا التحرر الوطني والثورة الاشتراكية في مصر . بيروت : دار الفارابي ، [د . ت .] .
- شعلان ، م . أيديولوجية جمال عبد الناصر ومفاهيمها في التربية والتعليم . القاهرة : مكتبة الغريب ، ١٩٧١ .
- شكري ، غالي . « مدخل تمهيدي الى الفكر الناصري . » الفكر العربي : العدد ٤ و٥ ، أيلول/ سبتمبر۔ تشرين اول/ اكتوبر ١٩٧٨ . ص ٦٧ - ٩٤ .
- الشمالي ، توفيق . ناصر القومية العربية . القاهرة : الشركة التعاونية ، ١٩٥٩ .
- صادق ، حاتم . لقاءات حول الفكر الناصري، ١٩٧٢ .
- صايغ ، أ . الفكرة العربية في مصر . بيروت : [د . ن .] ، ١٩٥٩ .
- صبري ، عبد الله اسماعيل . « عبد الناصر والقومية العربية . » الطليعة : تشرين الثاني/ نوفمبر ، ١٩٧٠ . ص ٦٣ - ٦٨ .
- صفدي ، مطاع . ناصر الناصرية والثورة العربية . بيروت : دار العودة ، ١٩٧٠ .
- العقاد ، عامر . جمال عبد الناصر ، حياته وجهاده . القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٠ .
- الغادري ، نهاد . الكتاب الأسود في حقيقة عبد الناصر وموقفه من الوحدة الاشتراكية وقضية فلسطين . [د . ن . د . ت .] .
- الغنّام ، إبراهيم . عبد الناصر والقومية العربية . القاهرة : منشورات معهد تدريب الشرطة [د . ت .] .
- كامل ، حمود . عروبتنا . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤ .
- ماهر ، محمد علي . مسلم يقرأ الميثاق . القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨ .
- **A Bibliography of Works About Arab Nationalism.** Cairo: National Library Press, 1959.
- Carré, O. **Enseignement islamique et idéal socialiste.** Beyrouth: Dar el-Mashreq, 1974.

- Chejne, A. «Egyptian Attitudes Towards «Pan-Arabism.» **Middle East Journal:** vol.; II, 1957.
- Colombe, M. «L'Egypte et le nationalisme arabe: de la ligue des Etats Arabes à la R. A. U.» **Orient:** vol. 2, no. 5, 1958.
- Muzikar, J. «Arab Nationalism and Islam.» **Archiv Orientalni** (Prague): vol. 43, no. 3, 1975.
- Silberman, G. National Identity in Nasserist Ideology, 1952-70.» **Asian and African Studies** (Jerusalem): vol. 8, no. I, 1972.

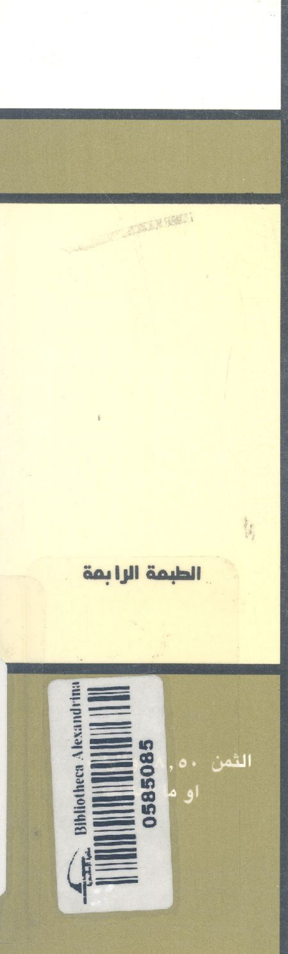
- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق...طبعة ثالثة
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٥)) (٣٨٦ ص - ٩,٥٠ $) .... د. وميض جمال عمر نظمي
- السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي ١٩٦٧ - ١٩٧٣
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٤)).. طبعة ثانية (٢١٤ ص - ٧ $) .... د. هالة ابو بكر سعودي
- الهجرة الى النفط.. طبعة ثالثة (٢١٠ ص - ٥ $) .... د. نادر فرجاني
- العرب وافريقيا.. طبعة ثانية (٨٢٤ ص - ١٦,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- الطاقة النووية العربية: عامل بقاء جديد... طبعة ثانية (١٥٦ ص - ٣ $) .... د. عدنان مصطفى
- الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي... طبعة ثالثة
(سلسلة كتب المستقبل العربي (٤)) (٣٥٣ ص - ٧,٥٠ $) .... مجموعة من الباحثين
- الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠ - ١٩٣٩ (٢٣٦ ص - ٤,٥٠ $) .... اعداد مروان بحيري
- التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية ... طبعة ثانية
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣)) (٢٩٦ ص - ٨ $) .... د. محمد السيد سليم
- العمالة الاجنبية في اقطار الخليج العربي (٧١٢ ص - ١٤ $) .... ندوة فكرية
- انتقال العمالة العربية: المشاكل - الآثار - السياسات (٣١٣ ص - ٦ $) .... د. ابراهيم سعد الدين
ود. محمود عبد الفضيل
- جامعة الدول العربية: الواقع والطموح (١٠٠٤ ص - ٢٠ $) .... ندوة فكرية
- الصراع العربي - الاسرائيلي: بين الرادع التقليدي والرادع النووي (٢٤٨ ص - ٥ $) ... طبعة ثانية........ أمين حامد هويدي
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ - ١٩٨٠ - المجلد الاول: المؤلفون - القسم الاول: بالعربية
(١٠٦٠ ص - ٢١ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ - ١٩٨٠ - المجلد الاول: المؤلفون -
القسم الثاني: بالانكليزية والافرنسية (١٠٩٦ ص - ٢٢ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ - ١٩٨٠ - المجلد الثاني: العناوين
- القسم الاول: بالعربية (٤٠٠ ص - ٨ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ - ١٩٨٠ - المجلد الثاني: العناوين
- القسم الثاني: بالانكليزية والافرنسية (٣٦٨ ص - ٧,٥٠ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ - ١٩٨٠ - المجلد الثالث:
الموضوعات (ثلاثة اقسام) (٢٢٧٢ ص - ٦٥ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية
- النظام الاقليمي العربي... طبعة خامسة جديدة ومطورة (٢٤٠ ص - ٦,٥٠ $) .... جميل مطر ود. علي الدين هلال
- التطور التاريخي للانظمة النقدية في الاقطار العربية... طبعة ثالثة (٤٧٢ ص - ٩,٥٠ $) .... د. عبد المنعم السيد علي
- مصر والعروبة وثورة يوليو (سلسلة كتب المستقبل العربي (٢)) (٤٠٠ ص - ٨ $) .... مجموعة من الباحثين
- الفكر الاقتصادي العربي وقضايا التحرر والتنمية والوحدة... طبعة ثانية (٢٤٨ ص - ٥ $) .... د. محمود عبد الفضيل
- المواصلات في الوطن العربي... طبعة ثانية (٤٠٤ ص - ٨ $) .... ندوة فكرية
- السياسة الامريكية والعرب... طبعة ثانية مزيدة ومنقحة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٣))
(٣٦٨ ص - ٧,٤٠ $) .... مجموعة من الباحثين
- دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي... طبعة ثالثة
(سلسلة كتب المستقبل العربي (١)) (٤٧٦ ص - ٩,٤٠ $) .... مجموعة من الباحثين
- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية... طبعة ثانية (٥٢٨ ص - ١٠,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية... طبعة ثانية (٥٥٦ ص - ١١ $) .... ندوة فكرية
- الامكانات العربية... طبعة ثانية (١٣٦ ص - ٣ $) .... د. علي نصار
- صور المستقبل العربي... طبعة ثانية (٢١٢ ص - ٤ $) .... د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
- النظام الاجتماعي العربي الجديد... طبعة ثالثة (٣٠٤ ص - ٦ $) .... د. سعد الدين ابراهيم
- تجربة دولة الامارات العربية المتحدة... طبعة ثالثة (٨١٦ ص - ١٦,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر ١٩٥٢ - ١٩٧٠... طبعة ثالثة
(سلسلة اطروحات الدكتوراه (٢)) (٤١٦ ص - ٨,٥٠ $) .... د. مارلين نصر
- البعد التكنولوجي للوحدة العربية... طبعة ثالثة (١١٦ ص - ٢,٥٠ $) .... د. انطوان زحلان
- القومية العربية والاسلام. طبعة ثالثة (٧٨٠ ص - ١٥,٥٠ $) .... ندوة فكرية
- التكامل النقدي العربي المبررات - المشاكل - الوسائل. طبعة ثالثة (٧٤٠ ص - ١٥ $) .... ندوة فكرية

- سلسلة التراث القومي: الاعمال القومية لساطع الحصري /٣ مجلدات
(٢١٢٤ ص - ٦٢,٥٠ $) ....
- مجلة المستقبل العربي: المجلدات السنوية ٩ سنوات (ثمن مجلات السنة الواحدة ٤٠ $) .... مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة الثقافة القومية

- حقوق الانسان في الوطن العربي (١) (١٨ ص ـ ٢ $)...................... حسين جميل
- عن العروبة والاسلام (٢) (١٧٦ ص ـ ٥ $)...................... د. عصمت سيف الدولة
- الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية (٣) (١٨٤ ص ـ ٢ $)...................... ناجي علوش
- جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥: دراسة تاريخية (٤) (١٢٨ ص ـ ١,٥٠ $)...................... أحمد فارس عبد المنعم
- الجماعة الاوروبية: تجربة التكامل والوحدة (٥) (٢٨٨ ص ـ ٢ $)...................... د. عبد المنعم سعيد
- التعريب والقومية العربية في المغرب العربي (٦) (٢٠٠ ص ـ ٢ $)...................... د. نازلي معوض احمد
- الوحدة النقدية العربية (٧) (١٦٨ ص ـ ١,٥٠ $)...................... د. عبد المنعم السيد علي
- اوروبا والوطن العربي (سلسلة الثقافة القومية (٨)) (٣٦٨ ص ـ ٢,٥٠ $)...................... د. نادية محمود محمد مصطفى
- المثقفون والبحث عن مسار: دور المثقفين في اقطار الخليج العربية في التنمية (٩)
  (٢٤٤ ص ـ ٢,٥٠ $)...................... د. اسامة عبد الرحمن
- نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية (١٠) (١٠٨ ص ـ دولار واحد)...................... د. غسان سلامة
- السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥
  (١١) (١٤٤ ص ـ ١,٥٠ $)...................... د. محمد الاطرش
- معوقات العمل العربي المشترك (١٢) (١٥٦ ص ـ ٢ $)...................... د. وليد عبد الحي
- رحّل في ارض العرب: عن الهجرة للعمل في الوطن العربي (١٣) (١١٦ ص ـ ١,٥٠ $)...................... د. نادر فرجاني
- التجزئة العربية كيف تحققت تاريخياً؟ (سلسلة الثقافة القومية (١٤)) (٣٢٤ ص ـ ٤ $)...................... د. احمد طربين
- الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين: بين النظرية والتطبيق (١٥) (٣٠٤ ص ـ ٢,٥٠ $)...................... د. نظام محمود بركات
- الاستراتيجية الاسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية (١٦) (٢٨٠ ص ـ ٢,٥٠ $)...................... محسن عوض
- المشروعات العربية المشتركة: الواقع والآفاق (١٧) (١٨٠ ص ـ ٢ $)...................... د. سميح مسعود برقاوي
- وحدة العرب في الشعر العربي (١٨) (٤٥٦ ص ـ ٥,٥٠ $)...................... عبد اللطيف شرارة

- موقف فرنسا والمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ (١) (٥٠٤ ص ـ ١١ $)...................... د. علي محافظة
- تطور الوعي القومي في المغرب العربي (سلسلة كتب المستقبل العربي (٨)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $)...................... مجموعة من الباحثين
- الوحدة الاقتصادية العربية: تجاربها وتوقعاتها (جزءان).
  (١٢٩٦ ص ـ تجليد عادي ٢٦ $/ تجليد فني ٣٠ $)...................... د. محمد لبيب شقير
- تطور الفكر القومي العربي (٤٠٨ ص ـ ٨ $)...................... ندوة فكرية
- نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة.
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٧) (٤٠٨ ص ـ ٨ $)...................... مجموعة من الباحثين
- تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي (٥٤٨ ص ـ ١١ $)...................... ندوة فكرية
- التصحر في الوطن العربي (١٧٦ ص ـ ٣,٥٠ $)...................... د. محمد رضوان الخولي
- كيف يصنع القرار في الوطن العربي. (٢٦٠ ص ـ ٥ $) ... طبعة ثانية...................... د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
- صناعة الانشاءات العربية (٢٩٢ ص ـ ٨ $)...................... د. انطوان زحلان
- التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الاصالة والمعاصرة (٨٧٢ ص ـ ١٧,٥٠ $) ... طبعة ثانية...................... ندوة فكرية
- السياسات التكنولوجية في الاقطار العربية (٥٢٨ ص ـ ١٠,٥٠ $)...................... ندوة فكرية
- الفلسفة في الوطن العربي المعاصر (٣٢٦ ص ـ ٦,٥٠ $) ... طبعة ثانية...................... ندوة فكرية
- نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة... طبعة ثانية (١٩٦ ص ـ ٤ $)...................... د. علي خليفة الكواري
- الإعلام العربي المشترك دراسة في الاعلام الدولي العربي... طبعة ثانية (١٦٤ ص ـ ٣,٥٠ $)...................... د. راسم محمد الجمال
- صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية... طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٨))
  (٢٢٠ ص ـ ٤,٥٠ $)...................... د. سامي مسلّم
- ازمة الديمقراطية في الوطن العربي (٩٢٨ ص ـ ١٨,٥٠ $) ... طبعة ثانية...................... ندوة فكرية
- التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل.. طبعة ثانية.
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٦)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $)...................... مجموعة من الباحثين
- التكوين التاريخي للامة العربية دراسة في الهوية والوعي... طبعة ثالثة (٣٢٦ ص ـ ٦,٥٠ $)...................... د. عبد العزيز الدوري
- دراسات في القومية العربية والوحدة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٥)) (٣٨٤ ص ـ ٧,٥٠ $)...................... مجموعة من الباحثين
- الثروة المعدنية العربية امكانات التنمية في اطار وحدوي... طبعة ثانية (١٥٢ ص ـ ٣ $)...................... د. محمد رضا محرم
- البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: التنافس بين استراتيجيتين.
  طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٧)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $)...................... د. عبد الله عبد المحسن السلطان



الدكتورة مارلين نصر

- ولدت في لبنان
- مجازة في القانون العام من الجامعة اليسوعيّة في بيروت
- حصلت على دكتوراه في علم الإجتماع السياسي من جامعة باريس
- تخصّصت في علم تحليل المفردات السياسية والدلالة
- نشرت عدّة مقالات حول الفكر القومي الناصري ، وحول أوضاع اليد العاملة الصناعية في لبنان ، في دوريات عربية وأجنبية
- تعمل باحثة في مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت .

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧ - ٨٦٩١٦٤
برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي